

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

نيابة العمادة لما بعد التدرج والبحث
العلمي والعلاقات الخارجية
مصلحة التكوين لما بعد التدرج

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
كايبة: الشريعة والاقتصاد
قسم: الفقه وأصوله

مقصد التعاون الحضاري الإنساني بين التأويل والتنزيل

بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه علوم في الفقه وأصوله (نسخة معدلة)

إشراف الدكتور:

من إعداد الطالبة
العمرية شايب ربي
عبد الحق ميحي

أعضاء لجنة المناقشة

مكان العمل	الصفة	الاسم واللقب
جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة	رئيساً	أ د / كمال لدرع
جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة	مشرفاً مقررًا	د / عبد الحق ميحي
جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة	عضواً مناقشاً	د / بوبكر بعداش
جامعة الجزائر - 1	عضواً مناقشاً	أ د / عقيلة □ سين
جامعة باتنة - 1	عضواً مناقشاً	أ د / صحراوي مقلاتي
جامعة باتنة - 1	عضواً مناقشاً	د / سر □ ان بن خميس

السنة الدراسية: 1438/1439 هـ الموافق لـ: 2017/2018

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
الَّذِي أَحْرَقَنَا مِنَ الْعِلْمِ
وَأَنْزَلَ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ سَمَوَاتِهِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

جامعة الأميرة
ريم بنت عبد العزيز

شكر وتقدير

الشكر الأوّل والأخير للحميد الشكور الذي لولا رحمته وتوفيقه وعونه ما أتممت هذا البحث فاللهم لك الحمد حمدا جزيلا كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

ومن باب قوله ﷺ: [لا يشكرُ الله من لا يشكرُ الناس] رواه البخاري في الأدب المفرد إلى الأستاذ الدكتور المشرف عبد الحق مياحي شكرا جزيلا على نصحك وتوجيهاتك، ودعمك المعنوي لي رغم قصر مدة الإشراف، فجزاك الله عني وعن طلبة العلم خير جزاء. ومن باب الوفاء أتقدم بشكري الجزيل للأستاذ الدكتور نذير حمادو على توجيهاته العلمية وتشجيعه الدائم لإتمام هذا البحث، خلال فترة إشرافه على هذه الرسالة، فأقول لك أيضا جزاك الله خير الجزاء.

كما أتقدم بشكري الجزيل لوالدي الكريمين على تشجيعيهما الدائم ودعائهما المستمر، فأعو الله سبحانه أن يرحمكما ويرفع مقامكما في الدنيا والآخرة. وأتقدم أيضا بشكري الجزيل لأخي يوسف شايب ربي، الذي طالما تحمّل معي رحلة سفري أثناء إنجازي لبحثي هذا فكان نعم الرفيق والأخ الصبور معي، فأقول له جزاك الله خيرا، وبارك لك في صحتك وعافيتك.

إلى كلّ من ساعدوني بكلمة طيبة، ونصيحة مخصصة أخص بالذكر: الأستاذة نورة جعجاج، والأستاذة صباح عماري والأستاذة نجية رحمانى وزوجها الكريم فبارك الله فيكم جميعا. كما أتقدم بشكري الجزيل أيضا لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، التي فتحت لي أبوابها لأنهل من معين مكتباتها، وفتحت لي قلوب موظفيها بمعاملتهم الطيبة أخص بالذكر كل مسؤولي مصلحة التكوين لما بعد التدرج فجزاكم الله عني خير الجزاء في الدنيا والآخرة، وكذا مسؤولي مجلة الشريعة والاقتصاد أخص بالذكر الأخت أمال زيرق، فبارك الله فيك على نبيل أخلاق وحسن تعاملك ودمت ذخرا للطلبة الباحثين.

الإهداء

إلى قدوتي وقائدي حبيب الله ﷺ صلى الله
عليه وسلّم

إلى أمّتي الإسلاميّة الجريحة

إلى والدّي الحبيبين

إلى إخوتي وأخواتي كلّ باسمه

إلى من تربطني بهم علاقة دم ونسب
وأخوة في الله

اهدي ثمرة بحثي هذا

المقدمة

جامعة الأمير
عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة :

إنَّ الحمد لله نحمده و نستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له.

والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيِّدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ومن ولاة.

أما بعد:

من حكمة الله - سبحانه وتعالى - ورحمته بعباده أن خلقنا من نفس واحدة وبثَّ منها رجالا كثيرا ونساء أخبرنا بهذه الحقيقة في محكم تنزيله، وموجَّها خطابه للناس جميعا. **﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿ ﴾ [النساء/1]** عليم لماذا خلقنا من نفس واحدة؟ خبير لم بثَّ منها نساءً كثيرا و رجالا؟ أسئلة لم يدع العليم الخبير مجالاً لنطرحها على أنفسنا؛ لنجد الإجابة عنها في آية عظيمة من آيات القرآن تبدأ بنفس ما بدأت به الآية السالفة الذكر.

أجل نفس الخطاب يا أيُّها الناس **﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿ ﴾ [الحجرات/13]**.
نعم خلقنا من نفس واحدة، وبثَّ منها رجالا كثيرا ونساء، وجعلنا شعوبا وقبائل؛ لنحقِّق مقصدا شرعيا عظيما ألا وهو مقصد التعارف فيما بيننا، ونترجمه إلى عمل متفاعل، إلى تعاون ببناء مثمر محقق لمقاصد الشَّارع الحكيم محققا لمقصد وجودنا و استخلافنا في هذه الأرض، محققا لمقصد شهودنا الحضاري على العالمين.

أهمية الموضوع:

يأتي طرح هذا الموضوع بالذات في وقتنا الحاضر لأهميته وقيمه في توضيح حقيقة مقصد التعاون الحضاري الإنساني في ظلِّ ما تعيشه أمتنا الإسلامية من واقع مؤلم، جعلها تفقد هويتها وقيمتها ومبادئها وهي تتواصل وتتعاون مع الحضارة الغربية من منطلق التبعية لها، والدوبان في مذاهبها التي زخرت بها منحزاتها الحضارية، من علمانية ورأسمالية وشيوعية.

تحديات جسام تطلُّ الأمة الإسلامية اليوم، وتهم كثيرة تكال لها، منها أن حضارتها لا تعترف بالآخر ولا تتعامل معهم بقيم العدل والتسامح، والرحمة والإحسان، بل هي حضارة بنت مجدها بسيف الحروب التي خاضتها وهي اليوم تواصل إرهابها على البشرية بتعصبها وتطرفها.

هذا ما يكتبه بعض المتشددين من مفكري الغرب، وينشرونه عبر إعلامهم، سعيًا منهم في تشويه صورة الإسلام وأهله وللأسف الشديد ساعدتهم بعض من ينتمي لجلدتنا في بث سمومهم لنيل من سماحة وعدالة ورحمة الإسلام في تعامله مع غيره ممن يخالفه عقيدة وفكرًا، لونا وجنسا، لسانا وموطنا.

من هذا المنطلق جاء موضوع بحثي هذا "مقصد التعاون الحضاري الإنساني بين التأصيل والتنزيل" لتأصيل حقيقته، وتوضيح آياته، وعوامل نجاحه، وكذا عوامل فشله وواقعه.

إشكالية البحث:

إنّ السؤال الذي يطرح نفسه في ظلّ هذه المتغيّرات في عصرنا الحاضر، والتّحدّيات التي تواجهها أمّتنا الإسلاميّة وهي تحاول أن تتواصل مع غيرها، تتعاون معهم من منطلق القوّة والعزّة، ومبادئ وقيم دينها الحنيف ومقاصد شريعته السّمحاء.

من هذا المنطلق يمكن تحديد الإشكالية في قضيتين اثنتين:

- 1- قضية فهم حقيقة مقصد التعاون الحضاري الإنساني والتأصيل له.
- 2- قضية تنزيله على الواقع اليوم من خلال آليات ومبادرات عملية في كافة المجالات، وأهمّ عوامل نجاحه وفشله.

وعليه يمكن صياغة وتوضيح الإشكالية أكثر في التساؤلات الآتية:

ما حقيقة مقصد التعاون الحضاري الإنساني؟ وما الأصول والآليات والعوامل التي تساعدنا على أن نتعاون مع من يخالفنا عقيدة وفكرًا؟ ما أهمّ آليات مقصد التعاون الحضاري الإنساني؟ كيف يمكن الاستفادة من التطوّر التكنولوجي الذي أعطته لنا الحضارة الغربيّة وجذبها من خلال هذه التكنولوجيا إلى روعة ديننا وروحانيته و واقعيته؟ هل هناك نماذج عملية للتعاون الحضاري الإنساني في واقعنا اليوم؟ وإن كان كذلك هل حقّق هذا التعاون الحضاري.

الأهداف والمقاصد التي أرادها العزيز الحكيم من أمره لنا بالتعاون مع غيرنا؟

ما أهمّ عوامل نجاح مقصد التعاون الحضاري الإنساني؟ وما آثار غياب هذه العوامل على مسيرة تعارفنا

وتعاوننا مع غيرنا؟ ما الواقع العملي لمقصد التعاون الحضاري الإنساني؟

أسباب اختيار الموضوع:

إنّ أهميّة هذا الموضوع وما يطرحه من إشكاليّة من أهمّ أسباب اختياره بالإضافة إلى دوافع أخرى أوجزها

فيما يأتي:

- 1 - ما نراه اليوم من واقع مؤلم للحضارة الإسلامية وهي تتواصل مع غيرها من منطلق الضعف، والتبعية للحضارة الغربية في كل شؤون حياتها، دفعني للتأصيل لهذا الموضوع بغية معرفة الخلل الذي تسبب في الفهم القاصر لحقيقة مقصد التعاون الحضاري الإنساني.
 - 2 - الإفراط أو التفريط، أو التبسيط والتعقيد، أو المبالغة والتهميش من طرف بعض الدارسين لموضوع علاقة المسلمين بغيرهم من الشعوب الأخرى، وفي كثير من الأحوال تحتلط فيه الأهواء والعواطف مع الثوابت والمتغيرات والأصول مع الفروع، سبب أيضا دفعني لاستقراء الأدلة الشرعية من مصادرها الأصلية، وكذا استجلاء الفكر المقاصدي الأصيل لعلمائنا الأجلاء في هذا الموضوع.
 - 3 - الشبهات والتهم التي أطلقها الأعداء على الحضارة الإسلامية من أنها لا تتعامل مع غيرها، ولا تتواصل معهم، بل وصموها بأنها حضارة لا عدل ولا تسامح ولا رحمة فيها مع من يخالفها معتقدا وفكرا فكان بحثي هذا رداً عليهم من خلال التأصيل الشرعي لمقصد التعاون الحضاري الإنساني خاصة من المواقف العملية المتميزة من سيرة الحبيب صلى الله عليه وسلم.
 - 4 - العلاقات الإنسانية الحضارية بين المسلمين والغرب، التي اهتزت في العقود الأخيرة، بسبب الأعمال الإرهابية التي حصدت آلاف الأبرياء من المسلمين وغير المسلمين في كل بقاع المعمورة، وكل مرة المتهم الرئيسي هم المسلمون بسبب ثلثة من المتعصبين والمتطرفين الذين لا دين لهم ولا وطن ولا إنسانية. هذه أهم الأسباب التي دفعتني لأتناول هذا الموضوع المهم في واقعنا الحالي انطلاقا مما انتهى إليه علماءنا الأفاضل في دراسات جد قيمة مهتد لي الطريق للتعمق أكثر في بحثي هذا.
- الدراسات السابقة: من أهم الدراسات في هذا الموضوع نجد:**
- 1 - دراسة بعنوان: "منهج التعارف الإنساني في الإسلام، - نحو قواسم مشتركة بين الشعوب" لمؤلفه حسن الباش.
- صاحب الدراسة هذه انتهج في كتابه منهج الدعوة والخطابة، فهو دراسة دعوية للأمة الإسلامية من أجل تطبيق مبدأ التعارف الذي ذكرته الآية الكريمة.
- أوجه الاتفاق بين هذه الدراسة وبحثي: أدلة مشروعية التعارف من القرآن والسنة غير أنه ذكر بعض الأدلة العامة دون أن يعتمد على ما أورده علماء التفسير في معانيها ومقاصدها.
- أما دراستي فقد ركزت على الأبعاد المقاصدية لتأصيل أدلة التعاون الحضاري الإنساني مع التأصيل العقدي والفقهية الذي غاب عن هذه الدراسة.

أوجه الاختلاف: هذا الكتاب هو دراسة دعوية، إرشادية لتطبيق مبدأ التعارف.

أما دراستي في دراسة مقاصدية فكرية لقضية التعاون الحضاري الإنساني.

2 - كتاب " نحن والآخر " علي محيي الدين القرة داغي، كتاب قيّم كان بحق نقطة انطلاق لي بالنسبة لهذا البحث، حيث ساعدني في تحديد المحاور المهمة في دراستي، خاصة من جانب التّأصيل الشرعي، وبمنحاه المقاصدي الفكري أيضا.

أوجه الاتفاق: اتفقت منهجية بحثي مع هذا الكتاب في طريقة تقسيم الأدلة الشرعية خاصة من القرآن الكريم والاستنباط المقاصدي لأهم دلالات هذه الآيات الكريمة.

أما أوجه الاختلاف: هذه الدراسة ركزت أكثر على الجانب التّأصيلي، أما دراستي فقد أضافت الآليات العملية لتفعيل علاقتنا مع الآخر، وكذا الآثار السلبية الناجمة على عدم الانطلاق من التّأصيل الشرعي على واقع تعاوننا مع غير المسلمين.

3 - المشترك الإنساني - نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب - لمؤلفه راغب السرجاني كتاب أيضا قيّم وبأسلوب منفرد ومتميز يعالج قضية المشترك الإنساني بين الشعوب من خلال منهج تاريخي يسرد فيه أصل قصة التعارف، ويقدم لنا بعض الآليات التي تساعدنا على تفعيل تعارفنا مع غيرنا، كما يركز كثيرا على قضية التصادم التي دعا هنتنغتون ليختمه بتساؤل وإشكالية مهمة هل يمكن أن نعيد رسم التاريخ.

أوجه الاتفاق: هذه الدراسة ساعدتني في استنتاج أهم المشتركات الإنسانية التي تساعدنا على تعاون حضاري فعّال، وكذا أهم الآليات العملية لتطبيق مقصد التعاون الحضاري خاصة في الجانب السياسي كالمعاهدات.

أوجه الاختلاف: هذه الدراسة كما سبق وأن ذكرت هي دراسة تاريخية لحضارات وشعوب جمعت بينهم مشتركات إنسانية فالمنهج الغالب عنها هو المنهج التاريخي.

أما دراستي في تركز أكثر على الجانب التّأصيلي و التنزيلي على الواقع لقضية التعاون الحضاري الإنساني هي أهم الدراسات التي عثرت عليها تشابهت مع موضوعي بحثي في بعض النقاط واختلفت معه في طريقة طرح القضية.

بالإضافة لبحوث ودراسات جزئية لموضوع بحثي مهدت ويسّرت لي سبل البحث في هذا الموضوع ضمنيتها في قائمة المصادر والمراجع.

أمّا مبحث أكاديمي بهذا العنوان "مقصد التّعاون الحضاري الإنساني بين التّأصيل و التّنزيل"، فلم أعتز على دراسة بهذه الكيفية خلال مسيرة بحثي. والله أعلى وأعلم.

أهداف البحث:

قصدت من خلال بحثي هذا تحقيق الأهداف الآتية:

- 1 - بيان حقيقة مقصد التّعاون الحضاري الإنساني، والتّأصيل الشّرعي والعقدي والفقهية له.
- 2 - بيان منهج الوسطية والاعتدال، مع روح العزّة وقوّة المبادئ والأحكام الشّرعية لمقصد التعاون الحضاري الإنساني في الإسلام.
- 3 - بيان أهميّة العقيدة والسنن الإلهية في نجاح مقصد التّعاون الحضاري الإنساني.
- 4 - بيان أنّ عدم تطبيق النصوص الشّرعية الدّاعية إلى التّعاون الحضاري الإنساني، وكذا روح مقاصد شريعتنا الإسلاميّة، يؤدّي إلى ضعف تواصلنا وتعارفنا مع غيرنا.
- 5 - بيان أهمّ آليات التّعاون الحضاري الإنساني، ودورها في تفعيل وإنجاح تعاوننا مع غيرنا في الوقت الحاضر.
- 6 - بيان أهم عوامل فشل تعاوننا الحضاري الإنساني مع غيرنا وأثرها على واقع الأمتّة الإسلاميّة اليوم.

منهج البحث:

اعتمدت في دراستي مناهج علميّة هي:

- 1 - المنهج الاستقرائي: وذلك من خلال استقراء أهم الأدلة الشّرعية والعقدية المؤصلة للموضوع، كذا آراء الفقهاء وأدلتهم في أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم، واستقراء أيضا أهم الآليات المساعدة لإنجاحه.

2 - 852

لمنهج التحليلي: بتحليل حقيقة مقصد التّعاون الحضاري الإنساني، وكذا تحليل ودراسة أهم عوامل نجاحه وفشله، وكذا تحليل واقع التعاون الحضاري الإنساني للأمة الإسلامية مع الحضارة الغربيّة اليوم في كافة مجالات تعاونها وتواصلها معها.

- 3 - المنهج المقارن: اتبعت هذا المنهج في بعض جزئيات هذا الموضوع، وذلك من خلال مقارنات بين أسس الحضارة الإسلامية والحضارة الغربيّة، كذلك المقارنة في مجال العمل السياسي والعمل الاجتماعي، وكذا واقع التعاون الاقتصادي، والعلمي والثقافي بين العالم الإسلامي والعالم الغربي

صعوبات البحث: أهم صعوبة واجهتني في هذا البحث هو كيفية تنزيل موضوع التعاون الحضاري الإنساني على الواقع، وطريقة تكييف المعلومات والمعارف مع عناصر هذا البحث، لكن بتوفيق الله سبحانه وتعالى وفتحه علي استطعت تجاوز هذه الصعوبة، والله الحمد.

منهجية كتابة البحث:

- كتابة الآيات من المصحف الإلكتروني "مصحف المدينة برواية حفص".
- تخرج الأحاديث النبوية من المصادر الأصلية، صحيح البخاري ومسلم، وكذا السنن الستة، والمسانيد.
- ترجمت لبعض الأعلام المذكورين في بحثي، خاصة منهم الأعلام المسلمين، أما الأعلام الغرب فقد صعب علي إيجاد مصادر لترجمتهم، عدا بعضهم، برغم من إيجاد التعريف بهم في الموسوعة الحرة ويكيبيديا، لكن امتنعت عن ذكر هذه الترجمة لضرورة البحث العلمي، الذي يقتضي المصادر الأصلية في الترجمة.

- اعتمدت في توثيق المصادر والمراجع بذكر اسم الكتاب أولاً ثم مؤلفه كاملاً.
- ختمت هذا البحث بملحق تضمن عدّة فهارس أهمها: فهرس الآيات والأحاديث، فهرس الأعلام، فهرس المصادر والمراجع، وأخيراً فهرس الموضوعات.

خطة البحث:

أما عن خطة البحث التي اتبعتها لدراسة هذا الموضوع فهي كالتالي:
مقدمة، فصل تمهيدي، وثلاثة فصول، وخاتمة.

المقدمة

الفصل التمهيدي: مقصد التعاون الحضاري الإنساني "مصطلحات ومفاهيم"

ويشمل مبحثين هما:

المبحث الأول: معنى مقصد التعاون الحضاري الإنساني

المبحث الثاني: مفاهيم ذات صلة بالموضوع "المقارنة والمفارقة بين الحضارة الإسلامية

والحضارة الغربية"

الفصل الأول: مقصد التعاون الحضاري الإنساني: التأصيل الشرعي، والعقدي

والفقهية، ويشمل ثلاثة مباحث وهي:

المبحث الأول: التأصيل الشرعي للتعاون الحضاري الإنساني

المبحث الثاني: التأصيل العقدي الحضاري الإنساني

المبحث الثالث: التأصيل الفقهي للتعاون الحضاري الإنساني

الفصل الثاني: أهم آليات مقصد التعاون الحضاري الإنساني. ويشمل مبحثين اثنين

هما:

المبحث الأول: آيتا الدعوة إلى الله عز وجل، الحوار الحضاري الإنساني

المبحث الثاني: آيتا العمل السياسي والعمل الاجتماعي.

الفصل الثالث: مقصد التعاون الحضاري الإنساني التنزيل على الواقع

المبحث الأول: تنزيل مقصد التعاون الحضاري الإنساني على الواقع.

المبحث الثاني: مقصد التعاون الحضاري عوامل فشله ، وسبل التهوض به

الخلاصة: وتشمل أهم النتائج التي توصلت إليها.

الفصل التمهيدي

مقصد التعاون الحضاري
الإنساني
" مصطلحات ومفاهيم "

المبحث الأول: معنى مقصد التعاون الحضاري
الإنساني

المبحث الثاني: مفاهيم ذات صلة بالموضوع

"مصطلحات ومفاهيم"

إنّ أهمية تحديد مصطلحات البحث تظهر في جملة أمور نشير إليها بإيجاز:

أ- اختلاف دلالة الألفاظ وتطورها: فالكلمات والألفاظ التي ينطق بها الإنسان، ويعبر بها عمّا في نفسه تختلف دلالتها ومعانيها من شخص لآخر فكلمة مقصد نجدّها في اللغة العربية تحمل معانٍ متعددة ومختلفة كما سيأتي إلى أن نصل إلى أقربها لموضوع بحثنا، كما نجدّها في الاصطلاح قد اختلفت معانيها من عالم لآخر وأن العلماء المتقدّمين لم يهتموا بتعريف المقاصد أكثر من اهتمامهم بتطبيقاتها.

ب- الجذور التاريخية والفكرية للمصطلح: إنّ كل مصطلح ينشأ في بيئة فكرية مختلفة تختلف مع شخصيّة هذه البيئة وذاتيتها، فكلمة التعاون في قاموس المفكرين الإسلاميين لا تطلق فقط على الجانب المادي إنّما تطلق على المعاني المعنوية كمحاولة لجعل حقل التعاون جسراً للوصول إلى قلوبهم وفتح أفعالها بالدعوة إلى الله - عز وجل -.

كلمة حضارة أيضاً هل مدلولها في الفكر الإسلامي كمدلولها في الفكر الغربي؟

هذا ما سنتعرف عليه عند تحديدنا لمصطلح حضارة.

ج- الخطأ في استعمال المصطلحات الغربية: فنجد أنّ لفظة الإنسانية يختلف مدلولها بين الفكر

الإسلامي والفكر الغربي لذلك إذا لم نحدّد هذه المصطلحات تحديداً دقيقاً نقع في أخطاء فادحة.

لأجل كل هذا سأنتهج في هذا الفصل الخطة الآتية:

المبحث الأول: حقيقة مقصد التعاون الحضاري الإنساني

المبحث الثاني: مفاهيم ذات صلة بالموضوع

المبحث الأول

معنى مقصد التعاون الحضاري الإنساني

إنّ تحديد المصطلحات هو المفتاح الذي من خلاله يمكن تقريب موضوع البحث إلى ذهن القارئ أكثر لذا سنعمد في هذا البحث إلى تعريف مفردات العنوان لفظياً، وأيضاً نوضّح معناه باعتباره مركّباً إضافياً.

المطلب الأول

معنى مقصد لغة واصطلاحاً

الفرع الأول: معنى مقصد لغة

مقصد جمع مقاصد، أصلها من الفعل الثلاثي " ق . ص . د " يقصد قصداً، والمقصد من قصد قصده وقصداً، ومقصداً هو مصدر ميمي واسم المكان منه.¹

وتأتي كلمة مقصد في اللغة العربية على عدة معانٍ أهمها:

أولاً: العدل والوسط بين الطرفين

جاء في القرآن الكريم: ﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ

الْحَمِيرِ ﴾ [لقمان/ 19].

ثانياً: الأَمّ وطلب الشيء وإتيانه: قصدك؛ أي تجاهك، ونحاً نحوه بحيث مثل إرادته الباطنة.

ثالثاً: استقامة الطريق: ﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ

أَجْمَعِينَ ﴾ [النحل/ 9]؛ أي على الله الطريق المستقيم، والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة، والقصد من الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.²

رابعاً: القرب³: كما جاء في قوله ﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ

وَلَكِنْ بَعُدَتْ ﴾ [التوبة/ 42].

من خلال التعريف اللغوي لكلمة مقصد يتضح لنا أنّ أقرب المعاني اللغوية للمعنى الاصطلاحي هو طلب

الشيء وإتيانه.

¹ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، الفيومي أحمد بن محمد المقرئ، / 504، ط 1، ت ط 1994

² - لسان العرب، ابن منظور، 3 / 433، ط 1، ت - ط / 2003 . 1424، منشورات محمد بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

³ - المصدر نفسه، 3 / 434.

"مصطلحات ومفاهيم"

العلماء القدامى لم يهتموا بتعريف المقاصد اصطلاحاً، ولم يحدّدوا تعريفاً مضبوطاً جامعاً مانعاً لها رغم استعمالها بكثرة.

وإن كان من المسلمّ به أنّه لم يكن غائباً عن علمائنا المتقدّمين العمل بالمقاصد واستحضارها في اجتهاداتهم وآرائهم.¹

وهذه الآن بعض التعريفات لعلمائنا المتقدمين، والمحدثين:

الفرع الثاني: معنى المقاصد اصطلاحاً

أولاً: معنى المقاصد عند بعض العلماء القدامى

أ- تعريف أبو حامد الغزالي² للمقاصد: عرفها بقوله: «أمّا المصلحة فهي عبارة في الأصل عن جلب منفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق، وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم، لكن نعي بالمصلحة المحافظة على مقصود الشارع، ومقصود الشارع من الخلق خمسة هي: أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم ونسلهم، وما لهم ... وكلّ ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة».³

ب- تعريف العز بن عبد السلام⁴ «هي جلب المصالح وأسبابها للخلق، ودرء المفاسد وأسبابها عنهم في الدارين أو الجمع بين الأمرين».⁵

¹ - توظيف المقاصد في فهم القرآن الكريم، التهامي الوزاني <http://www.al5aatr.com/play-8940.html>

² - الإمام أبو حامد الغزالي محمد بن محمد الطوسي الشافعي الأشعري، الملقب بحجة الإسلام، المتكلم الفقيه الأصولي الصوفي ولد سنة 450 هـ. من أهم مصنّفاته إحياء علوم الدين في الأخلاق، المستصفي، المنحول - وشفاء العليل في أصول الفقه الوسيط، البسيط الوجيز... إلخ توفي سنة 505. أنظر: وفيات الاعيان، أحمد بن محمد بن خلّكان، 4 / 216، ط / 1، ت ط / 1398-1978، دار صادر، بيروت - لبنان.

³ - المستصفي من علم الأصول، أبو حامد الغزالي، دراسة وتحقيق د/ حمزة بن زهير حافظ، 2 / 481-482، ط د / ت ط.

⁴ - هو عبد العزيز عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الشافعي الأشعري، الملقب بسلاطان العلماء، الفقيه العالم ولد سنة بدمشق سنة 578 من مصنّفاته: قواعد الأحكام، شرح منتهى السؤل والأمل لابن الحاجب. توفي سنة 660. أنظر: شذرات الذهب، عبد الحي بن أحمد العكري أبو الفلاح، تحقيق: عبد الفادر الأرنؤوط - محمود الأرنؤوط، 5 / 301-302، ط / 1 ت ط / 1406-1986، دار بن كثير.

⁵ - قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبد السلام دراسة وتحقيق د/ نزيه كمال حماد، د / عثمان جمعة ضميرية، 1 /

"مصطلحات ومفاهيم"

ج- تعريف الإمام الشاطبي:¹ الشَّاطِبي حيثما تكلم عن المقاصد نجدها مرافقة له، حاضرة في كلِّ كلامه مؤثرة في آرائه، تزيده عمقا وسدادا، ويزيدها تجليةً وتوضيحاً، حيث لا يكاد دارس الشاطبي يزعم أنه لم يكتب إلا في المقاصد وآثارها.²

غير أننا نجد في كتابه القيم الموافقات عبارات نستنتج منها معنى المقاصد عنده من بين هذه العبارات نجد قوله: «وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معا».³

وقوله أيضا: «باستقراء أدلة الشريعة الكلية والجزئية ثبت قطعا أن الشَّارِعَ قاصد إلى حفظ المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية».⁴

وجاء في موضع آخر من كتابه الموافقات قوله: «قد تقرّر في المقاصد أنّ الأحكام الشرعية إنما شرعت لجلب المصالح أو درء المفاسد...».⁵

من خلال هذه العبارات يمكن استنتاج معنى المقاصد عند الشاطبي من أنّها: كل ما جاء به الشَّارِع من أحكام شرعية لحفظ مصالح عباده الضرورية والحاجية والتحسينية ودرء المفاسد عنهم في العاجل والآجل. من خلال هذه التعريفات لعلمائنا المتقدمين نستنتج ما يأتي:

أنّ العلماء السابقين اهتموا في تعريفاتهم بتحديد قصد الشَّارِع من تشريع الحكم، وهذا يدل على أنّهااتهم في فهم المعنى المراد بالمقاصد، فقد ركّزوا على مسألة رعاية مصالح الناس، ودرء المفاسد عنهم وذلك من خلال التطبيق والتّمثيل، ولم يهتموا كثيرا بالتّعريف النظري للمقاصد.

ثانيا: معنى المقاصد عند بعض العلماء المعاصرين

عند حديثنا عن معنى المقاصد عند العلماء القدامى تبين لنا أنّهم لم يولوا اهتماما كبيرا بالتعريف النظري لها لأنّ جلّ انشغالهم انصبّ حول تطبيقات المقاصد الشرعية.

¹ - هو ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، أبو إسحاق الشهير بالشاطبي أصولي وحافظ من أئمة المالكية من أشهر كتبه الموافقات في أصول الشريعة، الاعتصام، المقاصد الشافية توفي سنة 790 هـ. أنظر: الزركلي الأعلام 1 / 75.

² - نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، / 171 تقديم طه جابر العلواني ط / 4، ت - ط 1416 - 1995 المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

³ - الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي، 2 / 9، تقديم بكر بن عبد الله أبو زيد، ضبط وتعليق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط / 1، ت - ط / 1417 هـ. 1997 م، دار عثمان بن عفان للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية.

⁴ - المصدر نفسه، 2 / 17.

⁵ - المصدر نفسه، 1 / 311.

"مصطلحات ومفاهيم"

أمّا عند العلماء المعاصرين فقد اختلف الأمر، حيث نجدهم اهتموا كثيرا بضبط المعنى الاصطلاحي لعلم المقاصد، كما اهتموا أيضا بجانبها التطبيقي.

أ- تعريف محمد الطاهر بن عاشور:

عرفها بقوله: «هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختصّ ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغايتها العامة، والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضا معانٍ من الحكم ليست ملحوظة في أنواع كثيرة منها».¹

ب- وعرفها علاّل الفاسي بقوله: «المراد بالمقاصد الشرعية بأنّها الغاية منها الأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها».²

ج- تعريف محمد الريسوني للمقاصد: «مقاصد الشريعة هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد».³

د- تعريف نور الدين الخادمي: «هي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، والمترتبة عليها سواء كانت تلك المعاني حكما جزئية أم مصالح كلية، أم سمات إجمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد هو تقرير عبودية الله سبحانه لمصلحة الإنسان في الدارين».⁴

ثالثا: التعريف المختار: «هو المقاصد هي المعاني والحكم ونحوها التي راعاها الشارع في التشريع عموما وخصوصا، من أجل تحقيق مصالح العباد».⁵

- شرح التعريف:

¹ - مقاصد الشريعة الإسلامية محمد الطاهر بن عاشور، / 157، ط / 1، ت ط / 1432- 1433 / 2011- 2012 دار الكتب اللبناني، بيروت - لبنان.

² - مقاصد الشريعة ومكارها، علاّل الفاسي، / 7، ط / 5، ت ط / 1993، دار العرب الإسلامي.

³ - نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، / 19.

⁴ - الاجتهاد المقاصدي حجتيه... ضوابطه، ومجالاته الخادمي نور الدين، / 52- 53، ط / 1، ت-ط / 1419- 1998 دار الكتب القطرية.

⁵ - مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، محمد سعيد بن أحمد بن مسعود اليوبي، / 37، ط / 1، ت-ط / 1418- 1998، دار الهجرة، الرياض - المملكة العربية السعودية.

"مصطلحات ومفاهيم"

- المعاني: المقصود بها العلل، وهذا اصطلاح معروف عند العلماء، والعلّة في اصطلاح الأصوليين تطلق على معنيين:
- المعنى المناسب للحكم، وهذا المعنى هو المراد هنا.
- الوصف الظاهر المنضبط، الذي يجعل من ترتيب الحكم عليه مصلحة.
- الحكم: جمع حكمة، وهي في اصطلاح الأصوليين: التي لأجلها صار الوصف علّة، أو هي ما يترتب على التشريع من جلب مصلحة وتكميلها، ودرء مفسدة وتقليلها، أما قول الكاتب "ونحوها" في التعريف ليدخل في ذلك ألفاظ أخرى يعبر عن المقاصد بها: كالمهدف، والغاية، والفائدة، والثمرة وهي مقصودة للشارع
- التي رعاها الشارع في التشريع: أي التي عناها وقصدها وأرادها في التشريع، فذلك إشارة إلى أنّ أحكام الله معللة، وأنّ ما يترتب عليها من مصالح مقصودة للشارع، وليس مجرد نتائج.
- التعبير بلفظ عموما وخصوصا: ليشمل التعريف المقاصد العامة والخاصة، وذلك أنّ لفظ عموما يشير إلى ما رعاها الشارع في أحكام الشريعة عامة من حكم ومقاصد تجتمع عليها جميع الأدلة أو أكثرها ولفظ "خصوصا" يشير إلى ما قصده الشارع في كلّ حكم من الأحكام وعلل.
- عبارة من أجل تحقيق مصالح العباد: فهي وصف كما سبق قصد به زيادة الإيضاح، وليس قيّدا في التعريف، لكون المعاني التي رعاها الشارع في التشريع لا تكون إلّا من أجل تحقيق مصالح العباد.¹

المطلب الثاني

المعنى اللفظي للتعاون الحضاري الإنساني

التعاون الحضاري الإنساني مصطلحات متلازمة، وأوصاف رائعة خصص الله بها البشريّة جمعاء إذ بها يرتقي الإنسان ويسمو إلى أعلى المراتب، لذا جمعتهما في هذا المطلب، فلا يمكن أن يكون الشخص متحضرا ما لم يكن إنسانيا، ولا يمكن أن يكون إنسانيا ما لم يتحد ويتعاون مع غيره، ولا يمكن أن يكون للتعاون معنًا ما لم يكن بين جميع البشر مهما اختلفت صفاتهم وأقطارهم، أجناسهم ولغاتهم.

أبدأ أوّلا بمعنى التعاون في اللغة والاصطلاح، ثم ثانيا معنى لفظة الإنساني.

الفرع الأول: معنى التعاون

أولا: معنى التعاون لغة

¹ - المرجع السابق / 37 - 38 ، ط / 1.

"مصطلحات ومفاهيم"

أ- التعاون من العون: وهو الظهير على الأمر، وتجمع على أعوان، وتقول العرب: إذا جاءت جاء معها أعوانها، والرجل المعوان كثير العون، وحسن المعونة. وسمي الإناء ماعونا لما فيه من عون المحتاج¹ **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾** [الماعون / 07].
- من معاني التعاون أيضا:

ب - الوزير والردء: **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾** **﴿هَرُونَ أَخِي﴾** **﴿أَشَدَّدْ بِهِ أَزْرِي﴾** **﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾** [طه/ 29-32].

والشاهد من الآيات الكريمة مفردات الوزير، الأزر، أما الوزير فمشتق من الأزر وهو الظهر، ومنه يفهم التعبير القرآني.²

أما الردء فمأخوذ من أرداه؛ أي أعانه.

قال صاحب اللسان: «فلان رءء لفلان؛ ينصره، ويشدّ ظهره، فالردء هو العون والتناصر».³

ثانيا: معنى التعاون اصطلاحا

لا يختلف المعنى اللغوي للتعاون عن المعنى الذي تقرّر له في عرف الشرع، إلا أنه في الاصطلاح الشرعي له معنيان:

1- معنى خاص: أن يظاهر المسلم أخاه، ويعينه في فعل الخيرات، وطاعة الله عز وجل وتجنّب معصيته.

2- معنى عام: «هو تعاون من أجل الخير العام، والعمل الجاد الدؤوب، لإسعاد جميع الناس والعيش في ظل وارف من السلام والأمن والاطمئنان».⁴

فهذا المعنى للتعاون يوضّح لنا اتّساع دائرته، بين كلّ البشرية مهما كانت لغاتهم ومعتقداتهم، أجناسهم وأوطانهم.

وهذا المعنى سوف يتّسع له نطاق البحث في الفصول القادمة بالاستقراء والتحليل إن شاء الله .

الفرع الثاني: معنى لفظه حضاري

¹ - لسان العرب، ابن منظور: 343 / 9.

² - النكت والعيون تفسير الماوردي، الماوردي أبو الحسن، 3 / 401، د/ ط، د / ت-ط، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

³ - لسان العرب، ابن منظور، 1 / 84.

⁴ - القرآن الكريم بنيتة التشريعية وخصائصه الحضارية، وهبة الزحيلي / 94، ط / 1، ت - ط / 1419-1998 دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر، دمشق - سوريا.

"مصطلحات ومفاهيم"

أولاً: معنى حضاري لغة

حضاري نسبة إلى مصطلح حضارة.

أ- يقال: الحضرة بخلاف البدو، والحاضرة الحيّ العظيم، وهو ضد المسافر، وجاء في القرآن بمعان عدّة

منها:

ب- الشهادة أو الحضور: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۗ ﴾ [النساء: 8]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ شَهْرٌ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: 185]

وشهد بمعنى حضر.¹

إنّ الحضارة أيّا كانت تتضمن معنى المدنيّة.

ثانياً: معنى الحضارة اصطلاحاً

في خضمّ التطور الذي شهدته كلمة الحضارة صارت من أشدّ المصطلحات تعقيداً، نظراً لتباين التعاريف التي قدّمها العلماء لهذه الكلمة سواء عند العرب المسلمين أم عند الغربيين بل إنّنا نجد تداولاً للغرب لكلمتين تتقاطع دلالتها أحياناً، وهاتان الكلمتان "culture" "civilisation"، في حين تشيع عند العرب كلمات ثلاث هي: " الحضارة " والمدنيّة " و"الثقافة " .

وقد كان لعلماء الأنثروبولوجيا المعاصرين دور في تداول هذه الكلمة الأحيية وإعطائها دلالة شموليّة.²

أ - معنى الحضارة في الفكر الغربي الحضارة:

1- معنى الحضارة عند ول ديورانت: «أنّ الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة في إنتاجه

الثقافي، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق؛ لأنّه إذا ما أمن الإنسان من الخوف، تحرّرت في نفسه دوافع

¹ - لسان العرب، ابن منصور 1 / 147.

² - حول مفهوم الحضارة، حسن الأمراي، مجلة حراء / 54 العدد / 31 السنة السابعة / 2012.

"مصطلحات ومفاهيم"

التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعده لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها».¹

2- معناها عند أرنولد توينبي:² «إنها حصيلة عمل الإنسان في الحقل الاجتماعي، والثقافي، وهي حركة صاعدة، وليست وقائع ثابتة وجامدة، إنها رحلة حياتية مستمرة لا تقف عند مينائها».³

3- تعريف صامويل هنتنجتون: «وهكذا فإن الحضارة هي أعلى تجمع ثقافي من البشر، وعرض مستوى من الهوية الثقافية يمكن أن يميز الإنسان عن الأنواع الأخرى، وهي تعرف بكل من العناصر الموضوعية العامة مثل اللغة والتاريخ والدين والعادات، والمؤسسات، والتحقق الذاتي للناس، وهناك مستويات للهوية لدى البشر ...»

الحضارات هي نحن " الكبرى " التي تشعر ثقافيا بداخلها أننا في بيتنا في مقابل أن " هم " عند الآخرين».⁴

من خلال هذه التعاريف عند بعض علماء الغرب نجد أنّ مصطلح حضارة تطلق على كل مجتمع مثقف فالحضارة عندهم هي الثقافة.

1 - المرجع السابق / 54 .

2 - أرنولد توينبي، مؤرخ وفيلسوف التاريخ الإنجليزي (1889-1975) أكد في مؤلفه الرئيسي دراسة في التاريخ 12 جزءا إرادته في بناء فلسفة في التاريخ انطلاقا من دراسة احدى وعشرين حضارة، قال بدوره الحضارات بتوالدها من بعضها بعضا ولكنه لم يقل بحتمية انحطاطها، معارضا بذلك فلسفة التاريخ السائدة في التقاليد الماركسية. من مؤلفاته الأخرى: الفكر التاريخي اليوناني الحضارة في محنة، الحرب والحضارة، العالم والغرب. أنظر: معجم الفلاسفة، جورج طرايشي، / 246، ط / 1 ت - ط / 2006، دار الطليعة، بيروت - لبنان.

3 - الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي المعاصر، طه جابر العلواني، / 115 ط / 1، ت ط / 1424-2003، دار الهادي للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

4 - صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، صامويل هنتنجتون، / 71، ترجمة طلعت الشايب، تقديم: صلاح قنصورة ط / 2، ت - ط / 1999.

"مصطلحات ومفاهيم"

ب - معنى الحضارة في الفكر الإسلامي:

1- معنى الحضارة عند ابن خلدون¹: «بأنّها نهاية العمران وخروجه إلى الفساد ونهاية الشرّ والبعد عن الخير... فلتعلم أن الحضارة هي العمران، أيضًا؛ لأنّه غاية لا مزيد وراءها، وأن الترفّ والنّعمة إذا حصلوا لأهل العمران دعاهم بطبعه إلى مذاهب الحضارة والتخلّق بفوائدها»².

2- تعريف مالك بن نبي: «مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد في كل طور من أطوار حياته المساعدة الضرورية» أو هي: «إنتاج فكرة حيّة تطبع على مجتمع الدفعة التي تجعله يدخل التاريخ»³.

3- وعرفها أيضا بقوله: «مجموعة من العلاقات بين المجال الحيوي البيولوجي، حيث ينشأ ويتقوى هيكلها وبين المجال الفكري، حيث تولد، وتنمو روحها...»⁴.

4- وعرفها أيضا بقوله في موضع آخر: «هي مجموع منسجم من الأشياء والأفكار، بصلاتها ومنافعها وألقابها الخاصّة، وأماكنها المحدّدة، ومجموع كهذا لا يمكن أن يتصوّر على أنّه مجرد تكديس بل كبناء وهندسة أي تحقيق فكرة ومثل أعلى»⁵.

فمالك بن نبي يرى أن الحضارة في مجموعها هي ناتجا للإنسان والتّراب والوقت، وهي في مجموعها تحتاج

¹ - ابن خلدون (732- 808 هـ / 1332 - 1406 م)، هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، الفيلسوف المؤرّخ، العالم الاجتماعي، أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه في تونس، اعترضته دسائس، عاد إلى تونس، ثمّ توجه إلى مصر، فأكرمه سلطانها: الظاهر بريقوق، وولي قضاء المالكية، ثمّ عزل، توفي فجأة بالقاهرة. أهم مؤلفاته: ديوان المبتدأ والخبر تاريخ العرب والعجم والبربر، في سبعة مجلّدات، أوّلها المقدّمة، وهي تعدّ من أصول الاجتماع، ومن مؤلفاته أيضا: شرح البردة - كتاب الحساب - رسالة في المنطق - شفاء السائل لتهذيب المسائل. ينظر: الأعلام قاموس التراجم، خير الدين الزركلي، 3 / 130، ط / 15، ت ط / 2002، دار العلم للملايين، بيروت لبنان.

² - مقدمة ابن خلدون، ولي الدّين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق وتعليق: عبد الله بن محمد الدرويش 1 / 248، ط / 1، ت - ط / 1425 -، دار يعرب، دمشق - سوريا.

³ - مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن نبي، / 41 - 42، ط / 2، ت - ط / 1423 هـ - 2002م، دار الفكر المعاصر بيروت - لبنان، دار الفكر دمشق - سوريا.

⁴ - شروط التّهضة، مالك بن نبي، / 43، ط 1، ت - ط / 1406 هـ - 1986م، دار الفكر، بيروت - لبنان.

⁵ - الفكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، / 84، ط / 3، ت - ط / 1422 هـ - 2001م، دار الفكر دمشق - سوريا.

"مصطلحات ومفاهيم"

إلى مركّب ينتج ويمزج بين عناصرها، وهو الفكرة الدينية التي رافقت دائما تركيب الحضارة خلال التاريخ.¹
فالحضارة عند مالك هي الحاضنة للتقدم، والمحيط المناسب لإشاعة ثقافة العلم، حين تعطي الفكرة المبررات الدافعة لليد والعقل للاستفادة من الوقت.²

5- تعريف يوسف القرضاوي: «الحضارة لها جسم وروح، وجسمها يتمثل في منجزاتها المادية كالمخترعات والمصانع والأبنية...، وروحها يتمثل في مجموعة من العقائد والمفاهيم والقيم والآداب والتقاليد التي تتجسد في سلوك الأفراد والجماعات».

فالحضارة أيّا كانت تتضمن المدنية، التي تعنى بالجوانب المادية والاقتصادية، والتطبيقية والعمرائية والتنظيمية والثقافية التي تعنى بالجوانب المعرفية والأخلاقية والروحية والجمالية، وأنّ مكان العقائد والأديان، إنّما يحتلّ مساحة ما من الجانب الثقافي للحضارة.³

الفرع الثالث: معنى الإنسانيّ

أولا: معنى الإنساني لغة

الإنسان لغة آدم على نبينا الصّلاة والسّلام، وأصله إنسيان؛ لأن العرب قاطبة قالوا في تصغيره أنيسيان فدلّت الباء في تكبيره إلّا أنّهم حذفوها لما كثر النَّاس في كلامهم.

قال الأزهري⁴: «وأصل الإنس، والإنسان من الإناس، وهو الإبصار، ويقال آنسه، وأنسه؛ أي أبصرته».

وقيل للإنس؛ لأنهم يؤنسون؛ أي يبصرون كما قيل للجنّ جنّ؛ لأنهم لا يؤنسون؛ أي لا يبصرون والإنس جماعة النَّاس، والجمع أناس، وهم الأنس.

1 - شروط التّهضة، مالك بن نبي، / 50.

2 - مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي، د محمد العبد، <http://islamtoday.net/nawafeth/artshow-40-2323.htm>.

3 - مدخل إلى الحضارة الإسلامية، عماد الدين خليل، / 11، ط / 1، ت - ط / 1426-2005، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت - لبنان.

4 - محمد بن أحمد بن سليمان بن إبراهيم الأزهري الأندلسي الإشبيلي، أبو عبد الله عالم بالأدب، ولد بمالقة وسكن إشبيلية وزار مصر الشام، وبلاد الجزيرة وبغداد، وأصبهان وبلاد الجبل، ومات شهيدا، قتله التتار، له شعر =مقامات، وتصانيف. من كتبه: البيان والتبيين في أنساب المحدثين ستة أجزاء، والبيان فيما أبهم من القرآن أقسام البلاغة وأحكام الصنّاعة، وشرح الإيضاح للفارسي، شرح المقامات. ينظر: الأعلام، الزركلي، 5 / 320.

"مصطلحات ومفاهيم"

والإنس البشر الواحد إنسيّ أيضا بالتحريك، والجمع أناسي **قَالَ تَعَالَى: ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ**

مِمَّا خَلَقْنَا أَعْمَاءً وَأَنَايِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ [الفرقان: 49]

والأنس خلاف الوحشة وهو مصدر قولك: أنست به بالكسر أنسا.¹

لذلك فالمعنى اللغوي للإنسان يحمل معنى الأنس والمؤانسة، هذه اللفظة تحمل في طياتها مشاعر المحبة والرأفة والمودة، والرّحمة، وكلها قيم ومبادئ تقوم عليها الإنسانيّة التي ينبع منها التعاون الحضاري.

ثانيا: معنى الإنساني اصطلاحا

أ - معنى الإنسانيّة في الفكر الغربي: إنّ مصطلح الإنسانيّة يستعمل في معانٍ كثيرة، ويطلق خاصّة على: تلك الحركة الفكرية التي سادت في عصر النهضة الأوربيّة، وكانت تدعو إلى الاعتداد بالفكر الإنساني ومقاومة الجمود والتقليد، وترمي بوجه خاص إلى التخلّص من سلطة الكنيسة وقيود القرون الوسطى.²

فمعنى الإنسانيّة يرتكز على الإيمان بالإنسان، والاعتقاد بقيمته، واعتباره مقياسا لكلّ شيء، وذلك عن طريق تحقيق الحرية، وسبيل ذلك لديهم تحطيم ما يسمّونه قيود العصر الوسيط، ومقاومة الجمود والتقليد. وبذلك فالإنسانيّة في الفكر الغربي تجعل الإنسان مقياسا لكلّ شيء.

ب- معنى الإنسانيّة في الفكر الإسلامي: الإنسانيّة في الفكر الإسلامي تقوم على امتداد الرّمان والمكان واختلاف الألسن والأعراق والألوان، تؤول بمقتضى هذه الآية **قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ [النساء / 1]**.

إلى أصل واحد، وهي النفس التي منها تناسلت فروعها. ويجمع بين هذه الفروع الإنسانيّة علاقة أصيلة ثابتة اقتضاها الأصل الموحد، وهي علاقة الرحم الآدميّة، بغضّ النظر عن الدين والعرق واللون والحضارة.³

¹ - لسان العرب، ابن منظور، 1 / 170 - 173. أنظر: الصحاح تاج اللغة 3 / 61، تحقيق إميل يعقوب، ط / 1، ت - ط / 1420 - 1999، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

² - المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص 174، د ط، ت ط 1403 - 1983 م، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية القاهرة - مصر.

³ - المنهج القرآني في بناء المشترك الإنساني، د. محمد رفيع، إسلامية المعرفة، العدد / 66

"مصطلحات ومفاهيم"

من خلال التعريف اللفظي لمقصد التعاون الحضاري الإنساني يمكن تبين معناه باعتباره مركبا إضافيا كالاتي:

«هو التعاون على أساس المبادئ والقيم الخلقية المشتركة بين الناس، على اختلاف انتماءاتهم الحضارية والمذهبية والثقافية والدينية، من أجل بناء أسس للتواصل بين مختلف الحضارات والثقافات الإنسانية وفتح مدخل واسع للتعاون في القضايا المشتركة، وتديير هوامش الاختلاف. فمن تمام حسن تديير الاختلاف بين الناس الكشف عن المؤتلف بينهم، الذي غالبا ما تصرفه حدة الاختلاف التي يؤول في العمق إلى تحقيق الصالح العام مما يجلب الخير للبشرية في الدنيا والآخرة».¹

أو هو: «العلاقة التي يجب أن تكون بين البشر المتنوعين بالضرورة كما أكد الوحي والتاريخ والواقع ماديا ومعنويا ومعرفيا، واجتماعيا ليمم إعمار الأرض واكتشاف كنوزها وخيراتها، وتبادل منافعها بأن تكون بيتا تعارفيًا تعاونيًا تآلفيًا مشتركًا عامرا آمناً خاضعاً للجميع بما يحقق سعادة الدنيا والآخرة يجلب المنافع لهم ودرء المفاسد عنهم».²

فالتعاون القائم على البواعث الطيبة المؤدي إلى العمل المثمر البناء على الصّعيد الدولي يؤثّق عرى التعاون بين سائر الشعوب والأمم على اختلاف ألوانها ولغاتها، وأديانها وبيئاتها، فلا يحول الاختلاف في ذلك دون التعاون في سبيل الخير الإنساني العام، وإذا كان هذا واجبا بين المسلمين والمخالفين فهو فيما بين المسلمين أوجب فالصلة بين العنصر الاعتقادي في الإسلام، وبين الاتجاه الإنساني ظاهرة الوثوق.³

إذا مقصد التعاون مقصد مكمل لمقصد التعارف، كما يرفد مقصد التكامل هذين المقصدين؛ لأن الإنسان بطبيعته خلق محتاجا إلى غيره ليكمل له، فيتحقق بذلك مقصد التكامل.

وهذا الأمر هو الذي جعل علماء الاجتماع يقولون: إن الإنسان مدني بطبعه، بمعنى أنه لا يمكن بأي حال أن يستغني غيره في قضاء حوائجه، وفي أي أمر من أموره، فهو عندما يتفوق على نفسه ويعتمد عليها فلن يستطيع العيش على هذه البسيطة؛ لما سيحلقه من أذى وضرر جراء فقدته لكثير من الضروريات التي لا يستطيع بجهوده الخاصة أن يحصلها، فاجتماع الناس يحقق مقاصد كثيرة، وتحقق من خلاله غايات نبيلة، خصوصا إذا استثمر فيما ينفع وروعت فيه مقاصد التعارف والتعاون والتكامل.⁴

¹ - المرجع السابق، المنهج القرآني في بناء المشترك الإنساني.

² - لتعارفوا رؤية معرفية يحي رضا جاد، <http://feker.net/ar/2012/03/08/10850>

³ - خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم، فتحي الدريني، / 258 ط / 3، ت ط / 1434هـ-2013م مؤسسة الرسالة، دمشق - سوريا.

⁴ - مقاصد الإنسانية في الشريعة الإسلامية ... عبد الله محمدن آيا [/https://diae.net/42979](https://diae.net/42979)

الفصل التمهيدي - مقصد التعاون الحضاري الإنساني "مصطلحات ومفاهيم"

فمقصد التّعاون الحضاري الإنساني القائم على مبادئ التّقوى والعدل والبرّ يؤدّي إلى تعارف وتفاعل الحضارات الإنسانيّة، ويوثق عرى التّكامل فيما بينها في جميع مجالات حياتها فيما يخدم خير البشريّة جمعاء وفق مقاصد الشّريعة الإسلاميّة.

الأمرية
عبد القادر للعطوم الإسلاميّة

الفصل التمهيدي - مقصد التعاون الحضاري الإنساني

"مصطلحات ومفاهيم"

المبحث الثاني

المقارنة المفارقة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية

إنّ المقارنة تزيد الأمر وضوحاً، لذا من بداية مسيرة هذا البحث حاولت توضيح مصطلحاته ومفاهيمه حتى أغوص على بيّنة في أغوار هذا الموضوع الشائك.

نعم إنّ مقصد التعاون الحضاري الإنساني سيكون طرفاه حضارة العالم الإسلامي والحضارات الأخرى¹ رغم عدم هيمنتها اليوم وتراجعها على قيادة العالم، وبين الحضارة الغربية²، التي أضحت تسيطر على العالم بأسره: بأفكارها ومعتقداتها، بمنجزاتها الماديّة ومخترعاتها، باستراتيجياتها ومخططاتها في كل مناحي الحياة المعاصرة. فهل هذه المفارقة والمقارنة ستكشف لنا نقاط قوّة للحضارة الإسلامية وتسدل الستار على الحضارة الغربية؟

هل ستعود الحضارة الإسلاميّة لقيادة العالم من جديد وإنقاضه من برائن عالم المادّة الذي غرقت فيه الحضارة الغربية اليوم.

سنعرف الإجابة بعد هذه المقارنة والمفارقة الموضوعية بين الحضارتين بإذن الله وذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: الأسس العقديّة والفكرية للحضارة الإسلامية والحضارة الغربية

المطلب الثاني: المفارقة التاريخيّة بين الإنسانيّة الحضارة الإسلاميّة والحضارة الغربية

المطلب الثالث: نقطة التقاء إيجابية بين الحضارة الإسلاميّة والحضارة الغربية

¹ - أقصد بالحضارات الأخرى: حضارات آسيا وإفريقيا، وأمريكا اللاتينية وغيرها من الحضارات الإنسانيّة المعاصرة التي تسهم بشكل فعّال للرقي بالعالم خاصة الحضارة اليابانيّة التي أدهشت ولازالت تدهش العالم بمخترعاتها المذهلة في المجال التكنولوجي.

² - ملاحظة هامة: إنّ الحضارة الغربية لا يمكن أن تمحي هذه الحضارات جميعاً، أو يقع تجاوزها إرضاءً لنزعة الاستعلاء والهيمنة التي أضحت تسودها لذلك ركّزت أكثر على مقارنتها بالحضارة الإسلاميّة التي تستقل بعناصر قائمة الذات وتنفرد بخصائص تميزها عن غيرها ؛ لنظهر المغالطة الكبرى بمركزية الحضارة الغربية، وإفرادها بقيادة العالم، وإطلاق صفة الإنسانيّة، وقصر لفظة الحضارة عليها دون غيرها من الحضارات الأخرى.

المطلب الأول

الأسس العقدية والفكرية للحضارة الإسلامية والحضارة الغربية

إنّ نجاح أيّ حضارة إنسانية مرتبط أشدّ الارتباط بالأساس العقدي والفكري الذي تقوم عليه فإذا كان أساسها قويمًا ضمنت لنفسها الجدد والخلود حتى وإن اعتراها في مرحلة من المراحل الضعف والانكسار لكنّها ما تلبث العودة إلى مصدرها الصافي النقي، وإن كان أساسها مبني على جرف هار سرعان ما عجل بسقوطها وفنائها.

فما الأسس العقدية والفكرية التي قامت عليها كلاً من الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية؟ لكن قبل تبين أسس كلّ من الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية لا بدّ أولاً أن نعرّف بهما.

الفرع الأول: التعريف بالحضارة الإسلامية والحضارة الغربية اصطلاحاً

أولاً: التعريف بالحضارة الإسلامية

الحضارة الإسلامية هي نتاج لتفاعل ثقافات الشعوب التي دخلت في الإسلام سواء إيماناً وتصديقاً واعتقاداً أو انتهاءً وولاءً وانتساباً، هي خلاصة لتلاقح هذه الثقافات والحضارات التي كانت قائمة في المناطق التي وصلت إليها الفتوحات الإسلامية، وانصهارها في بوتقة المبادئ والقيم والمثل التي جاء بها الإسلام. فالحضارة الإسلامية بهذا المعنى الجامع الشامل العميق هي إرث مشترك بين كلّ الشعوب والأمم التي انضوت تحت لوائها، وشاركت في بنائها، وأسهمت في عطائها.

فليست الحضارة الإسلامية حضارة جنس معيّن فتكون بذلك حضارة قومية ولكنّها حضارة شاملة لكلّ الأجناس والقوميات.¹

ثانياً: التعريف بالحضارة الغربية اصطلاحاً

«الحضارة الغربية اصطلاح حديث اصطلاح عليه الأوروبيون في عصور الاستعمار من تقسيم العالم إلى شرق وغرب، ويعنون بالغرب أنفسهم، وبالشرق أهل آسيا وأفريقيا الذين كانوا موضع استعبادهم واستغلالهم.

¹ - خصائص الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل، عبد العزيز بن عثمان التويجري

<http://www.isesco.org.ma/index.php?option=com>

"مصطلحات ومفاهيم"

والكلمة وإن كانت حديثة اصطلاحاً واستعمالاً فإنها قديمة في مفهومها ودلالاتها، فقد كان في العالم من زمن قديم قوتان تتصارعان، وتتنازعان السيادة أحدهما في الشرق، والأخرى في الغرب، تمثل ذلك الصراع بين الفرس والروم، ثم الصراع بين الصليبيين والمسلمين، ثم الصراع بين العثمانيين والأوروبيين مدّاً وجزراً ثم كان آخر فصول هذه الملحمة - التي نشهدها - الصّلات بين الشرق ممثلاً في إفريقيا وآسيا وبين الغرب ممثلاً في أوروبا وأمريكا الشمالية.

وعليه: فإنّ مصطلح الحضارة الغربيّة مدلولها أضحى يعني ما يحمله رجال الدّين والمنظّرون فيها والسّاسة والمفكّرون والإعلاميون الموجهون للرأي العام من عقيدة وفكر وثقافة وقيمّ وعادات وتقاليّد ومواجهة ومناقضة للإسلام والمسلمين»¹.

الفرع الثاني: الأسس العقديّة والفكريّة للحضارة الإسلاميّة

أولاً: الرّبانيّة و الاستخلاف الإلهي

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّمَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام / 161].

الرّبانيّة أولى الأسس العقديّة للحضارة الإسلاميّة فمصدرها موحى به من الله سبحانه وتعالى²، ووظيفة الكينونة الإنسانيّة فيه هي التّلقّي والاستجابة والتّكيّف والتّطبيق في واقع الحياة.³ إنّها سنة الاستخلاف الإلهي.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة / 30].

فالحضارة الإسلاميّة تحكمها علاقة الإنسان بالله تعالى، وهي علاقة استخلاف التي تعني التّكليف من قبل الله عزّ وجلّ، والتّنفيد من قبل الإنسان، فأركانها كلّها وأصولها وفروعها ووجهتها الله سبحانه وتعالى، وترتقي

¹ - تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر، دراسة نقدية في ضوء الإسلام، / 32، ط / 1، ت - ط 1419هـ - 1999م، دار الجوزي للنشر والتوزيع السعوديّة.

² - الحضارة الإسلاميّة بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، علي بن نايف الشحود، / 2 / 41، د / ط، د / ت ط.

³ - المرجع نفسه، / 60.

إليه عزّ وجلّ في مسيرة شاملة تتعدّد فيها الخطوط، ولكنها تلتقي عند هدفٍ واحدٍ.¹
إنّ الأساس العقدي، أو كما عبّر عنه المفكر الإسلامي مالك بن نبي "الفكرة الدينيّة" تحرّر الفرد جزئياً من قانون الطّبيعة، ويخضع وجوده في كليته إلى المقتضيات الرّوحيّة التي طبعتها الفكرة الدينيّة في نفسه.
هذا الأساس هو الذي كان يحكم بلال بن رباح حينما كان تحت سوط العذاب يرفع سبّابته ولا يفتر عن تكرار قوله أحد... أحد...، إذ من الواضح أنّ هذه المقولة لا تمثّل صيحة الغريزة، وقد صمّت.
إنها صيحة الرّوح التي تحرّرت من آسار الغرائز بعدما تمّت سيطرة العقيدة عليها نهائياً في ذاتيّة بلال صلى الله عليه وسلم.

إنّهُ الطور الأول من أطوار حضارة الإسلام الأولى التي روّضت الغرائز وكبحت فيه الجماع عند انطلاقتها.²

نعم إنّ الرّبانيّة و الاستخلاف الإلهي يقع من منظومة الحضارة الإسلاميّة موقع القلب والدماغ من جسد الإنسان، فقد شكّل المرجعيّة الأولى في تاريخ هذه الحضارة، ومثّل السرّ الكامن وراء صمودها وثباتها رغم الضربات العنيفة التي وجهت إليها على مدى تاريخها الطويل.

ثانياً: الثبات والأخلاق الفاضلة

تأتي الأخلاق لتشكّل مع الوحي والعقل أضلاع المثلث في الحضارة الإسلاميّة بحيث تكون هي الأخرى ركناً ثابتاً في بنائها.

فميزان الأخلاق في الإسلام ميزان ثابت، لا يتحرّك أو يميل مع المنطق.³

إنّ روح الحضارة الإسلاميّة هي التي خلقت من عناصر متفرّقة كالأنصار والمهاجرين أوّل مجتمع إسلامي حتى كان الرّجل في المجتمع الجديد¹ يعرض على أخيه أن ينكحه من يختار من أزواجه بعد أن يطلقها له لكي يبني بذلك أسرة.

¹ - الآفاق الحضاريّة للوجود الإسلامي بالغرب، عبد المجيد النّجار، / 18، ط / 1، ت - ط 2005، دار المعهد الأوربي للعلوم الإنسانيّة باريس فرنسا.

² - شروط النهضة، مالك بن نبي، / 75 - 76 ط / 6، ت - ط / 1427 - 2006، دار الفكر - دمشق سوريا.

³ - خصائص الحضارة الإسلاميّة مقارنة بالحضارة الغربيّة، أحمد الطيّب
http://elazhar.com/conf_au/14/56.asp الأحد 21 10 2012 سا 36: 14.

"مصطلحات ومفاهيم"

قوة التماسك المبنية على الأخلاق الفاضلة تؤلف لنا حضارة ولدت على أرض قاحلة وسط البدو رجال الفطرة والصَّحراء.²

فالخاصية التي ميّزت الحضارة الإسلامية عن سائر الحضارات هي أنّها دارت رحاها على محور " الأخلاق وجعلتها أساسا لها " في كل ميادين الحياة:

- 1- ففيها قيم وأخلاق فردية يتحلى بها الفرد في علاقته مع ربّه سبحانه وتعالى ومع نفسه، ومع غيره.
- 2- قيم أسرية نحو الأصول بالاحترام والطاعة، ونحو الفروع بحسن التربية والرعاية، ومع الأزواج بالموّدة والرحمة.

3- قيم اجتماعية بإفشاء السلام، وحسن الأدب، والصفح، والوفاء.

4- قيم سياسية متبادلة بين الحاكم والشعب كالطاعة والمؤازرة أو أتباع النظام.

5- قيم إنسانية كالعدل والمساواة...

هي إذا غيض من فيض من القيم الأخلاقية التي امتازت بها الحضارة الإسلامية وهي ثابتة لا تتبدّل ولا تتغيّر ساهمت بتعميق وحدة المسلمين في الماضي والحاضر في الحرب والسلم جعلتهم يصمدون أمام الغزوات الأجنبية.³

ثالثا: الشهادة على الناس " عالمية الحضارة الإسلامية "

الحضارة الإسلامية لم تقم من أجل فئة معينة من الناس وفق جنسهم أو دينهم أو لسأخهم، وإنما للإنسانية جمعاء تبغي تحقيق الخير والسعادة للإنسان مطلقا عن الزمان والمكان، ولذلك فهي تتأسس على مبدأ الشهادة على الناس.

وللشهادة على الناس أبعاد تتمثل فيما يلي:

أ - البعد الأول شهادة العلم: فالعلم هو جوهر الشهادة على الناس، وهو علم يمتدّ إلى الحقيقة في جميع مظاهرها فمن العلم بالدين يتمثل هدايته أحكاما ومقاصد إلى العلم بالإنسان في أعماقه الفردية وسننه الاجتماعية وثقافته وأديانه غابرها وحاضرها إلى العلم بالكون في ظواهره وقوانينه وكيفيات استثماره.

¹ . أنظر: السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق وضبط: مصطفى السقا، إبراهيم الإياري، عبد الحفيظ شلي، 1 / 504 - 507 ط /

1، د / ت - ط، دار المعرفة بيروت لبنان.

² - شروط النهضة، مالك بن نبي / 96.

³ - القيم والأعراف الأخلاقية في الحضارة الإسلامية . دراسة تاريخية وتربوية تحليلية، محمد فيصل الشبخاني / 41 ط / 1، ت - ط / 1997، مطبعة الإمامة حمص سوريا.

"مصطلحات ومفاهيم"

ب - البعد الثاني شهادة التبليغ: يقوم على تبليغ العلم للعالمين سواء في ذلك العلم الديني أو الإنساني أو الكوني، فهو كَلِّه ملك للبشرية كافة على سبيل التبيين والتعليم والتبليغ والسعي بالإنقاذ والتفجع ليصبح خيراً عملياً يعمر حياة البشرية بالسعادة.

ج - البعد الثالث شهادة العدل: فالحضارة الإسلامية تعامل الناس معاملة العدل، وتزدهم بميزان القسط، فلا تميل إلى التطرفات التي تميل إليها أكثر الأديان.¹

د - الارتفاق الكوني والسلام العالمي: علاقة الإنسان بالكون في الحضارة الإسلامية أساسها أنّ الكون الجملي الأكبر لصفات الله تعالى: قدرة، وإرادة، ورحمة، ولذلك فإنّ علاقة الإنسان به تتجاوز العلاقة المادية إلى أفق روحي يكون فيه ساعياً إلى الله من خلال التعامل مع مظاهر الكون.

فعلاقة الإنسان بالكون هي إذاً إحدى الممرات لعلاقته بالله تعالى، وهي تتحدّد بخطين متكاملين:

1- الخط الأول الانتفاع بالمقدورات الكونية: انتفاعاً روحياً بالغوص في ما وراء الطبيعة من الدلالات العقدية مثل: حقيقة وجود الله وصفاته، حقيقة البعث والميعاد بالتذوق الجمالي.

انتفاعاً مادياً بالغوص في السنن الكونية واستثمار العطاء الطبيعي وفق تلك السنن والابتغاء من فضل الله فيها لتلبية المطالب المادية للإنسان التزاماً باستثمار مرافق الكون.

2- الخط الثاني الرأفة بالكون والرفق به: ويتمثل في صيانة تلك المقدرات من أن تتلف فيفضي ذلك إلى اختلال التوازن البيئي الذي قدّره الله عز وجلّ ناموساً للعطاء الكوني.²

فإذا كانت الحضارة الإسلامية في سلام مع الكون انتفاعاً، ورفقاً به فهي في علاقة سلام مع الإنسان الذي يخالفها، عقيدة، وجنساً ولوناً ولغة.

إنّما باختصار حضارة السلام والوئام مع الإنسان، والحيوان والنبات والماء والهواء، مع كلّ مخلوقات الكون طاعة وعبادة لله عز وجلّ.

الفرع الثالث: الأسس العقدية والفكرية في الحضارة الغربية

أولاً: الأسس العقدية للحضارة الغربية

¹ - الآفاق الحضارية للوجود الإسلامي بالغرب، عبد المجيد التّجار / 22 - 23.

² - المرجع نفسه / 26.

"مصطلحات ومفاهيم"

تتسم بالغبش في رؤيتها للحقيقة الألوهية، فليست رؤية صافية تقدّر الله حق قدره، إنّما هي رؤية قاتمة مضطربة تحبط بها الأوهام والجهالات، بل الحق أنّ الغرب - كما يظهر تاريخه - لم يعرف الله جلّ شأنه معرفة صحيحة؛ لأنّه لم يعرف النبوة الهادية، والوحي المعصوم معرفة مباشرة.¹

أ- الأسس الفكرية للحضارة الغربية تحكمها السداسية التالية: التطور - التنافس - الصراع الجنسي - النسبية - الوضعية.

1- فكرة التطور: تعطي للحياة مفهوما بوصفها التكون الدائم للصور العليا بما من صور الدنيا بطريقة طبيعية وذاتية.

2- فكرة التنافس: كسياق لفكرة التطور والانتخاب الطبيعي بطريقة ذاتية، وقد آل مصير هذه الفكرة أخلاقياً إلى مفهوم البقاء للأقوى.

3- فكرة الصراع: متمحورة في المفهوم الاجتماعي والاقتصادي لصراع الطبقات بمنطق تاريخي مادّي جدلي² فهو في صراع مع الطبيعة؛ لأنّه ينطلق من أنّ الطبيعة عدوّ له يجب أن يفرض سيطرته عليها، ولهذا يعبر الغربيون عن ذلك بكلمة "قهر الطبيعة".

في صراع مع أخيه من أجل منفعه الفردية المتباينة ولا سيما مع سيادة النزعة الفردية والفلسفة النفعية. "هو في صراع مع الأمم والأجناس وخصوصاً مع وحدة الشعور القومي، ونزعة الاستعلاء عند كل أمة وهو ما أدّى إلى حروب إقليمية وعالمية، وما نزال نرى أثرها في العلاقة بين البيض والسود، أو البيض الملونين عامّة في أمريكا وإفريقيا وغيرها.

مثله صراع بين الدين والعلم - مذهب العلمانية - وبعبارة أخرى بين المؤسسة التي تمثل العلم، وهي الجامعات ومركز البحث العلمي".³

4- فكرة الجنس: التي أطلقها فرويد، والتي تفسّر كافّة المظاهر العليا في الحياة القيمة كنتيجة لترسبات العقل الباطن.

5- فكرة النسبية: لإنكار مفهوم المطلق، فالكلّ مندمج في بعضه والصغير هو الكبير في آن واحد.

¹ - الإسلام حضارة الغد، يوسف القرضاوي، /13.

² - الأزمة الفكرية والحضارية في الواقع العربي الزّاهن، محمد أبو القاسم حاج حمد، / 59، ط / 1، ت - ط / 1425 - 2004 دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان

³ - الإسلام حضارة الغد، يوسف القرضاوي، / 22 - 23.

"مصطلحات ومفاهيم"

6- الفكرة الوضعية: لتؤكد على علاقة المعرفة الحقة بالعلوم الطبيعية وهنا تحتلّ الاختبارات الحسيّة دورها المعرفي.¹

إنّه فكر مادّي، يحتقر الرّوحانيات، حسيّ لا يحفل بالمعنويات... واقعي لا يؤمن بالمثاليّات.²
"الحضارة الغربيّة قد بلغت الغاية في الفنّ والصّناعة، ولكنّها ارتدّت عن المثل الأخلاقيّة فلم تعد تعرف شيئاً من الخير للإنسانيّة فيما وراء حدود علمها الذي لا يمكن فهمه إلاّ بلغة المادّة".³

ثانياً: نظرة الحضارة الغربيّة للكون

نظرة الحضارة الغربيّة للكون بنيت على ثقافة العداء للطبيعة والصراع معها، وقهرها، والسيطرة عليها وافتكاك المنافع منها لغاية تحقيق الرّفاه المادّي كغاية عليا للحياة، وهي ثقافة تضافر على تشكّلها المخزون القديم يونانيّاً ورومانيّاً ومسيحيّاً.

لقد أفضى ذلك كلّه على مستوي القناعة الفكرية إلى ما صوّره أحد فلاسفة هذه الحضارة في قوله:
"تطبيق المفاهيم الأخلاقيّة على العلاقة بالطبيعة يدعو للشكّ جداً فقطع الغابات، وقتل الحيوانات ليسا عمليّن لا أخلاقيّين، إنّ مجال العلاقة الأخلاقيّة أو اللاأخلاقية محصوراً بالإنسان والمجتمع فقط".⁴

إنّ حضارة الغرب تؤرقها اليوم مشكلة التلوث البيئي أرقاً شديداً، وقد أصبحت يوماً بعد يوم تتعالى وتتكاثر الأصوات المنذرة بكارثة وشيكة جرّاء هذه المشكلة وانتهى الكثير من أصحاب هذه الأصوات إلى العلاج الحقيقي لهذه الأزمة لا بدّ أن يكون علاجاً ثقافياً بدرجة أساسية، وذلك ما يرشّح الحضارة الإسلاميّة، لأن تقوم بدور هام.⁵

إنّ الفرق واضح بين الحضارة الإسلاميّة والحضارة الغربيّة من خلال الأسس العقديّة والفكرية، والقيم الأخلاقيّة - التي ذكرناها آنفاً -، فعلينا أن نؤمن إيماناً عميقاً بأنّ جهودنا كلّها يجب أن تركز لبعث حضارتنا الإسلاميّة العالميّة الفاضلة وبناء هضتنا وفق هذه الأسس والقيم القويمة التي افتقدتها الحضارة الغربيّة المهيمنة اليوم.

¹ - الأزمة الفكرية والحضارية في الواقع العربي الزاهن، محمد أبو القاسم حاج حمد، / 59.

² - الإسلام حضارة الغد، يوسف القرضاوي، / 20.

³ - وجهة العالم الإسلامي، مالك بن نبي، / 144، د / ط، د / ت - ط، منشورات À NEP.

⁴ - الآفاق الحضارية للوجود الإسلامي بالغرب، عبد المجيد النجار، / 28.

⁵ - المرجع نفسه، / 125.

المطلب الثاني

المفارقة التاريخية بين إنسانية الحضارة الإسلامية والإنسانية الحضارة الغربية

إنّ من أبرز المفارقة التاريخية بين الحضارة الإسلاميّة والحضارة الغربية من حيث النزعة الإنسانيّة. إنّ الحضارة الإسلاميّة تعتبر اليهود والنصارى أهل ديانة سماويّة، حتّى وإن لم يبادلوها هذا الأمر. فالحضارة الغربيّة لا تؤمن بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم، وهو أمر عظيم وشأن خطير بل أمر فارق. لكن هل هذا الجحود من طرف الحضارة الغربية منع الحضارة الإسلاميّة من المعاملة الإنسانيّة لها؟ وبأيّ معاملة ردّت عليها الحضارة الغربية؟

في نقاط موجزة سنتعرف في هذا المطلب عن المفارقة التاريخيّة بين إنسانيّة الحضارة الإسلاميّة، ووحشية الحضارة الغربية.

الفرع الأول: مفارقة بين نصوص تاريخية

أولاً - بعض أقوال وعهود رجال الحضارة الإسلامية

سأختار هنا نصّين لأعظم رجلين عرفتهما الحضارة الإسلاميّة بعد الحبيب صلى الله عليه وسلم هما: أبوبكر الصديق، والفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

أ- خطبة أبو بكر الصديق رضي الله عنه لجيش أسامة بن زيد:

عندما خرج أسامة بن زيد¹ رضي الله عنهما وصى الخليفة أبو بكر رضي الله عنه عنه الجيش قائلاً: « يا أيّها النّاس قفوا أوصيكم بعشر فحفظوها عنيّ: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا طفلاً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة، ولا تدبجوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلاّ لمأكلة، وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصّوامع فدعوهم و ما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بأنية فيها

1 - أسامة بن زيد الحب بن حب رسول الله ﷺ زيد بن الحارثة هو، ابن كعب بن عبد العزى بن ويد بن امرئ القيس بن عامر بن التّعمان بن عمران بن عبد ود بن كنانة بن زيد اللات بن ربيعة بن لؤي بن كلب بن برة بن حلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاعه، أمّره الرسول ﷺ على جيش مؤتة، وهو يوم يومئذ ثمانين سنة توفي بالحرف، وقيل بوادي القرى بعد قتل عثمان رضي الله عنه، وحمل إلى المدينة. أنظر: معرفة الصحابة، الأصبهاني، / 224 - 225، ط / 1، ت - ط 1419 - 1998، دار الوطن للنشر العربية السعودية.

"مصطلحات ومفاهيم"

ألوان من الطعام فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها، وتلقون أقواماً قد فحسوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها العصائب فاخفقوهم السيف خفقا واندفعوا باسم الله».¹

هكذا كانت خطبة الصديق أبو بكر رضي الله عنه لجشيه، لخص فيها إنسانية الإسلام ورحمته وإحسانه التي تجاوزت الإنسان إلى الحيوان، وحتى الجماد، إنسانيته ورحمته، تراعي مشاعر غير المسلمين من قبول طعامهم والأكل منه بعد تسمية الله، إنسانيته واحترامه لديانة غيره وعدم إكراههم.

ب - عهد عمر بن الخطاب لأهل إيلياء عند فتح بيت المقدس: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، وكنائسهم، وصلبانهم وسقيمها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم، ولا تخدم، ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن معهم بإيلياء أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم، ويحلى بيعهم وصلبهم فيأثم آمنون على أنفسهم، وعلى بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعد، وعليه مثل ما على أهل إيلياء فلا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء، وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية، شهد ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص عبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان».²

قمة الأمان والأمان من أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب، حرية دينية، وحرية تجارية، مقرونة بأدائهم واجب الجزية للمسلمين، فلا ظلم ولا عدوان، بل سلم وسلام بين المسلمين وأهل إيلياء، وثيقة شاهدة على ممر الأزمان بإنسانية الإسلام وإحسانه لغير المسلمين.

ثانياً: الوجه الآخر بعض أقوال المتعصّين من الحضارة الغريية

أ- يقول إنوسنت الثالث: " «بتأييد المسيح المخلص، وبفضل قوة ومساندة ملوك أرجون نفاري وكستيلا ذبحناهم - أي المسلمين - حتى لقد أصبح الأعداء أصدقاء أو حكاية من دمائهم شربت سيوف أتباع

¹ - موسوعة الفتوحات الإسلامية، محمود شاكر / 9، ط / 1، ت - ط / 2002 دار أسامة للنشر والتوزيع عمّان الأردن.

² - موسوعة الفتوحات الإسلامية، محمود شاكر، / 72.

"مصطلحات ومفاهيم"

المسيح وعمت من لحوم الآلاف منهم، والتي هي فوق الحصر ستون ألف كافر - يعني مسلما - من الجنسين قد أُرديناهم قتلى»¹.

شهادة من أفواههم، تصوّر حقدهم الدفين و اللاإنسانيتهم على المسلمين، سطرها كتبهم بريشة سقّاحهم.

ب - البابا أوربان الثاني " مشعل الحروب الصليبية خطب في الفرسان الإقطاعيين فقال:

«يا من كنتم لصوصا كونوا الآن جنودا ... لقد آن الزمان الذي فيه تحولون ضد الإسلام تلك الأسلحة التي أنتم لحد الآن ... هي في حق الله تستخدمونها بعضكم ضد بعض فالحرب المقدسة المعتمدة الآن ... هي في حق الله عينه، وليست هي اكتساب مدينة واحدة بل هي أقاليم آسيا بجملتها مع غناها وخزائنها العديمة الإحصاء.

فأتخذوا محجة القبر المقدس، وخلصوا الأراضي المقدسة من أيادي المختلسين، وأنتم ملكوها لذواتكم فهذه الأرض تفيض لبنا وعسلا، ومدينة أورشليم هي فطب الأرض المذكورة والأمكنة المختصبة المشابهة فردوسا سماويا.

اذهبوا وحاربوا البربر - يقصد المسلمين - لتخليص الأراضي المقدسة من استيلاءهم... امضوا مسلحين بسيف مفاتيحي البطرسية اكسبوا بها لذواتكم خزائن المكافآت السماوية الأبدية فإذا أنتم انتصرتم على أعدائكم فالملك الشرقي يكون لكم قسما وميراثا.

وهذا هو الحين الذي فيه تردون عن كثرة الاغتصابات التي مارستموها ومن حيث أنكم صبغتم أيديكم بالدم ظلما فاغسلوها بدم غير المؤمنين».

هكذا دعا البابا أوربان الثاني للصوص بعد أن أعطاهم مفاتيح الجنة إلى غسل دماء أيديهم بدماء المسلمين.²

فشتان بين نصي الخليفة أبوبكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما التي تحمل كل معاني العدل والنبيل والرّحمة والرّأفة فلا قسوة ولا ظلم، ولا اضطهاد ولا تعصب للدين، مؤيدان بنصر الله عزّ وجلّ إثمهما خريجا المدرسة المحمدية في التّعامل مع الغير سواء كانوا أعداءً أو غير ذلك.

¹ - المرجع نفسه / 72.

² - الإسلام والآخر من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟ د/ محمد عمارة، / 108، د/ ط، د/ ت - ط، مكتبة الشرو الدولية مصر.

"مصطلحات ومفاهيم"

وبين موقف متعصبي الحضارة الغربية الذي يحمل أقصى معاني الحقد والغل والزهو بالنصر المزعوم وادّعاءهما الكاذب على سيدنا المسيح ، و هو منهم براء، فهي حضارة المسيح الدجال لا حضارة المسيح بن مريم إنّ الدجال أعور وهي حضارة عوراء تنظر إلى الحياة بعين واحدة هي عين المادة¹، إنّها وصايا للقتل والنهب دون وجه حق وصيّة تخليص الأراضي المقدّسة بلصوص مرتزقة فأين وصيّة السفّاح أوريان من وصيّة خليفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وعن كل الصحابة؟؟؟

الفرع الثاني: مفارقة بين مشاهد تاريخية

أولاً: مشهد من الفتوحات الإسلامية

من أعظم المشاهد التاريخية في الفتوحات الإسلامية، ما فعله صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله - مع الصليبيين مع أنّهم قد عاثوا في المسلمين بالقتل والتذبيح والإفساد في بيت المقدس في 7 / 08 / 492 هـ الموافق لجوان 1099، والتي كانت مذبحاً كبيراً ولطخة عار في تاريخ الحملات الصليبية عامّة، والحملة الصليبية الأولى خصوصاً، حيث قتلوا أزيد من ستين ألف قتيل من المسلمين وجاسوا خلال الدّيار، وتبرّوا ما علوا تبتيراً، فقد بقيت آثار الوحشة تثير الأسى والحزن والألم في قلوب المسلمين ونفوسهم حتى استطاع صلاح الدين الأيوبي تحرير القدس في حطين، وذلك يوم الجمعة قبل وقت الصلاة بقليل في السابع والعشرين من شهر رجب سنة 1187 . وانطلاقاً من التّعامل الإنساني الحضاري في الإسلام، فقد أطلق القائد المظفر صلاح الدين الأيوبي خلقاً كثيراً ممّن قبض عليهم من الإفرنج من الرّجال والنساء منهنّ بنات الملوك، ووقعت المسامحة في كثير منهم، وشفع في أناس فعفا عنهم، وسامح تجاه الفقراء الذين عجزوا على دفع الجزية.

فكان أحد الوزراء في الدّولة العثمانية في جدال مع بعض رجال أوروبا فقال لهم مبيناً عظم التّعامل الإنساني الحضاري الإنساني في الإسلام مع غيره: «إنّنا نحن المسلمين مهما بلغ بنا التّعصب في الدّين فلا يصل بنا إلى درجة استئصال شأفة الأعداء ولو كنّا قادرين على استئصالهم، ولقد مرّت لنا قرون وأدوار كنّا قادرين فيها على أن لا نبقي بين أظهرنا إلّا من أقرّ بالشهادتين، وأن نجعل بلداننا كلّها صافية للإسلام فما هجس في ضمائرنا خاطر أصلاً، وكان إذا خطر هذا ببال أحد من ملوكنا وقفت الملة كلّها تحاجّه، ليس لك في التّصاري واليهود إلا الجزية، فيرجع السلطان عن عزمه امتثالاً لشرع الحكيم، أمّا أنتم معاشر الأوربيين فلم تطيقوا أن يبقى

¹ - الإسلام حضارة الغد، يوسف القرضاوي ، / 146.

"مصطلحات ومفاهيم"

بين أظهركم مسلم واحد، واشترطتم عليه أن يتنصر، ولقد كان في إسبانيا ملايين وملايين من المسلمين، و كان في جنوبي فرنسا، شمال إيطاليا، وفي جنوبها مئات الألوف منهم... ومازلتم تستأصلون»¹.

وهذه شهادة رجل من الحضارة الغربية على روعة المعاملة الإنسانية في الفتوحات الإسلامية، إنّه لورد ستروب يقول: «فكلّمنا زدنا استقصاء باحثين عن سرّ تقدم الإسلام، زادنا ذلك العجب العجاب فارتدنا عنه بأطراف قاصرة، عرفنا أنّ الأديان العظمى، إنّما نشأت تسير في سبيلها سيراً بطيعاً، مثلاً فبات كل صعب حتى أن قيّض الله لكلّ دين ما أراده من ملك ناصر، وسلطان قاهر، انتحل ذلك الدّين، ثمّ أخذ في تأييده، والذّب عنه حتى رسخت أركانه، وصفت جوانبه فبطل النصرانيّة " قسطنطين " وبطل البوذويّة "أسوكا" وكلّ منهما ملك جبّار، أيّد دينه الذي انتحله بما استطاع من القوّة والأيد، إنّما الأمر ليس كذلك في الإسلام الذي نشأ في أرض صحراويّة يموت فيها كل شيء حيث القبائل الرّحالة التي لم تكن من قبل رفيعة في جهات الأرض مجتازاً أفدح الخطوب أصعب العقبات دون أن يكون له من الأمم الأخرى عوناً يذكر ولا أزرا مشدود، وعلى شدّة المكاره فقد نصر الإسلام نصراً عميقاً إذ لم يكذب يمضي على ظهوره أكثر من قرنين حتى باتت الرّاية الإسلاميّة خفّاقة في البرانس حتى هيمالايا، وفي صحارى أو أواسط آسيا حتى أواسط إفريقيا»².

يقول أبو الفوارس سعد بن محمد:³

ملكنا فكان العفو منا سجيّة فلمّا ملكتم سال بالدم أبطح.
وحللتهم قتل الأسارى وطالما غدونا عن الأسرى نعف ونصفح.
فحسبكم هذا التّفاوت بيننا وكلّ إناء بالذي فيه ينضح.⁴

فهو مشهد رائع من التّاريخ للتّعامل الإنساني في الحضارة الإسلاميّة.

¹ - تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر - دراسة نقدية في ضوء الإسلام، / 75 - 76، ط 1 ت ط 1419 - 1999، دار الجوزي للنشر والتوزيع السعودية.

² - دواعي الفتوحات الإسلاميّة، ودعاوى المستشرقين، جميل عبد الله المصري، / 9، د / ط، د - ت طن دار القلم دمشق -الدار الشاميّة بيروت لبنان.

³ - سعد بن محمد الصيفي التميمي شهاب الدين أبو الفوارس المعروف بحيص بيص الفقيه الأديب الشاعر، كان أعلم الناس بأخبار العرب ولغاتهم وأشعارهم، توفي ليلة 06 من شعبان 574 هـ أنظر: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ياقوت الحموي الرومي، 3 / 1352.

⁴ - معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي الرومي، 3 / 1355، ط 1، ت-ط 1993 دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان.

"مصطلحات ومفاهيم"

الآن نشاهد معا مشهدا من التعامل اللإنساني من التاريخ في الحضارة الغربية لنرى المفارقة.

ثانيا: مشهد من الحروب الصليبية

البداية الحقيقية للحروب الصليبية صنعتها إسبانيا، وإسبانيا لم يكن فيها قدس أو بيت لحم حتى يدعي تحريرها من أيدي المسلمين واليهود في إسبانيا النصرانية، إن ما حدث على رجال الكنيسة يفوق الخيال، لقد استشهد آلاف المسلمين دون تمييز بين رجل وامرأة أو بين شيخ وطفل لقد سلبت أمتعتهم وحيواناتهم وحرقت زروعهم، بل لقد أزيلت قرى بأكملها، بنسائها وغرسها، وحيواناتها ومساجدها ومدارسها ومستشفياتها.

عندما احتلّ ألفونسو منطقة كوربا الإسبانية حطم مساجدها بالكليّة في الحال قال: "إنّ المدينة الآن نظّفت أو طهرت من الإسلام الذي لوثها".¹

وهذا شاهد على فظاعة المعاملة اللإنسانية، المجازر الكبيرة في حق مسلمي الأندلس الذبح إنّه القس ريموند الأجيلي يقول: «وشاهدنا أشياء عجيبة إذ قطعّت رؤوس عدد كبير من المسلمين، وقتل غيرهم رميا بالسهم، أو أرغموا على أن يلقوا بأنفسهم من فوق القلاع، وعذب آخرون أيّاماً عدّة ثمّ ألقوا في النيران، وكانت الطرقات مليئة بأكوام الرؤوس، والأيدي والأقدام، وكان الإنسان أينما ركب جواده، وسار يسير بين جثث الأدميين».

وهذا شاهد آخر من بيّني جلدتهم إنّه ول ديورانت يقول: «إنّ النساء كنّ يقتلن طعناً بالسيوف والأطفال الرضع يخطفون بأرجلهم من أئداء أمهاتهم، ويقذف بهم فوق الأسوار، أو تهشم رؤوسهم بدقّها بالعمد وذبح السبعون ألفاً المسلمين الذين بقوا في المدينة».²

لقد حرّم الإسبان على المسلمين في الأندلس، وفرض عليهم تركه، كما حرّم عليهم استخدام اللّغة العربيّة وكذا الأسماء العربيّة وارتداء اللباس العربي، ومنعوا من الاغتسال، ودخول الحمامات، وحرقت المكتبات لمحو كل آثار ومعالم الثقافة الإسلاميّة، وكان أعظم تلك الكوارث قيام الكاردينال كيمناس سنة 1511 بإحراق الكتب الإسلاميّة في غرناطة في ساحة تدعى الرّحلة، وقد اختلف المؤرخون في أعداد هذه الكتب المحروقة، ولكن المتعارف عليه عندهم: أنّ العدد يصل إلى المليون والسبعين ألف كتاب.³

¹ - الجذور التاريخية والجسور الحضارية بين الإسلام والغرب، / 39 - 40.

² - الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين، عبد العزيز بن عثمان التويجري، / 14.

³ - الإسلام والآخِر دراسة عن وضعيّة غير المسلمين في مجتمعات المسلمين، صابر طعيمة، / 513، ط / 1، ت ط / 1428 هـ - 2007 م مكتبة الرشد ناشرون المملكة العربيّة السعوديّة.

"مصطلحات ومفاهيم"

مهما تحلينا بفضيلة نسيان الماضي، وتحكّمتنا في المشاعر الدينيّة استجابة لضرورات التّجرد الموضوعي في البحث فلا نملك أن ننكر أنّ تاريخ العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة عبر الأزمنة الغابرة لم يكن فيه الجانب المسيحي يعرف للتّسامح معنى من المعاني، ولم يكن تعامله مع المسلمين يرتقي إلى مستوى التّعايش، وليس من البحث في شيء ولا الأمانة التّاريخيّة أن تتجاوز هذه الظاهرة التّاريخيّة المسجّلة في أصحّ المراجع من دون الإشارة إليها للاعتبار تحت دعوى التّجرّد أو عدم التّعصّب، أو نسيان مساوئ الماضي.

إنّما بمنتهى التّسامح، وبكلّ رغبة في التّعايش، وبدافع الحرص عليه والاستجابة لدواعيه نسجّل هنا هذا المشهد المخزي في تعامل الغرب مع الحضارة الإسلاميّة للعبرة التّاريخيّة.¹

المطلب الثالث

نقطة التّقاء إيجابية بين الحضارة الإسلاميّة والحضارة الغربيّة ماضياً وحاضراً

إنّ أهمّ نقطة إيجابيّة تجمعنا مع الحضارة الغربيّة ماضياً وحاضراً هي الحركة العلميّة والثّقافيّة، فقد تلاقت الحضارتان وتفاعلتا معاً حتى غدت كلّ واحدة منهما منارة فالعرب أشعلوا سراج ثقافتهم في البداية من ثقافة اليونان، ثمّ ما لبثوا أن أصبحوا شعلّة وهّاجة استضاء بنورها أهل الأرض قاطبة.

الفروع الأول: فضل الحضارة الإسلاميّة على الحضارة الغربيّة في المجال العلمي والثّقافي

لقد كان تأثير الحضارة الإسلاميّة في العالم الغربيّ المسيحيّ كبيراً خلال العصور الوسطى، إذ انتقلت كثير من المؤلّفات العلميّة من مختلف العلوم والفنون إلى أوروبا، وترجمت إلى اللّغات اللّاتينيّة مرّات متعدّدة، وكانت تدرس في المؤسّسات والمعاهد والجامعات، ويعتمد عليها كمراجع أساسيّة، ولذلك يعترف كثير من المستشرقين بعظمة الدّور الذي قامت به الثّقافة الإسلاميّة، في إثراء الفكر الأوربي لفترة طويلة من الرّمن استمرّت لقرون عديدة.

ومن المعروف والثّابت تاريخياً أنّه في الوقت الذي كانت فيه البلاد الإسلاميّة تمثّل المشعل الفكريّ الوضّاء الذي ينشر النّور حوله، ويملأ الدّنيا علماً ومعرفةً، كانت أوروبا تعيش في حالة الجهل والضّياع والتمزق، ولما أرادت أن ترفع عن كاهلها عبء ذلك الوضع المهين التفتت إلى الحضارة الإسلاميّة تنهل من رحيق المعرفة والفكر ما

¹ - الإسلام والتّعايش بين الأدبان، عبد العزيز التويجري، / 17.

"مصطلحات ومفاهيم"

أمكنها ذلك، ولذلك عكف علماؤها، ورجال الدين فيها لدراسة الآثار العلميّة التي كتبها العلماء المسلمون أمثال: "ابن سينا، والرّازي، وابن الهيثم، والبيروني والحوارزمي، والفارابي، وابن رشد وغيرهم، فكانت هذه المؤلّفات تمثّل المنهل العذب الذي كان طلاب المعرفة ينهلون منه.¹

لكن كيف أصبحت الحضارة الإسلاميّة مصدراً للمعرفة في ذلك العصر لكلّ للأمم والحضارات الأخرى عموماً والحضارة الغربيّة خصوصاً؟

أولاً: سرّ التطور العلمي والتّقافي للحضارة الإسلاميّة في العصور الوسطى

إنّ سرّ التطور العلمي والتّقافي للحضارة الإسلاميّة في العصور الوسطى هو انفتاحها على معارف وثقافات الحضارات الأخرى دون الذوبان فيها.

فهي عندما انفتحت على الحضارة الهنديّة أخذوا الحساب والفلك، دون فلسفتها.

وعندما انفتحت على الحضارة الإغريقيّة والرّومانيّة أخذوا تدوين الدواوين، ولم يأخذوا شريعة الرّومان وقانونهم أخذوا العلوم الطّبيعيّة، دون الإلهيات والآداب، وعندما ترجموا الفلسفة العقليّة اليونانيّة أرادوها سلاحاً عقلائياً أجنبيّاً ضدّ الباطنيّة التي مثلت التّهديد الأكبر للإسلام وضلّت هذه الفلسفة مجرّد سلاحاً بيد الخاصّة من الفلاسفة.

انفتح أسلافنا على الحضارة الفارسيّة لكنّهم أخذوا التّراتيب الإداريّة دون المذاهب الفلسفيّة.²

بهذا السرّ كانت الحضارة الإسلاميّة باعثة للنور والتّقافة في أوروبا المجاورة المتخبطة آنذاك في ظلمات الجهل والتّخلف.

ويمكن القول باختصار لولا الحضارة الإسلاميّة التي أشرقت على الدنيا منذ أربعة عشر قرناً ليبقى العالم الإنساني متخبطاً في دياجير الجهل منزلقاً في متاهات الفوضى منحدرّاً في حضيض التّخلف، إنّها الحضارة المشرقة والمدنيّة الزاهرة، والمجد العلمي العريض.

ثانياً - شهادة المنصفين من الغربيين بعظمة الإسلام الحضارية

¹ - أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربيّة، أحمد علي الملاء، / 117، ط / 2، ت - ط / 1401 - 1981 دار الفكر دمشق - سوريا.

² - العطاء الحضاري للإسلام، محمد عمارة / 91، ط / 1، ت - ط / 1425 - 1983، مكتبة الشروق الدوليّة القاهرة - مصر.

"مصطلحات ومفاهيم"

1- يقول سيدي لوت : « كان المسلمون في القرون الوسطى متفردين في العلم، والفلسفة والفنون وقد نشروها أينما حلت أقدامهم، وتسربت عنهم إلى أوروبا فكانوا سبباً لنهضتها وارتقائها».

2 - ويقول أستاذ ليبري: " لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا الحديثة عدّة قرون.

3- وروبرت بريفولت يقول أيضاً: «العلم هو أعظم ما قدّمت الحضارة العربيّة إلى العالم الحديث ومع أنّه لا توجد ناحية واحدة من نواحي النمو الأوربي إلّا ويلحظ فيها أثر الثقافة الإسلاميّة النافذة ألا وإنّ أعظم أثر و أخطره هو ذلك الذي أوجد القوّة التي تؤلّف العامل البارز الدائم في العالم الحديث والمصدر الأعلى لانتصاره أعني العلم الطبيعي، والروح العلميّة وهذه الحقائق مؤدّاها أنّ الإسلام دين بناء حضاري».¹

4- ويقول أيضاً: «إنّ القوّة التي غيرت وضع العالم المادي كانت من نتاج الصلّة الوثيقة بين الفلكيين والكيميائيين والمدارس الطبيّة، وكانت لهذه أثرًا من آثار البلاد الإسلاميّة والحضارة العربيّة، إنّ معظم النشاط الأوربي في مجال العلوم الطبيعيّة إلى القرن الخامس عشر الميلادي كان مستفاداً من علوم العرب ومعارفهم، وإني قد فصّلت الكلام في الدور الذي لعبته الحضارة العربيّة في اليقظة الأوربية؛ لأنّ الكذب والافتراء كانا قد كثرا في العصر الحاضر، وكان التفصيل لا بُدّ منه للقضاء عليهما».

5- توماس أورنولد يقول: «كانت العلوم الإسلاميّة، وهي في أوج عظمتها تضيء كما يضيء القمر فتبدّد غياهب الظلام الذي كان يلف أوروبا في القرون الوسطى».²

قد حان الوقت لنستذكر هذه الحقائق عن حضارتنا آملين الإفادة منها لنهضتنا من جديد كما فعلت الحضارة الغربية التي قلبت الموازين لنشهد لها نحن المسلمين بعلمائها ومفكرها على فضلها اليوم في التطور العلمي والتكنولوجي.

الفرع الثاني - فضل الحضارة الغربية على الحضارة الإسلامية في المجال العلمي والتكنولوجي

في الحاضر

أولاً- انفتاح الحضارة الغربية وتفاعلها مع الحضارة الإسلامية من أهم أسباب تطورها اليوم

¹ - معالم الحضارة في الإسلام، وأثرها في النهضة الأوربية، عبد الله ناصح علوان / 54 - 56، د / ط، د / ت - ط، دار السلام للطباعة والتوزيع، القاهرة - مصر.

² - شهادات استشرافية أنصفت الحضارة الإسلاميّة، عماد عجوة، / 51 - مجلة حراء، العدد التاسع، السنة الثالثة / أكتوبر - ديسمبر 2007.

"مصطلحات ومفاهيم"

فعندما انفتحت الحضارة الغربيّة على حضارتنا الإسلاميّة إبان نهضتهم أخذوا عنّا ما هو مشترك إنساني عام من المنهج التجريبي إلى العلوم الطبيعيّة، ولم يأخذوا التّوحيد الإسلامي، ولا الوسطية الإسلاميّة، ولا المثل والمقاصد والأخلاقيّات، فلقد أسّسوا نهضتهم على كلاسيكيّات والإنسانيّات اليونانيّة في الثّقافة المتميّزة، وعلى حقائق وقوانين العلوم المحايدة التي هي مشترك الإنساني العام.¹

هم أيضا لم يذوبوا في قيم حضارتنا الإسلاميّة بنوها وفق معتقداتهم، ولو أخذوها وفق القيم الإسلاميّة لكانت أقوى وأدوم للبقاء.

ثانيا - الفضل العلمي في الحضارة الغربية على الإنسانيّة اليوم :

أ- يقول الدكتور يوسف القرضاوي: «لا يجحد منصف أنّ للحضارة الغربية آثاراً إيجابية، وثماراً طيبة في الحياة الإنسانيّة وهذا ما يلمسه كل إنسان في نفسه، ومن حوله.

لقد استطاعت هذه الحضارة بوساطة تقدّم العلوم الرياضيّة والطبيعيّة، وتطبيقاتها التكنولوجية أن تمنح للإنسان قدرات وإمكانات لم يمنحها أحد قبله، وما كان يحلم بها في نوم، أو يجول بها خياله في يقظة، وأن توفرّ له بذلك وسائل و أدوات وأشياء لم تكن تنهياً للملوك وسلاطين الدّنيا من قبل، لقد اختصرت الحضارة للإنسان للمسافات، فقرّبت له المكان، ووفّرت له الزّمان عن طريق المواصلات الحديثة - الباحرة والقطار والسيارة والطائرة - هذه الوسائل بصورة مستمرة حتى غدا العالم كما قال أحد الكُتّاب: " قرية كبرى" ولاسيّما إذا أضفنا المواصلات السّلكيّة واللاسلكيّة والإذاعة، والتلفاز، والتليكس، والفاكس وغيرها ... من عجائب هذه الحضارة.

لقد وقرّ عصر الصناعة الأول بوساطة الآلة المجهود البدني للإنسان فما كان ينسخه الإنسان بقلمه سنين طويلة أمست تقوم به المطبعة أضعاف وأضعاف في دقائق، وما كان يخيّطه بيده بطريق الإبرة والخيط، ويقضي فيه أسابيع وأشهر أضحت الماكينة تنهي منه في دقائق معدودات، وما كان يحمله الإنسان من أثقال على كتفيه أصبحت تحمله عنه الآلات.

ثمّ جاء عصر الصناعة الثاني، الذي أصبحت فيه الآلة توفرّ المجهود الذهني للإنسان إنّه عصر الحاسوب أو الكمبيوتر الذي بات يقوم بعمليّات معقّدة هائلة كان الإنسان يقضي فيها سنين، وهو الآن ينهيها ويظهر نتائجها في لحظات.

¹ - العطاء الحضاري للإسلام، محمد عمارة، / 91.

"مصطلحات ومفاهيم"

لقد دخل الحاسوب في الحياة العلميّة الإسلاميّة، فدخل في علوم القرآن، وعلوم الحديث، وفي اللغة وعلومها وأدائها وفي غير ذلك من العلوم الإسلاميّة.

وميزة هذه الحضارة أنّها لا تقف جامدة، إنّها تنتقل من طور إلى طور، انتقلت من عصر البخار إلى الكهرباء إلى عصر الذرة والتّوة الإلكترونيّ، وغزو الفضاء، والثورة البيولوجية، وهندسة الوراثة ...

هذه هي الجوانب الطّيبة أو الحسنّة في الحضارة الغربيّة، وكلّها تتعلق بالوسائل والأدوات والآليات التي يستخدمها الإنسان، وهي سلاح ذو حدين يمكن أن تستعمل في الخير، أن تستعمل في الشر.

فهي إذا حضارة الوسائل والآلات . لا حضارة المقاصد والغايات، وهي سرّ ما تعانیه من نقص وآفات¹ رغم ما تقدمه للبشريّة من تطور مادّي في كل المجالات.

إن الحضارة الغربيّة أعطت للعالم جميعا الوسائل التكنولوجيّة المذهلة التي جعلت منه قرية صغيرة اهتّمت بالجانب المادّي على حساب الجانب المعنوي، بل حتّى التّطور العلمي حاولت من خلاله الهيمنة به على كلّ شعوب العالم.

ثانيا- مالك بن نبي

«لقد بلغت أوربا الغاية في الفن والصناعة، ولكنّها ارتدّت عن المثل الأخلاقيّة فلم تعد تعرف شيئا من الخير للإنسانيّة فيما وراء حدود عالمها الذي لا يمكن فهمه إلّا بلغة المادة.

وما كان لحضارة أن تقوم إلّا على أساس من التعادل بين الكمّ والكيف، وبين الروح والمادّة وبين الغاية والسبب فأينما اختل هذا التّعادل في جانب أو في آخر كانت السّقطه رهيبه قاصمة.

والحضارة الإسلاميّة، قد فقدت تعادلها يوم فاتّها أن تراعي سلامة هذه العلاقة بين العلم والضّمير، بين العناصر الماديّة والوجود الرّوحي فغرقت في هاوية الصوفيّة الخالصة، وفي فوضى المرابطين التي تسبّب في سقوطها وها نحن نشهد تجربة أخرى تنتهي إلى اختلال الآخر: فالحضارة الغربيّة التي فقدت معنى الروح تجد نفسها بدورها على حافة الهويّة»².

هي إذا نقطة التّقاء بين الحضارة الإسلاميّة والحضارة الغربيّة في مجال العلوم والتكنولوجيا، حضارة إسلامية أشعلت سراج الحضارة الغربيّة بنور علومها في شتى المجالات، فانطلقت هذه الأخيرة تبددّ ظلامها الذي خيم على أهلها قرون عديدة، فطوّرت وابتكرت وتفتّنت، لتزدّ الدّئين اليوم للحضارة الإسلاميّة بما أبدعته في مجال التّكنولوجيا، ولكنّ المشكلة أنّها أشبعت الجانب المادّي للإنسان على حساب روحه.

¹ - الإسلام حضارة الغد، يوسف القرضاوي / 29 - 31.

² - وجهة العالم الإسلامي، مالك بن نبي، / 144.

"مصطلحات ومفاهيم"

مما أوقع الإنسانيّة جمعاء اليوم في مأزق المادّة الذي أفقدها سرّ سعادتها، وجعلها تعيش في حال من الحروب والإرهاب ما إن تخمد في مكان حتّى تشتعل في غيره، ولن يكون لهذا التطور العلمي والتكنولوجي قيمة ما لم يسيج بسياج الأخلاق والمبادئ والقيم الإنسانيّة المشتركة بين كلّ الشعوب، وهذا الذي يجب أن تسعى الحضارة الإسلاميّة اليوم لتقديمه للحضارة الغربيّة ولكلّ البشريّة بما تملكه من نور القرآن، وسيرة خير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم.

الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة

الفصل الأول

مقصد التعاون الحضاري الإنساني
التأصيل الشرعي، والعقديّ والفقهي

المبحث الأول: التأصيل الشرعي للتعاون الحضاري
الإنساني

المبحث الثاني: التأصيل العقدي للتعاون الحضاري
الإنساني

المبحث الثالث: مسألة أصل العلاقة بين المسلمين
وغيرهم ، وفقه المواطنة للمواطنة للأقليات المسلمة

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

إنّ الله عزّ وجل ما أنزل هذا الدّين القويم إلّا رحمة للعالمين، فقد جاء مخاطبا كلّ البشريّة يدعوهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم في الدّنيا والآخرة، وأعطاهم حرّية الإرادة فمن شاء أن يؤمن فليؤمن، ومن شاء أن يكفر فليكفر، وهكذا آل الأمر إلى ففتين من الناس:

فئة تتخذ من الإسلام ديناً، وفئة تتخذ أدياناً أخرى، أو أن تكون من غير دين.

وباختيار المسلمين للإسلام فقد اهتموا إلى الحق فأصبحت العلاقة التي تربطهم بالآخرين من أصحاب الملل الأخرى صلة الأخوة في الإنسانيّة، وصلة التآزر على ما فيه خيرها.

لذلك جاءت أحكام الدين الإسلامي تحدّد طرق التّعامل بين المسلمين وغيرهم، وهي أحكام تبنى على المشترك بين بني الإنسان أساسها السّلم والتّعاون، إلّا أنّ صفحات التاريخ القديمة والحديثة تطلّعننا على ملابسات كثيرة جرى فيها الواقع بما لا يتماشى مع أحكام الشّريعة الإسلامية فحدث بعض الخلط الذي يجافي الحقيقة الشرعيّة فكانت آثاره اعتداءات على المسلمين من قبل غيرهم وفي أوضاعنا الراهنة شيء من ذلك كثير، إننا نشهد خلطاً يتطرّف أحيانا ذات اليمين فيذهب البعض إلى إزالة الفروق وطمس الهوية ليكون الناس جميعاً متساوين في الانتماء الذي قد يسمى "بالديانة الإنسانيّة".

ويتطرّف أحيانا ذات الشّمال فيذهب البعض إلى الوقوف موقف التّعصب مع غير المسلمين وسبب كلّ هذا أو ذاك تصرفات توجهها قناعات لا تمسّ إلى حقيقة الدّين بالأصل.

في هذا السياق جاء موضوع هذا المبحث ليؤصّل علاقة التّعاون مع الآخر وفقاً لمنهج القرآن الكريم وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وخلفائه الراشدين - رضوان الله عليهم - جميعاً وما سطرته أقلام الفقهاء المجتهدين، على مرّ العصور في حالة الحرب والسّلم على حدّ السواء. فتكون مباحث هذا الفصل كالآتي:

المبحث الأول: التأصيل الشرعي للتعاون الحضاري الإنساني

المبحث الثاني: مسألة الولاء والبراء، وعلاقتها بمقصد التّعاون الحضاري

المبحث الثالث: التأصيل الفقهي للتعاون الحضاري الإنساني

المبهم الأول

التأصيل الشرعي للتعاون الحضارية الإنساني

في رحاب القرآن الكريم نسمع نداءه العالمي بأنه دين ذو قوانين تسري على الأفراد على اختلافهم جنسا ولسانا ولونا وإقليميا ودينا، لا يفترض لنفوذها حاجزا بين بني الإنسان، ولا يعترف بأية فواصل وتحديدات من حيث الزمان والمكان أما السنة النبوية الشريفة فهي حافلة بمواقف تطبيقية عظيمة لمقصد التعاون الحضاري الإنساني.

فعناصر هذا المبحث هي كالتالي:

المطلب الأول: التعاون الحضاري الإنساني من خلال القرآن الكريم .

المطلب الثاني: التعاون الإنساني، والاقتصادي، والحوار الحضاري من خلال السنة

المطلب الثالث: التعاون السياسي الحضاري من خلال السيرة النبوية الشريفة

المطلب الأول

التأصيل الشرعي للتعاون الحضاري الإنساني من القرآن الكريم

آيات عظيمة من القرآن الكريم تفتح قلوبنا لاحتضان الآخر، والتعامل معه وفق المقاصد الشرعية التي أَرادها العزيز الحكيم وتنبير تفكيرنا في كيفية التعاون والتواصل والتعارف معه مهما اختلفنا طبيعة وعقيدة وفكراً. إنَّه القرآن العظيم الأصل الشرعي الأول الذي يدعو إلى ضرورة المشاركة بين المسلمين وغيرهم فيما يخدم المصلحة العامة لكل البشرية.

الفرع الأول: آيات عامة دالة على عالمية الرسالة المحمدية لكافة البشرية

إنَّ كثيراً من الآيات تصرَّح بأنَّ رسالته عالمية، وأنَّه رسول الله إلى الناس جميعاً، وأنَّ الله أرسله رحمة للعالمين وأنَّه بشير ونذير للناس كافة، وأنَّه ينذر بقرآنه كل من بلغه كتابه وهتافه، من غير فرق بين شخص وشخص، أو عنصر وآخر.

فيما يأتي آيات قرآنية دالة على عالمية الرسالة المحمدية:

أولاً: الرسول صلى الله عليه وسلم نذير للعالمين :

أ - قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ [الفرقان / 1]

وجه الاستدلال من الآية الكريمة: وهذه الآية ونظائرها مما لم نقلها، صريحة في أنَّ -الني صلى الله عليه وسلم- لا يختص بأمة دون أمة، وأنَّه بعث إلى الناس كافة مبشراً ومنذراً لهم جميعاً.¹

ب - قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

يَعْلَمُونَ ۝٢٨ ﴾ [سورة سبأ/ 28].

¹ - أنظر: تفسير القرآن الكريم، أبو المظفر السمعاني، 4 / 65، تحقيق أبو بلال غنيم بن عباس ط / 1، ت ط / 1418 - 1997، دار الوطن، الرياض المملكة العربية السعودية. تفسير القرآن العظيم، محمد التستري ص / 208 عبد الرؤوف سعد وسعد حسين محمد علي ط / 1 ت ط / 1425 - 2004. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ص / 305 ط / 1، ت ط / 1421 - 2000. دار القلم، دمشق سوريا.

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

وجه الاستدلال: « و ما أرسلناك يا رسول الله في حالٍ من الأحوال إلا كونك مرسلًا للناس أجمعين، حال كونك مع تبليغك رسالة ربك، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ».¹

ج- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف/ 158].

يقول الله تعالى لنبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم قل يا محمد، وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والأعجمي ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ أي جميعكم وهذا من شرفه وعظمته أن خاتم النبيين وأنه مبعوث

للناس كافة.²

وجه الاستدلال من هذه الآيات الكريمة: «في هذه الآية الكريمة أمر للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ببيان أن تلك السعادة غير مختصة بهم، بل شاملة لكل من يتبعهم كائناً من كان عربيهم وعجميهم أهل الكتاب منهم أو من غيرهم».³

ثانياً: الرسول صلى الله عليه وسلم الرحمة المهداة للعالمين

أ- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء/ 107]

وجه الاستدلال من هذه الآية الكريمة: يذكر الإمام الطبري -رحمه الله- بعد أن يعرض اختلاف العلماء في قضية هل تشمل الرحمة المؤمنين فقط أم المؤمنين والكافرين: «وأولى القولين في ذلك بالصواب... أن الله أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع العالم مؤمنهم وكافرهم، فأما مؤمنهم فإن الله هداه به وأدخله -بالإيمان به والعمل بما جاء من عند الله الجنة - وأما كافرهم فإنه دفع عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذبة رسلها من قبل

الفرع الثاني- آيات دالة عن الاتفاق والمشاركة بين المسلمين وغير المسلمين

¹ - تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي 3 / 280 دار الإحياء التراث العربي، بيروت لبنان.

² - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، / 791، ط 1/، ت - ط / 1420 - 2000، دار بن حزم، بيروت لبنان.

³ - المعين على تدبر القرآن المبين، محمد بن أحمد مكّي، / 431، مؤسسة الريان للنشر والتوزيع. تفسير القرآن الكريم السمعاني 333 / 4.

أولاً: آيات دالة على الأصل الواحد للبشرية، والمقاصد الشرعية منها:

أ - آيات دالة على الأصل الواحد للبشرية:

1 - قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَعَيْرٍ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأُنبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ [الحج/5]

2 - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الحجر / 26].

3- قَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الرحمن / 14].

ب - وجه الاستدلال: الخطاب لغير معين فيعم كل من يسمع هذا الكلام والذي خلق من تراب هو

أصل النوع وهو آدم - عليه السلام - وحواء ثم كوّنت في آدم قوّة التناسل¹ وهذه مراحل مشتركة بين كل البشرية.

4 - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٦﴾﴾

[الفرقان/ 54].

- وجه الاستدلال: هذه الحياة البشريّة الناشئة من الماء أعجب وأضخم من تلك الحياة الناشئة من ماء

السّماء فمن خلّية واحدة، من عشرات الألوف الكامنة في نقطة واحدة من ماء الرّجل ينشأ ذلك الخلق المعقّد المركّب الإنسان أعجب الكائنات الحيّة على الإطلاق مهما اختلف لونه أو جنسه إقليمه أولغته هم في الخلق سواء.²

5- قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾ [السجدة/ 8].

- وجه الاستدلال: الفضل الذي يجعل الماء المهين ذلك الإنسان الكريم المفضل الذي أودع تلك الخلية

الصغيرة الضعيفة كل هذا الرصيد من القدرة على التكاثر والنماء، والتطور والتحول والتّجمع والتّخصّص ثم أودعها

¹ - تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج / 17، ص / 202، د ط، ت ط / 1984، الدار التونسية للنشر تونس. ينظر: بدائع التفسير الجامع لما فسره ابن قيم الجوزية، جمعه وخرّج أحاديثه، يسري السيّد محمّد، مراجعة وتحقيق وترتيب صالح أحمد الشّامي، 3 / 228 ط / 1، ت ط / 1428، دار بن الجوزي، المملكة العربيّة السّعوديّة.

² - في ظلال القرآن، سيد قطب، 5 / 19، 2573، ط / 32، ت-ط / 1423 - 2003، دار الشروق القاهرة - مصر.

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

كلّ الخصائص والاستعدادات للوظائف العليا تجعل من الإنسان إنساناً سواء كان مسلماً أو غير مسلم الكلّ مشترك في بدء الخلق: وكيفية الإيجاد.¹

6 - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٥﴾﴾

[الروم / 20]

- وجه الاستدلال من الآية الكريمة: قال ابن كثير: «يقول الدالة على عظمته وكمال قدرته، أنه خلق أبابكم آدم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون، فأصلكم من تراب، ثم من ماء مهين، ثم، تصور فكان علقه، ثم مضغة ثم صار عظاماً، شكله على شكل الإنسان ثم كسا الله تلك العظام لحماً، ثم نفخ فيه الروح فإذا هو سميع بصير ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركته، حتى آل به الحال إلى أن صار بيني المدائن والحصون، ويدور أقطار الأرض ويكتسب ويجمع الأموال، وله فكرة وغور، ودهاء ومكر، ورأي وعلم، واتساع في أمور الدنيا والآخرة كل بحسبه فسبحان من أقدرهم وسيّرهم وسخّرهم وصرّهم في فنون المعاش والمكاسب وتفاوت بينهم في العلوم والفكر.

والحسن والقبح، والغنى والفقر والسعادة والشقاوة».²

- يقول وهبة الزحيلي في تفسيره: «أي ومن آياته تعالى الدالة على عظمته وكمال قدرته على الخلق والإيجاد، والإعدام والإفناء بدء خلق الإنسان، فخلق أبابكم في الأصل من تراب، وجعل مصدر غذائكم من لحوم الحيوان والنبات من التراب، ثم بعد إنشائكم تعمرون الأرض، وتوزعون فيها لأغراض مختلفة من بناء المدائن والحصون، وزراعة الحقول والإبحار بالسفن في البلاد المختلفة لتحصيل الأرزاق، وكسب المعاش، وجمع الأموال مع اختلاف المواهب والعقول، والأفكار والغنى والفقر والسعادة والتعاسة».³

ب - المقاصد الشرعية من أصل الخلق المشترك للإنسانية: لبيان هذه المشتركات في القرآن، وتأصيله لها وتأكيد عليها في أكثر من آية آثار كبيرة في نفسية المسلم الذي يقرأ هذه الآيات، ويتعبد بتلاوتها، وتطبيقها حيث أنها تقربه من خالقه في المعتقد نفسياً، فكما أثبت علم النفس كلما ازدادت الصفات المشتركة بين إنسان وآخر ازداد التقارب والتجانس والتعارف.

¹ - المصدر السابق ، 5 / 21 ، 2810 .

² - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير / 1450 .

³ - تفسير المنير، وهبة الزحيلي مج / 11، ج / 21 / 75، ط / 10، ت ط 1430 - 2009، دار الفكر، دمشق سوريا.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

من هنا فإن ذكر هذه الآيات لم يأت عبثاً دون مقصد شرعي، بل إن مقاصدها قبول الآخر باعتباره أنه فيه جزء من روح الله تعالى التي نفخت فيه.

إذا فهو أخوك في الإنسانية إضافة إلى الأخوة في القرابة والنسب.¹

ما خلقنا من نفس واحدة إلا لنتفق لا لنتخلف، لتعاون لا لتنافس ليعمل بعضنا مع بعض، لا ليعمل بعضنا ضد بعض، طبيعة الخلق الواحدة تقتضي الوثام، طبيعة الخلق الواحدة تقتضي الالتقاء، طبيعة الخلق الواحدة تقتضي التعاون، طبيعة الخلق الواحدة تقتضي الاتفاق.²

ثانياً: آيات دالة على الاختلافات الطبيعية والفكرية، والعقدية، والمقاصد الشرعية منها

أ - آية دالة على الاختلافات الطبيعية: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفَ الْأَلْسِنَةَ وَاللُّغَةَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم/22].

- وجه الاستدلال: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَخْتَلَفُ الْأَلْسِنَةَ﴾ تعني اللغات، فهؤلاء بلغه العرب، وهؤلاء تتر لهم لغة أخرى وهؤلاء كرج، وهؤلاء روم، وهؤلاء إفرنج، وهؤلاء بربر، وهؤلاء تكرور، وهؤلاء حبشة، وهؤلاء هنود وهؤلاء عجم وهؤلاء صقالبة وهؤلاء خزر، وهؤلاء أرمن، وهؤلاء أكرد، إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله من اختلاف لغات بني آدم واختلاف قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللُّغَةَ﴾ وهي حلاهم، فجميع أهل الأرض - بل أهل الدنيا منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة، كلُّ له عينان وحاجبان، وأنف وجبين وفم وخذان. وليس يشبه واحد منهم الآخر، بل لا بد أن يفارقه بشيء من السمت أو الهيئة أو الكلام، ظاهراً كان أو خفياً يظهر عند التأمل، كل وجه منهم أسلوب بذاته وهيئة لا تشبه الأخرى. ولو توافق جماعة في صفة من جمال أو قبح، لا بد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر، إن في ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغواكم من فضله؛ أي ومن الآيات ما جعل لكم من صفة النوم في الليل والنهار، فيه تحصل الراحة وسكون الحركة، وذهاب الكلال والتعب وجعل لكم الانتشار والسعي في الأسباب والأسفار في النهار وهذا ضد النوم، إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون أي يعون.³

¹ - نحن والآخر " دراسة فقهية تأصيلية"، علي محي الدين القرعة داغي، / 49.

² - التفسير المطول، محمد راتب النابلسي، www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art...id..

³ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، / 1450.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

«اختلاف ألسنتكم لغاتكم من عربية، وغير عربية دالة على ما كونه الله في غريزة البشر من اختلاف في التفكير وتنوع التصرف»¹.

«وألوانكم من بياض وسواد وغيرها وأنتم أولاد رجل واحد، وامرأة واحدة، واختلاف في تخطيطات الأعضاء وهيئاتها وألوانها وجمالها بحيث وقع التمايز والتعارف»²

فقد نوع سبحانه وتعالى الآيات فجعل خلق السموات والأرض واختلاف لغات الأمم وألوانهم آيات للعالمين كلهم لاشتراكهم في العلم وظهوره ووضوح دلالاته.³

ب - آيات دالة على الاختلافات الفكرية والعقدية:

1 - قَالَ تَعَالَى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٦﴾ ﴿البقرة/ 213﴾.

وجه الاستدلال: «هذه هي القصة كان الناس أمة واحدة على نهج واحد، وتصور واحد، وقد تكون هذه إشارة إلى حالة المجموعة البشرية الأولى الصغيرة من أسرة آدم وحواء، وقد شاء الله أن يجعل البشر جميعا نتاج أسرة واحدة صغيرة ليقرر مبدأ الأسرة في حياتهم، وليجعلها هي اللبنة الأولى ... حتى تعددت، وكثر أفرادها وتفرقت في المكان وتطورت معاشه وبرزت فيهم الاستعدادات المكونة المختلفة التي فطرهم الله عليها لحكمة يعلمها، ويعلم ما وراءها من خير للحياة في التنوع في الاستعدادات والطاقات والاتجاهات.

هنا تتبين الحقيقة الكبرى إن من طبيعة الناس أن يختلفوا؛ لأن الاختلاف أصل من أصول خلقتهم يحقق حكمة عليا من استخلاف هذا الكائن في الأرض، إن هذه الخلافة تحتاج إلى وظائف متنوعة، واستعدادات شتى من ألوان متعددة كي يتكامل جميعها وتناسق، وتؤدي دورها الكلي في الخلافة والعمارة وفق التصميم الكلي

¹ - تفسير التحرير والتنوير، محمد بن عاشور، / 21، 76، د / ط، ت - ط 1984، الدار التونسية للطبع تونس.

² - التفسير المنير، وهبة الزحيلي، / 11، / 21، / 72. ينظر في ظلال القرآن، / 5 / 21، / 2764.

³ - بدائع التفسير ابن القيم الجوزية، 2 / 309. ينظر: تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوزان القشيري تعليق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، 3 / 6 - 7، ط / 2، ت - ط / 1428 - 2007، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

المقدر في علم الله، فلا بد إذا من تنوع في المواهب يقابل تنوع تلك الوظائف، ولا بد من اختلاف في الاستعدادات يقابل الاختلاف في الحاجات»¹.

- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [هود/ 118].

وجاء في تفسير المنار: «هو أن الإنسان اجتماعي بالخلقة؛ أي أن الله خلق الناس أمة واحدة؛ أي مرتبطا بعضه ببعض في المعاش، لا يسهل على أفرادها أن يعيشوا في هذه الحياة الدنيا إلى أجل الذي قدره الله إلا مجتمعين يعاون بعضهم بعضا، ولا يمكن أن يستغني بعضهم عن بعض، فلا بد من انضمام قوي الآخرين إلى قوته وهذا ما يعبر عنه بقولهم: "إنسان مدني بالطبع"² ويكون المعنى أن الناس خلقوا ولهم صفة الجماعية والتجمع وذلك يؤدي إلى التنافس والتنازع والاختلاف فكان إرسال الرسل لفض النزاع بين البشر، والإرشاد إلى الحق والخير وبيان الباطل والضلال»³.

2 - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۗ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة/ 48].

- وجه الاستدلال: «...الناس قد اختلفوا، ولكل منهم مشرب، ولكل منهم منهج، ولكل منهم طريق ولحكمة من حكم الله خلقوا هكذا مختلفين، وقد عرض الله عليهم الهدى، وتركهم يستبقون، وجعل هذا الابتلاء لهم يقوم عليه جزاؤهم يوم يرجعون إليه وهم إليه راجعون»⁴.

3- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ۗ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود/ 118-119].

وجه الاستدلال: «أي على دين واحد بمقتضى الغريزة والفترة لا رأي لهم فيه، ولا اختيار وإذن لكانوا في حياتهم الاجتماعية كالتحل وفي حياتهم الروحية كالملائكة مفطورين على اعتقاد الحق، وطاعة الله عز وجل فلا يقع بينهم

¹ - في ظلال القرآن، سيد قطب، 1 / 2، 215.

² - الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية، 7 / د / ط، د / د / ت - ط، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

³ - تفسير المنار، محمد رشيد رضا، 2 / 265، ط / 2، ت ط / 1350، مطبعة المنار، مصر.

⁴ - في ظلال القرآن، سيد قطب، 2 / 6، 903. أنظر: تفسير القرآن الكريم، ابن كثير، 3 / 118. التحرير والتنوير، ابن

عاشور، 6 / 224. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، 6 / 418 - 419.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

اختلاف، ولكنه خلقهم بمقتضى حكمته كاسبين للعلم لا ملهمين، وعاملين بالاختيار، وترجيح بعض الممكنات المتعارضة على بعض لا مجبورين ومضطرين وجعلهم متفاوتين في الاستعداد، وكسب العلم واختلاف الاختيار وقد كانوا في طور الطّفولة النوعية في الحياة الفردية والاجتماعية فيظهر استعدادهم للاختلاف والتنازع فاختلّفوا في كلّ شيء بالتّبع لاختلاف الاستعداد ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في كلّ شيء حتى في الدين شرعه الله لتكميل

فطرهم، وإزالة الاختلاف بينهم ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ منهم ﴿وَلِلَّهِ خَلْقُهُمْ﴾ ولذلك الذي دلّ عليه الكلام من مشيئته تعالى فقد خلقهم مستعدّين للاختلاف والتفوق في علومهم ومعارفهم وآرائهم وشعورهم، وما يتبع ذلك من إرادتهم واختيارهم في أعمالهم»¹.

4 - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَسْتَ عَلَىٰ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل/ 93].
- وجه الاستدلال:

«ومرجعها إلى مشيئة الله تعالى أن يخلق الناس على هذا الاختلاف الناشئ عن اختلاف في التفكير ومراتب المدارك والعقول، وذلك يولد تطورات عظيمة يعرض للإنسان في تناسله وحضارته»².

5 - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وِليٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى/ 8].

- وجه الاستدلال: «لو شاء الله لخلق البشر خلقة أخرى توحد سلوكهم، ومصيرهم إمّا إلى الجنة وإمّا إلى النار ولكنه سبحانه خلق هذا الإنسان لوظيفة، خلقه للخلافة في هذه الأرض، وجعل من مقتضيات هذه الخلافة على النحو الذي أراده أن يكون للإنسان استعدادات خاصة بجنسه تفوقه عن الملائكة، وعن الشياطين وعن غيرها من خلق الله ذوي الطبيعة المفردة الموحدة الاتجاه واستعدادات، يجنح بها فريق إلى الهدى والنور، والعمل الصالح، ويجنح بها ومعها فريق إلى الضلال والظلام والعمل السيئ كلّ منهما يسلك وفق أحد الاحتمالات الممكنة في طبيعة تكوين هذا المخلوق البشري وتنتهي إلى النهاية المقررة لهذا السلوك»³.

ج - المقصد الشرعي من الاختلافات والطبيعية الفكرية والعقدية:

¹ - تفسير المنار، محمد رشيد رضا، / 12، / 193 - 194.

² - التحرير والتنوير، ابن عاشور، / 14، / 267.

³ - في ظلال القرآن سيد قطب، / 4، / 3135.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

1 - إنَّ المقصد الشرعي من ذكر هذه الاختلافات والفروقات الطبيعية، التمهيد النفسي والديني لقبول الاختلاف واعتباره أمراً عادياً، إضافة إلى الاستفادة من هذه الفروقات للتكامل والتنوع، وتوزيع الأدوار والأفكار ونبذ العصبية والجاهلية المقيتة.¹

2 - اختلاف الألسنة والألوان في فلسفة هذا التشريع لا تمسّ حقوق الإنسان؛ لأنَّ هذا الاختلاف أثر من آثار القوة المودعة في تقويم الفطرة الإنسانية، تمكينا للإنسان من التكيف والتجاوب مع البيئات على اختلافها موقعا ومناخا و على وجه هذه الأرض، وليتم له النهوض بمهمة اصلاح الكون وتعميره في شتى بقاعه وأنَّ تصرّفه سبحانه في تقويم الفطرة الإنسانية، ما أودع فيها من قوى وملكات كتصرّفه في خلق السموات والأرض، سواء بسواء، آية من آيات قدرته عزو جل وبديع صنعه، وليس للإنسان فيه كسب فكان اللون إذا عارضا غير كسبي ولا يمسنّ جوهر الفطرة الإنسانية انتقاصا أو امتيازاً، فأتخذه معياراً للتمييز والتفاضل في حقوق الإنسان، إخلال بميزان العدل الإلهي وعدوان على أصل الفطرة.²

وبذلك قضى القرآن الكريم بإشارته للاختلاف في اللون واللغة على أكبر سبب من أسباب الاضطراب العالمي وأعظم مثار للحروب العدوانية والاستعمارية، والعنصرية بإرسائه مبدأ المساواة بين الشعوب بهذا المعنى الإنساني الشامل فكان أصلاً جوهرياً في سياسة الإسلام الخارجيّة العادلة، يصون حقوق الإنسان العام حيث ما كان.³

3- أما المقصد الشرعي من الاختلافات العقدية والفكرية فتظهر فيما يأتي:

- معرفة هذه الحقائق لقبولها والتعامل معها بشكل صحيح.
- أن يطبّق على كل حالة من الحالات السابقة ميزانها الخاص، فالميزان الخاص بعلاقة المسلم بالكافر الملحد يختلف عن ميزان التعامل مع أهل الكتاب كما أن ميزان الحرب هو غير ميزان السلم، وميزان الأقلية هو غير ميزان الأكثرية.
- أن الاختلاف سنة من سنن الله تعالى ومفهوم في ظلّ طبيعة الإنسان حيث منحه الله العقل، والإرادة الحرة والاختيار، وبالتالي يكون من الطبيعي اختلاف إنسان مع آخر في فكره وعقيدته وتصورات.⁴

¹ - نحن والآخر، دراسة فقهية تأصيلية، علي محي الدين القرة داغي، / 50.

² - دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، فتحي الدريني 1 / 109.

³ - المصدر نفسه 1 / 111-112.

⁴ - نحن والآخر، علي محي الدين القرة داغي / 52.

الاختلاف مع الآخر في عقيدته يفسح مجال الدعوة إلى الله تعالى دون الإكراه على الدين مصداقا لقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة/ 256]

الإكراه في الدين يلغي السعادة النابعة من الدين، لذلك شاءت حكمة الله أن يكون هذا الدين في بداياته ضعيفاً، فماذا يفعل النبي؟ ليس عنده دنيا يُعري بها، وليس عنده قوة يُخيف بها، ومع ذلك يؤمن به أصحاب النبي إيماناً طوعياً عن رغبةٍ وحبٍّ، هذا الإيمان صحيح ورائع لأنه جاء بمبادرة شخصية، وجاء باختيارٍ طيب¹، أما أن نكره من نتعامل معهم على الدين الإسلامي فإن هذا يؤدي إلى حرمان البشرية من حرية الإرادة والاختيار وهذا يتنافى مع تكريم الله عز وجل للإنسان مهما كانت عقيدته

الفرع الثالث: آيات صريحة داعية للتعاون الحضاري الإنساني

في القرآن الكريم دعوة صريحة لضرورة التعاون الحضاري الإنساني في شتى مجالات الحياة في آيات عديدة

منها:

أولاً: آيات عامة في الدعوة إلى التعاون الحضاري الإنساني

أ - قَالَ تَمَالِكُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحُلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشُّهُرَ الْحُرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١٧﴾﴾ [المائدة/ 2].

وجه الاستدلال: «أن واجبكم أن تتعاونوا بينكم على البرِّ والتقوى، وإذا كان هذا واجبهم فيما بينهم كان الشأن أن يعينوا على البرِّ والتقوى؛ لأن التعاون عليها يكسب محبة تحصلها، فيصير تحصيلها رغبة لهم فلا جرم أن يعينوا عليها كل ساع إليها ولو كان عدواً»².

¹ - التفسير المطول، محمد راتب النابلسي، www.nabulwsi.com

² - التحرير والتنوير، ابن عاشور، 6 / 87. ينظر: تفسير المنار، رشيد رضا، 6/131. في ظلال القرآن، سيد قطب 2/ 839.

يقول ابن القيم الجوزية: ¹ «قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥﴾﴾ [المائدة/ 2]

هو التعاون على البرِّ والتقوى، فيعين كلِّ واحدٍ صاحبه على ذلك علماً وعملاً، فإنَّ العبد وحده لا يستقل بعلم ذلك، ولا بالقدرة عليه فافتضت حكمة الربِّ سبحانه أن جعل النوع الإنساني قائماً بعضه ببعضٍ معيناً بعضه بعضاً».²

ب - قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات/ 13]

- وجه الاستدلال من الآية الكريمة: «يا أيها الناس خطاب للبشرية كلها بتنوعها وتعددها واختلاف ألسنتها وألوانها وهو نداء يخاطب الكينونة الإنسانية في جميع البشر، ولازم ذلك تساويهم في الكرامة والتكريم ومن ثمَّ فهو خطاب عالمي وإنساني التوجّه والتوجيه، يا أيها الناس أنتم سواء من حيث أنتم مخلوقون، إنّما جعلتم قبائل لتعارفوا أولاً، وتعرفوا الحقائق وأما الشرف والكرم فهو بالتقوى».³

ثانياً: آيات خاصة في الدعوة إلى التعاون الحضاري إنساني في مجالات دينية

أ - آية تدعو إلى البرِّ العدل والقسط مع غير المحاربين في مجال التعامل الإنساني

1- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن

¹ - هو محمد بن أبي بكر بن الزرعي الدمشقي أبو عبد الله شمس الدين، تلميذ الشيخ بن تيمية، ولد سنة 651 هـ، من أهم مصنفاته: إعلام الموقعين، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل الفوائد، الروح... إلخ توفي سنة 751. ينظر: الأعلام قاموس التراجم، خير الدين الزركلي، 6 / 56 ط / 15، ت ط / 2002، دار العلم للملايين، بيروت لبنان.

² - بدائع التفسير ابن القيم الجوزية، 1 / 310.

³ - الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن التتالي 5 / 277، تحقيق على محمد عوض، عادل أحمد عبد الموجود عبد الفتاح أبو سنة، ط/1، ت ط / 1418 - 1997 دار الإحياء العربي، بيروت لبنان. ينظر: تفسير القرآن العظيم ابن كثير/1751.

صَدُّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْرِ وَالْتَقَوْا وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْرِ وَالْعُدْوَانِ
وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥﴾ [المائدة/ 2].

- وجه الاستدلال:

«جاء ليربط القلوب بالله، وليربط موازين القيم والأخلاق بميزان الله، جاء ليخرج العرب، ويخرج البشرية كلها من حمية الجاهلية، ونعرة العصبية، وضغط المشاعر والانفعالات الشخصية والعائلية والعشائرية في مجال التعامل والتعاون مع الأصدقاء والأعداء».¹

2- قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَنْهَيْكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ أَنْ تَبْرُوهُمْ
وَتُقْسَطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ [الممتحنة/ 8].

- وجه الاستدلال:

- قال ابن الجوزي: «هذه الآية رخصة في صلة الذين لم ينصبوا الحرب للمسلمين وجواز برّهم، وإن كانت الموالة منقطعة عنهم».²

- وقال القرطبي³: «هذه الآية رخصة من الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين، ولم يقاتلوهم، قوله تعالى: ﴿أَنْ تَبْرُوهُمْ﴾؛ أي لا ينهاكم الله أن تبرّوا الذين لا يقاتلونكم».⁴

وأكد ابن جرير الطبري⁵ على عموم الآية في غير المسلمين من كل الأديان والملل والنحل فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال عني بذلك: ﴿لَا يَنْهَيْكُمْ...﴾ من جميع أصناف الملل والأديان أنّ تبرّوهم و
تصلوهم وتقسطوا إليهم إنّ عز وجل عمّ بقوله: ﴿لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾

¹ - في ظلال القرآن، سيد قطب، 2 / 839. ينظر: تفسير القرآن الكريم، ابن كثير، 3 / 10.

² - زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، 1425 / ط / 1، ت ط 1423 - 2002، دار بن حزم، بيروت لبنان.

³ - هو محمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي أبو عبد الله القرطبي، من كبار المفسرين، صالح متعبّد من أهل قرطبة توفي سنة 671 هـ، من أهم مؤلفاته: الجامع لأحكام القرآن، قمع الحرص بالزهد والقناعة، التذكار في أفضل الأذكار التقريب لكتاب التمهيد: ينظر: الأعلام قاموس التراجم، خير الدين الزركلي، 5 / 322.

⁴ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 20 / 407 تحقيق: عبد الله بن عبد الحسن التركي، ط / 1، ت ط / 1427 - 2006 مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

⁵ - محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الإمام أبو جعفر شافعي المذهب (224-310)، رأس المفسرين على الإطلاق بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها من أهم آثاره: تفسير القرآن الكريم وهو من أجلّ التفاسير، تهذيب الآثار، تاريخ الأمم، اختلاف العلماء، القراءات، أحكام شرائع الإسلام. ينظر: طبقات المفسرين، جلال الدين السيوطي / 95-97، تحقيق علي محمد عمر، ط / 1، ت ط / 1431 - 2010، دار النوادر، الكويت.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

جميع من كان ذلك صفته فلم يخص به بعضاً دون بعض»¹.

وفسّر جلّ المفسرين "القسط" الوارد في الآية بأنّه العدل، لكنّ القاضي أبو بكر بن العربي² أعطاه معنى آخر باعتبار أنّ العدل واجب على المسلم تجاه الجميع أعداء وأصدقاء، أمّا القسط في هذه الآية عند ابن العربي الإحسان بالمال.

﴿وَتُقْسِطُوا﴾؛ أي تعطوهم قسطاً من أموالكم على وجه الصلّة، وليس يريد العدل، فإنّ العدل واجب في من قاتل، وفي من لم يقاتل قاله ابن العربي.³

ب - حليّة طعام أهل الكتاب، وجواز زواج المسلم بالكتابية:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْلِفِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾ [المائدة/ 5].

- وجه الاستدلال:

هنا يطلعنا الإسلام على صفحة من صفحات التسامحة الإسلامية في التعامل مع غير المسلمين ممن يعيشون في المجتمع الإسلامي، أو تربطهم بهم روابط الدّمة، والعهد من أهل الكتاب.

الإسلام لا يكتفي بأن يترك لهم حريتهم الدّينية، ثم يعتزلهم، إنّما يشملهم بجو من المشاركة الاجتماعية والمودة والمجاملة والخلطة، فيجعل طعامهم حلالاً للمسلمين، وطعام المسلمين حلالاً لهم، كذلك ليتم التزاور والمؤاكلة ليظل المجتمع كله في ظل المودة والمسامحة.

وهكذا يبدو أنّ الإسلام هو المنهج الوحيد الذي يسمح بقيام مجتمع عالمي، لا عزلة فيه بين المسلمين وأصحاب الديانات الكتابية فيما يخص العشرة والسلوك.¹

¹ - الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، 20، / 407.

² - محمد بن عبد الله بن أحمد الإمام أبو بكر بن العربي العافري الأندلسي الحافظ، ولد سنة 468، رحل مع أبيه إلى المشرق ودخل الشام فتفقه بأبي بكر الطرطوشي، دخل بغداد وسمع بها من طراد الرّيني، ونصر بن البطر وأخذ عن أبي بكر الشاشي وأب حامد الغزالي وغيرهم كان من أهل التّفنّن في العلوم والاستبحار فيها حتّى بلغ رتبة الاجتهاد. من أهم آثاره: أحكام القرآن - شرح الموطأ - شرح الترميذي. توفي سنة: 543. ينظر: طبقات المفسرين، جلال الدين السيوطي / 106.

³ - المصدر نفسه، / 18، / 43.

ج - آيات الوفاء بالعهود بين المسلمين وغيرهم: هي آيات كثيرة في القرآن الكريم تدعو إلى وجوب الوفاء بالعهود بين المسلمين وغيرهم منها:

1- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل/ 91].

وجه الاستدلال: «الوفاء بعهد الله يشمل بيعة المسلمين للرسول صلى الله عليه وسلم، ويشمل كل عهد معروف يأمر به الله، والوفاء بالعهود هو الضمان لبقاء عنصر الثقة في التعامل بين الناس، وبدون هذه الثقة لا يقوم مجتمع ولا تقوم إنسانية».²

2- قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة/ 4]

- وجه الاستدلال: «هذا دليل قاطع على حرمة المعاهدات في الإسلام، وأنّ الوفاء بالعهد من فرائض الإسلام ما دامت المعاهدة قائمة، وأنّ العهد المؤقت لا ينقض بانتهاهه، وأنّ مراعاة شروط المعاهدة من مظاهر التقوى».³

3- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال/ 61]

- وجه الاستدلال: «دلت الآية على الأمر بقبول عقد الصلح والمهادنة أو المسالمة إن مال العدو إليه وعلى الأمر بالتوكل الله وتفويض الأمر إليه ليكون عوناً على السلامة والتصر عليهم، إذا نقضوا العهد وعدلوا عن الوفاء».

وتبّه تعالى في آخر الآية ﴿ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ بما يبصره العباد سامع لما يقولون⁴ فهذه بعض الأدلة التي تدعو المسلمين إلى ضرورة التعارف والتواصل مع الآخرين على أساس الوفاء بالعهد والعدل والقسط مع غير المسلم والبرّ به إن لم يقاتله، تعاون وفق قواعد الشرع التي تخدم القيم الإنسانية.

1 - في ظلال القرآن، 2 / 848. ينظر: تفسير القرآن الكريم، ابن كثير، 3 / 35 - 37.

2 - في ظلال القرآن، سيد قطب، 4 / 2191.

3 - تفسير المنير، وهبة الزحيلي، 5 / 451/10. أنظر الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته السنة و آبي القرآن محمد القرطبي تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي 10 / 108، ط 1، ت - ط / 1427 - 2006، مؤسسة الرسالة دمشق سوريا.

4 - المصدر نفسه، 5 / 10 / 405.

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

آيات يستمد منها المؤمن الصادق ضوابط وقواعد التواصل والتعاون الحضاري الإنساني مع غيره في كل المجالات الدنيوية " سياسة واقتصادا، ثقافة وعلماء وفكرا".

آيات ترسم المنهج القويم لحركة المسلم قولاً وفعلاً، عملاً وتفاعلاً مع غيره ممن خالفه ديناً وعقيدةً، وفكراً خالفه لغةً وجنساً.

آيات تزيد المسلم عزّة ورفعةً في مجال السلم مع غير المسلمين، إن أرادوا التعايش معه بسلام، وتزيده قوّة وجهاداً إن أردوا قتالاً وحرّاً.

آيات تدعوه للزّواج من الكتائيات، ولا تمنع من أكل طعام أهل الكتاب، لتجعل منهم أسرة واحدة تجمعها رابطة النسب وما أعظمها من رابطة، طبعاً إذا كانت وفق ما قرّرتها الشريعة الإسلامية من مقاصد ربانية وستزيد سنّة الحبيب صلى الله عليه وسلم وسيرته توضيحاً، وسيرته تطبيقاً لكل ما أوردناه من أدلّة القرآن الكريم هذا ما سنتعرّف عليه في المطلب الآتي.

المطلب الثاني

التعاون الإنساني والاقتصادي، والحوار الديني الحضاري من خلال السيرة النبوية

سيرة الحبيب صلى الله عليه وسلم نور لكلّ أعمى، طريق هداية لكلّ ضال، رحمته وبره تجلّيا مع عدوّه قبل صاحبه وكرمه فاض على أعدائه محبّةً وتأليفا لقلوبهم، وعدله نصر به الضعيف على القوي حتى وإن لم يكن مسلماً وإحسانه نهر سقى به قلوب من أساء إليه قولاً وفعلاً، تسامحاً وعفواً لوجه العزيز سبحانه وتعالى.

ولو ذهبت إلى استقراء أدلّة تعاونه الاقتصادي مع أعدائه لرأيت عجب العجاب، صبر وحلم، رقيّ في البيع والشراء وفي القرض وردّ الدين، إنّه - فعلاً - أنموذج للنفس الأمينة التي حولت أعدائه عند تعاونه معهم في المجال التجاري إلى أصحاب وأحباب وضمّمهم إلى جناح الإسلام دون أن يقول لهم أسلموا، إنّه التعاون الحضاري الاقتصادي في أسمى مقاصده.

وخصومه من أصحاب الأديان الأخرى في حوارهم معهم، لين مع عزّة، ولطف مع حكمة، وتواضع مع هيبة وعلم مع إيمان، ونقاش مع دليل ربّاني، وسماع مع هدوء، وردّ مع وقار.

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

إنّ المدرسة المحمّدية في التّعاون الحضاري الإنساني في كلّ المجالات، وريقات قليلة من هذا المطلب دليل على تعاونه وتعامله الإنساني صلى الله عليه وسلم الحضاري مع غير المسلمين من باب التّمثيل لا الحصر.

الفرع الأول: التّعاون الإنساني الحضاري من خلال السنّة النبويّة الشريفة

الحبيب صلى الله عليه وسلم قدوة وإسوة في بره وإحسانه ورفقه حتى مع من آذاه وحاربه، وفي سيرته الشريفة مواقف يدهش لها اللّب في رفقته وبرّه مع غير المسلمين من هذه المواقف:

أولاً: الرسول صلى الله عليه وسلم الرحمة المهداة للعالمين

لقد كانت العلاقة بينه وبين المخالفين له في الدين والذين يعيشون معه في مجتمع واحد أكثر بكثير من مجرد علاقة سلام ووثام بل كانت علاقة برّ ورحمة بكل معاني الكلمة فيما يأتي أحاديث نبوية شريفة تدلّ على رحمته صلى الله عليه وسلم بغير المسلمين

أ - أحاديث نبوية دالة على رحمته ورفقه بغير المسلمين:

1- قال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: كان محمد صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع الناس فمن آمن به وصدق به سعد ومن لم يؤمن به سلم مما لحق الأمم من الخسف والغرق".¹

يقول ابن كثير: يخبر تعالى أن الله جعل محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين أي أرسله رحمة لهم كلهم فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة ومن ردّها وجحدّها خسر في الدنيا والآخرة.²

2- وعن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين قال: [إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة].³

3 - وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [إنما بعثت رحمة مهادة].⁴

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة ليس فقط للمسلمين ولكن رحمة للكافرين.

ب - مواقف الرحمة والبر، والعدل والإحسان من السيرة النبوية الشريفة في التعامل مع غير المسلمين:

1- عن عائشة رضي الله عنها قالت: [استأذن رهط من اليهود على صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقلت: بلن عليكم السام واللعنة، فقال: يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله قلت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: قلت: وعليك].⁵

الشاهد من الموقف: فهذا الرسول صلى الله عليه وسلم وهو القائد الممكن في المدينة يدخل مجموعة من اليهود فيدعون عليه بالموت في وجهه وهم يتحايلون باستخدام لفظ السام قريب من السلام بحيث لو واجههم

¹ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير القرشي ص/ 1258، ط/ 1، ت ط / 1420-2000، دار بن حزم للنشر والتوزيع بيروت - بيروت.

² - المصدر نفسه، / 1258.

³ - صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب التهي عن لعن الدواب وغيرها / 1282، رقم الحديث 2599.

⁴ - كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي 114/3 ط 1 / ت ط / 1404 - 1984، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.

⁵ - صحيح مسلم، كتاب السلام والآداب، باب التهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يردّ عليهم / 2165 رقم الحديث 1087.

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: "كذبا بل إنه ينهى عائشة رضي الله عنها عن العنف والفحش، ويأمرها باتباع الرفق في المعاملة حتى من يدعو عليك بالموت في وجهك."¹

2 - روى أنس: [أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه رعل وذكوان وعصيّة وبنو لحيان فرغموا أنهم قد أسلموا أو استمدّوه على قومهم فأمدّهم النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين من الأنصار قال أنس: كنا نسّمهم القرّاء يحطّون بالنّهار، ويصلّون بالليل فانطلقوا بهم حتّى بلغوا في بئر معونة غدروا بهم وقتلوهم فقتت شهرا يدعو على رعل وذكوان وبنو لحيان].²

لم ينجو من هذه الكارثة إلا الصحابي عمرو بن أمية الضميري رضي الله عنه فعاد إلى المدينة وفي طريق عودته التقى برجلين من المشركين من بني عامر وهي فرع من فروع بني سليم التي قامت بقتل الصحابة السبعين فرأى عمر بن أمية أن قتلتهما.

بالفعل فوجئ بوجود عهد لهما مع الرسول صلى الله عليه وسلم وحكى له القصة فماذا كان ردّ فعل صلى الله عليه وسلم.³

الشاهد من القصة: لقد تناسى الرسول صلى الله عليه وسلم أعدائه تماما، وحكّم دينه وعقله، ولم يحكّم عاطفته لقد قال عمرو بن أمية " لقد قتلت قتيلين لأديتّهما."⁴

لقد قرّر أن يدفع الدية لأهلتهما.

إنّهُ صلى الله عليه وسلم يقرّ لقتل أحد الرّجلان العامريّان لم يخطئنا ومعهما عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجب أن يقتلا مهما كانت الظروف.

لقد حدثت أزمة سياسية وأخرى اقتصادية مع العامل النفسي والقلبي ومع ذلك فإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حرص على أداء الدية وبالفعل توجّه إلى بني النضير ليسألهم المساهمة في الدية كما قضى الاتفاق الذي بين المسلمين واليهود.

¹ - فن التعامل النبوي، راغب السرجاني / 122.

² - البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع، ورعل وذكوان بئر معونة وحديث عضل والقارة وعاصم بن ثابت وخبيب وأصحابه، / 1003، رقم الحديث / 4036.

³ - مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو عبد الله محمد بن عمرو الواقي / 269 - 274، ط1، ت ط 1367 - 1948 مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.

⁴ - ينظر زاد الميعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية / 412 - 413.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهي

إنَّها صورة عظيمة من صور الرحمة والبرِّ والوفاء، حيث يصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ثمَّ يسعى لدية قتيلين مقترضا من يهود من باب التعاون على الخير، فلا يجهل ولا يعطل ولا يرجئ، بل يسعى لدفع الدية وفاء بما التزم، -وليتصور كيف تحاك ضده وهو في أنبل طرق الوفاء، وصدق التعاقد - ففي هذا الوقت كان اليهود يبيتون الغدر به وبينه وبينهم ميثاق.

يا لله للوفاء العجيب المتسامي إلى علا الفضيلة، و يا لنقض العهد في أشنع صور الخسة والجهن والحقارة.¹

فهل هناك من يدعي بعد كل هذا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يعترف أو لا يحترم أو لا يعدل مع غير المسلمين؟²

ج - عن أنس رضي الله عنه: [أن غلاما من اليهود كان مرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده فقعده عند رأسه فقال له أسلم فنظر إلى أبيه وهو عند رأسه فقال له أبوه أطع أبا القاسم فأسلم، فقام النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه بي من النار].³

ثالثا: مواقف في رحمته صلى الله عليه وسلم مع من يدبر له المؤامرات من غير المسلمين.

من أعجب مواقفه في تعامله مع من يدبر له المؤامرات من غير المسلمين:

أ - فعن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: [لما فتحت حبير أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم مشاة فيها سمّ فقال

النبي صلى الله عليه وسلم: اجمعوا إليّ من كان هاهنا من يهود فجمعوا له فقال صلى الله عليه وسلم: من أبوكم؟ قالوا: فلان. فقال: كذبتم بل أبوكم فلان قالوا: صدقت وبررت. قال: فهل أنتم صادقيّ عن شيء إن سألتكم عنه؟ فقالوا: نعم أبا القاسم وإن كذبتك عرفت كذبنا كما عرفت في أيينا. قال صلى الله عليه وسلم: من أهل النار؟ قالوا: نكون فيها يسيرا ثم تخلفوننا.

¹ - أثر معاملة الرسول ﷺ في نشر الدين الإسلامي، يحيى بن عبد الله البكري الشهري، / 91 - 92، ط / 1، ت - ط / 1429 - 2008، الرياض السعودية.

² - البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في سم النبي صلى الله عليه وسلم، / 1461، رقم الحديث، 5777.

³ - البخاري، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام / 455، رقم الحديث / 1290.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: احسنوا فيها فو الله لا نلخفكم فيها أبدا، ثم قال صلى الله عليه وسلم: هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟ فقالوا نعم أبا القاسم قال: أجعلتم في الشاة سمًا؟ قالوا: نعم. قال صلى الله عليه وسلم: ما حملكم على ذلك؟ قالوا: أردنا إن كنت كاذبا نستريح منك، وإن كنت نبيا لم يضرك.¹

الشاهد من الموقف: لقد قام الحبيب صلى الله عليه وسلم بتحقيق هادئ غير منفعل مع اليهود الذين دبّروا مؤامرة اغتياله وأقام عليهم حتى اعترفوا بألستهم بأنهم دبّروا محاولة القتل.

جاء في رواية أبي داود أنّ صلى الله عليه وسلم أهدت له يهودية بخير شاة مصلية وذكر القصة. وقال: فمات بشر بن البراء بن معرور. فأرسل إلى اليهودية قال: ما حملك على الذي صنعت؟ قال جابر: فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلت.²

ترى ماذا يكون تعامل قادة العالم في التاريخ والواقع مع من يدبرون مؤامرات لقتلهم!؟

ماذا سيكون ردّ فعل هؤلاء الزعماء عند مقتل أصحابهم وأحبّهم؟ عند المقارنة ستوضح المفارقة!

لا أحد يقارن بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم في رحمته وعدله وإحسانه حتى مع من أراد قتله من غير المسلمين.³

إنّ صلى الله عليه وسلم يضرب المثل ويرسم السياسة العادلة لمن بعده من الحكّام في تعاملهم مع أعدائهم حرصا منه صلى الله عليه وسلم أن يعمّ الأمن والسلام ويحفظ الدّين بالدعوة الله من خلال أخلاقه ومواقفه العمليّة من عدل وإحسان، وبر ورفق.

ب - تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع زعيم قبيلة هوزان مالك بن عوف التّصري:⁴

¹ - زاد الميعاد سيرة خير العباد، ابن القيم الجوزية، 3 / 297 - 298.

² - سنن أبي داود، كتاب الدّيّات، باب فيمن سقى رجلا سمًا أو أطعمه فمات أيقاد منه؟ / 494، رقم الحديث 4512 الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة.

³ - فن التعامل النبوي، راغب السرجاني، / 142.

⁴ - مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة بن يربوع بن وائلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن أبي بكر بن هوزان التّصري يكتي أبا علي، كان رئيسا للمشركين يوم حنين لما انهزم المشركون، وعادت الهزيمة على المشركين، فلحق مالك الطائف فقال الرسول p: [لو أتاني مالك مسلماً لرددت إليه أهله وماله] فلما بلغه ذلك لحق بالرسول p فأسلم وأعطاه ما وعده - عليه أركى الصّلاة والسلام - واستعمله على من أسلم من قومه، شهد بعد الرسول p فتح دمشق - الشّام، وشهد القادسيّة بالعراق مع سعد بن أبي وقاص. أسد الغابة في معرفة الصحابة، عزّ الدّين بن أبي الحسين على بن محمّد الجزري المعروف بابن الأثير، / 1074 - 1075، ط / 1 ت ط / 1433 - 2012 دار بن حزم بيروت، لبنان.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

موقف لا يصدر إلا من الرّحمة المهداة، موقف يجسّد بحق أسمى الأخلاق وأروعها، وهي العفو عند المقدرة على من أثار القبائل وهاجم بهم المسلمين، وتولى كبر تلك الحروب الصاخبة، التي لا طعم لها ولا معنى".¹

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تحبس أسرة مالك بن عوف عند عمّتهم أم عبد الله بن أمية بمكة المكرمة فقال له وفد هوزان: أولئك سادتنا، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: [إنما أريد لهم الخير]، ثم سأل عن مالك فقالوا: هرب خاف عن نفسه لما بلغه ذلك خاف أن يجبسه قومه ليمنعوه من القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرّ خفية ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركه وهو بالجعرانة أو بمكة فردّ عليه أهله وماله، وأعطاه مائة من الإبل وأسلم وحسن إسلامه فاستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه، فكان يقاتل بهم ثقيفا لا يخرج لهم سرج إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم".²

المقصد من هذا الموقف الإنساني:

[أخبروا مالكا إن أتاني مسلما رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل].³

أهذا هو المتوقع من قائد منتصر مع زعيم الجيش المعادي له المهزوم أمامه؟

إن عموم القادة في العالم يتلذذون⁴ ويستمتعون بمحاكمة ومعاقبة وإذلال زعماء أعدائهم، أمّا أن يرفق الزعيم المنتصر بزعيم معاد له، ويرقّ له ويذل له ويعطيه بسخاء فهذا لا يستوعب فهمه قادة العالم اليوم!!

وجد مالك بن عوف في كلمات رسول صلى الله عليه وسلم الإنقاذ له من أزمته فأسرع مقبلا على الرسول الكريم — عليه أركى الصلاة والسلام، وأعلن إسلامه بين يديه فقبله صلى الله عليه وسلم دون قيد ولا شرط، ولم يعنفه، ولم يلمه، ولم يستفسر منه عن شيء.

¹ - صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، محمد فوزي فيض الله، / 435-436، ط 1، ت ط 1416 - 1996 دار القلم دمشق سوريا.

² - السيرة النبوية، ابن هشام، تعليق وتخرّيج الأحاديث ووضع الهوامش، عمر عبد السلام تدمري، 4 / 130-131، ط 3 / ت ط / 1410 - 1990، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.

³ - دلائل التّبوة، ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي، توثيق وتخرّيج وتعليق عبد المعطي قلعي، 3 / 140 - 141 ط / 1 ت - ط / 1408 - 1988 دار الكتب العلمية بيروت لبنان. ينظر أيضا: مكارم الأخلاق، للحافظ ابن أبي الدنيا تحقيق وتعليق: مجدي السيّد إبراهيم / 123، مكتبة القرآن للطبع والتّشريع والتّوزيع، المملكة العربية السعودية.

⁴ - ماذا فعل جورج بوش الابن لما ظفر بالزعيم العراقي صدام حسين؟! كلنا رأينا وشاهدنا في غرة عيد الأضحى تلذّذ هذا الرئيس وزبائنه وهم يعدمون، هؤلاء الذين يدعون نشر السلام والأمن في العالم!

كلنا شاهدنا ورأينا التّكبير والتّعذيب للزعيم الليبي لما أمسك به أعداؤه دون محاكمة، مخالفة لكل الأعراف الدولية. "ارحموا عزيز قوم ذلّ" هكذا دوى بها الحبيب وجعلها مبدأ عمليا عندما يظفر بأعدائه من القادة والزعماء.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ما هو أعظم من ذلك وأرقى! لقد أعاد مالك بن عوف زعيماً مرة أخرى على هوزان بل كلفه بمهمة عسكرية في منتهى الأهمية وهي مهمة حصار مدينة الطائف. لقد احترق رسول الله صلى الله عليه وسلم إمكانيات مالك بن عوف القيادية، وحفظ له سمعته ومكانته، وقيمته، ولم يهدرها كما أهدرت آلاف وملايين الطاقات نتيجة عنجهية وتكبر بعض القادة. لقد نسي صلى الله عليه وسلم ماضي مالك بن عوف في لحظة واحدة، وعامله معاملة القادة المحترمين، وحوّل جهده من الإفساد في الأرض إلى إصلاحها.

فأيّ خير عاد على المسلمين؟! وأيّ خير عاد على هوزان؟! وأيّ خير عاد على مالك بن عوف؟! هل نجد بعد كل هذا من يتهم المسلمين بأنهم لا يعترفون بغيرهم، ولا يحترمون وجودهم؟! وهل في تاريخ غيرنا ما يشابهه ولو من بعيد مواقف ذلكم النبي العظيم صلى الله عليه وسلم¹!

الفرع الثاني: التعاون الحضاري الإنساني في المجال الاقتصادي من السنة النبوية الشريفة

أولاً- عن عبد الله بن سلام، عن أبيه، عن جده قال: [لما أراد الله تعالى هدى زيد بن سعة²، قال زيد بن سعة: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه، إلا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله، ولا يزيد شدة الجهل عليه إلا حلماً، فكنت أطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه من جهله.

قال زيد بن سعة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً من الحجرات ومعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأتاه رجل على راحلته كالبديوي، فقال: يا رسول الله، إن بصري قرية بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإسلام، وكنت حدثتهم إن أسلموا أتاهم الرزق، وأصابتهم سنة وشدة وقحوظ من الغيث، فأنا أخشى يا رسول الله أن يخرجوا من الإسلام طمعاً كما دخلوا فيه طمعاً، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تعينهم به فعلت، فنظر إلى رجل إلى جانبه أراه علياً، فقال: يا رسول الله، ما بقي منه شيء، قال زيد بن سعة: فدنوت إليه، فقلت: يا محمد، هل لك أن تبيني تمر معلوماً من حائط بني فلان إلى أجل كذا وكذا، فقال: لا يا يهودي، ولكنني أبيعك تمر معلوماً إلى أجل كذا وكذا ولا يسمى حائط بني فلان "قلت: نعم، فبايعني فأطلقت همياني فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا، فأعطاهما الرج، فقال: أعجل عليهم وأعنهم بها،

¹ - فن التعامل النبوي، راغب السرجاني، / 211.

² - زيد بن سعة الخير، أحد أحبار اليهود، ومن أكثرهم مالاً، أسلم فحسن إسلامه، شهد مع النبي -p- مشاهد كثيرة توفي في غزوة تبوك مقبلاً إلى المدينة. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن أثير، / 431.

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

قال زيد بن سعة: فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة أتيت فأخذت بمجامع قميصه وردائه، ونظرت إليه بوجه غليظ، فقلت له: ألا تقضي يا محمد حقي، فوالله ما علمتكم يا بني عبد المطلب لمطل، ولقد كان لي بمخالطتكم علم ونظرت إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما إذا عيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير، ثم رماني ببصره، وقال: يا عدو الله تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع وتصنع به ما أرى، فوالذي بعثه بالحق، لولا ما أحاذر قوته لضربت بسيفي رأسك. ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم، ثم قال: يا عمر، أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التباعة، اذهب به يا عمر فأعطه حقه وزده عشرين صاعا من تمر مكان ما رعته.

قال زيد: فذهب بي عمر رضى الله عنه فأعطاني حقي وزادني عشرين صاعا من تمر، فقلت: ما هذه الزيادة يا عمر؟ فقال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أزيدك مكان ما رعتك، قلت: وتعرفني يا عمر؟ قال لا، من أنت؟ قلت: أنا زيد بن سعة، قال: الخبر؟ قلت: الخبر، قال: فما دعاك أن فعلت برسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعلت وقلت له ما قلت؟ قلت: يا عمر لم يكن من علامات النبوة شيء إلا قد عرفت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه، إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما، فقد اخترتكما، فأخبرك يا عمر أيّ قد رضيت بالله ربا، وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً وأشهدك أن شطر مالي - فإني أكثرها مالا - صدقة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: أو على بعضهم فإنك لا تسعهم، قلت: وعلى بعضهم فرجع عمر و زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وآمن به وصدقه وبايعه وشهد معه مشاهد كثيرة، ثم توفي زيد رضى الله عنه في غزوة تبوك مقبلا غير مدير، رضى الله عنه.¹

الشاهد من الموقف:

هذا الموقف ناطق بقيم تسامح حبيينا محمد صلى الله عليه وسلم في البيع والشراء حتى مع من يخالفوه في العقيدة، هذه الأخلاق العظيمة في رسولنا الكريم عليه - أذكى الصلاة والسلام - مع من يعاملهم تكون نتيجتها اتباعهم لدعوته إلى الإسلام دون أن يقول لهم أسلموا.

¹ - المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق وتخريج الأحاديث حمدي عبد الحميد السلفي، 5 / 222 - 223، مكتبة ابن تيمية القاهرة - مصر جمع ينظر: جمع الفوائد من جامع الأصول وجمع الزوائد، محمد بن سليمان المغربي، تحقيق سليمان بن دريع 3 / 429 - 430، مكتبة بن حزم بيروت - لبنان. المستدرک علی الصحیحین، محمد بن عبد الله الحاكم التيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، 3 / 700 - 701، ط / 1 ت - ط / 1422 - 2002، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

إنّ التعاون المثمر، التعاون المبني على أسس إيمانية وأخلاق وريانية، تعاون ليس لجلب مصالح الدّنيا فحسب بل تعاون يعود على غير المسلمين بخير الدّنيا والآخرة.

ثانياً - حدّثنا عبد الله بن يوسف حدّثنا الليث قال: حدّثني سعيد بن أبي سعيد أنّه سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال: [بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال¹ فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي خير يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكرك وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت فتركه حتى كان الغد ثم قال له: ما عندك يا ثمامة قال: ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكرك فتركه حتى كان بعد الغد فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي ما قلت لك. فقال: أطلقوا ثمامة فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحبّ الوجوه إليّ والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك فأصبح دينك أحبّ الدين إليّ والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك فأصبح بلدك أحبّ البلاد إليّ وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشّره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت قال: لا ولكن أسلمت مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يأتاكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها].²

وزاد بن هشام في سيرته بلاغاً: [ثم خرج إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئاً فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنك تأمر بصلة الرحم، وإنك قطعت أرحامنا فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن خليّ بينهم وبين الحمل].³

الشاهد من الموقف :

¹ - ثمامة بن أثال بن التّعمان بن سلمة بن عبيد بن ثعلبة بن الدّؤول بن حنيفة أخو عجل، لما ظهر مسيلمة وقوي أمره، أرسل رسول الله ﷺ فرات بن حباب العجلي إلى اليمامة في قتال مسيلمة وقتله، لما ارتدّ أهل اليمامة ثبت على إسلامه، وكان مقيماً باليمامة ينهاتهم عن أتباع مسيلمة، قتله بنو قيس بن ثعلبة. أسد الغابة في معرفة الصّحابة، ابن أثير، / 158 - 159.

² - الصحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد حنيفة، وحديث ثمامة بن أثال، / 4 - 1589 - 1590 رقم الحديث: 4114. صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير (المغازي) باب ربط الأسير وحبس، وجواز المّ / 890، رقم الحديث 1764. ينظر: عليه دلائل التّوبة البيهقي 4 / 78 - 79.

³ - السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق وضبط وشرح: مصطفى البغا - إبراهيم الإيباري - عبد الحفيظ شليبي، / 4 - 287 - 288، دار إحياء التراث، بيروت لبنان.

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

قال ابن ثمامة : «والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها»، وما ذكره ابن هشام في سيرته، أنه دلّ على جواز تصدير الطعام إلى المشركين وإن كانوا أهل حرب، وفي هذا تعاون في المجال الاقتصادي؛ لأنّ فيه رعاية لمصلحة الدعوة الإسلامية وحفظا لمقصد الدين، وخاصة أنّ الحبيب صلى الله عليه وسلم له بعد اقتصادي عظيم، حتى لا يقولوا عن الإسلام أنه دين متناقض يأمر بصلة الأرحام ويقطعها بمنع تصدير الطعام لهم من اليمامة؛ لأنّ أهل قريش كانوا رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي قطع التبادل التجاري مع أهل اليمامة طعن في صدق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

فالرسول صلى الله عليه وسلم أمر ثمامة وهو سيد أهل اليمامة أن يصدر لهم الطعام حتى يسدّ على قريش ثغرة الطعن في الدعوة المحمدية.

ثمّ إنّ تصدير الطعام لهم يعود بالنفع على خزينة الدولة الإسلامية، وأهل اليمامة جزء من هذه الدولة وفيه حفظ للنفس البشرية التي تحتاج إلى الطعام حتى وإن كانت كافرة.

وهذا الأمر يقويّ مبادئ الدين الإسلامي، ويزيد الزّاعبين في الدخول فيه.

فما أعظمه من موقف تتجلى فيه مقاصد التعاون الحضاري الإنساني مع غير المسلمين في السيرة النبوية العطرة.

الفرع الثالث: تطبيق مقصد حوار الأديان في عهد الحبيب صلى الله عليه وسلم

لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يذرع بحوار الأديان وتعارف أصحابها، ومقارنة ما عند كل طرف بما عند الآخر، مما يبدو فيه سماحة الإسلام وحرية الاختيار العقدي فيما يأتي حوارين للنبي صلى الله عليه وسلم مع أصحاب الديانات الأخرى:

أولاً: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع حبر من الأحبار عن وضع السموات والأرضين

عن عبيدة عن عبد الله رضي الله عنه قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: [يا محمد إنا لله يجعل السموات على أصبع والأرضين على أصبع والشجر على أصبع والماء والتري على أصبع، وسائر الخلائق على أصبع فيقول: أنا الملك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر.¹

ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم

قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر/ 67].

ثانياً: حوار الرسول صلى الله عليه وسلم مع حبر من أحبار اليهود في شأن أحوال الآخرة، وحقيقة

خلق الولد

عن ثوبان² مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [كنت قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجاء حبر من أحبار اليهود فقال للنبي صلى الله عليه وسلم جئت أسألك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أينفعك شيء إن حدثتك؟ قال: أسمع بأذني فنكت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعود معه فقال: سل، فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم القيامة يوم تبدل الأرض غير السموات؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم في الظلمة دون الجسر. قال: فمن أول الناس إجازة قال: فقراء المهاجرين. قال اليهودي: فما تحفتهم

¹ - صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة " وما قدروا الله حق قدره "، / 4 / ، / 1812 / رقم الحديث 4533.

² - ثوبان بن بجدد أبو عبد الله مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقيل ابن جحدر من أهل اليمن من حمير، أصابه سبأ فاشتره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه، سكن حمص وله بها دار الضيافة توفي سنة 54 هـ روى عنه: شداد بن أوس أبو الأشعث الصنعاني، أبو أسماء الرحبي جبير بن نفير، معدان البعمرى، أبو عبد الرحمن الجبلاي، أبو الخير البزني، أبو إدريس الخولاني أبو كبشة السلولي، أبو سلمة عبد الرحمن، سليمان بن يسار، أبو حي المؤذن، أبو عامر. معرفة الصحابة أبو نعيم الأصبهاني تحقيق: عادل بن يوسف العزازي / 501، د / ط / د / ت - ط، دار الوطن للنشر.

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

حين يدخلون الجنة؟ قال: زيادة كبد التّون. قال: فما غذائهم على إثرها؟. قال: ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها؟ قال: فما شراهم عليه؟. قال: من عين فيها تسمى سلسبيلا. قال صدقت: جئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلّا نبي، أو رجل أو رجلان. قال: ينفعك إن حدثتكَ؟ قال أسمع بأذني.

قال: جئت أسألك عن الولد؟. قال: ماء الرّجل أبيض، وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا منيّ الرجل منيّ المرأة ذكرا بإذن الله، وإن علا منيّ المرأة منيّ أنثا بإذن الله. قال اليهودي: لقد صدقت وإنتك لني ثم انصرف¹.

هذه إذا بعض الأدلة الشّاهدة على برّ ورحمة الحبيب صلى الله عليه وسلم بأعدائه، وكذا تعاونه معهم في المجال التجاري والاقتصادي راسماً بذلك القواعد الصّحيحة للمسلم في عصرنا الحاضر عند تعامله مع غيره في شؤون الدنيوية.

ولا ننسى عبقرية تواصله وحواره مع أصحاب الديانات الأخرى، لينير الطّريق لكلّ داعية مسلم أراد الخير والهداية لغيره، دون إكراههم على اعتناق دينه.

وستتعرف على عبقرية الفدّة في تعاونه السياسي مع أعدائه، عسى أن يسترشد بها من تولّى شؤون الأمة الإسلاميّة في المجال التعاون الدبلوماسي، والتواصل الخارجي!

المطلب الثالث

التعاون السياسي الحضاري من خلال السيرة النبوية الشريفة

لم يخل الشّرع الإسلامي من إبراز أهميّة التمثيل الدبلوماسي على أنّه أحد الوسائل الأساسيّة للتواصل بين الشعوب فالنّظام الداخلي في خطوطه العريضة لدولة الإسلام قد وضع مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابته كتاب المواعدة بينه وبين اليهود والمشركين.

¹ - صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب بيان صفة الرّجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما، رقم الحديث/ 315، / 1 /

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

أما التعامل الدبلوماسي الخارجي للدولة الإسلامية في عهد الحبيب صلى الله عليه وسلم فقد أصل وُرخ له لأول مرة بمعاهدة صلح الحديبية لتبدأ بعوث ورسائل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى زعماء وملوك البلاد المجاورة للدولة الإسلامية أنا ذلك.

في هذا المطلب إذا سنتناول بالتفصيل أولاً: صلح الحديبية بداية الفتح المبين لمقصد التعاون الحضاري المثمر لدولة الحبيب صلى الله عليه وسلم، ثم نتحدث ثانياً: عن رسائله وبعوثه إلى الملوك "مقصد حضاري لصلاح العالمين"

الفرع الأول: صلح الحديبية بداية الفتح المبين لمقصد التعاون السياسي الحضاري المثمر

أولاً: أحداث صلح الحديبية: خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - قاصداً مكة في ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه، وهو يخشى من قريش الذي صنعوا أن يعرضوا له بحرب أو يصدّوه عن البيت، فأبطأ عليه كثير من الأعراب، وتخاذلوا عنه وتعلّلوا بشتّى الأعذار الكاذبة وهابوا قريشاً بالمدينة وقالوا: أنذهب إلى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فنقاتلهم، وتعلّلوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم.

وأحرم النبي صلى الله عليه وسلم بالعمرة، ليعلم الناس أنه خرج إلى مكة زائراً للبيت ومعظماً له، وساق معه الهدى سبعين بدنة، ومضى إلى مكة ومعه ألف وأربعمائة أو أكثر من أصحابه، وهم يشعرون بالعمّة والقوّة، وإنه لمن عظيم الثقة بالله أن يذهب الرسول صلى الله عليه وسلم ويواجه قريشاً في عقر دارها بهذا العدد القليل، والحرب لا زالت قائمة بين الفريقين وقريش لم تنس بعد غزوها للمدينة بعشرة آلاف من الأحزاب، علاوة على عدم تهيؤ المسلمين للقتال وعدم أخذهم للسلاح، فقد خرجوا لا يحملون معهم منه إلا السيوف في القرب.¹

أ - موقف قريش من المسلمين:

ذعرت قريش لهذا الزحف المباغت، وفكرت جادة في إبعاده عن مكة مهما كلفها من مغارم، وذلك أنّها نظرت إلى الأمر من زاوية ضيقة فرأت أنّ مهابتها ستزعج من أفئدة الناس قاطبة إذا دخل المسلمون بلدهم هذا على هذا النحو ووقع من حروب طاحنة.

¹ - السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة، دراسة تحليلية، مهدي رزق الله أحمد، / 481 أنظر: سيرة ابن هشام، 255/3 - 266. مغازي رسول الله، الواقدي، / 307-312، زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم الجوزية / 427 - 439

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

غير أنّ قريش تعرف حرج موقفها إن نشب قتال جديد فيه أمام نفسها وأحلافها داحضة، وقد ينتهي بكارثة تؤدي بكيانها كلّ، ولهذا سيرت الوسطاء يفاوضون محمداً عليهم ينتهون معه إلى مخلص من هذه الورطة.¹

وقد روى الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لما أحرم بالعمرة [بعث عينا له من خزاعة وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان بغدير الأشطاط أتاه عينه وقال: أن قريشا جمعوا لك جمعوا، وقد جمعوا لك

الأحابيش، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك].²

فأبدى الرسول صلى الله عليه وسلم استعدادة للمواجهة أمام تعنت قريش، وأراد أن يشدّ من عزيمة أصحابه، ويشير الحمية الدينية في نفوسهم، ليتجاوز بهم مرحلة الخوف والضعف، فاستشارهم في مهاجمة ومقاتلة من صدهم عن البيت كما روى الإمام البخاري في صحيحه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: [أشيروا أيها الناس علي، أترون أن أميل إلى عيالم وذراي هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت، فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عينا من المشركين، وإلا تركناهم محروبين]. قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد، ولا حرب أحد، فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه. قال: [امضوا على اسم الله].³

بذلك يتبين عزم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين على المضي نحو غايتهم، وهي زيارة البيت العتيق، وأنهم مستعدون للصدام إذا ما ألبأهم قريش إلى ذلك بإصرارها على منعهم من دخول الحرم.

وأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يثبت لقريش أنه لم يقدم لحربهم، فعدل عن طريق مواجهتهم، ليعرفوا حقيقة قصده في المودعة وتأمين الناس وحقناً للدماء أن تسال، فسلك طريقاً وعرّاً بين الشّعب، أفضى بجيش المسلمين إلى الحديبية ورأى هنالك خالد بن الوليد رضي الله عنه -ولم يسلم بعد- غبار الجيش فانطلق لينذر قريشاً اقترباً المسلمين من مكة. روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: [أنّ المسلمين لما كانوا ببعض الطريق، قال النبي صلى الله عليه وسلم إنّ خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نديراً لقريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها، بركت به راحلته، فقال الناس: حلّ حلّ، فألحّ قالوا: خلأت القصواء

¹ - فقه السيرة، محمد الغزالي، / 358.

² - صحيح البخاري، كتاب المغازي، 4 / 1531 - 1532 باب غزوة الحديبية رقم الحديث / 3944.

³ - صحيح البخاري، كتاب المغازي، 4 / 1531 - 1532 باب غزوة الحديبية رقم الحديث / 3944. صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب صلح الحديبية في الحديبية / 903، رقم الحديث 1783.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهي

خالات القصواء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: [ما خالات القصواء وما ذاك لها بخلق، لكن حبسها حابس الفيل].¹

وهنا ظهر حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعظيم حرمة الله، وترك القتال في الحرم، وحقن الدماء أن تسفك في الشهر الحرام فأعلن استعدادده للتفاوض مع قريش، والمواقفة في سبيل ذلك إلى أبعد الحدود، فقال صلى الله عليه وسلم: [والذي نفسي بيده، لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمة الله إلا أعطيتهم إياها].²

ثم عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديبية، فقامت قريش بإرسال عدّة رسل لمفاوضة رسول الله عليه أزكى

الصلاة وسلام³ من بينهم بُدَيْل بن وَرْقَاء الخزاعي.⁴

وبينما هم كذلك، جاءهم بُدَيْل بن وَرْقَاء الخزاعي رضى الله عنه-وذلك قبل إسلامه-، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن تصميم قريش على صدهم عن البيت ومقاتلتهم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:

¹ - صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابة الشروط، رقم الحديث 2732-2731 / 669-670.

² - المصدر نفسه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابة الشروط، رقم الحديث 2731-2732 / 670.

³ - صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر -p-، محمد بن صامل السلمي - عبد الرحمن بن جميل قصاص - سعد بن موسى الموسى - خالد بن محمد الغيث / 234، ط / 1، ت - ط / 1431 - 2010، مكتبة روائع المملكة، جدّة - المملكة العربية السعودية.

⁴ - هو ابن عمرو بن ربيعة بن عبد العزى بن ربيعة بن جزى بن عامر بن مازن الخزاعي تقدّم إسلامه، ومات قبل النبي -p- وكان له بنون عبد الله، وعبد الرحمن، وعثمان، وسلمة قتل واحد بصقّين، وآخر بالجمل، وأدرك أولاده النبي p. معرفة الصحابة أبو نعيم الأصبهاني، / 421

ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني / 136 ط / 1، ت - ط / 1433 - 2012 المكتبة العصرية صيدا- بيروت.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

[إنا لم نجيء لقتال أحد، ولكننا جئنا معتمرين وإن قريشاً قد هكثتهم الحرب، وأضررت بهم، فإن شاؤوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده، لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينفذن الله أمره].¹

وهكذا سيرت قريش مفاوضين عنها للرسول صلى الله عليه وسلم كان آخرهم سهيل بن عمرو.

ب - والصلح خير: استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاوض قريش، وهو أرغب ما يكون في موادعة القوم وإن كان قادراً على تحكيم السيف، وإنزاله على منطقتهم الذي آثروه مذ صدوه عن البيت، وتكلم سهيل فأطال عرض الشروط التي يتم على نطاقها الصلح ووافق عليها النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يبق إلا أن تسجل في وثيقة يمضيها الفريقان² هذا نصها:

[اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل: أما الرحمن، فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب: باسمك اللهم. فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اكتب: باسمك اللهم. ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله. فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك ولكن اكتب: محمد بن عبد الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: والله إنني لرسول الله، وإن كذبتموني، اكتب: محمد بن عبد الله...]³. وافق النبي صلى الله عليه وسلم على هذا الاعتراض.

عن البراء بن عازب⁴ رضي الله عنهما قال: [صالح النبي صلى الله عليه وسلم المشركين يوم الحديبية على ثلاثة أشياء على أن من أتاه من المشركين ردّه إليهم ومن أتاهم من المسلمين لم يردّوه وعلى أن يدخلها من قابل

¹ - صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، 2 / 975، رقم الحديث / 2581-2582.

² - فقه السيرة، محمد الغزالي، / 358 - 359.

³ - صحيح البخاري كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابة الشروط، 2 / 669-670 رقم الحديث / 2731-2732.

⁴ - يكتي أبا عمارة ردّه رسول الله - عن بدر وأحد لضعف سنّه، وأول الخندق وقيل أحد غزا مع الرسول ﷺ بني داراً بالكوفة أيام مصعب فنزلها ثمّ رجع إلى المدينة، وهو البراء بن عازب بن حارث ابن عمرو بن مالك بن أوس توفى زمن مصعب بن الزبير. معرفة الصحابة، أبو نعيم الأصبهاني، / 384. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، / 138.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

ويقيم بها ثلاثة أيام ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه فجاء أبو جندل¹ يحجل في قيوده فردّه إليهم قال أبو عبد الله لم يذكر مؤمل عن سفيان أبا جندل وقال إلا يجلب السلاح².

ثانياً: صلح الحديبية بداية الفتح المبين للتعاون الحضاري الإنساني

إن أصدق تصوير لصلح الحديبية وأفضل تعبير لها، هو ما اختاره لها رب العالمين **قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾** [الفتح/1].

هذا الفتح المبين يكشف عن مقاصد شرعية أراد الحبيب صلى الله عليه وسلم أن يلقنها لحكام المسلمين من بعده وهم يتعاملون ويتعاونون في الشؤون السياسية الخارجية مع قوى دول أخرى في حالة الحرب. فما أعظمه من فتح عظيم عاد على المسلمين في عهد الدولة الأولى بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخير العميم.

من أهمّ دلالات ومقاصد صلح الحديبية "الفتح المبين التطبيق المقاصدي لقاعدة فقه المآلات:

أ - صلح الحديبية تطبيق عملي لقاعدة فقه المآلات: من أعظم دلالات ومقاصد صلح الحديبية قاعدة أصيلة أصلها النبي صلى الله عليه وسلم للأمة إلى يوم القيامة إنها قاعدة "اعتبار المآلات" وما يترتب على هذه القاعدة من مصالح للأمة الإسلامية والعالم أجمع، فقد طلبت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم مطالب هي في نظر أغلب الصحابة ظالمة ومجحفة أن يححو "بسم الله" و "محمد رسول الله"، وألاً يدخل مكة، و من جاء مسلماً دون إذن وليه يرده ومن ارتد عن الدين الإسلامي فلا ترده قريش فقبل صلى الله عليه وسلم ورضي وهذا الذي يجب أن يفقهه كل من يدعو إلى الله لا ينتصر لنفسه المهم أين مصلحة الإسلام ومصلحة الأمة، وأن العاقل يقبل بالمرحلية في حياته، ويؤمن بالواقع الذي يعيشه .

واعتباراً لفقه المآلات وضرورة النظر في عواقب الأمور يعلم النبي صلى الله عليه وسلم كيف تحقق النصر وما تريد بأقلّ الخسائر بل بدون خسائر أحياناً، فقد حقن دماء المسلمين عندما غير طريقه واختار طريقاً وعراً

¹ - وبعد الانتهاء من كتابة وثيقة الصلح والمعاهدة جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو . رضي الله عنه . وهو في قيوده هارباً من المشركين في مكة فقام إليه أبوه . سهيل . فضربه في وجهه وقال: هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إلي، فأعاده النبي . p . للمشركين، فقال أبو جندل: يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنونني في ديني؟!، فقال له النبي p: إنا عقدنا بيننا وبين القوم عهداً وإنا لا نغدر بهم ثم طمأنه النبي . p . قائلاً يا أبا جندل اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك فرجاً ومخرجاً .

وفي أعقاب صلح الحديبية وعودة النبي p . إلى المدينة، استطاع أبو بصير أن يفر بدينه من التعذيب في سجون قريش في مكة المكرمة فبعثت قريش اثنين من رجالها إلى النبي . p . ليعودا به تنفيذاً لشروط المعاهدة . ينظر: صحيح البخاري، كتاب الشروط باب في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابه الشروط، 2 / 974-977، رقم الحديث / 2581 - 2582

² - فتح الباري بشرح صحيح البخاري باب الصلح مع المشركين، رقم الحديث 2700، أبو حجر العسقلاني، 2 / 1339 .

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

حماية للدماء والتفوس التي تهدر الآن بغير وعي بسبب أخطاء بعض الأفراد الذين يستعجلون النتائج، ولا يعلم هؤلاء أن كون الله يسير بقوانين ربّانية.¹

ب - التطبيق العملي لمقصد السلام العالمي في السنة النبوية الشريفة: من أعظم المواقف العمليّة لمقصد السلام العالمي في سيرة حبيبنا صلى الله عليه وسلم، صلح الحديبية، لقد أعلن الرسول عليه أركى الصلّاة والسّلام ذلك بقوله: [والذي نفسي بيده لو سألوني - أي قريش - خطة يعظمون فيها حرّات الله إلّا أعطيتهم إيّاها].²

وحرّات الله هي ولا شك تتعلّق بأمن النّاس ودمائهم وسائر حقوقهم فعلى هذا المبدأ بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مصالحته لقريش حين قال لبديل بن ورقة في تتمّة الحديث السابق لما بلغه أنّ قريشا مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال صلى الله عليه وسلم: [وإنّا لم نجئ لقتال أحد ولكنّا جئنا معتمرين، وإنّ قريشا قد نكحتهم الحرب وأضرتّ بهم فإن شاؤوا ماددّتهم مدّة ويخلّو بيني وبين النّاس].³

إنّ هذه القيم الإنسانية العليا من تعظيم حرّات الله، وإقرار السّلام وحقن الدّماء، وحرية الدّعوة، وحرية العبادة من خلال صلح الحديبية، هي التي بنت الدبلوماسية الخارجية لحضارة الإسلام الأولى وعلى أساس منطلقاتها كان التّفاعل والتّعارف والتّعاون الحضاري بين شعوب العالم.

هنا نقف وقفة إجلال مع الفقه التّبوي في كيفية التّعامل الحضاري الإنساني حتى في مرحلة العداء مع من يخالفوه عقيدة، ليثمر هذا التّعامل نتائج لم يكن أحد من المسلمين يتوقّعها يومذاك من هذه النتائج:

ج - اعتراف قريش بالمسلمين كقوة ودولة تعاهدها: من أعظم ثمرات صلح الحديبية هذا الاعتراف من قريش أعظم قبيلة عربية فهذا يعتبر الميلاّد الرسمي لدولة الإسلام في الجزيرة العربيّة، وبعد هذا الاعتراف من قريش بدأت معظم القبائل الموجودة في المنطقة تعترف بالمسلمين، بل بدأت الدول المجاورة تعترف بالمسلمين كدولة فهذا من أعظم ثمرات الصلح، وكل الآثار التي سوف تأتي بعد ذلك مترتبة على كون المسلمين أصبحوا حقيقة معترف بها في المنطقة.⁴

د - انتشار الإسلام في الجزيرة العربيّة: أعطت الهدنة فرصة لنشر الإسلام وتعريف النّاس به ممّا أدّى إلى دخول كثير من القبائل فيه يقول الإمام الزهري: فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنّما كان القتال

¹ - صلح الحديبية وفقه المآلات، د خالد راتب، <http://www.alukah.net/sharia/0/60573>

² - صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابة الشروط، / 670.

³ - المصدر نفسه، / 670. ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام، / 3، / 258.

⁴ - السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، علي محمد الصّلابي، ص 683-384، ط 7، ت ط / 1429 / 2008

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهي

حيث التقى الناس، فلمّا كانت الهدنة ووضعت الحرب، وأمن الناس بعضهم بعضا والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر.

وعقّب عليه ابن هشام بقوله: «والدليل على قول الزهري: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة في قول جابر بن عبد الله، ثمّ خرج عام فتح مكّة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف».¹

1- أمن المسلمون جانب قريش فحوّلوا ثقلهم إلى اليهود ومن كان يناوئهم من القبائل الأخرى فكانت غزوة خيبر بعد صلح الحديبية.

2- مفاوضات الصلح جعلت حلفاء قريش يفقهون موقف المسلمين ويميلون إليه، فهذا الحليس بن علقمة عندما رأى المسلمين يلبّون رجع إلى أصحابه. قال لقد رأيت البدن قلّدت وأشعرت، فما أرى أن يصدّوا عن البيت.

3- كان صلح الحديبية سببا ومقدّمة لفتح مكّة يقول ابن القيم: «كانت الهدنة مقدّمة بين يدي الفتح الأعظم الذي أعزّ الله به رسوله، ودخل الناس في دين الله أفواجا، فكانت هذه الهدنة بابا له ومفتاحا ومؤدّنا بين يديه، وهذه عادة الله في الأمور العظام التي يقضيها قدرا وشرعا أن يوطّئ لها بين يديها بمقدّمات وتوطيئات تؤذّن لها وتدلّ عليها».²

ساعد صلح الحديبية النبي صلى الله عليه وسلم على إرسال رسائل إلى ملوك الفرس والروم، والقبط يدعوهم للإسلام.

الفرع الثاني: السفراء في عهد صلى الله عليه وسلم دليل على تعامله مع الآخرين فيما يخدم خير

البشرية

قلنا في النقطة الأخيرة عند ذكر أهم ثمار ونتائج صلح الحديبية أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية كتب إلى ملوك الأرض وأرسل رسله إليهم، وقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأساس، وفهمه منه صحابته الكرام بأنّ مهمة الهداية لا تنحصر في قوم أو شعب؛ بل يجب أن تبلغ الآفاق ونجد اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بالسفراء إلى ملوك الأرض أنه قد أرسل ثمانية وأربعين سفيرا

أولا: بعض النماذج من رسائله صلى الله عليه وسلم إلى ملوك العالم في ذلك العصر

¹ - السيرة النبوية، ابن هشام، 3 / 268 - 269.

² - زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية، / 238.

أ - رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ملك الحبشة مع السفير الصحابي الجليل عمرو بن أمية الضمري¹ هذا نصها: [بسم الله الرحمن الرحيم، إلى النجاشي ملك الحبشة، أسلم أنت، فيني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، الملك القدوس، السلام المؤمن، المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت منه، فخلقه من روحه، ونفخه كما خلق آدم بيده، وأني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاتة عن طاعته، وأن تتبني وتؤمن بالذي جاءني فيني رسول الله، وأني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى]².

ب - رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم مع دحية الكلبي³: [بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد: فيني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون].⁴

¹ - عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس بن عبد الله بن إياس بن عبد الله ناشرة بن كعب بن حدي بن ضمرة بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمه بن مدركة بن إلياس بن مضر يكتي أبا أمية بعثه الرسول ﷺ وحده عيناً على قريش وبعثه وكيلاً - ورسولاً على النجاشي فعقد له على أم حبيبة بنت أبي سفيان مهاجري قدم الإسلام من مهاجرة الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة، حليف قريش، حديثه عند أولاده جعفر والفضل وابن أخيه الزبير بن عبد الله. توفي في أيام معاوية قبل الستين وآخر مشهد شهدته بقر معاوية. معرفة الصحابة، أبو نعيم الأصبهاني، / 1993.

² - زاد الميعاد في هدي خير العباد، ان القيم الجوزية، / 581. أنظر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة محمد حميد الله، / 102-107، ط/ 5، ت ط / 1405 - 1985، دار النفائس، بيروت - لبنان.

³ - دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة ابن امرئ القيس بن الخزرج ابن عامر بن بكر بن عامر الأكبر الكلبي، صحابي مشهور أول مشاهدته الخندق وقيل أحد، ولم يشهد بدرأ، وكان يضرب به المثل في حسن الصورة، وكان جبريل عليه السلام ينزل بصورته جاء ذلك في حديث أم سلمة، وفي حديث عائشة. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، / 427.

⁴ - صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى إسلام والنبوة، وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله وقوله تعالى " ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب... " إلى آخر الآية [آل عمران / 79]. رقم الحديث 2941 / 726 أنظر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، / 108-123.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهي

ج - رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى عظيم فارس مع عبد الله بن حذافة السهمي¹: [بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من أتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله، فيأتي أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين فأسلم تسلم، فإن أبيت فإنّ إثم المحوس عليك].²

د - رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط مع حاطب ابن أبي بلتعة³: [بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من أتبع الهدى، أمّا بعد فيأتي أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم أسلم يؤتكَ الله أجرك مرتين، فإن تولّيت فإنّ عليك إثم القبط، و يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتّخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون].⁴

ثانياً: وجه الدلالة من هذه الرسائل على تعامل الحبيب مع صلى الله عليه وسلم من يخالفوه تعاملًا

حضارياً

أ- يلاحظ في رسائل - صلى الله عليه وسلم - للملوك فوارق دقيقة مؤسسة على حكمة الدعوة روعي فيها ما يمتاز به هؤلاء الملوك في العقائد التي يدينون بها، والخلفيات التي يمتازون بها، فلما كان هرقل والمقوقس يدينان بألوهية المسيح كلياً أو جزئياً، وكونه ابن الله، جاءت في الكتاب الذي وجّه إلي هرقل كلمة عبد الله مع اسم النبي صلى الله عليه وسلم، فيبتدئ الرسالة بعد التسمية بقوله: من محمد بن عبد الله ورسوله

¹ - عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي أبو حذافة أو أبو حذيفة، أمه تميمية بن حرثان من بني الحارث بن عبد مناة من السابقين الأولين، يقال شهد بدرًا، ولم يذكره موسى بن عقبة ولا ابن إسحاق، ولا غيرها من أصحاب المغازي. قال ابن البرقي: حفظ عليه ثلاثة أحاديث ليست بصحيحة الاتصال. الإصابة في تمييز الصحابة، العسقلاني / 861.

² - زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية، / 581. ينظر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة محمد حميد الله، / 141 - 146.

³ - حاطب ابن أبي بلتعة ابن عمرو بن عمير بن سلمة بن صعّب بن سهل اللّخمي حليف بني أسد بن عبد العزّى يقال إنّه حالف الزبير وقيل كان مولى عبید الله بن حميد بن زهير بن الحارث فكاتبه فأدّى مكاتبته، اتّفقوا على شهوده بدرًا. الإصابة في تمييز الصحابة العسقلاني / 281.

⁴ - زاد المعاد، ابن القيم، / 583. ينظر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، / 137-

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

إلى هرقل عظيم الروم بخلاف ما جاء في كتابه صلى الله عليه وسلم إلى كسرى أبرويز فإكتفى بقوله: من رسول الله إلى عظيم الفرس.

ب- في هذه الرسائل دلالة واضحة على شجاعة الحبيب صلى الله عليه وسلم، وقوة إيمانه وثقته بربه وسرعة تنفيذه للأمور الدينية فإن هؤلاء السفراء الذين خرجوا إلى هؤلاء العظماء والملوك الذين يسيطون نفوذهم على كثير من أنحاء المعمورة في ذلك الزمن يريدون تغيير اتجاههم عما كانوا عليه من الدين، وكان عليه آباؤهم وأجدادهم من قبلهم مع في وثائقهم التي يحملونها من الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وما يتتبع ذلك من إنذار ووعيد إن لم يوافقوا على دخول في الإسلام.

إن في رسائله صلى الله عليه وسلم مناجاة حكيمة من أعظم مناهج الدعوة إلى الإسلام فهو يصدق فيها بالحق، ويعد ويتوعد كل هذا في أسطر قليلة، ومع هذا فإن هذه الأسطر تفي بالمقصود من جميع الجهات.¹ كما نعلم أن الدعوة إلى الله عز وجل مقصد من مقاصد حفظ الدين، ووسيلة من وسائل التواصل والتعاون الحضاري الإنساني.

الفرع الثالث: الإعلان التاريخي عن الوحدة الإنسانية، في حجة الوداع وأهم مقاصده

مأثرة عظيمة هو تصور الوحدة الإنسانية، كان الإنسان موزعاً بين قبائل، وأمم وطبقات بعضها دون بعض وقوميات ضيقة، وكان التفاوت بين هذه الطبقات هائلاً كالتفاوت بين الإنسان والحيوان، وبين الحر والعبد وبين العابد والمعبود، لم تكن هناك فكرة عن الوحدة والمساواة إطلاقاً إلى أن جاء الإعلان المحمدي في خطبة الوداع بعد قرون طويلة من الصمت المطبق والظلام السائد، ذلك الإعلان الثائر المدهش للعقول، المقلب للأوضاع هذا نصه:

أولاً: نص الإعلان التاريخي للوحدة الإنسانية والمساواة البشرية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى].²

ثانياً: أهم المقاصد والدلالات من هذا الإعلان التاريخي

¹ - منهج رسول الله ﷺ في دعوة أهل الكتاب، محمد بن سيدي بن الحبيب الشنقيطي، /253- 254، ط/1، ت - ط / 1413 - 1992، دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة السعودية.

² - سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، محمد ناصر الدين الألباني، 6 / 451، ط / 1، ت - ط / 1416 - 1996، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

أ - هذا الإعلان يتضمّن إعلانين هما الدّعامتان اللتان يقوم عليهما الأمن والسلام في كلّ زمان ومكان، وهما وحدة الرّبوبية ووحدة البشريّة، فالإنسان أخو الإنسان من جهتين، والإنسان أخو الإنسان مرتين مرّة وهي الأساس؛ لأنّ الرب واحد، ومرّة ثانية، لأنّ الأب واحد.¹

ب - بفضل هذا الإعلان التاريخي لمبدأ المساواة الإنسانيّة، أخذت رقعة الباطل تنكمش رويدا رويدا حتّى اختفت الجاهلية ولوثتها². وبنى الإسلام أعظم حضارة قامت على أساس التعاون الإنساني فيما يخدم خير البشرية في الدنيا والآخرة.

ج - لقد حدّد الرسول صلى الله عليه وسلم أساس التفاضل بين النّاس، لا عبرة فيه لجنس أو لون، ولا وطن ولا قوميّة أساس التفاضل فيه، قيمة خلقية راقية ترفع مكانة الإنسان إلى المقامات الرّفيعه جدا، إنّها قيمة التقوى³ من أهمّ دعائم التعاون الحضاري الإنساني.

أنتم مطلب التأصيل الشرعي للتعاون الحضاري إنساني من السنة النبوية الشريفة كما بدأت بكلام رائع للعلامة أبي الحسن الندوي يقول: «لقد غيرت الدنيا بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، بفضل التعاليم السامية كما تغير الطقس وانقلبت الإنسانية من فصل جذب وخريف، وسموم وحميم إلى فصل كلّ ربيع وأزهار، وجنّات تجري من تحتها الأنهار، تغيرت طباع النّاس على طعم جديد لم يألفوه، وذوق لم يجربوه، وهيام لم يعرفوه من قبل. انتعشت القلوب الخاوية الضامرة الباردة الهامدة، بحرارة الإيمان، وقوّة الجنان، استضاءت العقول بنور جديد سكرت النفوس بنشوة جديدة، وخرجت الإنسانية أفواجا تطلب الطريق الصحيح، ومحلّها الرّفيع ... فلا ترى أمة من الأمم، وبلد من البلاد إلّا وهو في سباق في هذا المضمار ويتنافس فيه.

فما ترى العرب والعجم، ومصر والشّام، وتركستان وإيران والعراق وخرسان، وشمالي إفريقيا والأندلس وبلاد الهند، وجزائر شرق الهند، إلّا سكارى هذا الحبّ العلوي والفيض السماوي "إنّه الرحمة المهداة محمد صلى الله عليه وسلم."⁴

¹ - السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي، / 469 - 470.

² - فقه السيرة النبوية، محمد الغزالي، / 499.

³ - السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، على محمد الصلابي، / 876.

⁴ - السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي، / 484 .

المبحث الثاني

مسألة الولاء والبراء وعلاقتها بمقصد التعاون
الحضاري الإنساني

إن الأحكام الشرعية والعقدية التي تضبط العلاقات بين المسلمين وغيرهم عند التعامل معهم واضحة جلية وطريقة معاملتها العادلة مع مخالفيها تزيدها سمو ورفعة.

وتبدو عظمة الشريعة الإسلامية أكثر حين جعلت لغير المسلمين حقا في ممارسة شعائرهم العقائدية وزادتهم فوق ذلك أنها ضمنت لهم حقوقا على المسلمين في تشريعات كثيرة ودعت إلى ضرورة التواصل والتفاعل والتعاون معهم فيما يخدم الإنسانية جمعاء فيظهر لنا عظمة هذا الدين في سماحته واستيعابه لكل البشرية بمختلف عقائدهم ونظرياتهم الفكرية ومدى صالحيته لكل زمان ومكان.

من هنا كان الواجب أن أبين في هذا المبحث المطالب الآتية:

المطلب الأول: حقيقة الولاء والبراء .

المطلب الثاني: علاقة مسألة الولاء والبراء بمقصد التعاون الحضاري الإنساني.

المطلب الأول

حقيقة الولاء والبراء في الشريعة الإسلامية

لما كان التعاون الحضاري الإنساني مع من يخالفنا عقيدة وفكراً، ارتأيت في هذا المطلب أن أوضح أموراً تضبط تعاوننا مع الآخر حتى لا نزيغ عن منهج القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ومقاصدها أثناء تواصلنا وتفاعلنا في شؤون الحياة مع غير المسلمين.

ولما لهذا الأمر من فائدة عظيمة تثير لنا الطريق أكثر عند الحديث عن مقصد التعاون الحضاري الإنساني تنزيلاً على الواقع في الفصول القادمة. سأبين أولاً حقيقة الولاء والبراء ثم أوضح أثرها على مقصد التعاون الحضاري الإنساني.

فتكون عناصر المطلب الآتي كالتالي:

الفرع الأول: الولاء والبراء، مشروعيته، مع محطات تاريخية لواقع تطبيقه

إنّ العقيدة الإسلامية قيم ومبادئ تستقرّ في القلب فتثمر فيه من المفاهيم اليقينية ما يتسق مع تلك المفاهيم ومن أبرز القيم التي لا بدّ أن تثمر في السلوك الحياتية، قضية الولاء والبراء وهي جزء من تحقيق العبودية التي أساسها " لا إله إلا الله " والتي تعني أن يعيش المسلم منقاداً لأمر الله في كلّ شؤون حياته، وأن يقيم فيه منهجه وأن يجمع الناس تحت لوائه وليس من عائق يعيق ذلك سوى عدوان الأعداء وصدّهم عن الإسلام، فكيف يتم لقاء أو محبة من صمّ آذانه عن الإيمان بالله؟!

في هذا الفرع سنتعرف عن معنى الولاء والبراء، مشروعيته من القرآن والسنة والإجماع، لتتعرّف في الأخير عن مدى علاقته بمقصد التعاون الحضاري الإنساني.

أولاً: معنى الولاء والبراء

أ - معنى الولاء في اللغة والاصطلاح:

1- معنى الولاء لغة: الولي: القرب، والوليّ المحبّ والصديق والنصير، والولاء، الملك.¹

- الولي: ضد العدو، والموالاتة ضد المعاداة من وإلى القوم، والموالي: اسم يقع على جماعة كثيرة، فهو الربّ والمالك، والسيد والمنعم، والمعتق، والنصر وغيرها من المعاني التي تقوم على النصرة والمحبّة.²

- الولاية: - بالفتح -، والولاية - بالكسر -: النصرة، يقال: هم على ولاية أي مجتمعون في النصرة.¹

¹ - القاموس المحيط، 3 / 364.

² - لسان العرب، ابن منظور، 3 / 985.

كما في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَنِي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مریم/ 45].

فيكون الوليُّ هنا بمعنى المفعول في حق المطيع، فيقال المؤمن وليُّ الله، أي مطيع له، و ولاءه موالاة وولاء؛ أي تابعه.²

2 - اصطلاحاً: عرّفه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية، المحبة والقرب، والوليُّ القريب... والتصاري بالله حكى عنهم ولم يكذبهم فيه».³

فالولاء إذا هو التقرّب وإظهار الودِّ بالأقوال والأفعال والنوايا، لمن يتّخذة الإنسان وليًّا، فإن كان هذا التقرّب والودِّ مقصوداً به الله ورسوله والمؤمنون، فهي الموالاة الشرعية الواجبة على كلّ مسلم، وإن كان مقصودهم الكفّار والمنافقين على اختلاف أجناسهم، فهي موالاة كفر وردة عن الإسلام.⁴

ب - معنى البراء لغة واصطلاحاً

1 - معنى البراء لغة: البراء بالفتح اسم يطلق على أوّل ليلة من الشهر، سميت بذلك لتبرؤ القمر من الشمس.⁵

وأما برئ، فبمعنى: تَنَزَّهَ وتَبَاعَدَ⁶ فالتباعدُ من الشيء ومزايَلته هو أحدُ أصْلَيْ معنى هذه الكلمة⁷، وبرئ منه أعذر وأنذر لقوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة/ 1].
أي إعدار وإنذار، وبرئ من التبري والتقصي ممّا محاربتة، ومنه برأت من المرض، وبرأت من فلان وتبرأت.⁸

والأصل الثاني هو: الخَلْقُ ومنه اسمه تعالى البارئ. ومن الأصل الأول وهو التباعدُ من الشيء ومزايَلته.

1 - الصحاح، الجوهري، / 1270.

2 - المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي / 258.

3 - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية، تعليق وتحقيق أبو الوفا محمد درويش، مراجعة: فتحي أمين عثمان / 3

4 - مركز تحقيق التراث، د / ط، د / ت - ط.

4 - الموالاة والمعادة في الشريعة الإسلامية لحماس بن عبد الله الجلعود / 28. ينظر أيضاً: كتاب الإيمان للدكتور محمد نعيم ياسين.

5 - الصحاح، الجوهري، / 36.

6 - تهذيب اللغة، محمود بن أحمد الأزهرى، تحقيق إبراهيم الإيباري 15 / 269، د / ط، د / ت - ط دار الكتاب العربي مصر.

7 - مقاييس اللغة لابن فارس، 1 / 236.

8 - مفردات القرآن الكريم، الزاغب الأصفهاني / 38.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

البُرءُ: هو السلامة من المرض، والبراءةُ من العيب والمكروه

والبراءُ: مصدر بَرَّثْتُ¹؛ ولأنَّه مصدر فلا يُجمع ولا يُثنى ولا يؤنَّث، فتقول: رجلٌ بَرَّاءٌ، ورجلان بَرَّاءٌ ورجالٌ بَرَّاءٌ وامرأةٌ بَرَّاءٌ إذا قُلْتَ: بريءٌ، تجمع، وتثنى، وتؤنَّث، فتقول للجمع: بريؤون وبرَّاء بكسر الباء وللمثنى بريئان، وللمؤنَّث بريئة وبريئات.²

يفهم من هذا أنَّ البراء في اللغة يأتي بمعنى التنزّه والابتعاد.

2 - معنى البراء اصطلاحاً: البراء هو بُغْضُ الطواغيت التي تُعبَدُ من دون الله تعالى من الأصنام الماديّة والمعنويّة كالأهواء والآراء، وبُغْضُ الكفر بجميع ملله وأتباعه الكافرين، ومعاداة ذلك كُلِّه.³

من خلال المعنى اللّغوي والمعنى الاصطلاحي نستنتج أنَّ البراء: هو الابتعاد والتنزّه وبغض كل ما يعبد من دون الله، وبغضهم ومعاداتهم.

القادر للعلوم الإسلامية

¹ - المقصور والممدود للفراء، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي / 47، ط / 3، دار المعارف، القاهرة، مصر.

² - تهذيب اللغة للأزهري، 15 / 269.

³ - الولاء والبراء بين السّماحة والغلو، د حاتم بن عارف بن ناصر الشريف، / 6.

ثانيا: محطات تاريخية لواقع تطبيقه:

إنَّ مَا فَطَرَتْ عَلَيْهِ النَّفْسَ الْبَشَرِيَّةَ، مِنْذَ أَنْ خَلَقَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، صِفَةُ الْحَبِّ وَالْبَغْضِ - أَيِ الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ .

فإن استقامت النفس البشرية على منهج الله، أعطت ولاءها لله ورسوله، ثم المؤمنين بهذا الدين.

وإن انحرفت عن منهج الفطرة، وانكست في مفاهيمها وتصوراتها أعطت ولاءها لمخلوقات هزيلة ومفاهيم عنيفة وأعراف ظلمة، فلو نظرنا إلى تاريخ الأمم من الرسل والأنبياء والصالحين قبل الرسالة لبدت لنا تلك الحقيقة ناصعة ظاهرة لا لبس فيها ولا غموض.¹

وهذه الآن محطات مختصرة لعقيدة الولاء والبراء في نفوس الصالحين من الأنبياء والرسل وعباد الله الصادقين وكذا انحراف مفهومها عند من طمس فطرتهم.

أ - الولاء والبراء عند من تشرّبت قلوبهم عقيدة التوحيد لله عزو جل قبل الرسالة الخاتمة:

1 - إبراهيم عليه الصلاة والسلام وليّ الله الحميم: أنبياء الله عز وجل كلهم أولياء الله وأحبّاءه، أعلنوها جهادا بالنفس والولد وبكل غالٍ عقيدة - الولاء والبراء - عليها يدور فلك دعوتهم لله عز وجل، تحمّلوا لأجلها عنت أقوامهم وتجبرهم على الله عزو جل حتى أوصلوها إلينا ناصعة البياض ليلها كنهارها لم ولن يزيغ عن حقيقة تطبيقها إلا هالك.

وإبراهيم عليه السلام من هؤلاء الأنبياء، يعلن بكل صراحة وقوة وحزم عداوته، وبراءته للكفر وأهله واعتزلهم وما يعبدون، وانخيازه إلى الله عز وجل ومولاته فيما حكاه عنه القرآن الكريم² قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَابَتِ إِلَيَّ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۝٥٥﴾ قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمَتَكَ وَأَهْرَجْنِي مَلِيًّا ۝٥٦﴾ قَالَ سَأَلْتُكَ عَلَىٰكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۝٥٧﴾ وَأَعْتَزِلُّكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ۝٥٨﴾ فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۝٥٩﴾ ﴿[مرسم/ 45 - 49].

ما أعظمه من موقف ناطق عن التطبيق العملي لعقيدة الولاء والبراء، من خليل الرحمن، إبراهيم عليه السلام.

¹ - المولاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، 1 / 57.

² - المرجع نفسه، 1 / 57 - 58.

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

2- الولاء والبراء من خلال قصة مؤمن آل فرعون: مؤمن صادق كتم إيمانه بالحق، لفترة من الزمن تجده عند الساعة الخطرة والشدة ييوح بمكنون سرّه، يدافع عن موسى عليه السلام بمنطق الفطرة المؤمنة في حذر ومهارة وقوة وذكاء. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر/ 28].

3 - الولاء والبراء من خلال قصة أهل الكهف: أصحاب الكهف موقف يماثل موقف إبراهيم عليه السلام في عداوة الكفر وأهله، ومفاصلة الكفار مفاصلة تامة، فقد ذكر القرآن الكريم حكاية بعضهم لبعض.¹ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴾ [الكهف/ 16].

«لقد أثر الفتية المؤمنون الإيمان على المادّة، آثروا الآجل على العاجل، آثروا أن يعيشوا فقراء غرباء وهم مؤمنون على أن يعيشوا أغنياء أمراء وهم كافرون، آثروا أن يعيشوا بعيدا عن الوطن والأقارب والأحباب لا حظّ لهم في متعة الحياة، ولدّة العيش، على أن يشركوا بالله، ويرضوا شهواتهم، ويتعاونوا على الإثم والعدوان، لقد فرّوا من مقتضى النفس إلى مقتضى الروح، ومن مقتضى العقل إلى مقتضى الإيمان فتحقّق أنّهم كانوا أعمق عقلا وأبعد نظرا، وأنّ العاقبة للمتقين، لقد فرّوا من الأسباب إلى خالق الأسباب، فلم ينتقلوا من هذا العالم حتّى خضعت لهم الأسباب، وخضعت لهم الحكومة».²

إنّما عقيدة الولاء والبراء تجسدت بأعمق معانيها في قصة أهل الكهف، فكانت العزة والنصرة والتّمكين من الله - عزّو جل - لهؤلاء الفتية المؤمنين.

ب - الولاء والبراء في عصر الجاهلية قبل ظهور الإسلام: في عصر الجاهلية، نجد أنّ مجال التعاون والمحبة العمياء للعشيرة والقرابة سواء كانت على حق أم باطل ظالمة أم مظلومة في انحرافهم ولائهم الاجتماعي.

¹ - الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، 1 / 58.

² - الصراع بين الإيمان والمادية - تأملات في سورة الكهف - أبو الحسن علي الحسيني الندوي، / 63-64، ط 1، ت - ط 1390 - 1971، دار القلم الكويت.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: [إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقراً ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ﴿١٤﴾] [الأنعام / 140]¹

- 1 - المحرافهم في ولاء العباد: فهم يوالون ويعادون من أجل مخلوقات جامدة صماء لا تنفع ولا تضر.
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءِالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ ﴿٣﴾ [الفرقان / 3].
- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ ﴿٧٣﴾ [الحج / 73]

2 - في مجال التعاون والمحبة: نجد الموالاة العمياء للعشيرة والقرابة سواء كانت على حق، أم على باطل ظالمة أم مظلومة وهذا ما عبّر عنه شاعرهم دريد بن الصمة³ بقوله:

وهل أنا إلا من غزوة، إن غوت غويت، وإن ترشد غزوة أرشد.

وقال الشاعر الجاهلي قريظ بن أنيف⁴ أيضاً:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا.

1 - صحيح البخاري، كتاب المناقب، قصة زمر وجهل العرب 3 / 3334، رقم الحديث 1297.

2 - الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية 1 / 60

3 - دريد بن الصمة الجشمي البكري من هوزان شجاع من الأبطال الشعراء المعمرين في الجاهلية كان سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم، وغزا نحو مائة غزوة لم يهزم في واحدة منها، وعاش حتى سقط حاجباه عن عينيه وأدرك الإسلام، ولم يسلم فقتل سنة 8 هـ الموافق ل 630 على دين الجاهلية يوم حنين، وكانت هوزان خرجت لقتال المسلمين فاصطحبت معها تيمنا به وهو أعمى فلما انخرمت جموعها أدركه ربيعة بن ربيع السلمى فقتله له أخبار كثيرة، والصمة لقب أبيه معاوية بن الحارث. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. خير الدين الزركلي، 2 / 339، ط 7 / 7، ت ط / 1986، دار العلم للملايين. بيروت - لبنان.

4 - قريظ بن أنيف العنبري التميمي شاعر جاهلي، في حياته غموض، انفرد معمر بن المثنى برواية خبر عنه خلاصته أن بعض بني شيبان أغاروا عليه وأخذوا ثلاثين بعيرا له، وخذله قومه فاستنجد ببني مازن فهبوا من بني شيبان مائة بعير ودفعوها إليه فقال هذه الأبيات المشهورة والتي أولها:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي بنو اللقيطة من ذهل بني شيبانا.

وهي من عيون الشعر افتتح بها أبو تمام كتابه ديوان الحماسة بمختارات منها. الأعلام، الزركلي، 5 / 195.

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

فما معنى قولهم ذلك؟ أليس هو الولاء الأعمى لمن يستحق، ومن لا يستحق؟

للظالم أو المظلوم على حدّ سواء لقد بقيت تلك المقاييس العوجاء في الولاء والبراء. أحقاباً من الزمن حتى أشرقت عليهم شمس الإسلام بعدالة الملك العلام.¹

ج - الولاء والبراء منطلق دعوة الحبيب صلى الله عليه وسلم:

1 - الولاء والبراء في سيرته صلى الله عليه وسلم في العهد المكيّ: لقد استمرّ العهد المكيّ ثلاثة عشر عاماً، بدءاً من نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد اكتمل له أربعون سنة وحتى هجرته صلى الله عليه وسلم.

خلال هذه الفترة المباركة عليه الصلّاة والسّلام كانت عقيدة الولاء والبراء تتنامى وتتكامل وتظهر جليّة في سيرة نبينا - صلى الله عليه وسلم.

وفيما يلي وقفات تأمل مع بعض أحداث السيرة النبوية في العهد المكيّ توضّح الأسس الراسخة للولاء والبراء قلباً وقالبا اعتقاداً وتطبيقاً منهاجاً ومنطلقاً:²

- الوقفة الأولى مع أول آيات سورة العلق بداية بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم:

يقول السيّد قطب في تفسير لقوله تعالى : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَاقٍ ۝ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾ [العلق / 1 - 5]

بهذا المقطع وضعت قاعدة التصور الإيماني العريضة كلّ أمر، كلّ حركة، كلّ خطوة، كلّ عمل، بسم الله وعلى اسم الله، بسم الله نبدأ، وبسم الله نسير، وإلى الله نتّجه، وإلى الله المصير.³

إنّها آيات كريمات من بدايتها تعبر بكلّ تأملاتها في سياق آياتها عن مدى حبّ الله عز وجل لرسوله - صلى الله عليه وسلم وتتجلّى معاني الحبّ من خلال تعليمه أهميّة الارتباط بخالقه والاتصاف به حتى لا ينشغل عنه بحبّ من لا ينفعه حبّه يتجلّى من خلال تذكيره بحقيقة وجوده في هذا الكون.

¹ - الموالاتة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، 1 / 60 - 61.

² - الولاء والبراء على ضوء سيرة خاتم الأنبياء عليه أفضل الصلاة والسلام، د/ وفاء عبد الباقي شريقي، 8، موقع طريق الإسلام ملف pdf.

³ - في ظلال القرآن، السيّد قطب، 6 / 3935.

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

سورة أنارت آياتها قلب الحبيب صلى الله عليه وسلم بعقيدة الولاء والبراء لله عز وجل منذ الآية الأولى من الوحي "أنته الحب الإلهي العظيم الرؤوف الودود الذي يقابله بالضرورة حب المصطفى صلى الله عليه وسلم منذ بداية البعثة المحمدية.

— الوقفة الثانية رسم القرآن للرسول قواعد الولاء والبراء منذ الفجر الأول للدعوة المحمدية:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الْمَدِينَةُ ۖ قُمْ فَأَنْذِرِي ۚ وَرَبِّكَ فَكَبِّرِي ۚ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرِي ۚ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرِي ۚ وَلَا تَتَّبِعُنَّ

تَسْتَكْبِرِينَ ۚ﴾ [المدثر/1-6].

عن أبي سلمة. قال: أخبرني جابر بن عبد الله، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه "فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري قبل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء فاعد على كرسي بين السماء والأرض، فحشيت منه حتى هويت إلى الأرض فحشيت إلى أهلي فقلت زملوني فذرني فأنزل الله تعالى: يا أيها المدثر. قم فأندري... إلى والرجز فاهجر" قال أبو سلمة: والرجز الأوثان. ثم حمي الوحي وتتابع".¹

إنها قواعد هامة في رسم خطة الدعوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تقوم على الولاء والبراء:

— إنذار لكل مخالف عدو لله، وهذا براء.

— تكبير وتعظيم لله عز وجل، وهذا ولاء.

— تطهير للظاهر بعد تطهير للباطن، وهذا تمايز.

— هجر للأصنام تعبيراً عن بغضها وأهلها، وهذا ولاء.

— تعظيم الله وتوقيره، وصبر وجلد في مواجهة الأعداء، وهذا ولاء.²

— خواتم سورة العلق البراء لأعداء الله عز وجل:

— قَالَ تَعَالَى: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۚ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ۚ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَه لَسَفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۚ

نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۚ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۚ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۚ كَلَّا لَا تَطَّعُهُ وَأَسْجُدْ ۚ وَأَقْتَرِبْ ۚ﴾

[العلق / 13 - 19]

¹ - صحيح البخاري، كتاب الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، 1 / 5 - 6، رقم الحديث/4.

² - الولاء والبراء على ضوء سيرة خاتم الأنبياء عليه أفضل الصلاة والسلام، د / وفاء عبد الباقي شريقي، /10.

هي آيات تغرس في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي نفس كل مؤمن البراء والعداء لأعداء الله. أليس أبو جهل¹ أئودجا لهم؟ أليس حاله حال كل طاغية أظغته مفاتن الدنيا، وأنسته الله عز وجل فحارب دين الله وعباده، وصدّه عن طاعة الله وعبادته، ويأتي الأمر بالبراء وتأكيد الحب والولاء والطاعة لله وحده لا شريك له:

كَأَلَّا لَا تُطَعُّهُ: براء من عدو الله.

وَاسْجُدْ: طاعة وخضوع لله عز وجل.

وَاقْتَرِبْ: ولاء وقرب وحب خالص لله عز وجل.²

وهكذا طوال الفترة المكيّة استمرّ المنهج القرآني يغرس عقيدة الولاء والبراء لله عز وجل لا شريك له بالحجج والبراهين وقصص الأنبياء السابقين، لتقوم دعائم هذا الدين منذ الوهلة الأولى من الدّعوة المحمّدية أن لا إله إلا الله وحده لا شريك الله وأن محمدا عبده ورسوله.

2 - الولاء والبراء في سيرته صلى الله عليه وسلم في العهد المدني:

- الهجرة النبوية التطبيق العملي لعقيدة الولاء والبراء: إن الهجرة بما تحوي من التطبيق العملي للولاء وذلك بهجر ديار الشرك إلى حيث الأمن فالدّعوة إلى دين الله هي أيضا ولاء بما تحويه من تكاتف وعاون أبناء

¹ - قصة إيذاء أبو جهل للرسول ﷺ: قال ابن إسحاق: حدثني رجل من أسلم، كان واعية: أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ عند الصفا فأذاه وشتمه، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه، والتضعيف لأمره؛ فلم يكلمه رسول الله ﷺ ومولاة لعبدالله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة في مسكن لها تسمع ذلك، ثم انصرف عنه فعمد إلى ناد من قريش عند الكعبة، فجلس معهم. فلم يلبث حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه أن أقبل متوشحا قوسه، راجعا من قنص له، وكان صاحب =قنص يرميه ويخرج له، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم، وكان أعز فتى في قريش، وأشد شكيمة .

فلما مر بالمولاة، وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، قالت له: يا أبا عُمارة، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد أنفا من أبي الحكم بن هشام: وجده هاهنا جالسا فأذاه وسبه، وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد ﷺ. أنظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذّهبي تحقيق عمر عبد السلام 1 / 170-171، دار الكتاب العربي، مصر القاهرة.

² - الولاء والبراء على ضوء سيرة خاتم الأنبياء عليه أفضل الصلاة والسلام، د/ وفاء عبد الباقي شريقي، / 9.

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

الأمة الذين جمعتهم عقيدة التوحيد فألفت بين قلوبهم، وأهبت الحماس في نفوسهم فتنافسوا في البذل والجهد لإقامة المجتمع المسلم، وفق توجيهات رسول الله.¹

قد تحققت رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم... فكلنا يذكر ذلك اليوم الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى فيه أصحابه تثقلهم القيود، ويصب عليهم عذابٌ ليس له حدود، فكان يعدهم الهجرة... .

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [قَدْ أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، رَأَيْتُ سَبْحَةَ ذَاتِ نَحْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ وَهُمَا الْحَرَّتَانِ].²

جاءت هذه الرؤيا لتبعث الحياة من جديد لدعاة التوحيد، بعد أن ضاقت مكة بأحلامهم، وارتجت بهم الأرض وهو يريدون تحقيق آمالهم.

ولكن الله تبارك وتعالى كتب لهم مرحلة جديدة من مراحل الدعوة الإسلامية... إنها مرحلة الهجرة النبوية.

إن من أعظم مقاصد الهجرة النبوية ترسيخ عقيدة الولاء والبراء لله عز وجل في نفس الرسول أصحابه حتى جعلها من أسباب الولاية، وتركها ينقض هذه الولاية³، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ [الأنفال/ 72].

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفَعَّلُوهُ

تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ [الأنفال/ 73] «أي: إن لم يُجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين

وقعت الفتنة في الناس وهو التباس الأمر واختلاط المؤمنين بالكافرين، فيقع بين الناس فساد منتشر عريض

طويل».⁴

1 - المرجع نفسه ، / 19.

2 - صحيح البخاري، كتاب الكفالة، باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده، 2 / 803- 804 رقم الحديث 2175.

3 - ينظر التفاصيل أكثر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية - دراسة تحليلية -، مهدي رزق الله أحمد، / 257-316 فقه السيرة محمد الغزالي، / 146 - 194.

4 - تفسير القرآن الكريم، ابن كثير، 4 / 98.

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

لقد رسّخ الحبيب صلى الله عليه وسلم فعقيدة الولاء والبراء قد غرست في نفوس كلّ الذين آمنوا به وبدعوته منذ الوهلة الأولى من قدمه إلى طيبة الطيبة بأساليب شتى عرفت في التاريخ الإسلامي بأسس بناء الدولة الإسلامية تمثلت فيما يأتي:

- **بناء المسجد:** تهفو إليه القلوب، وتسمو فيه عقيدة الولاء، فكان أول عمل قام به - صلى الله عليه وسلم - مركز التّجمّع والتّألف حيث تقام الصّلاة، يعلن من خلالها العبد تجديد الولاء لله عزّ وجل أطراف التّهار، وآناء اللّيل تعلق في جنباته النّداء الكريم " الله أكبر، الله أكبر".

- **المؤاخاة بين المسلمين:** لقد أقام عليه أفضل الصّلاة والسّلام علاقة وثيقة بين أصحابه أسقط من خلالها العصبية الجاهليّة فلا حميّة إلاّ حميّة الإسلام، وأنزل فوارق اللّون والنّسب والوطن.

قال ابن القيم: «آخى الرّسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، آخى بينهم على المساواة، يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام إلى حين غزوة بدر، فلما أنزل الله عزّ وجل قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنفال/ 75] ردّ التّوارث إلى الرّحم دون الأخوة».¹

لقد كانت للمؤاخاة دورها في تكوين مفهوم الأمة الإسلامية، الأمة التي تعيش لأجل عقيدتها، وتلتقي على الحبّ في الله بعيدا عن العصبية الجاهلية.

أمة حبّها لمن ناصر الله ورسوله هو دليل إيمانها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [آية الإيمان حبّ الأنصار، وآية النّفاق بغض الأنصار]².

فهذه الأخوة تكوّن المجتمع المسلم تحت راية " لا إله إلاّ الله، وغذا الولاء والبراء ينظّم المشاعر والسلوك.

لقد كانت هذه المؤاخاة تدريبا عمليّا على الأخوة الإسلامية التي تبعثها العقيدة في نفوس المؤمنين.

- **الوثيقة " دستور الدولة الإسلامية في عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم:** سأقتصر في هذه الموضوع على ذكر بعض البنود التي أقرها الحبيب صلى الله عليه وسلم المتعلقة بتنظيم العلاقة بين المهاجرين والأنصار على أساس عقيدة الولاء هذه أهمّها:

- أنّهم أمة واحدة من دون النّاس.

¹ - زاد الميعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزيّة، ضبط: شعيب أرنؤوط، وعبد القادر أرنؤوط، /351، ط / 1، ت ط / 11430-2009، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

² - صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب حبّ الأنصار من الإيمان، 3 / 1379، رقم الحديث / 3573.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

- أن لا يخالف مؤمن مولى مؤمن من دونه.
 - أن المؤمنين يدا على من بغى عليهم، أو يبغى دسياسة ظلم أو إثم، أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وأن أيديهم عليهم جميعا ولو كان ولد أحدهم.
 - لا يقبل مؤمن مؤمنا في كافر.
 - لا ينصر كافرا على مؤمن.
 - أن ذمة الله واجدة يجير عليهم أديانهم.
 - لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم.
 - أنكم مهما اختلفتم في شيء فإن مردّه إلى الله عزّ وجلّ، وإلى محمد صلى الله عليه وسلم.¹
- إنّها الموالاة التي أعلنها صريحة الحبيب صلى الله عليه وسلم.
- فما أعظمها من وثيقة رسّخت معاني الولاء والبراء من الكفار في أعماق معانيها، وطبّتها الصّحابة من بعده.

يمثل هذا استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبني في المدينة مجتمعاً جديداً أروع وأشرف مجتمع عرفه التاريخ وأن يضع لمشاكل هذا المجتمع حلاً تتنقّس له الإنسانية الصّعداء، بعد أن كانت تعبت في غياهب الزمان.²

فكانت هذه الصّورة الناصعة لعقيدة الولاء والبراء منذ بداية البعثة إلى آخر يوم في حياتهم.

د - الصّحابة رضوان الله عنهم على نهج الحبيب صلى الله عليه وسلم في تطبيق قاعدة الولاء والبراء:

1- بلال بن رباح موقف ناطق بعقيدة الولاء والبراء: إنّه موقف العزة والطاعة، موقف الولاء والبراء من أهل الشرك والكفر سطره التاريخ بأحرف من ذهب للصّحابي الجليل بلال بن رباح هذا ملخصه:

كان بلال بن رباح عبداً، لأميّة بن خلف، عندما سمع بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم، لما كان قريش أكابر يجتمعون عند أميّة يناقشون هذه الدّعوة الجديدة، وهذا الوضع الجديد قرّر أن يذهب إليه ويسمع منه، فلمّا رآه وسمع منه بعض آيات الذكر الحكيم قرّر أن يسلم وجهه لله عزّ وجلّ.

¹ - السيرة النبويّة، إسماعيل بن كثير، تحقيق مصطفى عبد الواحد 2 / 320، ت - ط / 1396 - 1986، دار المعرفة للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت - لبنان.

² - ينظر: اللؤلؤ المكنون في سير النبي المأمون دراسة محقّقة للسيرة النبويّة، موسى بن راشد العازمي 2 / 180، ط / 1، ت - ط 1434 - 2013، دار الصّميعة للنّشر والتّوزيع، المملكة العربيّة السّعوديّة.

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

قد كانت في نفس بلال حاجة إلى الولاء والإخلاص، فصدق النبي صلى الله عليه وسلم خليقاً أن يطمئن إليه، ويشعر بالسكينة في إصغاء إلى قوله، واقتداء بعمله.

فلما علمت قريش بذلك بدأ الابتلاء والامتحان العظيم الذي خرج منه بعلامة متفوقة جداً، حيث بدأ أمية بتعذيبه فكان بجرحه في الصحراء في قمة الحر، ويضع صخوراً على جسده، فيظل بلال يردد نشيده الخالد "أحد، أحد، أحد".¹

ليعلم البشرية درساً في الثبات وقوة الإيمان، وعلو الروح، فسيادة الضمير وحرية لا يباعان بماء الأرض ذهباً، وظل هذا الوضع إلى أن جاء أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - ليترجم عملياً معاني قوله صلى الله عليه وسلم: [تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاهِمِهِمْ وَتَوَادِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى].²

قد كان بلال أول عبدٍ قيمٍ أعتقه أبو بكر فأرسله عتيقاً لوجه الله

فيقر لنا سيدنا بلال رضى الله عنه قاعدة أصيلة في الولاء والبراء لله عز وجل قولاً وفعلاً.

ويقر لنا سيدنا أبو بكر رضى الله عنه وأرضاه أيضاً حقيقة الولاء والبراء لله عز وجل، ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولعباده المؤمنين قولاً وفعلاً.

« وعاش بلال رضى الله عنه بجانب الحبيب صلى الله عليه وسلم، فوصل إلى درجة عالية عند الله عز وجل، حتى أن النبي سمع وقع نعليه في الجنة.

بالإضافة أنه نال شرفاً أنه كان أول مؤذن في الإسلام، بل في الدنيا كلها، كما نال شرفاً أنه كان أول من صعد على الكعبة المشرفة يوم فتح مكة، وأذن، وبعد وفاة الحبيب صلى الله عليه وسلم لم يطق البقاء في المدينة فذهب إلى الشام عاش مجاهداً عابداً، إلى أن توفي رضى الله عنه، وعند لحظة الوفاة، صارت زوجته تبكي وتقول: «واحزننا فيقول لها: وفرحاه وفرحاه غدا ألقى الأحبة ومحمداً وصحبه».³

¹ - داعي السماء بلال بن رباح مؤذن الرسول، عباس محمود العقاد، / 63، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر

² - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، 5 / 2239، رقم الحديث، 5665. صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، / 1278، رقم الحديث / 2586.

³ - داعي السماء بلال بن رباح مؤذن الرسول، عباس محمود العقاد / 86.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

فما أعظمها من محبة لله عز وجلّ ولرسوله عليه أزكى الصلاة والسلام، وما أعظمها من أخوة إيمانية التي لا تباع ولا تشتري بالبراءة من أهل الشرك والمشركين.

وما أعظمها من قاعدة، وركن ركين في بناء جسد الأمة الإسلامية، وتفاعلها مع الآخرين وفق هذا الضابط القويم لننال شرف السيادة والسعادة في الدنيا والآخرة.

2 - موقف الولاء والبراء في قصة مصعب بن عمير¹ مع أخيه أبي عزيز:

بن وهب أخي بني عبد الدار أن صلى الله عليه وسلم -- حين أقبل بالأسارى فرّقهم بين أصحابه وقال: [استوصوا بهم خيراً] قال: وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم - أخو مصعب بن عمير رضي الله عنه لأبيه وأمه - في الأسارى. قال أبو عزيز: مرّ بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسريني فقال: شدّ يدك به؛ فإنّ أمّه ذات متاع لعلها تفديه منك قال أبو عزيز: فكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدّموا غدائهم وعشاءهم خصّوني بالخبز و أكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها، فأستحي فأردها فيردّها عليّ ما يمسه. ولما قال أخوه مصعب لأبي اليسر - وهو الذي أسره - ما قال، قال له أبو عزيز: يا أخي هذه وصاتك بي؟ فقال له مصعب: إنه أخي دونك

فسألت أمه عن أعلى ما فدي به قرشي فقيل لها: أربعة آلاف درهم فبعثت بأربعة آلاف.²

3 - الربيعي بن عامر³ أنموذج للعزة والولاء والبراء لله ورسوله صلى الله عليه وسلم: يروي ابن كثير أن سعد ابن أبي وقاص¹ قائد جيش المسلمين، أرسل رجلاً اسمه "ربيعي بن عامر" ليفاوض رستم قائد الجيوش الفارسية قبيل

¹ - مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد المناف بن عبد الدار بعثه النبي ﷺ إلى المدينة بعد أن بايع الأنصار البيعة الأولى ليعلمهم القرآن يدعوهم إلى توحيد الله دينه، وكان يدعى المقرئ، وكان من أنعم فتیان قریش عيشاً وألبينهم لباساً، فدعته محبة الله - عزّ وجلّ - إلى مفارقة الدنيا ولذاتها استشهد يوم أحد. معرفة الصحابة، أبو نعيم، / 2556

² - البداية والنهاية، ابن كثير، 5/ 191، تحقيق عبد الله بن الحنّ التركي، ط / 1، ت ط / 1418-1997، دار هجر للنشر والتوزيع مصر، القاهرة.

³ - ربيع بن عامر بن خالد بن عمرو. قال الطبري: "كان عمر أمدّ المثقّى بن حارثة من أشرف العرب، وللتجاشي الشاعر فيه مديح. وقال سيف في الفتوح عن أبي عبيدة كتاب عمر بأن يصرف جند العراق إلى العراق، وعليهم هاشم بن عتبة، وعلى مقدّمته القعقاع بن عمرو وعلى مجنّبه عمير بن مالك، وربيعي بن عامر يقول: أنخنا إليها كوزة بعد كوزة نقصهم حتى احتوتنا المناهلا وله ذكر أيضا في غزوة نهاوند، وكان ممن بنى فسطاطاً أمير تلك الغزوة التّعمان بن مقرن، وولاء بن الأحنف لما فتح خرسان أنظر: الإصابة في معرفة الصحابة، ابن حجر العسقلاني / 453.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

وقعة القادسية. قال: " فدخل عليه، وقد زينوا مجلسه بالتمارق المذهبة والزراي وأظهروا البواقيت واللالئ الثمينة والزراي العظيمة وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب. ودخل عليه ربيعي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط. ثم نزل وربطها ببعض الوسائد وأقبل وعليه سلاحه ودرعه، وبيضته على رأسه. فقالوا له ضع سلاحك فقال: إني لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتوني فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت!" فقال رستم: إئذنوا له فأقبل يتوكأ على رمح فوق النمارق، فحرق عامتها. فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه. فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه. ومن أبي قاتلناه أبدا حتى نفضي إلى موعود الله. قالوا: " وما موعود الله؟" قال: " الجنة لمن مات على قتال من أبي، والظفر لمن يبقى." فقال رستم: " قد سمعت مقاتلتكم، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟" قال: " نعم! كم أحب إليكم، يوم أو يومان؟" قال: " لا، بل حتى نكتب أهل رأي رؤساء قومنا." فقال: " ما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث، فانظر في أمرك وأمرهم. واختاروا واحدة من ثلاث بعد الأجل" فقال: " أسيدهم أنت؟" قال: " لا، ولكن المسلمين كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم." فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال: " هل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل؟" فقالوا: " معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك إلى هذا الكلب. أما ترى إلى ثيابه!" فقال: " ويلكم! لا تنظروا إلى الثياب، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة."²

إنه موقف العزة والإباء، موقف الولاء والبراء في أسمى معانيه، ينتصر فيه الجوهر على المظهر، ثياب رستم وحاشيته الحرير والديباج، لكن الجوهر خواء، وثياب الربيعي بن عامر رضى الله عنهما صفيقة، ولكن القلب والعقل عامر بحب الله عزو وجلّ وحبّ رسوله صلى الله عليه وسلم، وحبّ كلّ من أحبّ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

¹ - هو سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة أمه حمنة بنت سفيان بن أمية، شهد بدا والمشاهد كلها، و ولي الولايات من قبل عمر وعثمان، احد أصحاب الشورى أحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم وما في وجهه شعرة، وهو ابن سبع عشرة سنة كان آخر المهاجرين وفاة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله توفي وهو ابن ثلاث وثمانين سنة في أيام معاوية بن سفيان - ر - فحمل على رقاب الرجال حتى صلي عليه في مسجد الرسول p . معرفة الصحابة، ابن نعيم / 129 - 130.

² - البداية والنهاية، ابن كثير، 9 / 621 - 623.

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

لقد وجد المؤمنون الأوائل عزّهم في الولاء والبراء لله عزّ وجلّ ولرسوله، وبراءهم من أعداء الله، فأحبوا الله أكثر من أنفسهم وأموالهم وأولادهم، ووالديهم.

هكذا كان التطبيق العملي لقوله صلى الله عليه وسلم: [ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم...].¹

فأيّ مضاهاة بين المجتمع الإسلامي السليم الذي من دلائل إيمانه وصحة إسلامه توادّه وتعاطفه وتراحمه، ذلك هو الالتحام الحقيقي بين أفراد الأمة المسلمة، الأمة التي أنشأها الرسول صلى الله عليه وسلم، وتبعه في السهر عليها خلفاؤه الراشدون من بعده فهذا التلاحم قد أورث المسلمون وضعا فذاً فريداً دام مئات السنين، فلا تحلّ نكبة بطرف من أطراف المسلمين إلّا ويفزع المجتمع المسلم لذلك الحدث، ويتألم ويسهر لذلك، ويقدم نفسه وماله ووقته الشيء الكثير، ولم يعرف للراحة طعماً إلّا بزوال النكبة الحاصلة على جزء منه.

براءة ذلك العضو المصاب كما هو شأن الجسد البشري، وهذا التصرف والموقف من أشدّ ما كان يغيظ أعداء الإسلام ويهربهم جميعاً، ذلك أنّهم يجدون أنفسهم في مواجهة قوّة متماسكة تدافع عن الجزء كما تدافع عن الكل.²

و- عقيدة الولاء والبراء في عصرنا الحاضر: إته بعد أن سبق بيان قضية الولاء والبراء في التصور

الإسلامي، ووقفنا على مدى أهمية هذا الموضوع، وبعد سياق تلك الأمثلة المشرفة من تاريخ الصدر الأول من هذه الأمة: لا بد أن نقف عند وضع المسلمين في العصر الحاضر، لنرى أين يقف المسلمون اليوم من هذه القضية وما مدى التزامهم بها أو تخليهم عنها؟ وما الذي حل بهم؟ وهل هناك مبررات لتغيير هذا الواقع المؤلم؟

إنّ صفة الجسد الواحد في عقيدة الولاء والبراء أصابها الضعف والوهن عند قلة قليلة من المسلمين وماتت تماماً عند بعضهم وذلك حين أصيب هذه الأمة بالشلل المزمن، نتيجة جرعات من وسائل التخدير حقنها الأعداء في جسمها أدّى إلى فقدان الإحساس لديها، بما يعانیه أفرادها من ويلات ونكبات، لقد تمّ ذلك بمكر خبيث، وخطّة مرسومة من أعداء الإسلام، اتفق في تنفيذها علينا كلّ من الشرق والغرب، وذلك لما تتمتع به بلاد المسلمين من كونها منبع الرسالة الخالدة، وتحتوي على أهمّ مصادر الثروة في العالم، ولا يتسنى لهم الحصول على ذلك إلّا بزور أسباب الفرقة بين المسلمين، وإضعاف روح المواولة بينهم.³

¹ - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، 5 / 2239، رقم الحديث، 5665. صحيح مسلم كتاب البرّ

والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، / 1278، رقم الحديث / 2586.

² - المواولة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، محماس بن عبد الله، بن محمد بن الجلعود، 1 / 62 - 62.

³ - المرجع السابق، 1 / 63.

1 - يصور الشيخ محمد الغزالي واقع الولاء والبراء في عصرنا الحاضر بقوله: «كان هدف الاستعمار تكوين جيل يستحي من الانتساب للإسلام، ويكره أن يرى وهو يقوم بشيء من شعائره، خصوصاً بين المثقفين الك الواحد من هؤلاء يحب أن يراه الناس خارجاً من حانة، ولا يجب أن يروه خارجاً من مسجد ومن السهل عليه أن يوصف بأنه زنى بعشر نسوة، لكن وجهه يسود لو قيل: متزوج من اثنتين أما أن يفكر في تلاوة آيات من القرآن أو يرجع إلى شيء من سنة رسول الله فذلك ما لا يخطر له ببال بار! والطبقات التي تهيأ للحكم والنفوذ»¹.

لقد صار الولاء والبراء في الأمة الإسلامية تحكّمه المصلحة الشخصية، وأصبح أفرادها من المسلمين يوالون الدولة أو الحزب الحاكم، أو الشخص الحاكم موالاة عمياء.

فتشرذموا إلى فئات وأعضاء ممزقة، أصبحت تننّ من الألم، دون أن يشعر به الآخر.

- فئة مشغولة بما لها ومنصبها وجاهها: عن الموالاة لله والمعاداة فيه، فصارت من أجل هذه الأشياء توالي وتعادي وكم رأينا ولا نزال من الإحن والخصومات والعدوات بين ذوي القربى من أجل حطام الدنيا ومتاعها الفاني.

- فئة موالية لأهل الرذائل، ومعادية لأهل الفضائل: وهي فئة تعبد الأهواء والشهوات، فهي توالي كل من يوصلها إلى المرأة المبتذلة، والأصوات الماجنة.

- فئة أشدّ خطورة من هذه وتلك: أولئك الذين اتّخذوا من الرياضة إلها لهم من دون الله، فعليها يوالون ومن أجلها يعادون فقد أحبّها البعض أكثر من حبّه لله ورسوله ومؤمنين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة / 165].

لقد حوّل أعداء الإسلام قضية الولاء والبراء عن مسارها الصحيح إلى مسار تافه هزيل فقد أفرغت قلوب الأجيال - إلا من عصم الله - من حبّ الله ورسوله، وحبّ أصحابه والتابعين لهم بإحسان، ومن حب العلماء وكتب العلم، وحب القوّة وأسبابها الحقيقية، إلى أعداء الله، وما يخدم أعداء الله قول تافه.

¹ - كفاح دين، محمد الغزالي، / 144، ط / 1، ت - ط / 1411 - 1991، دار وهبة للنشر والتوزيع القاهرة، مصر

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

إنّ الواجب علينا إذا كنّا مسلمين صادقين، أن نرجع إلى كتاب الله عزّ وجلّ وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأن نضع الخطط التي تتفق مع أهداف ديننا وطموحات أمتنا، وأن توالي وتعادي وفق مفهوم الإسلام وتصوّره الصحيح بدلا من الولاء والبراء على سراب بقية يحسبه الضمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا.

فهل يستيقظ التائمون، ويتبته الغافلون، والمخدوعون من هذه الأمة أم¹ **قَالَ تَعَالَى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾** [الحجر/ 72].

المطلب الثاني

مشروعية الولاء والبراء، وعلاقته بمسألة مقصد التعاون الحضاري الإنساني

وردت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تؤصّل للولاء والبراء، وتؤكد أهميته وتبين حدوده من هذه الأدلة:

الفرع الأول: أدلة الولاء والبراء من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

أولا- من القرآن الكريم:

أ - **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾** [البقرة/ 109]

¹ - الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، 1 / 67.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

- وجه الاستدلال: في الآية الكريمة بيان من الله عز وجل لما تكنه قلوب أهل الكتاب من طوية خسيصة وحسد بغيض تجاه الإسلام والمسلمين، فاضت به ألسنتهم، وانبعثت به دسائسهم في الماضي والحاضر وما تزال تلك صفتهم لا تتغير ولذلك تبهنا الله عز وجل إلى أخذ الحذر منهم وعدم الاغترار بمعسول الألفاظ التي لا تسمن ولا تغني من جوع، وهم من مكرهم بنا يتظاهرون بالصدّاقة التي تجرنا إلى موالاتهم ومتابعتهم فتحصل الردة عن الحق إلى الضلال، وهذا هو أهمّ مبتغاهم وما يودّونه من كلّ مسلم.¹

ب- قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ٥٥ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ٥٦ ﴾ [المائدة/ 55 - 56].

- وجه الاستدلال: يَحْتُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَوَالَاةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ وَيُسَاعِدُونَ الْمُحْتَاجِينَ مِنَ الضَّعْفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَهُمْ دَائِمُونَ الرَّكُوعِ لِلَّهِ. وَكُلُّ مَنْ رَضِيَ بِمَوَالَاةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ هُوَ مُفْلِحٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهُوَ مَنْصُورٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِأَنَّهُ يَكُونُ فِي حِزْبِ اللَّهِ، وَحِزْبِ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ، وَلَا يُغْلَبُ مَنْ يَتَوَلَّاهُمْ اللَّهُ.²

ج- قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ٥٣ ﴾ [التوبة/ 23].

- وجه الاستدلال: فهذه الآية تؤكد بكلّ بقوة انقطاع أواصر الدّم والنسب إذا انقطعت رابطة الإيمان بهذا الدّين، وتبطل ولاية القرابة في الأسرة إذا بطلت ولاية القرابة في الله، فالله الولاية الأولى، وفيها ترتبط البشرية جمعاء برابطة العقيدة متبوعة لا تابعة لغيرها من الروابط الأخرى، فالجبل مقطوع والعروة منقوضة مع من يتولّى الكفار.

فولاية الأهل والقوم إن استحبوا الكفر على الإيمان شرك لا يتفق مع مقتضى الإيمان بالله.³

د- قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ٥٧ ﴾ [المائدة/ 57].

¹ - في ظلال القرآن، 1 / 137 - 138.

² - أيسر التفاسير لأسعد محمود حومد، مراجعة محمد متولّي الشعراوي، أحمد حسن مسلم، 1، / 279، ط / 4، ت - ط / 2009 شارع زنوبيا، دمشق سوريا.

³ - في ظلال القرآن، 10 / 162.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

- وجه الاستدلال من الآية الكريمة: «ملا بسة مثيرة لكل من له حمية المؤمن، الذي لا يرى لنفسه كرامة إذا أهين دينه¹، وأهينت عبادته وأهينت صلواته واتخذ موقفه بين يدي ربه مادة للهزء واللعب فكيف يقوم ولاء بين الذين يرتكبون هذه الفعل، ويرتكبونها لنقص عقولهم. ها هو ذا يعلمنا ألا يكون ولاؤنا إلا لله ورسوله وللمؤمنين، وينهاها أن يكون ولاؤها لليهود والنصارى والكافرين، ويجزم بذلك الجزم الحاسم في هذه القضية، ويعرضها هذا العرض المنوع الأساليب²».

و- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة/ 71].

- وجه الاستدلال من الآيتين الكريمة: الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَيْنَهُمْ أُخُوَّةٌ، وَمَوَدَّةٌ، وَتَعَاوُنٌ، وَتَرَاحُمٌ وَيَتَصَفُّونَ بِالصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ الَّتِي يَأْمُرُهُمْ بِهَا دِينُهُمْ: فَيَتَنَاصَرُونَ وَيَتَعَاضِدُونَ وَيَفْعَلُونَ الْحَيْرَ، وَيَأْمُرُونَ بِهِ وَيَنْتَهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَهَا حَقَّ أَدَائِهَا، وَيُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَى مُسْتَحِقِّهَا، وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا أَمَرَ وَيَتْرَكُونَ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ .

¹ - كل يوم يطالعنا العالم الغربي بصفحات من الإساءة للدين الإسلامي وضمه بأشبع الصفات أقلها أنه دين إرهابي وسلسلة من الإساءات لخير البشرية محمد صلى الله عليه وسلم، الأنكى وأخزى من ذلك ما شاهده العالم قاطبة في المظاهرات التي دعت إليها فرنسا بسبب حادثة قتلى جريدة شارلي ابيدو، يتقدمها زعماء العالم في صفه الأول رئيس فرنسا، ووزير الكيان الصهيوني الذي ندد بالإرهاب !!!، ليس هذا هو العجب الأعجب منه مشاركة زعماء العام الإسلامي في هذه المظاهرات منددين بالإرهاب الهمجي، وشعوبهم تموت يوميا جراء هذا الإرهاب الذي تشنه فرنسا وأمريكا، الكيان الصهيوني ضد العالم الإسلامي المشهد لا ينتهي هنا بل يجبك صورة من الواقع المرير من الذلة والخزي والولاء لغير الله ورسوله والمؤمنين عندما ترى في هذه المظاهرات صور كاركاتورية مسيئة للحبيب صلى الله عليه وسلم وزعمائنا في غفلة وسكرة... لا حول ولا قوة إلا بالله =الموقف يعبر عن نفسه عندما ضعفت قاعدة الولاء البراءة في نفوسنا أصبحنا نعيش في ذلة وخزي وتبعية عمياء لمن ناصبانا العداة ونعيبه على أنفسنا وديننا فأين نحن من قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الفتح الآية / 29].

² - في ظلال القرآن، 2 / 922 - 923.

الفصل الأول - مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

وَالْمُتَّصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الطَّيِّبَةِ الْكَرِيمَةِ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ عَزِيزُ الْجَانِبِ، يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ حَكِيمٌ فِي قِسْمَتِهِ الصِّفَاتِ بَيْنَ خَلْقِهِ، فَجَعَلَ الْمُؤْمِنِينَ يَخْتَصُّونَ بِالصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ، وَالْمُنَافِقِينَ يَخْتَصُّونَ بِالصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ الْمُنْكَرَةِ.¹

هـ - قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتًا وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾
[آل عمران / 28]

- وجه الاستدلال من الآية الكريمة: في هذه الآية نهي الله سبحانه المؤمنين أن يتخذوا أعوانا لهم من الكافرين أو أنصارا وظهورا، ومن يفعل ذلك يبرأ من الله عز وجل أو برأ الله منه.

قال ابن عباس: "نهى سبحانه المؤمنين أن يلاطفوا الكفار أو يتخذوهم وليجة من دون المؤمنين، إلا أن يكون القار عليهم ظاهرين فيظهرون لهم اللطف ويخالفونهم في الدين وذلك في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتًا﴾. التقاة التكلّم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان.²

و - قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران / 118].

- وجه الاستدلال من الآية الكريمة:

"في هذه الآية يحذر الله عز وجلّ من فريق آخر وهم المنافقون بعد أن كشف دخائل أهل الكتاب والتحذير هنا بعدم الاعتراض بهم، والنهي عن إلقاء إليهم بالمودة قد بينّا لكم الآيات فمعنى دلائل سوء هؤلاء

البطانة. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمَنْتَوَسَّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الحجر / 75].

ولم يزل القرآن يريّ هذه الأمة على أعمال الفكر والاستدلال وتعريف المسيبات من أسبابها في سائر أحوالها في التشريع، والمعاملة لينشئها أمة علم وفضيلة.

ولكون هذه الآيات آيات فراسة وتوسّم، قال سبحانه: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٨﴾﴾

¹ - أيسر التفاسير، أسعد محمود حومد، ص / 475- 476.

² - التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، تفسير منهجي فقهي شامل معاصر، مأمون حموش / 2 / 38، ط / 1 ت ط / 1428 هـ - 2007، دمشق سوريا.

ولم يقل إن كنتم تعلمون أو تفقهون لأنّ أعمّ من العلم والفقه.¹

ز- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ [المائدة/ 51].

- وجه الاستدلال من الآية الكريمة: بعضهم أولياء بعض، إنها حقيقة لا علاقة لها بالزمن، إنها حقيقة نابعة من طبيعة الأشياء، إنهم لن يكونوا أولياء للجماعة المسلمة في أيّ أرض، ولا في أيّ تاريخ، وقد مضت القرون تلو القرون ترسم مصداق هذه المقولة الصادقة لقد ولي بعضهم بعضاً في حرب محمد - صلى الله عليه وسلم - والجماعة المسلمة، وفي المدينة ولي بعضهم في كلّ فجاج الأرض على مرّ التاريخ ولم تختل هذه القاعدة مرّة واحدة ولم يقع في هذه الأرض إلا ما قرّره القرآن الكريم في صيغة الوصف الدائم لا الحادث المفرد، واختيار الجملة الاسمية على هذا النحو... "بعضهم أولياء بعض"... ليست مجرد تعبير إنما هي اختيار مقصود للدلالة على الوصف الدائم الأصيل.²

ي- قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ [المجادلة/ 22]

- وجه الاستدلال من الآية: أخبر الله عز وجل في هذه الآية الكريمة، أنّك لا تجد من يؤمن بالله تعالى

واليوم الآخر إيماناً حقيقياً ثمّ تصدر منه موادّة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب.³

¹ - التحرير والتنوير، ابن عاشور، 4 / 62 - 65.

² - في ظلال القرآن، السيد قطب، 2 / 911.

³ - قد يعترض معترض على هذا الدليل من جواز نكاح نساء أهل الكتاب، الأمر الذي يترتب عليه موادّة الرجل لزوجته الكافرة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [سورة الروم/ 21].

فكيف الجمع بين هذين الدليلين اللذين ظاهرهما التعارض؟

والجواب على ذلك باختصار أن في المسألة تفصيل نذكره الآن باختصار:

أ - زواج المسلم بالكتابية في دار الإسلام وفيه قولين

- القول الأول: مذهب الجمهور. ومنهم الأئمة الأربعة: وهو جواز نكاح الكتابية في أرض الإسلام، مع الكراهة. ينظر: المبسوط

السرخسي ج / 4 / 210. المغني، ابن قدامة، 7 / 129.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

هي فقط بعض الأدلة الشرعية التي توضح وتبين ممّا لا مجال للشكّ فيه، أن لا صحّة لإسلام المسلم حتّى يتولّى الله ورسوله والذين آمنوا قولاً وفعلاً واعتقاداً، ويعلن عداوته للكفار مهما كانت منزلتهم بالنسبة إليه بالقول والفعل والاعتقاد، ما داموا على الكفر، ويستمرّ على هذا الاعتقاد والعمل حتّى يلقي الله عزّ وجلّ.

ثانياً - أدلة الولاء والبراء من السنة النبوية الشريفة

ورد أيضاً في السنّة النبوية الشريفة أحاديث واضحة الدالة على وجوب الولاء لله عز وجل ولرسوله وللمؤمنين والبراء من الكفار.

أ - أدلة الولاء من السنة النبوية

1- عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: [مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ

مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى].¹

- عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بَعْضُهُ بَعْضاً].²

2- عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال: [المسلم أخو المسلم: لا يظلمه ولا يُسْلِمُهُ].³

3- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [والذي نفسي بيده، لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولاً أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم].⁴

ب - أدلة البراء من السنة النبوية الشريفة:

- القول الثاني: عدم جواز نكاح الكتابية في دار الإسلام واشتهر هذا المذهب عن الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

ب- زواج المسلم بالكتابية في دار الكفر: ولهذا اختلف العلماء الذين أجازوا زواج المسلم بالكتابية في دار الإسلام، في زواجه بها في دار الحرب.

¹ - السنن الكبرى، البيهقي، 3 / 493، كتاب الاستسقاء، باب استسقاء إمام التّحية المخصبة لأهل التّحية المجذبة ولجماعة المسلمين رقم الحديث / 6430، تحقيق عبد القادر عطا، ط / 3، ت ط / 1424 - 2003، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

² - أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، 5 / 2242، رقم الحديث: 5680.

³ - أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، 2 / 862 - 863، رقم الحديث: 2310.

⁴ - أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنّه لا يدخل الجنة إلاّ المؤمنون، وأنّ محبة المؤمنين من الإيمان، وأنّ إفشاء السلام سبب لحصولها 55 رقم الحديث: 54.

في حديث جرير بن عبد الله البجلي¹، عندما جاء لبياعه على الإسلام، فقال جريرٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله اشترط عليّ، وأنت أعلم قال: [أبأبعك على أن تعبد الله ولا تُشركَ به شيئاً، وتُقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتنصح المسلم وتفارق المشرك]².

عبد الأمير عبد القادر للعوم الإسلامية

¹ - جرير بن عبد الله بن جابر بن عبد مالك بن نضر ابن ثعلبة بن جشم بن عوف بن حزيمة بن حرب بن علي البجلي الصحابي الشهير يكنى أبا عمرو، وقيل يكنى أبا عبد الله، اختلف في وقت إسلامه، ففي الطبراني الأوسط من طريق حصين ابن عمر الأحمسي عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس ابن أبي حازم عن جرير فقال: " ما جاء بك، قلت جئت لأسلم فألقي النبي كساءه، وقال: " إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه ". الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، 218.

² - أخرجه والنسائي في كتابه المجتبى، كتاب البيعة، باب البيعة على فراق المشرك، / 994، رقم الحديث: 4183، ط/ 1 ت ط / 1425 - 2005، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت لبنان.

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

1 - عن أبي هريرة . رضي الله عنه . أن رسول صلى الله عليه وسلم الله قال: [لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه].¹

وجه الاستدلال من الحديث: قال الإمام النووي: «فالتصواب تحريم ابتداءهم بالسلام، ونقل القاضي عن جماعة أنه يجوز ابتداءهم بالسلام للضرورة والحاجة».²

والمقصود من اضطرابهم إلى أضيق الطريق، أشعارهم بالذلة والمهانة بسبب ما هم فيه من كفر، حتى يسلموا فيدخلوا في عزة الإسلام، أو يستكينوا فلا يتناولون على الإسلام والمسلمين بأذى، أو يظهروا عداوتهم فيحاربوا مع الكفار المحاربين، وهذا الاضطرار أو التضييق عليهم في الطريق ليس مطلقاً، بل بشرط أن لا يلجئهم إلى الوقوع في وهدة، أو الاصطدام بجدار، ونحو ذلك؛ لأن المقصود الإهانة المعنوية دون الأذى الجسدي.

طبعاً ابتداء السلام للكفار، إذا كان القصد منه التحبب والتقرب إليهم، والإكرام والتعظيم لهم هو من باب موالاتهم التي يقصد الحديث النهي عنها.

أما إذا كان القصد من بدأهم بالسلام تأليفهم للدعوة وتحبيبهم للدين الإسلام فهذا مباح، وإذا كان ابتداءهم بالسلام يقصد به ملاطفتهم في معاملات التجارية فهذا مكروه.³

2 - أخبرنا محمد بن عبد الأعلى قال حدثنا المعتمر قال سمعت بهز بن حكيم يحدث عن أبيه عن جده قال: قلت: [يا نبي الله ما أتيتك حتى حلفت أكثر من عدد دهن لأصابع يديه ألا آتيتك ولا آتي دينك وإني كنت امرأ لا أعقل شيئاً إلا ما علمني الله ورسوله وإني أسألك بوجه الله عز وجل بما بعثك ربك إلينا قال بالإسلام قال قلت وما آيات الإسلام قال أن تقول أسلمت وجهي إلى الله عز وجل وتخلت وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة كل مسلم على مسلم محرم أخوان نصيران لا يقبل الله عز وجل من مشرك بعدما أسلم عملاً أو يفارق المشركين إلى المسلمين].⁴

¹ - أخرجه مسلم، كتاب السلام - الآداب، باب النهي ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يردّ عليهم / 1087، رقم الحديث: 2167.

² - المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج " شرح النووي على مسلم، كتاب السلام، باب النهي ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يردّ عليهم / 1356، رقم الحديث / 2176، دار الأفكار الدولية، الأردن.

³ - الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، 1 / 111

⁴ - سنن النسائي المسمى بالمجتبى، كتاب الزكاة، باب من سأل بوجه الله - عز وجل -، 621-622، رقم الحديث / 2564.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

3 - عبد الله بن حمار¹ وهو رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يشرب الخمر، فأتي به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعنه رجل وقال: ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: [لا تلعه فإنه يجب الله ورسوله].²

4 - عَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ³، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [يبعث الله يوم القيامة عبداً لا ذنب له فيقول: بأي الأمرين أحب إليك أن أجزيك؟ بعملك أو بنعمتي عندك؟ قال: رب إنك تعلم أي لم أعصك! قال: خذوا عبادي بنعمة من نعمي فلا تبقى له حسنة إلا استغرقتها تلك النعمة، فيقول: يا رب نعمتك ورحمتك فيقول بنعمتي ورحمتي. ويؤتى بعبد محسن في نفسه لا يرى أن له ذنباً، فيقال له: لكنت توالي أوليائي؟ قال: كنت من الناس مسلماً، قال: فهل كنت تعادي أعدائي؟ قال: يا رب لم يكن بيني وبين أحد شيئاً فيقول الله عز وجل: لا ينال رحمتي من لم يوال أوليائي ويعاد أعدائي].⁴

فهذا الحديث تنبيه للذين يظنون أنهم في سلامة من أمرهم، وهم يقفون موقف المتفرج⁵ في صراع الإسلام وأهله مع قوى الكفر والضلال، وهو كذلك تحذير للذين يدهنون الكفار ويوالوهم، ولا يرون بأساً، أو غضاضة.⁶ فهذه بعض أحاديث الحبيب صلى الله عليه وسلم توضح هي الأخرى مشروعية الولاء لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم، والحب لعباد الله المؤمنين ووجوب نصرتهم بالبراء من أهل الشرك والمشركين، فيزيد القاعدة قوة وعمقا وفهما في نفس المؤمن فلا تختلط عليه المفاهيم عند تعامله مع غير المسلمين .

¹ - عبد الله يلقب بـ"حمار رجل في عهد النبي p كان يضحكه ويهدي إليه. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير/ 657.

² - صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر، وأنه ليس بخارج من الملة 6 / 2489، رقم الحديث 6398.

³ - وائلة بن الأسقع، من بني ليث بن بكر بن عبد مناف، مختلف في كنيته، ف قيل أبو شداد، وقيل أبو قرصافة، وقيل أبو الأسقع سكن بيت جبرين من الشام، قدم قبل مخرج النبي -p- إلى تبوك بليالٍ فسكن الصقة، توفي سنة خمس وثمانين روى عنه: أبو المليح الهذلي ومكحول، وعبد الواحد البصري، ومعروف الدمشقي، وربيع بن يزيد، وحيان أبو التضر... إلخ. معرفة الصحابة، أبو نعيم الأصبهاني، / 2715. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، 6 / 462.

⁴ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المهيمني، كتاب البعث، باب ما جاء في الحساب 349/10

⁵ - وما أكثرهم اليوم في واقع حياتنا، دماء المسلمين تسفك في كلِّ الأفطار: فلسطين تئن من كثرة الجروح، وسوريا تدمر ومصر تتمزق والعراق ينزف و... وأشبه المسلمين في بقاع الأرض في الأمن المغشوش يتفرجون لا يظهر منهم حزن وردة فعل إلا ما رحم ربي معتقدين أنفسهم أنهم في منأى عما يحدث، فما أصدق التصوير النبوي في هذا الحديث عن حقيقتهم.

⁶ - الموالاتة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، 1 / 115.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

ومع الأدلة من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة بتطابقها مع بعضها البعض تنير منهج المسلم الصادق وتقوى.

الفرع الثاني: علاقة مسألة الولاء والبراء بمقصد التعاون الحضاري الإنساني

إن العقيدة الإسلامية قيم ومبادئ تستقر في القلب فتثمر فيه من المفاهيم اليقينية ما يتسق مع تلك المفاهيم ومن أبرز القيم التي لا بد أن تثمر في السلوك الحياتية، قضية الولاء والبراء، وهي جزء من تحقيق العبودية التي أساسها " لا إله إلا الله " والتي تعني أن يعيش المسلم منقاداً لأمر الله في كل شؤون حياته، وأن يقيم فيه منهجه وأن يجمع الناس تحت لوائه من عائق يعيق ذلك سوى عدوان الأعداء، وصدهم عن الإسلام، فكيف يتم لقاء أو محبة مع من صد عن ذكر الله وطمس معالم الحق.

فلننظر بعين الإنصاف لجميع الأمم والملل والمذاهب كيف تؤكد على أتباعها أن يكونوا يداً واحدة على من سواهم وأن ينصر بعضهم بعضاً، مع أن بعض هذه الملل لا تحترم غيرها، ولا ترى لغيرها قدراً ولا منزلة، فكيف لا يعاب عليهم؟

إن الناظر للمجتمع الإسلامي منذ بدء الدعوة يجد أن أتباع النبي صلى الله عليه وسلم انخلعوا في مكة من الولاء لأسرهم وعشيرتهم وقبيلتهم أو لقيادتهم الجاهلية، وأعطوا ولاءهم لمحمد صلى الله عليه وسلم لجمع الصغیر الناشئ الذي قام بقيادته وبعد الهجرة آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار تلك المؤاخاة التي تقوم على الدين مقام رابطة الدم، مما حقق للمسلمين عبر التاريخ أعظم النتائج والآثار، سواء في مجال التناصح والتراحم والتكافل بين المسلمين أو في مجال الدعوة ورحمة الخلق ودلائلهم إلى الخير، بل قامت على أساس هذا التوالي العقدي حضارة لم يعرف لها التاريخ مثالا من قبل ولا من بعد وما تزال آثارها وبصماتها شاهداً حياً على عظمتها وأصالته... فهي تحقق الولاء والبراء وتدعو إلى الله تعالى، و يتدافع الناس للدخول في دين الله أفواجاً وتنشئ الحوار مع غير المسلمين ويعقد معهم العهود والمواثيق، ولم تتراجع هذه الأمة عن مكانتها الرائدة إلا يوم ضعفت وتخلت عن عقيدتها وقيمها التي تجمع المسلمين على رباط واحد وهو الدين، فتنج للأمة مجتمع الحب والإيثار الذي يسطر صفحات من الأخلاق العظيمة التي ليس لها نظير كما¹ في قوله تعالى: ﴿

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهْجَرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْأَيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجِبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا

¹ - حوار الحضارات - دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسنة - فهد بن عبد العزيز بن عبد الله السنيدي، رسالة دكتوراه

إشراف الدكتور مازن بن صالح المطبقاني، / 152، قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية جامعة الملك سعود، 1429- 1430

المملكة العربية السعودية.

يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٧﴾ [الحشر/ 8 - 9]

« إنَّ الله سبحانه وتعالى يصف المهاجرين بأنهم فقراء، هذا الفقر ليس من كسلهم، وليس من ضعف حيلتهم، ولكن بسبب انتمائهم إلى الدين، بسبب ولائهم لله عزَّ وجل، وبراءتهم من أهل الكفر والشرك، وكم من إنسانٍ في حياتنا الدنيا يُضْبِحُ فقيراً لأنَّه مستقيم، وكم من إنسانٍ يكون غنياً؛ لأنه غير مستقيم، لأن المؤمن مقيّد بألفٍ قيدٍ وقيد، أما غير المؤمن فمتفلّت يأخذ المال من أية جهة، وبأي أسلوب، وبأي طريق، فلذلك هذا الفقير يعدُّ وسام شرفٍ في حقهم، لهم أهلٌ في مكة، لهم أرض، لهم ديار لهم ممتلكات، لهم تجارة، لكنهم تركوا أرضهم، وديارهم، وأموالهم، وتجارهم، وبيوتهم، وجاءوا إلى المدينة المنورة فقراء لا يملكون شيئاً، فهذا ليس فقر الكسل، إنما هو فقر بسبب ولائهم لله ورسوله وللمؤمنين وبراءتهم من الشرك والمشركين، ويمكن أن تنسحب هذه الحقيقة إلى نهاية الدوران. ¹ »

لكن هل يمكن أن نؤسِّس لعلاقة بين الولاء والبراء ومقصد التعاون الحضاري الإنساني استشهداً بما سبق من نصوص؟

الجواب: نعم، إذ لا تعارض بين الولاء والبراء، والتعاون الحضاري الإنساني، فإنَّ سورة ذكرت الولاء والبراء هي سورة الممتحنة وهي سورة مدنية، ومع ذلك يقول الله عز وجل فيها: ﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ [الممتحنة/ 7].

فلا يمكن لأحد أن يعتقد في شخص ما أنه لن يهتدي، فالهداية بيد الله وحده عز وجل.

وفيما يأتي نوضح أكثر مدى العلاقة التي تربط مسألة الولاء والبراء بمقصد التعاون الحضاري الإنساني في النقاط الآتية:

أ - قضية الولاء والبراء عقيدة إيمانية قلبية : إنَّ قضية الولاء والبراء عقيدة قلبية إيمانية أولاً، ثم لا بدَّ أن تنعكس آثارها السلوكية على الشخص، وهذا السلوك لا بدَّ فيه من التفريق بين القضايا المتعلقة بالشخص وبين ما يتعلّق بالمجتمع المسلم، فعليه لا بدَّ أن يكون المسلم متميّزاً بشخصيته الإسلامية التي كان النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته عليها، ومع ذلك كانوا يتعاملون مع الكفار في كلِّ شؤون حياتهم، بل دخلوا معهم في

¹ - تفسير سورة الحشر، موسوعة النابلسي الإسلامية 1074 http://www.nabulsi.com/blue/ar/print.php?art=1074

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

علاقات اقتصادية وسياسية كما رأينا عند التأصيل للتعاون الحضاري الإنساني من السنة النبوية الشريفة، كما أنّ النبي صلى الله عليه وسلم: كان يتحاور مع أصحاب الديانات الأخرى .

ب - ترسيخ عقيدة والولاء والبراء في قلب المسلم عند تعاونه مع الآخر دليل عزّة وتمكين: فالتعاون على الخير مع الآخرين مبدأ الأقوياء، وعلامة قوّة وثقة بالنفس بما لدى المسلم من ثوابت ومسلّمات لا يمكن أن يتنازل عنها فيشمر بذلك تواصله مع الآخرين، ويعود على الأمة الإسلامية من تمكين وعزّة وتطور وازدهار في شتى المجالات.

فالعقيدة الولاء والبراء إذا دافع إلى التعاون مع الغير تعاوناً حضارياً راقياً عنوانه البرّ والإحسان والتكريم، الذي يجبّب الآخر بالإسلام ويعطيهم المثل على رحمته وتسامحه حتى مع أعدائه.

ج - الولاء والبراء، ومقصد التعاون الحضاري الإنساني توافق لا تصادم: لا يمكن أن يقول المسلم إنّ الولاء والبراء يتصادم مع مقصد التعاون الحضاري الإنساني، وإلاّ لأتّم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاشاه ذلك.

فهو أعظم من يطبّق الولاء والبراء، وهو الأسوة الحسنة والمرجع في كلّ شؤون ديننا، ومع ذلك فقد تعامل الحبيب صلى الله عليه وسلم عندما أقام الدّولة الإسلامية في المدينة المنورة مع القبائل الثلاث من اليهود وهم: بنو قريظة، وبنو قينقاع وبنو النّضير.¹

فلو كان الرسول صلى الله عليه وسلم: بغير هذه الصفة لما احتاج أن يوقّع معهم معاهدة تعاون وحسن حوار، ولأمكنه أن يفعل بهم ما يفعل الشيوعيون بالمعارضين لهم في روسيا وتشيكو سلوفاكيا وغيرها من بلدان العالم، وأن يضعهم أمام خيارين لا ثالث لهم، إمّا التّبعيّة المطلقة أو الموت، ومن يطالع نصوص المعاهدة بين الرسول صلى الله عليه وسلم واليهود يعلم علم.

اليقين أنّ الإسلام عادل مع أهل الكتاب، فقد ورد في الوثيقة المبرمة بين المهاجرين والأنصار، والتي وادع فيها الرسول صلى الله عليه وسلم اليهود بما نصّه² " لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ... وإنّ بينهم النّصر على من حاربهم وأنّ بينهم النّصح والنّصيحة والبرّ دون إثم، وأنّ من خرج آمن، ومن قعد آمن إلاّ من ظلم أو أظلم".¹

¹ - حوار الحضارات - دراسة عقديّة في ضوء الكتاب والسنة - فهد بن عبد العزيز بن عبد الله السنيدي، / 153 - 154.

² - المولاة والمعاهدة في الشريعة الإسلامية، / 593 - 594.

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

وفي فتح مكة دليل واضح، وبرهان ساطع على تسامح الإسلام ورحمته.

د - الولاء والبراء ومبدأ التسامح في الشريعة الإسلامية: قد يتبادر إلى ذهن البعض منّا من خلال ما تقدّم عرضه في قضية الولاء والبراء، أنّ الإسلام يأمر بالانطواء والعزلة عن غير المسلمين، وأنّه يريّ أتباعه على إضمار الحقد والكراهية لغير المسلمين، وأنّ أتباعه يتعصّبون لأنفسهم وأهل عقيدتهم، دون أن يراعوا حقوق الطوائف الأخرى، ولا شكّ أنّ هذا الفهم الخاطيء منبعه الجهل أو الحقد الدفين في التّيل من الإسلام والمسلمين وإلّا فالحقيقة أنّه لم يوجد مبدأ من المبادئ في الكون كلّه وعبر تاريخه الطّويل تسامح مع أعدائه وعاملهم بالعدل مثل الدّين الإسلامي وهذا القول ليس مجرد ادّعاء وإنّما هو واقع يشهد له التّاريخ، وتبرهن عليه الأحداث والمواقف²، وقد ذكرنا بعض المواقف عند التّأصيل للتعاون الحضاري الإنساني من خلال السّنة النبويّة الشريفة.

فالمعادلة السهلة، والنتيجة القطعيّة: أن الولاء والبراء ما دام أنه من الإسلام، فهو وسطٌ وسمّحٌ ورحمة. لا يشك في هذه النتيجة مسلم، ولا غير مسلم إذا كان منصفًا.

وبيان عدم تعارض مبدأ التسامح مع الولاء والبراء: أن مبدأ التسامح إذا أردنا أن تكون شرعيًا محبوبًا لله تعالى فيجب أن نلتزم به: طاعةً لأمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم مع بُغض الكفّار لكفرهم، ومع عدم نُصرة غير المسلمين على المسلمين؛ فنحن نلتزم بمبدأ التسامح والرحمة والبرّ والإحسان لا حُبًّا للكفار، ولكن إقامةً للعدل والإحسان الذي أمرنا به.

وقد عقد الإمام القراني فصلاً لبيان الفرق بين الأمر بعدم موالاة الكفار والأمر ببرّ أهل الذمّة منهم والتّسامح والإحسان إليهم³، قال فيه رحمه الله: « وإذا كان عقد الذمّة بهذه المثابة تعيّن علينا أن نبرّههم بكلّ أمر لا يكون ظاهره يدلّ على مودّات القلوب، ولا تعظيم شعائر الكفر، فمتى أدّى إلى أحد هذين امتنع وصار من قبيل ما تُهي في الآية وغيره⁴ ثم فصل كلامه بذكر بعض الأمثلة. ويلحظ أنّ القراني أطلق في مواطن أنّ المحرّم هو

¹ - السيرة النبويّة، ابن كثير، 2 / 321 - 323. أنظر: صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر ﷺ، محمد بن صامل

السّلمي - سعد بن موسى الموسى - عبد الرحمن بن جميل قصاص، خالد بن محمد العفيف، / 169 - 171، ط / 1، ت ط / 1431 - 2010، معهد البحوث العلميّة وإحياء التّراث الإسلامي، المملكة العربيّة السعوديّة.

² - الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، / 593 - 594.

³ - الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسّنة، حاتم بن عارف بن ناصر شريف، / 13 كلية الدّعوة، جامعة أم القرى.

³ - الفروق المسّمى أنوار البروق في أنواء الفروق، شهاب الدين القراني، 3 / 15-16. د. ط، ت ط / 1431 - 2010، دار النوادر - الكويت.

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهي

الوُدُّ الباطن، وإن كان سياق كلامه يدل على مقصوده. وهذا أو أن تحرير هذه المسألة وهو من مُكَيِّلات بيان سماحة معتقد الولاء والبراء».

ذلك أن الحُبَّ القلبي لغير المسلمين ليس شيئاً واحداً، فمنه ما ينقض الولاء والبراء من أساسه، ويكفِّرُ صاحبه بمجرد. ومنه ما يَنْقُصُ من الولاء والبراء ولا يَنْقُضُهُ، فيكون معصيةً تَنْقُصُ الإيمانَ ولا تنفيه. ومنه ما لا يؤثر في كمال الإيمان وفي معتقد الولاء والبراء، لكونه مباحاً من المباحات. أمّا الحُبُّ القلبي الذي يَنْقُضُ الولاء والبراء وينفي أساسَ الإيمان: فهو حُبُّ الكافر لَكُفْرِهِ.

وأما الحُبُّ القلبي الذي لا يصل إلى حدِّ النَقْضِ، لكنّه يُنْقِصُ الإيمانَ، ويدل على ضعفٍ في معتقد الولاء والبراء، فهو: محبّة الشخص كافرًا أو مسلمًا لِفِسْقِهِ أو لمعصيةٍ يقترفها. فهذا إثمٌ ولا شك، ولكنّه لا يصل إلى درجة الكفر لكونه لا ينافي أصل الإيمان؛ إذ لا يزال في المسلمين من يحبّ المعاصي ويقترفها، ولم يكفّرهم أحدٌ من أهل السنة. وهذا الحُبُّ قد يكون كبيرة من كبائر الذنوب، وقد لا يكون كذلك، بحسب حال المحبوب ومعصيته، فمن أحبّ محبوبًا لارتكابه الكبائر، فهذا الحُبُّ كبيرة، ومن أحبّه لصغيرة يرتكبها فلا يزيد إثمّه على إثم من ارتكبها. وهذا التّقرير واضح الالتئام، بيّن المأخذ، بحمد الله تعالى.

وأما الحُبُّ المباح فهو الحُبُّ الطبيعي، وهو الخارج عمّا سبق. كحُبِّ الوالد لولده الكافر، أو الوالد لوالديه الكافرين، أو الرّجل لزوجه الكنانيّة، أو المرء لمن أحسن إليه وأعانه من الكفّار. فهذا الحُبُّ مباح، ما دام لم يؤثر في بُعْضِهِ لكفر الكافرين، وفسق الفاسقين، ومعصية العاصين. أمّا إذا أترّ في بُعْضِهِ، فإنه يعود إلى أحد القسمين السابقين، بما فيهما من تفصيل والدليل على أن الحُبُّ الطبيعي للكافر قد لا يؤثر في كمال الإيمان، لكونه مباحًا بالشرط الأنف ذكره قوله تعالى عن نبيّه صلى الله عليه وسلم في وصف حاله مع عمّه أبي طالب الذي مات على الكفر قَالَ تَعَالَى:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

[القصص / 56].

فأثبت الله تعالى على نبيّه صلى الله عليه وسلم محبّة عمّه الكافر، ولم يعبّ عليه هذه المحبّة، ولا لامه عليها؛ فدل ذلك على عدم مخالفتها لكمال الإيمان، وأبى تخالفه وقد وقعت من أكمل الناس إيمانًا صلى الله عليه وسلم

!؟¹

¹ - الولاء والبراء بين السّماحة والغلو، حاتم بن عارف بن ناصر الشّريف، / 13-14.

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

إنّ ما يمكن قوله بعد هذه الجولة السريعة لمعرفة حقيقة الولاء والبراء، ومدى علاقتها بمقصد التعاون الحضاري الإنساني أنّ هذه العقيدة هي العمود الفقري التي بها يستقيم تعاوننا الحضاري الإنساني فبقوته في قلوبنا يشمر تواصلنا الحضاري بغيرنا ويحقق كل ما قصده الشارع الحكيم من أمره لنا بالتعارف والتعاون، فبني مجتمعاً إنسانياً يحترم فيه كل طرف خصوصيات الآخر، ويعمل المؤمن على تطوير هذه العلاقة ليوصلها إلى درجة حب الخير والهداية لغير المسلم دون أن يكرهه، بل بالحكمة والموعظة الحسنة فننتقل من مجرد تعاون مادي في مجالات الحياة إلى تعاون معنوي ينقذ الآخر من محالب ظلمات الجهل بحقيقة التوحيد، وبقدر ضعفه في نفوسنا يقوى علينا الآخر ويفرض منطقته وقوته ومبادئه وفكره، ويتسلط علينا في كل شؤون حياتنا، بل ويتحكم حتى في خيراتنا التي وهبها الله عزّ وجل لنا - وهو واقع تواصلنا اليوم بغيرنا للأسف - لأننا لم ننطلق معهم في تعاملنا بهذه العقيدة السليمة، فكسروا ظهورنا وكبلوا حياتنا الاقتصادية، والسياسية والفكرية وحتى الاجتماعية وعلمية، ولن نتخلص من هذه القيود إلاّ بالعودة إلى تقوية عقيدة الولاء والبراء في نفوسنا ليعود عزّنا ومجدنا الذي بناه أجدادنا وبقينا نرتله اليوم ليلا نهاراً، دون أن نعي ما سرّ قوتهم وتطورهم وعزّهم في أيام ازدهار الحضارة الإنسانية التي شيّد صرحها حبيبنا وقائدنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم وسلّم مشعلها لصحبه من بعده؟! لكن للأسف لم نستطع الحفاظ على هذا المجد بل وسلمناه على طبق من ذهب لغيرنا بعد ضعف إيماننا وعقيدة الولاء والبراء في قلوبنا ورحنا ندوب ونضمحل ونتسامح في مبادئنا بدعوى التعاون الحضاري مع غيرنا.

ولن يعود لنا العزّ والمجد ورفعته في الدنيا والآخرة إلاّ بعد أن تتشرب قلوبنا وعقولنا عقيدة الولاء والبراء من جديد ونجعلها منهجاً هادياً لنا في كلّ خطوة نخطوها وفي كل نفس نتنفسه، وفي كل كلمة ننطق بها ونحن نتواصل ونتعاون مع غيرنا لبناء الحضارة الإنسانية التي يتعايش فيها كل الشعوب مهما اختلفوا، لكن تجمعهم مبادئ المحبة والكرامة والحرية والإنسانية التسامح والعدل، الأمان والسلام.

المبحث الثالث:

مسألة أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم

إن كثيراً من الناس يجهلون حقيقة العلاقة مع غير المسلمين، وفقه المواطنة للأقليات المسلمة، وأسلوب المعاملة معهم، وقد نجد من هؤلاء بل من أهل العلم من يذهب في ذلك مذاهب متباينة، فمنهم من يقف من غير المسلمين موقفاً سلبياً طابعه العداوة فلا يفرق بين حربيٍّ وذيميٍّ ومستأمنٍ، فيتعامل مع الجميع معاملة قاسية انطلاقاً من فهمه لبعض النصوص كقوله: **قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ لِمَنْ يَشَاءُ اللَّهُ الْخُرُوجَ وَالْإِخْلَاقَ﴾** [التحرير/ 9]، مما انعكس سلباً على الأقليات المسلمة في الغرب لجهلهم بالقواعد الأصولية لفقهاء المواطنة

ومنهم من يقف من غير المسلمين والمسلمين بالغرب جميعهم موقفاً متساهلاً لئنا طابعه الصداقة والمحبة والودّ وولاء بحيث لا يكاد يفرق بين مسلم وغير مسلم ولا يميّز بينهما، ثم مسح شخصية الإسلام المميزة بدعوى أن الأديان كلها من عند الله متجاهلين أن الله قد نسخ شريعة موسى وعيسى عليهما السلام بشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جعل دينه أكمل الأديان وأتمّها وارتضى لنفسه هذا الدين الكامل: **قَالَ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْيُتَةُ وَاللِّمَّ وَالْخَمْرُ وَالْخِنْزِيرُ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكَ يَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [المائدة/ 3].

من هنا كان الواجب توضيح مسألة أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم، والآثار المترتبة على هذه المسألة فيما يخص مقصد التعاون الحضاري الإنساني، . وعليه نقسم هذا المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: . أقوال العلماء وأدلتهم في مسألة أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم
المطلب الثاني: المناقشة والترجيح

المطلب الأول

مسألة أصل علاقة المسلمين بغيرهم

هي مسألة من المسائل الفقهية التي لها علاقة وطيدة بموضوع بحثنا مقصد التعاون الحضاري الإنساني "بين التأصيل والتنزيل" فإذا كان أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو الحرب كيف نتعاون معهم في ظل هذا الجوّ المشحون بالعداء والفرقة والتشتت كيف نقيم صرح الحضارة الإنسانية بكل مقوماتها التي حددها ديننا الإسلامي؟! هل لهذه الحرب غايات وضوابط في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بحيث لا تؤثر في تعاوننا مع غيرنا؟ وإذا كانت العلاقة بيننا وبين غيرنا هي علاقة سلم ومسالمة، فما حقيقة هذا السلم وهل أيضا له غايات وضوابط قرآنية ومن السنة النبوية الشريفة؟ هل هو سلم قوّة وعزّة أم، سلم ذلّ وهوان بسبب ما لحق بالأمة الإسلامية من ضعف واستكانة؟!

لن نتسرّع في الإجابة وسنتهج منهجا موضوعيًا في هذه القضية الحساسة حيث نعرض آراء وأدلة الفقهاء ومناقشتهم لهذه المسألة ولن نصير إلى التّرجيح حتّى نبين غايات الحرب والسلم وضوابطهما من القرآن والسنة، لنخلص في الأخير إلى الرّاجح من الأقوال في هذه القضية.

الفرع الأول: مسألة أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم هل هي سلام أم حرب؟

أولاً: أقوال الفقهاء في أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم.

اختلف الفقهاء في أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم على ثلاثة أقوال:

أ - القول الأوّل: ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة إلى أنّ الأصل في علاقة

المسلمين بغيرهم الحرب¹، وإلى هذا الرّأي ذهب عدد من العلماء المعاصرين: عبد الكريم زيدان، سيد قطب، أبو الأعلى المودودي - رحمهم الله.²

¹ - ينظر: الحاوي الكبير، أبو الحسن الماوردي 14 / 113، تحقيق وتعليق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود ط / 1، ت ط / 1414 - 1994، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان. ردّ المختار على الدرّ المختار، محمد أمين ابن عابدين، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض 6 / 199 - 202. د / ط، ت ط / 1423 - 2033، دار عالم الكتب، الرياض - المملكة العربية السعودية. شرح الفتح القدير، 5 / 424 - 432. نهاية المحتاج، ابن شهاب الرملي 8 / 45 - 47، ط / 3، ت ط / 1424 - 2003، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان. بدائع الصّنائع 9 / 392 - 400.

روضة الطالبين، يحيى بن شرف النووي، 1778 - 1789، ط / 1، ت ط / 1423 - 2002، دار بن حزم بيروت - لبنان. المغني، ابن قدامة المقدسي 13 / 6 - 10، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي - عبد الفتاح محمد الحلو، ط / 3، ت ط / 1417 - 1997، دار الكتب العلمية، الرياض - المملكة العربية السعودية.

² - ينظر: معالم الطّريق، سيد قطب، / 59. الجهاد في سبيل الله بين الطلب والدفاع، / 97 - 123.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

ب - القول الثاني: أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم السلم، وأنّ الحرب أمر طارئ لا يلجأ إليه إلا عند الاعتداء على المسلمين أو ظلمهم أو فتنهم عن دينهم. ذهب إلى هذا الرأي: الكمال بن الهمام، الثوري الأوزاعي وابن تيمية، وابن القيم ومن العلماء المعاصرين: وهبة الزحيلي، محمد أبو زهرة، محمود شلتوت... وغيرهم.¹

ج - القول الثالث: إنّ العلاقة بين المسلمين وغيرهم من الأمم علاقة دعوة تتنوع حسب الظروف والأحوال تبعاً للمصلحة الحقيقية لأهل الأرض جميعاً، فقد تكون علاقة المسلمين بغيرهم علاقة سلم قبل إبلاغهم قبل إبلاغهم أو أثناء تبليغهم، إذا تجاوزت الأمم غير الإسلامية مع الدعوة، وقد تكون علاقة المسلمين بغيرهم علاقة حرب بعد إبلاغهم الدعوة، وعندما توضع العقبات أمام تبليغهم.²

الفرع الثالث: الأدلة الفقهية في مسألة العلاقة بين المسلمين هل هي السلم أم الحرب؟

أولاً: الأدلة القائلة بأن أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم الحرب

أ - من القرآن الكريم: استدلل أصحاب القول الأول بالآيات الآتية:

1 - قَالَ تَعَالَى ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى

الظَّالِمِينَ ﴿١٣٣﴾ -2 [التوبة/ 5].

3- قَالَ تَعَالَى ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا

حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ [التوبة/ 29].

4- قَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿

¹ - العلاقات الدولية في الإسلام محمد أبو زهرة، 50-56. العلاقات الدولية في الإسلام مقارنة بالقانون الدولي الحديث وهبة الزحيلي 105 - 115. نظرية الحرب في الإسلام، محمد أبو زهرة، / 37 - 42، ط / 2، ت - ط 1429 - 2007 دراسات الإسلامية، العدد / 160 الصادرة عن: وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر.

² - آثار الحرب في الفقه الإسلامي، وهبة الزحيلي / 136. الجهاد طريق النصر، عبد الله غوشة / 21 - 20 ط / 1، ت ط / 1396 - 1986، منشورات الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية.

ينظر: الإسلام عقيدة وشرعة، محمود شلتوت، / 453. السلم في القرآن والسنة مركزاتها ووسائل حمايتها / 456 - 491

5- قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَتَمًا﴾

[محمد/ 35]

- وجه الاستدلال من الآيات الكريمة:

- أمرت الآيات الكريمة ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾

- ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾

﴿فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ أمرت بقتال المشركين بعد انتهاء المهلة التي منحت

لهمو الأمر يفيد الوجوب فكان قتال المشركين واجباً.

- إن هذه الآيات الكريمة قد نسخت كل ما عداها من الآيات المتعلقة بالجهاد فلم يبق إلا الأمر بقتال

المشركين.¹

- وجه الاستدلال من قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

فقد أوجبت الآية الكريمة قتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية، فيتوقف القتال، ويدخلون في ذمة

المسلمين.²

- وجه الاستدلال من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ فقد نعت الآية

الكريمة المسلمين عن الضعف والتخاذل في قتال الكفار ودعوة الكافرين إلى المسالمة؛ لأنّ المسلمين هم العالون

الغالبون لأعدائهم والمؤيدون بنصر من الله وتوفيقه.³

- عموم الآيات الداعية للقتال وإطلاقها منها:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ

وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/ 216].

¹ - ينظر جامع أحكام القرآن، القرطبي، 3 / 246 - 247. أحكام القرآن، ابن العربي، 1 / 155 - 157. فتح القدير

الجامع بين في الرواية والدراية، محمد بن علي الشوكاني، مراجعة: يوسف الغوش، / 123 - 125، ط / 4، ت - ط / 1428 - 2007.

² - فتح القدير، الشوكاني/ 565 - 567. أحكام القرآن، ابن العربي 2 / 473 - 483.

³ - في ظلال القرآن، سيد قطب 6 / 3302.

- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [التوبة/ 123]

وهذا يقتضي أن أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم هي الحرب.¹

- هي الله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين منها: قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران/ 28]

والقول بأن أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم السلم هو اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين وهو منهي عنه.²

2- من الحديث النبوي الشريف:

- عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى].³

- قال صلى الله عليه وسلم: [...والجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل والإيمان بالأقدار].⁴

- وجه الاستدلال من الحديثين: الحديث الأول نصّ على وجوب قتال الناس للدخول في الإسلام والقتال بذلك طريق للدعوة إلى الإسلام، أمّا الحديث الثاني فهو ينص على أنّ فريضة الجهاد في سبيل الله ماضية إلى يوم القيامة لقتال كل ظالم محارب لله ورسوله إلى أن يقتل آخر الكافرين به وهو المسيح الدجال.

¹ - آثار الحرب، وهبة الزحيلي. الجهاد طريق التصر غوشة، / 13.

² - الجهاد طريق التصر، عبد الله غوشة / 14، ط / 1، ت ط / 1396 - 1986، منشورات الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية.

³ - صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام والتوبة، وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله ص 2790 - 2791، رقم الحديث 2786.

⁴ - سنن أبي دود، كتاب الجهاد، باب في الغزو مع أئمة الجور، / 287، رقم الحديث / 2532.

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

- عن ابن عمر - رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ، حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُحْمِي، وَجُعِلَ الدُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ].¹

- وجه الاستدلال من الحديث: أَنَّ الله بعثه داعياً إلى توحيدهِ بالسَّيْفِ بعد دعائه بالحجَّة؛ فَمَنْ لم يَسْتَجِبْ إلى التوحيد بالقرآن والحجَّة والبيان، دُعِيَ بالسَّيْفِ.²

ج - أقوال الفقهاء المتقدمين: لقد أفصح عدد من الفقهاء المتقدمين لا يتسع المقام لحصرهم هنا ما يفيد بوجود هذا الرأي عند المتقدمين:

- قال بن الهمام الحنفي: «وقتل الكفار والذين لم يسلموا، زهم من مشركي العرب أو لم يسلموا ويعطوا الجزية من غيرهم واجب وإن لم يبدؤونا؛ لأن الأدلة الموجبة له لم تقيد الوجوب ببداءتهم وهذا معنى قوله للعمومات...»³ المقصود بالعمومات النصوص التي ذكر فيها القتال عامًا.

- قال الإمام الشافعي: «حقن الله الدماء ومنع الأموال إلا بحقها، بالإيمان بالله ورسوله، أو عهد من المؤمنين بالله ورسوله لأهل الكتاب، وأباح دماء البالغين من الرجال بالامتناع من الإيمان، إذا لم يكن لهم عهد» وروي بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: [لا أزال أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا: لا إله إلا الله، فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم وأنفسهم إلا بحقها وحسابهم على الله]⁴.

- قال ابن قدامة المقدسي: «ويقاتل أهل الكتاب والمجوس حتى يسلموا أو يعطوا الجزية. ويقاتل من سواهم من الكفار حتى يسلموا».⁵

¹ - الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، كتاب، باب قوله: بعثت بين يدي الساعة بالسيف، 6 / 43، رقم الحديث 9897، تحقيق محمد عبد القادر أحمد العطا، ط / 1، ت ط / 1422 - 2001 دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

² - ينظر: إرواء الغليل، الألباني 109/5. صحيح الجامع، الألباني / 2831.

³ - شرح فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي ابن الهمام، 5 / 424، ط / 1، ت ط / 2003 - 1424، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

⁴ - مسند الإمام محمد بن إدريس الشافعي، الشافعي، ترتيب سنجر بن عبد الله التاصر، تحقيق وتخريج رفعت فوزي عبد

المطلب مج 2 / 1167، رقم الحديث / 980، ط / 1، ت ط / 1426 - 2005 دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان.

⁵ - المغني، ابن قدامة 13 / 31، تحقيق: عبد الله بن المحسن التركي - عبد الفتاح محمد الحلوة، ط / 3، ت ط / 1417 - 1997، دار عالم الكتب للتشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

- وقال الإمام الشوكاني¹: «أما غزو الكفار ومناجزة أهل الكفر وحملهم على الإسلام أو تسليم الجزية أو القتل فهو معلوم من الضرورة الدينية ولأجله بعث الله رسله وأنزل كتبه . وما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ بعثه الله عز وجل إلى أن قبضه إليه جاعلاً لهذا الأمر من أعظم مقاصده ومن أهم شؤونه، وأدلة الكتاب والسنة في هذا لا يتسع لها مقام ولا لبعضها وما ورد في موادعتهم أو في تركهم إذا تركوا المقاتلة لهم على كل حال مع ظهور القدرة عليهم والتّمكّن من حربهم، وقصدتهم إلى ديارهم»².

- قال الجصاص³: «ولا نعلم أحداً من الفقهاء يحظر قتال من اعتزل قتالنا من المشركين، إنّما الخلاف في جواز ترك قتالهم لا في حظره»⁴.

ب - أدلة القائلين أنّ أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم هي السلم:

1- من القرآن الكريم:

استدل أصحاب هذا القول بعدة أدلة من القرآن الكريم الداعية إلى وجوب السلم مع من يخالفنا في العقيدة ما لم يقم بمحاربتنا أو الاعتداء علينا، وإن فعلوا تكون حينئذ الحرب ضرورة دفاعاً عن النفس، وحب البقاء، أو اتقاء لهجوم من هذه الأدلة القرآنية:

- آيات داعية إلى السلم والصلح والكفّ عن القتال مع الناس جميعاً:

¹ - محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ولد سنة 1173 هـ، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء، ولد ببحرّة شوكان من بلاد حولان باليمن، نشأ بصنّاء وولي قضاءها سنة 1229 هـ ومات حاكماً بها سنة 1264 هـ، 114 مصنفًا أهمها: نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - الدرر البهية في المسائل الفقهية فتح القدير، السيل الجزار، إرشاد الفحول... وغيرها. ينظر: الأعلام، الزركلي، 6 / 269.

² - السيل الجزار المتدقّق على حدائق الأزهار، محمد بن علي الشوكاني، 945 / ط / 1، ت ط / 1425 / 2004 دار بن حزم، بيروت - لبنان.

³ - أحمد بن أبو بكر الرازي الإمام الشأن المعروف بالجصاص وهو لقب له حنفي المذهب.

ولد سنة 305 هـ، سكن بغداد، وعنه أخذ فقهاؤنا، وإليه انتهت رئاسة الأصحاب. له من المصنّفات "أحكام القرآن - وشرح مختصر شيخه أبي الحسن الكرخي - شرح الطحاوي - شرح الجامع لمحمد بن الحسن - شرح الأسماء، وله مفيد في أصول الفقه وله جوابات عن مسائل وردت عليه

قال ابن التّجار: توفي يوم الأحد السابع من ذي الحجّة سنة 370 عن خمس وستين سنة. أنظر: الجواهر المضئبة في الطبقات الحنفيّة محي الدين أبي محمد القرشي الحنفي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، 1 / 220-224، ط / 2، ت ط / 1413 - 1993، دار إحياء العربيّة الرّياض المملكة العربيّة السّعوديّة.

⁴ - أحكام القرآن، الجصاص 3 / 191، محمد الصادق القمحاوي، ت ط / 1412 - 1992، دار الإحياء العربي بيروت - لبنان.

- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ [البقرة/ 208].

- وجه الاستدلال: فالإسلام يدعو الناس جميعاً إلى الدّخول في الإسلام والمسالمة والصّلاح وعدم الحرب.¹

- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَاطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلقَتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ [النساء/ 90].

- وجه الاستدلال: حيث ذكرت الآية التي قبلها أنّ المنافقين إذا اعتزلوا المسلمين ولم يقاتلهم بل سلموهم فلا سبيل عليهم عندئذ طالما اختار هؤلاء الكفّار الحياد والمصالحة، ولم يتعرّضوا لقتالكم فلا يحلّ لكم قتالهم ما لم يبدؤوكم هم بالعدوان.²

- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَنَّا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنْ ءَلَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ [النساء/ 94].

- وجه الاستدلال من الآية الكريمة: هذه الآية تعود بالحرب إذا نشبت بالأصل الطّبيعي في العلاقات وهو السّلم، ولا يكون حينئذ اللّجوء للحرب، إلّا إذا اضطرّ المسلمون لذلك دفاعاً عن النفس، ممّا يدلّ على أنّ صل العلاقات الإسلاميّة مع الأمم الأخرى هو السّلم وليس الحرب.³

- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ [الأنفال/ 61].

- وجه الاستدلال من الآية الكريمة: فإذا مال الكفّار للمسالمة، وكان للمسلمين مصلحة في الصّلاح فلا بأس به إذا احتاجوا له⁴، والمعنى إذا مال الكفّار إلى المصالحة والمسالمة فمل - يا محمّد - إلى موافقتهم، واقبل

¹ - جامع البيان، الطّبري 2 / 336.

² - ينظر: تفسير القرآن الكريم، ابن كثير 2 / 354. فتح القدير 1، الشوكاني / 496.

³ - آثار الحرب، الرّحيلي، / 134.

⁴ - ينظر: جامع البيان، الطّبري 6 / 287.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهي

ذلك معهم وسالمهم متوكلاً على ربك وإن قدرت على محاربتهم.¹

- قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة/ 256].

- وجه الاستدلال من الآية الكريمة: أن الإسلام لم يجعل الإكراه وسيلة من وسائل الدخول في الدين، بل جعل وسيلة ذلك استعمال العقل والفكر، والنظر في ملكوت السموات والأرض.²

- آيات داعية إلى القتال الدفاعي: في مجال مشروعية فقد استدلل أصحاب هذا الرأي بالآيات القرآنية التي

تفيد أن القتال يقوم على الدفاع، ومقابلة العدوان فحسب؛ لأن الدعوة تقوم على عدم الإكراه³ من هذه الآيات نجد:

- محاربة الكفار واعتدائهم: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة/ 190].

- وجه الاستدلال: فالمعنى أن الله أذن بالقتال للمؤمنين على أن دفاع في سبيل الله للتمكّن من عبادته في بيته ومنعاً للفتنة، نكثاً للعهد، لا لحظوظ النفس وأهوائها.⁴

- درء الفتنة وحماية الدعوة قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾﴾ [البقرة/ 191]

- نقض العهد: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكٰفِرِينَ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾ [التوبة/ 12].

- نصرة المظلومين قَالَ تَعَالَى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظٰلِمُونَ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج/ 39].

- وجه الاستدلال من الآيات الكريمة:

فهذه أسباب أباحت القتال وما عداها فيبقى على الأصل وهو السلام.⁵

1 - أحكام القرآن، الحصائص 3 / 90. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير 3 / 341.

2 - فقه السنة، السيد سابق، 3 / 6، د / ط، د / ت ط / الفتح للإعلام العربي القاهرة - مصر.

3 - السلم في القرآن والسنة، عبد الهادي الخليلي، 387.

4 - فقه السنة، السيد السابق، 3 / 22.

5 - تفسير المنار، محمد رشيد رضا 2 / 208.

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

- لأنّ روح الإسلام تدعوا إلى العفو والتسامح بالمسالمة والمحبة الشاملة فإنّ السّلام من الأسماء الحسنی، وهو تحية المسلمين، بل الجنّة دار السّلام الأمر الذي يدلّ على أهميّة السّلام في الإسلام.¹

- **قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَهْدِكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة/ 8]**
- وجه الاستدلال من الآية الكريمة:

ب- أدلّتهم من السنّة النبويّة: في السنّة النبويّة الشريفة أحاديث كثيرة جاءت داعية للسّلم عند التّعامل مع غير المسلمين كانت سنداً وأدلة قويّة اعتمد عليها أصحاب هذا المذهب في تدعيم رأيهم من أنّ أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم هي السّلم من هذه الأحاديث:

1 - عن أبي أمامة² قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [إن الله - تعالى - جعل السّلام تحية لأمتنا وأماناً لأهل ذمتنا].³

- **وجه الاستدلال من الحديث:** هذا الحديث بيّن فيه الله - عزّ وجلّ منزلة السّلام عند الله عز وجل بحيث جعلها تحية وشعار للأمة الإسلاميّة، وأماناً لأهل الذمّة الذين يعيشون بيننا. فكان دليلاً على أنّ أصل العلاقة هي السّلم لمن يقول به.

2 - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية فإذا لقيتموه فاصبروا واعلموا أن الجنّة تحت ظلال].⁴

¹ - المصدر نفسه 2/ 5.

² - صدي- بالتصغير - ابن عجلان بن الحارث، ويقال ابن وهب بن رياح بن معن بن مالك بن أعصر الباهلي، أبو أمامة مشهور بكنيته روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وعن عمر وعثمان، وعلي، معاذ، وأبي الدرداء، وعبادة بن الصامت وغيرهم. روى عنه أبو إسلام الأسود، ومحمد بن زياد الألهاني، وشرحبيل بن مسلم، وشداد، وأبو عمار. قال بن سعد: سكن الشّام، وأخرج الطبراني ما يدلّ على أنّه شهد أحد، ولكن بسند ضعيف. توفي أبو أمامة الباهلي مات وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ست وثمانين للهجرة. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، العسقلاني، / 689.

³ - المعجم الكبير، الطبراني 8/ 109. رقم الحديث 7518. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي 8/ 29

⁴ - صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب لا تتمنوا لقاء العدو / 1102 رقم الحديث 2861 - 2862. صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب كراهية تمّني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللّقاء / 145 رقم الحديث / 4432، 1741. السنن الكبير، أحمد بن الحسين البيهقي تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التّركي، كتاب السيّر، باب كراهية تمّني لقاء العدو 18 / 499 رقم الحديث 18505. ط / 1 ت ط / 1431 - 2011، مركز هجر للبحوث والدراسات العربيّة والإسلاميّة القاهرة، مصر.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

- وجه الاستدلال من الحديث: فيه نهي عن الرغبة في الحرب، وعدم تمّي لقاء العدو، والحثّ على طلب العافية والسلامة.¹

3 - عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَائِدٍ قَالَ: [كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا بَعَثَ بَعْثًا، قَالَ: تَأَلَّفُوا النَّاسَ وَتَأَنَّفُوا بِهِمْ، وَلَا تُغِيرُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى تَدْعُوهُمْ، فَمَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا وَأَنْ تَأْتُونِي بِهِمْ مُسْلِمِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَقْتُلُوا رِجَالَهُمْ، وَتَأْتُونِي بِنِسَائِهِمْ].²

4 - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [دَعُوا الْحَبْشَةَ مَا وَدَعُوكُمْ، وَاتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ].³

5 - من السيرة النبوية: كانت سيرته أنّ كلّ من هادنه من الكفار لا يقاتله وهذه كتب السير والحديث والتفسير والفقه، والمغازي تنطق بهذا، وهذا متواتر من سيرته، فهو لم يبدأ أحد من الكفار بقتال، ولو كان الله أمره أن يقتل كلّ كافر لكان يبتدئهم بالقتل والقتال.⁴

قال بن القيم: «وإنما كان يقاتل من يجاربه، ويقاتله، وأمّا من سالمه وهادنه فلم يقاتله، ومن تأمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم يتبين له أنّه لم يكره أحداً على دينه قط، وأنّه إنّما قاتل من قاتله، وأمّا من هادنه فلم يقاتله مادام مقيماً على هدنته ولم ينقض عهده... وكذلك هادن قريشاً عشر سنين لم يبدأهم بقتال حتى بدؤوا هم بقتاله، ونقضوا عهده، فعند ذلك غزاهم في ديارهم، وكانوا هم يغزونه، ولو انصرفوا عنه لم يقاتلهم والمقصود أنّه صلى الله عليه وسلم لم يكره أحداً على الدخول في دينه البتّة، وإنّما دخل الناس دينه اختياراً وطوعاً.»⁵

¹ - السلم في القرآن والسنة /390. ينظر: شرح البخاري العسقلاني، كتاب الجهاد، باب لا تتمّوا لقاء العدو /181 رقم الحديث 3026. شرح صحيح مسلم، التّووي، كتاب الجهاد، باب كراهية تمّي لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللّقاء، ص/1119 رقم الحديث 1741.

² - المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ابن حجر العسقلاني، كتاب الجهاد، باب الدّعوة قبل القتال، 9 / 415، رقم الحديث / 2019 تحقيق: جمال بن فرحات صاوي، تنسيق سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشّثري، - ط / 1، ت ط / 1419 -1998، دار العاصمة للتّشّير والتوزيع المملكة العربيّة السّعوديّة.

³ - سنن أبو داود، كتاب الملاحم، باب في التّهي عن تمهيج التّرك والحبشة، /470، رقم الحديث / 4302.

⁴ - قاعدة مختصرة في قتال الكفار ومهادنتهم، وتحريم قتلهم مجرّد كفرهم، ابن تيمية، تحقيق ودراسة ومقارنة: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزّبير آل حمد / 134، ط / 1، ت ط / 1425-2004 مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة.

⁵ - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنّصارى، ابن القيم، تحقيق عثمان جمعة ضميريّة، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد /29 - 30، دار عالم الفوائد، مطبوعات الجمع الفقه الإسلامي، جدّة المملكة العربيّة السّعوديّة.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

وقال أيضاً: «بل نقاتل من حاربنا وهذه كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهل الأرض كان يقاتل من حاربه إلى أن يدخل في دينه أو يهادن، أو يدخل تحت قهره بالجزية، وبهذا كان يأمر سرياه وجيوشه إذا حاربوا أعداءهم، وهذا أحب إلى الله من قتلهم».¹

- لم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قاتل النصارى إلا عندما قاتلوا المسلمين وقتلوا من أسلم منهم بغياً وظلماً وكانت غزوة مؤتة أول قتال مع النصارى حيث كان سببها مقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم² الحارث بن عمير الأزدي أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ على امرأة مقتولة فقال: [مَا كَانَتْ هَذِهِ لِثِقَاتٍ . فَأَمَرَ رَجُلًا، فَقَالَ: الْحَقْ خَالِدًا فُقُلْ: لَا تَقْتُلَنَّ ذُرِّيَّةً وَلَا عَسِيفًا. قَالَ: الْعَسِيفُ الْأَجِيرُ].³

فقد بيّن الحديث العلة في تحريم قتل المرأة أنّها لم تكن تقاتل المسلمين مع المقاتلين، فعلم من ذلك أنّ مقاتلتهم لنا سبب قتالنا لهم، وهذا يعني أنّ علة القتال في الإسلام هي القتل، وليس الكفر.⁴

- يقول الشيخ محمود شلتوت: "السلم هو العلاقة الأصلية بين الناس في الإسلام، وعلى هذا بنى

الإسلام سياسته الإصلاحية فيما بين المسلمين مع بعض، وفيما بينهم وبين غيرهم من الأمم المختلفة.

وبذلك كان السلم هو الحالة الأصلية التي تهيم للتعاون والتعارف وإشاعة الخير بين الناس عامّة وهو بهذا الأصل لا يطلب من غير المسلمين إلا أن شرّهم عن دعوته وأهله، وألا يثيروا الفتن والمشاكل ويأبى الإباء كلّ أن يتخذ الإكراه طريقاً للدعوة ونشر تعاليمه: **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾﴾** [يونس / 99]

وإذا احتفظ غير المسلمين بحالة السلم فهم والمسلمون في نظر الإسلام إخوان في الإنسانية، يتعاونون على خيرها العام ولكلّ دينه يدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة دون إضرار بأحد ولا انتقاص لحق أحد.⁵

¹ - أحكام أهل الذمة، ابن القيم، تحقيق: أبو براء يوسف بن أحمد البكري وأبو شاعر بن توفيق العاروري، 1 / 110 دار الرمادي للنشر والتوزيع الدمام، المملكة العربية السعودية.

² - قاعدة مختصرة في قتال الكفار ومهادنتهم، ابن تيمية / 135 تحقيق ودراسة ومقارنة: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزبير آل حمد ط / 1، ت ط / 1425-2004 مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض المملكة العربية السعودية.

³ - سنن أبي داود / كتاب الجهاد، باب في قتل النساء، / 301، رقم الحديث / 2669.

⁴ - نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي محمد الشوكاني / 8 / 735، الطبعة الأخيرة، د / ت ط، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر.

⁵ - الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت / 453، ط / 18، ت - ط / 1421 - 2001، دار الشروق القاهرة. مصر.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

إنّ هذه الوقائع التاريخية من السيرة النبوية تؤكد القول بأن أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم، السّلم، ذلك لأنّ دعوة النّاس قبل القتال تبدأ باللسان قبل اللجوء إلى السّنن حيث **قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾** [النحل / 125].

وهذا يدعوننا للتعرّف على أدلة القائلين أنّ الدّعوة أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم.

ج - أدلة القائلين أنّ الدّعوة أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم: إنّ الإسلام ختم المراحل التمهيدية التي سبقتها في تهيئة العقل البشري، والانتقال به إلى مجال التفكير وحرية الاختيار بنهج أسلوب السّلم في تبليغ الدعوة¹ وقد وردت أدلة عديدة استدلت أصحاب هذا القول نلخصها في ما يأتي:

1 - من القرآن الكريم: **قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾** [النحل / 125]

- وجه الاستدلال من الآية الكريمة: مخاطبة الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - بهذا الأمر في حين أنّه داعٍ إلى الإسلام وموافق لأصول ملّة إبراهيم - عليه السّلام - دليل على أنّ صيغة الأمر مستعملة في طلب الدّوام على الدّعوة الإسلامية للنّاس، مع ما نضمّ إلى ذلك من الهداية إلى طرائق الدّعوة إلى الدّين.²

2 - من السنّة النبوية الشريفة: أنّ الرّسول صلى الله عليه وسلم كان إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله - عزّ وجلّ - ومن معه من المسلمين خيراً ثمّ قال له: [إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال أو خلال فأيتها أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأعلمهم أنّهم إن فعلوا ذلك أن لهم ما للمهاجرين وأن عليهم ما على المهاجرين فإن أبوا واختاروا دارهم فأعلمهم أنّهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الفبيء والغنيمه نصيب إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية فإن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم فإن أبوا فاستعن بالله تعالى وقاتلهم وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله تعالى فلا تنزلهم فإنكم لا تدرون ما يحكم الله فيهم ولكن أنزلوهم على حكمكم ثم اقضوا فيهم بعد ما شئتم].³

1 - السّلم في القرآن والسنّة، مركزاتها ووسائل حمايتها، عبد الهادي الخليلي / 456.

2 - التحرير والتّنوير، محمد ابن عاشور / 14 / 326.

3 - سنن الترمذي، كتاب السيّر، باب ما جاء في وصيته صلى الله عليه وسلم في القتال، / 139، رقم الحديث / 1617

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

- وجه الاستدلال: الملاحظ من خلال هذا الحديث أنّ الحرب هي آخر أمر يلجأ إليه لنشر الإسلام بعد عرض الإسلام على الآخرين فإن قبلوه صاروا إخوة للمسلمين، وإن لم يقبلوا الإسلام تعرض عليهم الجزية فإن قبلوا فلهم ذمّة المسلمين، فإن امتنعوا ورأى المسلمون مصلحة في قتالهم جاز ذلك.¹

- روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً في سرية وقال: [لا تقاتلوهم حتى تدعوهم فإن أبوا فلا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم فإن بدؤوكم فلا تقاتلوهم حتى يقتلوا منكم قتيلاً ثم أروهم ذلك القتل وقولوا لهم هل إلى خير من هذا سبيل؟ فلأن يهدي الله تعالى على يديك خير لك ممّا طلعت عليه الشمس وغربت].²

ج - الشواهد التاريخية: إنّ الشواهد التاريخية في حياة الأمة الإسلامية تدلّ على أنّ الحرب ليست هي الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم، ففي المرحلة المكيّة كانت علاقة المسلمين بغيرهم علاقة سلم وبيان للحقائق الإسلامية، وبعد الهجرة تغيّرت ظروف الدّعوة الإسلامية، وصار للمسلمين قوّة وعاشوا أماناً لم يعيشوه من قبل وقد أدّى ذلك إلى وقوف الأعداء في وجه الدّعوة للقضاء عليها، وقد حاول الرسول صلى الله عليه وسلم إيقاف هذا العدوان بالحسنى فلم يتحقّق ذلك، فأذن الله له وللمسلمين بالقتال، ثمّ فرض عليهم قتال المشركين كافّة؛ لأنّ ظروف الدّعوة اقتضت ذلك، ومع ذلك فإنّ المجال واسع للطّرق الودية متى كانت هي الأجدى بالدّعوة يدلّ على ذلك أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم عقد المعاهدات مع أعداء اليهود والعرب وأرسل إلى الملوك والرّعماء يدعوهم إلى الإسلام³، وكلّ هذا يدلّ على جواز إقامة علاقات سلميّة مع الأمم غير الإسلامية ما لم يعتدوا على المسلمين.⁴

المطلب الثاني: المناقشة والترجيح

سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في دعاء المشركين / 296 رقم الحديث / 2612. سنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب وصية الإمام، / 311 رقم الحديث 2858.

¹ - طبيعة العلاقة بين المسلمين وغيرهم من الأمم، محمد علي سليم الهواري، مجلة الجامعة الإسلامية - سلسلة الدّراسات الإسلامية، مج 19 / 395 - 396. العدد / 2، يونيو 2011. أنظر: شرح منح الجليل على مختصر خليل، محمد عيش / 1 / 713-714، د / ط، د / ت ط.

² - ينظر: المبسوط، السرخسي، باب معاملة الجيش مع الكفار، 10 / 31، د / ط، د / ت ط، دار المعرفة، بيروت لبنان.

³ - لقد فضّلنا في هذه المواقف عند الحديث عن التأصيل الشرعي للتعاون الحضاري من خلال السيرة النبويّة الشريفة.

⁴ - الجهاد طريق النّص، عبد الله غوشة، / 116 - 121، ت ط / 1396 - 1976، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون والمقدّسات الإسلامية. مقوّمات السلم وقضايا العصر، الطيّار / 1 / 114 - 125، نقلا عن طبيعة علاقة المسلمين بغيرهم محمد علي الهواري / 369.

الفرع الأول: المناقشة

أولاً - أدلة جمهور الفقهاء القائلين أن أصل العلاقة مع غير المسلمين هي الحرب: إن جمهور فقهاء المذاهب السنيّة والشيعيّة في عصر الاجتهاد الفقهي في القرن الثاني الهجري أنّ الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هو الحرب جرياً على أساس تقسيمهم الدّنيا إلى دارين، وبناء على ما فهموه من آيات القرآن على ظاهرها وإطلاقها، دون محاولة الجمع والتّوفيق بينها، ادّعوا للتّخلّص ممّا أوهم ظاهره التّعارض بأنّ آية معيّنة قد نسخت كلّ ما عداها، ولعمري إنّ هذا لإسراف في القول بالتّسخ من القرآن الكريم كأنّهم في تقريرهم ذلك الأصل يتمشّون مع منطق رؤساء الدّول في العصر الحاضر حيث يخيّم شبح الحرب في كبد السّماء، وتتوتّر العلاقات الدّوليّة يوماً فيوماً فيزداد الجوّ تلبّداً بالغيوم، و يكفهرّ الفضاء بالحجب الكثيفة السّوداء وهم أيضاً لم يتعدّوا العلاقات القديمة بين الأمم والذي استمرّ كذلك في زمنهم فكانت لا تهدأ الدّنيا أو تنعم بالسّلام يوماً حتّى تعود إلى الغليان يوم آخر، وهكذا تواتت الحروب بين المسلمين وغيرهم فحال دائمة كهذه لا تنتظر من الفقهاء - وهم مرآة المجتمع و واضعوا الدّستور إلّا أن يقرّروا بأنّ الأصل بين المسلمين ومخالفهم في الدّين هو الحرب، ما لا يطرأ ما يوجب السّلم من إيمان وأمان، ولعلّ عذرهم في هذا الحكم هو لتأثرهم بما تستدعيه حالة المسلمين حينئذٍ من صورة الثّبات أمام الأعداء الذين يحيطون بهم من كلّ جانب فإذا سمع المسلم أنّه في حالة حرب مع العدو كان دائماً على أهبة الاستعداد دون أن يعتريه فتور أو استسلام فإنّ الاطمئنان إلى السّكينة، والخلود للرّاحة وتناسي الخطر الخارجي المحدق ممّا يمهد للقضاء على الدّعوة في مهدها وهي ما زالت غصّة الإيهاب فتية العود.¹

غير أنّ أدلتهم التي استندوا عليها في تقرير أن أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم هي الحرب يردّ عليها

بالمناقشة الآتية:

1 - الآيات المطلقة الدّاعية إلى القتال ن فيجب فهمها كلّها مع بعضها، ومجموعها يدلّ على أنّ القتال

محدّد بالسّبب الأصلي الذي من أجله شرّع الجهاد.

وأما الآيات التي يفهم منها شنّ الحرب مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ

أَخْرَجْتُمُوهُمْ وَأَلْفَنَّهُمْ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَتَلْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ

جَزَاءَ الْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ [البقرة 191] فإنّها محمولة على الآيات المقيدة المبيحة للقتال لسبب العدوان

¹ - آثار الحرب، وهبة الزحيلي / 130 - 131.

كقوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة/ 190].

ومن المبادئ الأصولية المقررة عند جميع العلماء أنّ المطلق يحمل على المقيد¹ في حالة تماثل السبب، أي أنّ الآية التي فيها إطلاق في تشريع القتال سواء وجد اعتداء أم لا إنّما هي مقيدة بآية البقرة 190، وفيها، تقرير بأنّ القتال يكون لمن قاتل المسلمين مقابلة لصنيعهم.

2- أمّا النهي عن موالاة الكافرين فليس معناه النهي عن مسالمتهم والإحسان إليهم وتبادل المنافع معهم فهذا غير محظور وكيف يكن محظوراً، وقد أباح الله للمسلم أن يتزوج بالكافرة الكتابية وليس بعد علاقة الزوجية موالاة، ونفى سبحانه النهي عن برّهم والقسط إليهم ما داموا لم يقاتلوا المسلمين ولم يعتدوا عليهم، فالمراد من الموالاة هنا اتّخاذهم أصدقاءً يستنصر بهم ويطمئنّ إليهم.²

3- أمّا استدلالكم على وجوب قتال الناس حتى يدخلوا في الإسلام بقوله صلى الله عليه وسلم: [أمّرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ... فيه نظر من وجوه:

- أنّ المراد بالناس في الحديث هم مشركو العرب خاصّة بالإجماع، لاجتماعهم على قتال الرسول صلى الله عليه وسلم ولأنّ غيرهم من أهل الكتاب والمشركين من غير العرب حكمهم يخالف حكم من جاء في الحديث لأنّهم يقاتلون حتى يسلموا أو يعطوا الجزية، فكلمة الناس، وإن أفادت العموم لوجود "الجنسية، إلا أنّها من باب العام الذي أريد به الخاص، يدلّ عليه رواية النسائي بلفظ [أمّرت أن أقاتل المشركين].

- ثمّ إنّ الحديث يفيد أنّ القتال فيه لدفع الشرّ لا للدعوة، وإلاّ لكانوا هم وغيرهم سواسية فهناك فرق بين صيغة أقاتل واقتل إذ لا يلزم من إباحة المقاتلة إباحة القتل؛ لأنّ المقاتلة مفاعلة تستلزم وقوع القتال من الجانبين ولا كذلك القتل.³

- أنّ هذا الحديث ذكر الغاية التي يباح قتال الناس إليها، بحيث إذا فعلوها حرّم قتالهم، ومعنى الحديث أيّ لم أوامر بالقتال إلاّ على هذه الغاية، فإنّ هذا خلاف النصّ والإجماع، فإنّ الرسول صلى الله عليه

¹ - ينظر: شرح القاعدة وشروطها في كتاب: المطلق والمقيد وأثرهما في اختلاف الفقهاء، حمد بن حمدي الصاعدي، ط / 2 ت ط 1428 عمادة البحث العلمي، قسم الإصدار المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

² - السياسة الشرعية، عبد الوهاب خلاّف، / 76.

³ - ينظر: آثار الحرب في الفقه الإسلامي، وهبة الزحيلي / 121، السياسة الشرعية، عبد الوهاب خلاّف / 78.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

وسلملم يفعل هذا قط بل كانت سيرته أنّ من سالمه لم يقاتله، وقد ثبت بالنص والإجماع أنّ أهل

الكتاب والمجوس إذا أدا الجزية حرّم قتالهم.¹

- أمّا حديث مثل: [بعثت بين يدي الساعة بالسيف...] فيقصد بها بيان أهميّة الجهاد للدّفاع عن

الدّعوة فلو لا الاعتداء ما جاهد المسلمون.²

- وقوله صلى الله عليه وسلم: [الجهاد ماض إلى يوم القيامة...] بأنّه إنّما أراد به فرضاً باقياً وهو فرض

الكفاية؛ لأنّه لم يفرض لعينه إذ فرض لدفع الشر عن العباد وإعزاز دين الله.³

- أمّا أقوال الفقهاء المتقدّمين التي الدّاعية إلى قسر الآخرين للدّخول إلى الإسلام غير صحيح؛ لأنّه لا

يتفق مع القاعدة الكبرى في الإسلام التي تقرّر أنّها **قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**

فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ ﴿البقرة/ 256﴾، ولا يتفق مع طريق الدّعوة إلى الإسلام التي بيّنها الله تعالى، وهي الدّعوة بالحجّة

والبرهان والإقناع والمنطق والعقل.⁴

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿النحل/ 125﴾.

ب - مناقشة أدلّة القائلين بأن أصل العلاقة مع غير المسلمين هي السّلم:

يقول السيّد قطب في معرض ردّه على القائلين بأن أصل العلاقة مع غير المسلمين هي السّلم: "إذا كان

المسلمون لا يملكون بواقعهم تحقيق هذه الأحكام اللّحظة وموقناً غير مكلفين بتحقيقها، ولا يكلف الله نفساً إلاّ

وسعها، ولهم في الأحكام المرحليّة سعة يتدرّجون معها حتّى ينتهوا إلى تنفيذها... ولكن عليهم أن ألاّ يلووا أعناق

التّصوُّص التّهاويّة لتوافق أحكام التّصوُّص المرحليّة وعليهم ألاّ يحملوا ضعفهم الحاضر على دين الله القويّ المتين

وعليهم أن يتّقوا الله في مسح هذا الدّين وإصابته بالهزال بحجّة أنّه دين السّلم والسّلام! فعلاً إنّ دين السّلم

¹ - قاعدة في قتال الكفّار، ابن تيميّة / 103.

² - العلاقات الدولية في الإسلام مقارنة بالقانون الدولي الحديث، وهبة الزحيلي / 109.

³ - الجهاد طريق التّصوُّص، عبد الله غوشة، / 27.

⁴ - ينظر: التّفسير الكبير ومفتاح الغيب، فخر الدين الرّازي 20/ 139 - 142، ط / 1، ت ط / 1401 - 1981 دار

الفكر للطباعة والنّشر - بيروت لبنان. آثار الحرب في الفقه الإسلامي وهبة الزحيلي 81 - 82. الجهاد طريق التّصوُّص، عبد الله

غوشة / 116-121.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

والسلام، ولكن على أساس إنقاذ البشرية كلها من عبادة غير الله وإدخال البشرية كافة في السلم كافة... المنهزمون الذين يحاولون أن يلجوا أعناق النصوص ليأخرجوا من الحرج الذي يتوهمونه في انطلاق في انطلاق الإسلام وراء حدوده الأولى ليحرر البشر في الأرض كلها من العبودية لغير الله.

إنّ للجهاد المطلق في هذا الدين مبرراته النابعة من ذات المنهج الإلهي فليراجعها المنهزمون الذين يحملون هزيمتهم وضعفهم على هذا الدين لعلّ القوة من عنده وأن يجعل لهم الفرقان الذي وعد به عباده المتقين.¹ وقد نوقشت أدلتهم بما يأتي:

1- لم نجد أحداً من علمائنا وفقهائنا السابقين قال بمثل ما قال هؤلاء المعاصرون. حتى الذين تكلموا على قضية السلم، لم يكن كلامهم منصباً على القاعدة العامة المستمرة في العلاقات، وإنما على حالات معينة يدعو الإسلام فيها إلى السلم والمصالحة والبرّ بالمخالفين. وجاء كلامهم هذا في وقت كان المسلمون فيه يترّبعون على قمة الجحد، والعزّة تملأ جوانحهم، والعدو أشدّ رهبة... ومع ذلك وجدوا أنّ سماحة الدين الإسلامي ومبادئه الفاضلة تدعو إلى ذلك، ولن يخشى أن ينتهي هذا الكلام بأحد إلى الدعوة لنبد الجهاد وتركه حتى يقول إنه لا يجوز الجهاد إلا عندما يقع العدوان علينا، ولو وقع ينبغي دفعه سلباً، ثمّ يكون التّهاوت على السلم الرخيصة الدليّة.²

2- إنّ الآيات التي استندتم إليها منسوخة³ بآية السيّف: **قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾﴾** [التوبة/ 5].

وإذا كانت آية السيّف ناسخة فهي من باب أولى ناسخة للأحاديث الداعية إلى السلم. وهذا يقتضي أنّ الحرب هي أصل العلاقة بين المسلمين بغيرهم.¹

¹ - في ظلال القرآن، السيد قطب، 3 / 1582.

² - الأصل في العلاقة بين الدول الإسلامية وغيرها، عثمان جمعة ضميرية

<http://www.muslimworldleague.org/paper/1774/articles/p9-a1.htm>

³ - اختلف عدد من العلماء فيما بينهم في الآية الناسخة منهم من قال أنّها آية: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة/ 36]. وهو عند الآخرين آية السيّف السابقة الذكر، وهو عند فريق ثالث الأمر بقتال الكفار دون ذكر نصّ بعينه، وهو عند فريق رابع آية: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ...﴾ [الأنفال/ 39]، وهو عند فريق خامس آية النهي عن القتال في المسجد الحرام. ينظر: الجامع لأحكام القرآن القرطبي 10 / 63-64. أحكام القرآن، الجصاص 4 / 254. البحر المحيط أبو حيان الأندلسي الغرناطي 4 / 252، تحقيق وتعليق عبد الرزاق المهدي د / ط، د / ت ط، دار التراث العربي بيروت-لبنان.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

3 - أمّا ما استدلووا به من الواقع التاريخي، وهو أنّ حروب النبي صلى الله عليه وسلم كانت لردّ العدوان والبغي، وأنّه لم يقاتل إلاّ دفاعاً. فهذا في بيان حال واقعة، وليست بياناً لأصل أو مبدأ تُردُّ إليه الوقائع.

مع أنّ غزوات النبي صلى الله عليه وسلم وحروبه فيها ما هو دفاع وما هو هجوم ابتداءً. ولهذا لا يصح الاستدلال بذلك على أصل العلاقات وأنها السلم المطلق.

- ولذلك نجد أنّ النتيجة التي وصلوا إليها ليست مسلمة، لأنه قد تبين لنا السند التشريعي لما ذهب إليه الفقهاء، وهو الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة. ويعبر عن هذا الموقف المعاصر: قول الشيخ عبد الوهاب خلاّف - رحمه الله - "وقال فريق آخر من العلماء: "إنّ أساس علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول لا تغاير ما قرره علماء القانون الدولي أساساً لعلاقات الدول الحاضرة...".²

مع أنّ في قوله هذا عكساً للترتيب، فلم يكن هناك قانون دولي عندما قال الفقهاء المسلمون بما ذهبوا إليه.³

ج - مناقشة رأي القائلين بأنّ أصل العلاقة مع غير المسلمين هي الدّعوة: اعترض أهل المذهب الأوّل في معالجة هذه الآية لدفع معارضتها لما ذهبوا إليه، فيرى بعضهم أنّها منسوخة في حق الكفّار بآيات القتال وأنّها محكمة في حق عصاة المسلمين، ويتوجّه بعضهم إلى أنّها محكمة باعتبارها مثبتة لضرب من ضربي الدّعوة وهو المجادلة وقرع الحجّة بالحجّة، والضرب الآخر هو ما أفرزته آيات القتال في دفع شبهة المعاندين بالسيف، فكلّ من هذه الآية وآيات القتال محكم فيما جاء فيه، وقد رأى بعضهم في هذه الآية دليلاً على مشروعية الدّعوة قبل بدء القتال، فإذا امتنع الكفّار من قبول الدّعوة أصبحوا أهلاً للمقاتلة والقتل بعد قطع معذرتهم بالكلية.⁴

وعلى العموم بإمعان النّظر فيما ذهب إليه أصحاب هذا القول نجد أنّه يتفق مع القائلين بأنّ السّلم أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم؛ لأنّ كلا الرأيين يرى أنّ الحرب أمر اضطراري وأنّها ليست لغاية مقصودة لذاتها ولا

1 - طبيعة العلاقة بين المسلمين وغيرهم من الأمم، محمد علي سليم الهواري، مجلة الجامعة الإسلامية - سلسلة الدّراسات الإسلامية، 19 / 402 العدد / 2، يونيو 2011.

2 - السياسة الشرعية، عبد الوهاب خلاّف / 80.

3 - الأصل في العلاقة بين الدول الإسلامية وغيرها، عثمان جمعة ضميرية، ينظر: الإسلام والآخر - دراسة عن وضعيّة غير المسلمين في مجتمعات المسلمين، صابر طعيمة، / 276 - 288، مكتبة الراشدون ط / 1، ت ط / 1428 - 2007.

4 - الإسلام والآخر، صابر طعيمة، / 284. ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي 10 / 200. بدائع الصّنائع، الكساني 7 / 100.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

الرّبين يرى جواز إقامة علاقات سلمية مع الأمم الأخرى ما لم يعتدوا على المسلمين، والخلاف في هذه الحالة لفظي، ولا مشاحة في الاصطلاح.¹

إنّ الحديث في هذه المسألة سيطول فهي نفسها تستحق بحثاً خاصاً بها، فقد ثارت مناقشات وردود على مناقشات هي سجّال بين علمائنا الأفاضل مبسوطه في كتب الفقه قديماً وحديثاً، لا يتسع المقام لذكرها كلّها لاختلاف الآراء حول أدلّة المستند إليها في تقوية كل واحد منهم لمذهبه والانتصار له، حتّى أنّنا نجد أصحاب المذهب الأوّل يختلفون فيما بينهم عند الاعتراض على أدلّة القائلين بأنّ أصل العلاقة مع الآخرين هي السلم وليست الحرب، طبعاً واختلافهم هذا يعود بالدرجة الأولى إلى أسباب عديدة² ليس هنا المجال لتفصيلها.

فنحن أردنا أن نبسط الأهمّ في هذه المسألة لنخرج بالراجع من الأقوال حتى يتسنى لنا تنزيل مقصد التعاون الحضاري الإنساني على الواقع في عصرنا الحاضر. وفق رؤية موضوعية مستندة إلى أدلّة شرعية قوية انطلاقاً من مقاصد شريعتنا الغراء.

الفرع الثاني: الترجيح

¹ - طبيعة علاقة المسلمين بغيرهم من الأمم، محمد على الهواري، / 402.

² - من الأسباب التي ساهمت في الاختلاف في هذه المسألة راجع إلى عدّة أمور أهمّها:

أ - تباين المواقف في التعامل مع الكفار: فعلاقة المسلمين مع غيرهم من الشعوب لم تكن ثابتة على حالة واحدة خلال عهد الرسالة الإسلامية بل تكيفت هي أيضاً مع الظروف والتّقدّم الذي عرفته الدّعوة الإسلامية على صعيد تنجيم التّشريع، ووفرة=المنتهمين للإسلام وتوفّر القوّة والوسائل على رأي من يرى ذلك سبباً في الإذن بالقتال، واختلاف موقف الأعداء من الإسلام وتباينت سلوكهم مع المسلمين بحيث تمّ التعامل مع كلّ صنف بما يستحق.

ب - دعوى العموم: إنّ إشكالية الاستشهاد بالتّصوص التي وردت بصيغة العموم والإطلاق، والتي وردت بصيغة التّصوص والتقييد، أسهمت هي الأخرى في هذا الاختلاف المتباين الاتجاه، خاصّة وأنّ الفقهاء لم ينتبهوا لتخصيص العام، وحمل المطلق على المقيد، إنّما انحصر نظرهم على الوقائع التاريخية المتباينة، وتأثروا بدعوى التّسخ.

ج - دعوى التّسخ: إنّ دعوى التّسخ ساهمت بحظٍ وافرٍ في توجيه فكر أصحاب الرأي القائل بأنّ أصل العلاقة مع غير المسلمين هي الحرب ويسّرت القول بذلك. فالمخالفون لأصل السّلم في العلاقة الدّولية، يبنون رأيهم بأساس على نسخ حالة السّلم وما ينتج عنها بأية السيف: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلٌّ مَّرْصِدٌ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة / 5]. فهم يعتبرون أنّ هذه الآية رفعت كلّ ما كان من

صلح أو مهادنة مع المشركين، فصارحكم المشركين هو الحرب

إلا ما أخرجته الدليل، كالذمي والمعاهد والمستامن وأسرى الحرب وما في معناهم. ينظر: السلم في القرآن والسنة - مرتكزاتها ووسائل حمايتها عبد الهادي الخليلي، / 436.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

إنّ ما نراه في قضية أصل العلاقة بين الدولة الإسلامية، وبين غيرها من الدول الأخرى أهو السلم أم الحرب؟

لا يبدو بالسهولة التي طرح بها السؤال؛ لأننا بالمقابل نصوص شرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قوية في مجملها ومع تراث فقهي ثري لفقهاء هم نبراس الأمة في زمنها المظلم.

لذلك أرى أنّ الإجابة والترجيح بين هذه الآراء نطلق فيه من خلال مقدمات للوصول إلى نتيجة مسترشدين بمعيار مقاصد الشريعة بحول الله نبدأها بالمقدمة الأولى:

أولاً - المقدمة الأولى: حقيقة الجهاد بين تراث فقهاءنا، ومقاصد الشريعة الإسلامية

فسائر الذين كتبوا في الجهاد والسير يفهم القارئ من طرائقهم في تناول الموضوع أنّ الجهاد هو القتال، وأنّه قتال عن الدين أو لفرض الإسلام على الآخرين، وقسموه إلى : جهاد دفع وجهاد طلب، وبنو على هذا التصوّر كلّ ما عرف بأنّه جزء من آثار الحرب وأحكامها، فأحكام الأسرى، وأحكام المعاهدات، وما يتعلّق بالغنائم والإعداد والتّهيئة للقتال وتقسيم المعمورة إلى دار حرب ودار إسلام كلّ ذلك انطلق معظم الفقهاء المتقدّمين فيه من هذا الفهم، أو ذلك التصوّر تصوّر أنّ الجهاد هو القتال مستدلّين في ذلك بحديث : [أمرت أن أقاتل الناس..]، وهذا الحديث قيل في تخرجه الكثير من قبل علماء الحديث¹، وهو لا يصلح لأن يكون ناسخاً لغيره أو مخصّصاً، ولا مقيداً، فضلاً عن أن ينسخ بمثله القرآن الكريم القطعي .

- قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة/ 256].

- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس / 99].

من بين مئتي آية وردت في تقرير حرّية العقيدة والعبادة والتدين، هذه الآيات كلّها محكمة، وليس هناك ما يصلح أن يكون ناسخاً لها، لذلك فإنّ أيّ خبر أو حديث أو حكم فقهي يناقض القرآن يجب أن يردّ، وعلى هذا فإنّ القتال لإكراه الناس على قبول الدين أو إجبارهم على تغيير أديانهم أمر مرفوض بمقتضى القرآن الكريم.

¹ - ينظر: بحث مفصّل بعنوان " أمرت أن أقاتل الناس حتّى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله والرد على المغرضين والزائغين " د / ربيع أحمد، عن موقع شبكة الألوكة www.alukah.net، بحث بسط فيه صاحبه كل الآراء وأقوال علماء الحديث بتفصيل دقيق مع الرد على الشبهات التي أثيرت حول هذا الحديث النبوي الشريف، بحث قيّم يستحق القراءة والتأمل.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

وآيات الجهاد والقتال التي وردت في القرآن الكريم لا تدلّ على أنّ علّة الجهاد ومستوى القتال منه هي إكراه الناس على قبول الإسلام.

ثانياً - المقدمة الثانية: منهج استقراء تعامل الحبيب - صلى الله عليه وسلم - مع آيات القرآن الداعية للقتال والسلم مع غير المسلمين

وبمنهج الاستقراء لهذه الآيات في سياقها نجد ذلك واضحاً من خلال سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم فالرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون في مكة مع وجود المجتمع القبلي، وكلّهم لهم قبائل لم يدافعوا عن أنفسهم بقتال في بداية الدعوة؛ لأنّ الله عزّ وجلّ أمرهم بأن يكفوا أيديهم **قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [النساء / 77].**

فالرسول صلى الله عليه وسلم نفسه تعرّض للأذى من أبي جهل، وأبي لهب وامراته ... وكان يمنع من يريدون الدفاع عنه كما كان جوابه دائماً¹: [إني أمرت بالعفو]².

ولم يكن ذلك عن ضعف كما يتصوّره كثيرون، بل عن أمر إلهي، وذلك هو الفرق بين النبوة المهتدية بأنوار الوحي وبين الزعامات البشرية البرغماتية التي تخضع خطواتها لمقاييس دنيوية محضة.

إنّ الحبيب صلى الله عليه وسلم كان ينتمي إلى أقوى قبيلة في قريش، وله أصهار وعلاقات مع معظم قبائل مكة، ومع ذلك فإنّه لم يدفع عن نفسه ولا أصحابه، الحصار في شعب أبي طالب، وتجاوز ردود الفعل عن تعذيب كثيرين من أصحابه صلى الله عليه وسلم؛ لأنّه أمر بكفّ اليد، وأمرهم بالهجرة إلى الحبشة لحماية أنفسهم ثمّ هاجر إلى المدينة بعد إن انتشر الإسلام فيها، وعاهد أهمّ قبائلها. ثمّ كانت أول آية في تشريع الجهاد فكأنّها بيّنت انتهاء مفعول ذلك الأمر "كف اليد" بالإذن بالدفاع عن النفس.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج / 39].

¹ - مراجعات في تطوّر المنهج المقاصدي عند المعاصرين، / 24 - 27، زينب العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

² - السنن الكبرى، التّسائي، كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد، / 733، رقم الحديث / 3083

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهي

ثم أمر الحبيب صلى الله عليه وسلم باليقظة والحذر من أولئك الذين أبرموا معه معاهدات فأمره الله - عز وجل - بأن يتعامل مع هؤلاء بحسب مواقفهم. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَبِيذُ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴿٥٨﴾ [الأنفال/ 58].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ [الأنفال/ 60]

وذلك للحيلولة بين هؤلاء وعدوهم وفي الوقت نفسه تأتي الآية قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنِحْ لَهُا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ [الأنفال/ 61].

تأمره بقبول السلام مع من يريد السلام، وامن سبحانه وتعالى على نفسه بقوله تَعَالَى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۗ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ [الأنفال/ 63].

وفي نفس السورة آيات تدعو إلى تعزيز وتقوية الجبهة الداخلية، وتنبية إلى خيانات متوقعة من قبائل المشركين واليهود المحيطة بالمدينة.¹

ثم تأتي آيات من 1 إلى 13 من سورة براءة فتبدأ بالبراءة من المعاهدات التي أبرمت مع المشركين كما جاء في سورة التوبة، دون نسيان لمواقف الملتزمين بالوفاء.

الآية الأولى تدل على ضرورة إعلان البراءة إلى الذين عاهدتهم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون من المشركين وهم ينوون خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتحسبون الفرص لذلك، ثم نكثوا بأيمانهم ونقضوا عهودهم وظاهروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.

فهؤلاء هم الذين تلغى الاتفاقات التي أبرمت معهم؛ لأنهم بدؤوا ذلك بالخيانة والتعاون مع كل أعداء رسول الله عليه وسلم والمؤمنين والدليل على حصر هذا الإلغاء في هؤلاء الذين بدؤوا بنقض معاهداتهم قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ [التوبة/ 4].

¹ - مراجعات في تطوّر المنهج المقاصدي عند المعاصرين، زينب العلواني / 29.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهي

ونقض المعاهدات لم يأت فجأة بحيث يعلن نقض الاتفاق، وتشن الحرب بعد ساعات أو وقت قصير لتحقيق عنصر المباغته بل منحهم الله - عز وجل - أربعة أشهر **قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾** [التوبة/ 2].

لكي يكون أبناء تلك القبائل قادرين على ترتيب أمورهم خلال هذه الفترة، وهي فترة أشهر الحرم الأربعة التي تسمح بالسياسة في الأرض أو حماية مصالحهم، بل والاستعداد إن شاءوا لمواجهة النبي صلى الله عليه وسلم بعد الآية 13 من سورة التوبة آيات كلها تتعلق بتصفيّة تلك المعاهدات.

ثم يأتي الأمر بقتال المشركين الذين ينتمون إلى أديان كتابية، ولكنهم للأسف الشديد ظاهروا المشركين على المؤمنين و تعاونوا معهم، فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقاتل هؤلاء الذين اختاروا أن يقفوا إلى جانب الشرك والجاهلية ضد الإيمان والمؤمنين حسداً من عند أنفسهم فقط؛ لأن محمداً صلى الله عليه وسلم كان من ذرية إسماعيل وإبراهيم فجاءت الآية¹: [التوبة/ 29].

ثالثاً - المقدمة الثالثة: غايات وضوابط الجهاد والسلم في الشريعة الإسلامية

يتضح من كل هذا أنّ الجهاد والسلم لهما ضوابط وغايات في الشريعة الإسلامية نبدأها بـ:

أ - غايات وضوابط الجهاد في الشريعة الإسلامية:

1- من أهم غايات الجهاد في الشريعة الإسلامية: إنّ أخطر شيء على الشعوب وجمهير الناس وجود الأئمة المضلّين الذين يحجبون الناس من التعرّف على الهدى، ومن ثمّ فقد أجهت فريضة الجهاد في عهد الحبيب صلى الله عليه وسلم وبعده من العصور الذهبية في الخلافة الإسلامية إلى إعلان الحرب على هؤلاء الأئمة² تطبيقاً لقوله تعالى:

﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَأَنْ يَأْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التوبة/ 12]

- لرفع الظلم على أهل الإسلام وذلك تطبيقاً لقوله: **﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَالِمُونَ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾** [الحج/ 39].

- إعلان حالة القتال والحرب والعقوبة على المفسدين في الأرض بقصد القضاء عليهم فقد أصبحوا عنصراً مخلاً بأمن المجتمع .

¹ - مراجعات في تطوّر المنهج المقاصدي عند المعاصرين، زينب العلواني، / 29-30، المعهد العالمي للفكر الإسلامي

² - الفقه السياسي الإسلامي، خالد الفهدوي، / 199، ط 3/، ت ط / 2008، دار الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق - سوريا.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

- رفع الذلّ عن الأمة وجعلها أمةً عزيزة مرهوبة الجانب، وذلك واضح في قوله صلى الله عليه وسلم [ما ترك قوم الجهاد إلا عمّمهم الله بالعذاب].¹

فالجهاد ضرورة اجتماعية، والإسلام دين يواجه الواقع ولا يفرّ منه ما دامت في الدنيا نفوس لها نوازع وأطماع وما دام هناك هذه السنّة الإلهية حينها يكون الجهاد لردع المعتدي وكفّ الظلم ونصرة الحق. فالجهاد أساس عزّة الأمة، وهو فرض عين عليها حين العدوان، وفرض كفاية حين يعمل على نشر الدعوة في العالمين فهو من أهم مقاصد حفظ كليّة الدّين من جانب العدم. رغم كلّ هذا فقد جعل الله عز وجلّ لهذا الجهاد ضوابط تنأى بها عن العدوان والبغي والانتهاك ويجعله جهاداً أخلاقياً وأبعاداً ومضامين حضارية.

ب- ضوابط الجهاد في القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة ما يأتي:

1 - أن لا يعلن المسلمون الجهاد على من يحمل ديناً آخر لمجرد كونه يختلف عنّا عقائدياً، بل جعل إعلان

الحرب مقروناً بإضافة صفة أخرى مع الكفر وهي تلبّسهم بإعلان القتال والحرب قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُكُمْ﴾

2 - أن يسبق حالة الجهاد إنذار النّاس ودعوتهم إلى دين الإسلام، فالجهد تسقط شرعيتها إذا لم تسبقها

دعوة قال تعالى: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَأَتَمَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَأَتَمَّا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء/ 15].

وعند عدم استحابتهم للدخول في الإسلام فإنهم يخبرون بين إعطاء الجزية ليعيشوا مواطنين في الدولة

الإسلامية لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وبين حالة القتال والجهاد.²

3- أن لا تستهدف الحرب إهلاك الحرب والتسل والأطفال ن وكبار السن والمرروعات وكلّ ما يعدّ من المصالح

العامة للجميع.

من كل هذا يتّضح أن القتال والجهاد ليس أصلاً في علاقة المسلمين بغيرهم.

لكن هل السّلم هو أصل العلاقة التي تربط المسلمين بغيرهم؟

إذا قبل معرفة النتيجة لا بد أيضاً من التعرف على غايات السّلم وضوابطه في القرآن الكريم والسنّة النبوية

الشريفة.

¹ - المعجم الأوسط، الطبراني، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسني 148/4- 149 رقم الحديث / 3839، ت ط / 1415 - 1995، دار الحرمين، القاهرة - مصر.

² - الفقه السياسي الإسلامي، خالد الفهدوي / 204.

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

أ- غايات السلم وضوابطه في الشريعة الإسلامية

1 - غايات السلم في الشريعة الإسلامية: من أهم غايات السلم في القرآن الكريم والسنة النبوية ما يأتي:

- أن يعيش الناس كلهم متضامنين متطافرين في مهمة بناء المجتمع الإنساني العالمي.

- عدم الدخول في السلم يؤدي إلى اتباع خطوات الشيطان التي تؤدي إلى نشوب القتال بين بني الإنسان فلا

يبقى للغة الحوار معنى ولا مكان **﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا**

تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ [البقرة/ 208].

- السلام إرجاع الإنسان إلى فطرته التي فطره الله عليها في تغليب طابع الإخاء الإنساني، والتعاون البشري

والتعامل المتحضر وطريقاً للثروة والتمكين والتنمية، ووسيلة ذلك كله الافئدة والحوار

﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ

أَتْقَاكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ [الحجرات/ 13].

ب - ومن أهم ضوابط السلام في الشريعة الإسلامية: إذا كان المنهج الإسلامي يريد السلام، ويرغب

فيه ليس أي سلام، فربما يكون ذلك السلام دافعاً للهوان والضعف بل السلام المطلوب هو الذي يكون على وفق ضوابط الشريعة الإسلامية ومقاصدها من هذه الضوابط:

1 - أن لا تكون الدعوة إلى السلام مفضية إلى الهوان، بل لا بد أن يكون السلام نابعا عن قناعات

الطرف المحارب الآخر أيضاً يدفع لهذه الحقيقة يقين المؤمنين أنهم هم الأعلون في الأرض وأن الله تعالى معهم تأييداً

ونصراً وذلك ما نفهمه¹ من قوله: **﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا يَهْنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ**

يَتْرَكُكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ [محمد / 35].

2- أن لا يؤدي إلى التنازل عن حق مقدس للأمة بخلاف الحقوق الاقتصادية والسياسية مثل تنازل

البعض

عن القدس ومسجدها الأقصى مسرى ومعراج الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فهي أرض وقفية لا

يجوز التنازل عنها حفظ دماء الأمة ليس بأولى من حفظ قدسيتها.

- أن يكون جنوح المؤمنين تالياً لجنوح الآخرين للسلام، وإلا سيصبح السلام هدفاً تكتيكياً يسلكه

الخصم ثم يتخلى عنه في الوقت الذي يريد.

¹ - المرجع السابق، / 199 - 202.

الفصل الأول — مقصد التعاون الحضاري الإنساني:

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهية

- أن لا يكون السلام مبرراً لأن تتخلى الأمة عن رسالتها المكلفة ومشروعها الحضاري الذي تدافع عنه بالجهاد والسلام على حدٍ سواء.¹

فالسلام يعدّ استسلاماً باطلاً إذا أدى إلى الهوان والتنازل عن حقٍّ مقدّس، أو في حالة تخلي الأمة عن مشروعها الحضاري، ولا يكون السلام واقعاً إلاّ عند جنوح الطرف الآخر للسلام.²

بما أنّ الجهاد كما جاء في القرآن الكريم مستويات عديدة: مجاهدة الإنسان لنفسه ليلتزم بالإيمان والقواعد الأخلاقية والنظم وهناك الكلمة القائم على إزالة الجهل والامية بالتعليم، وهناك الجهاد بالقرآن الكريم لتحقيق الهداية للعالمين **قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكٰفِرِينَ وَجَهْدُهُمْ بِهٖ جِهَادًا كَبِيْرًا ﴿٥٢﴾﴾** [الفرقان / 52]. وقد يأخذ الجهاد مستوى اقتصادياً بالتنمية وسدّ احتياجات الشعوب، اجتماعياً لمقاومة الانحرافات وتقوم

مسيرة المجتمع وقد يأخذ شكلاً ثقافياً فهو مشتقّ الجهد في تحقيق التوحيد والتزكية والعمران والعدالة والمساواة والحياة الطيبة.³

والنتيجة: علاقة دعوة ينبثق عنها أصل العلاقة الدولية

ومن ذلك كله يمكن أن ندرك أن علاقة المسلمين بغيرهم من الأمم الأخرى . على اختلاف ألوانها ولغاتها وأديانها . ليست في حقيقتها علاقة سلم ولا علاقة حرب ابتداءً، وأن الأصل ليس هو السلم مطلقاً، وليس هو الحرب مطلقاً، وإنما هي علاقة دعوة فالأمة المسلمة أمة دعوة عالمية تتخطى في إيمانٍ وسموٍّ وعفوية كلّ الحدود والحواجر التي تنتهي إليها، أو تتهاوى عندها المبادئ الأخرى، سواء كانت هذه الحدود والحواجر جغرافية أو سياسية أو عرقية أو لغوية... وهي بذلك تفتح أبواب رحمة السماء لأهل الأرض أجمعين.

بل إنّنا نقول: إنّ الإكراه يتنافى دائماً مع الإقسط، وحتى في الحرب لا يجوز أن يقع إكراه على قبول الدين. ونقول أيضاً: إن وقفت دار المخالفين من الدعوة الإسلامية موقف الرفض والعداء والحرب فإن حكمها هو ما قرره الآية

¹ - الفقه السياسي الإسلامي، خالد الفهدوي، / 206-207.

² - المرجع نفسه، / 208.

³ - مراجعات في تطوّر المنهج المقاصدي عند المعاصرين، زينب العلواني، / 32.

الكرامة التي جاءت تالية للآية السابقة وهي¹ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [المتحنة/ 9].

يقول الكاساني: «إن كانت الدعوة لم تبلغهم فعلى المجاهدين الافتتاح بالدعوة إلى الإسلام باللسان لقوله: قَالَ تَعَالَى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل/125]

ولا يجوز لهم القتال قبل الدعوة؛ لأن الإيمان وإن وجب عليهم قبل بلوغ الدعوة بمجرد العقل فاستحقوا القتل بالامتناع، لكن الله - تبارك وتعالى - حرم قتلهم قبل بعث الرسول - عليه الصلاة والسلام - وبلوغ الدعوة إياهم فضلاً منه ومنه، قطعاً لمعدرتهم بالكلية. و لئلا يبقى لهم شبهة عذر قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمُ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص/ 47].

كما يجب تقديم هذه الدعوة كذلك؛ لأن القتال ما فرض لعينه وذاته، بل للدعوة إلى الإسلام. والدعوة دعوتان: دعوة بالبنان وهي القتال، ودعوة بالبيان وهو اللسان، وذلك بالتبليغ. والثانية أهون من الأولى؛ لأن في القتال مخاطرة بالروح والنفس والمال. وليس في دعوة التبليغ شيء من ذلك، فإذا احتمل المقصود بأهون الدعوتين لزم الافتتاح بها.²

إن الأصل في علاقة المسلم بغيره هي علاقة "المعروف": قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات / 13]. ومن التعارف التعامل بالمعاني الأخلاقية الفطرية التي جبل عليها الناس، وهذا يفعله المسلم لذاته، ولا يمنع أن يكون سبباً وتمهيداً لنشر الهداية والدعوة. ولذلك حتى في حال القتال هناك الدعوة قبل القتال، والقتال هو ذراع للدعوة وحسب فلو نظرنا إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لوجدنا أنها أصبحت عاصمة الإسلام بالدعوة والإقناع لا بالقتال إنما احتيج إلى القتال. لحمايتها بعدما أصبح أكثر أهلها مسلمين، وهنا يتعرضون لتآمر أقلية كافرة مع جهات خارجية للأذى فيكون القتال لحمايتها وتأمينها.

¹ - ينظر بحث: أصل العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، عثمان جمعة ضميرية، <http://islamselect.net/print/12178>

² - بدائع الصنائع، الكاساني، 9 / 392

التأصيل الشرعي، والعقدي والفقهي

إنّ النبي صلى الله عليه وسلم دعا بمكة بغير قتال، ودخل المدينة بغير قتال، وفتح مكة في نهاية المرحلة النبوية بغير قتال وسمى الله صلح الحديبية فتحاً مبيناً مع أنه لم يكن فيه قتال، وهذا يؤكد أهمية الدعوة، وأن المسلمين جميعاً بحاجة إلى الدعوة، وكثيراً ما يطرح بعض الإخوة هذا السؤال: هل الجهاد فرض عين أم فرض كفاية؟ السؤال المهم الآن مؤقتاً ننظر إلى قضية الدعوة إلى الله: هل هي فرض عين أم فرض كفاية؟ من عهد النبوة، إلى عهد بني أمية، إلى عهد بني العباس، إلى اليوم هل يقول قائل: إن كل الناس بلغتهم دعوة الله؟ هل يقول قائل: إن كل المسلمين عرفوا دينهم؟ قطعاً لا ففي كل بلد إسلامي يوجد مناطق شاسعة تعيش ألواناً من الجهالات، فضلاً عمّن يعرفون ويخطئون، وهل قامت الحجة على البشر جميعاً بإيصال الرسالة إليهم، أم لا زال معظم سكان الأرض يجهلون الإسلام ولم يسمعوا به، أو يعرفونه من خلال ما يقوله عنه أعداؤه وخصومه؟ إذاً الدعوة فرض عين على المسلمين. بسبب عدم وجود من يقوم بكل الدعوة، فإذا افترضنا أن الدعوة فرض عين، والجهاد فرض عين والطب فرض عين والاقتصاد فرض عين، وهكذا، فمعناه أن كل مسلم أصبح عنده مجموعة من فروض الأعيان لا يمكن أن يقوم بها، ولذلك يرجع الأمر إلى نوع من التخصص والانضباط.

ولذلك أقول: إن الظرف الزمني قد يوجد نوعاً من التوتر في نفوس الناس، فالمشكلات التي تقع في العالم الإسلامي والعدوان الذي يجتاحه، ووسائل الإعلام والفضائيات التي تصوّر هذه الجرائم، والعجز الإسلامي السياسي والشعبي وضعف الانضباط والتنظيم، وضعف التواصل والنصرة، كل ذلك أوجد مزاجاً متكدرًا حزيناً متوتراً عند كثير من شباب المسلمين دفعهم إلى العنف والميل إلى منهجه.¹

إنّ العالم الإسلامي في أمس الحاجة اليوم إلى إعادة التفكير في كثير من القضايا الفقهية، في أمس الحاجة إلى رسم استراتيجيات تقوم على قواعد سليمة وأهداف دقيقة أساسها مقاصد الشريعة الإسلامية.

في حاجة إلى طرح هذا السؤال أولاً: ماذا نريد من الآخر وماذا يريد الآخر منا؟ قبل أن نطرح سؤالاً ما أصل علاقتنا بالآخر؟

ماذا نريد من الآخر وماذا يريد الآخر منا؟ هل نريد منه أن يكون مسلماً إكراهاً وبالتالي أصل علاقتنا بهم هي الحرب، وبذلك نخالف القاعدة القرآنية **﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ**

¹ - العلاقة مع غير المسلمين، سلمان فهد العودة.

يَكْفُرُ بِالطَّغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿البقرة/ 256﴾.

هل يريد الآخر منا مجرد التبادل والتعاون المادي معه؟، فتكون العلاقة مجردة من المبادئ والقيم وبالتالي نفع في فسخ المولاة لهم، ونفقد بذلك خاصية الخيرية التي أكرمنا الله - عز وجل بها **قَالَ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَتُؤْتُونَ مِمَّا آتَاكُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ أَوْعَاءَ مَمْنُوعَةٍ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾** [آل عمران / 110].

فننسى الهدف الأسمى من هذا التعاون المادي في مجالات الحياة، فلا نجعله علاقة تبادلية أساسها الخير لكل طرف نستورد منهم منجزاتهم العلمية لنقوي بها حضارتنا، ونعيد بها مجدنا فنرجع لعالم كرامتنا واعتزازنا بديننا بعد أن فقدناه لقرون عديدة.

ونصدّدهم - إن صحّ التعبير - قيم ومبادئ ديننا من حبّ للخير، والعدل والإحسان، والرحمة والتكافل الاجتماعي نصددها لهم عن طريق الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة فنبيح بحق مجتمعنا إنسانياً حضارياً أساسه الأمن والسلام العالمي، ويحمل كله سلاح الحرب لكل ما يهدم هذا المجتمع فتكون العلاقة علاقة تواصل وتكافل، تعاون تراحم - طبعاً - دون مصادمة للسنن الإلهية التي جعلها الله عز وجلّ قوانين تحكم علاقتنا بالله عزو وجلّ أولاً، وبين المسلمين وغيرهم ثانياً.

الفصل الثاني

أهم آليات مقصد التعاون
الحضاري الإنساني

المبحث الأول: آليات الدعوة إلى الله عز وجل،
الحوار الحضاري الإنساني
المبحث الثاني: آليات العمل السياسي
والاجتماعي

هي رباغية أردنا أن نبرز دورها وأهميتها في تفعيل مقصد التعاون الحضاري الإنساني ، كل منها جزءا في الآخر بواسطتها ينجح تواصلنا وتعاوننا مع الآخرين، فبالية الدعوة إلى الله عز وجل وتجاوزنا معهم نتعارف وبتبادل العمل السياسي والاجتماعي فيما بيننا، ننجح إذا انطلقنا من خلال منهج السنن الإلهية، والضوابط الشرعية من: تقوى الله عز وجل، وعدل ومساواة وكذا مقصد الحرية، التي هي من أهم عوامل نجاح مقصد التعاون الحضاري الإنساني، نزيد قوة وترابطا ونقضي على كل عوامل فشل تعاوننا الحضاري من خلاف ديني، وطائفية عرقية مقيمة، وإرهاب وحراب.

فما علاقة هذه الثلاثية بمقصد التعاون الحضاري الإنساني؟ وكيف يمكن تفعيلها للنهوض به؟

هذا ما سنحاول تفصيله أكثر من خلال مبحثين اثنين:

المبحث الأول: آليات الدعوة إلى الله عز وجل، الحوار الحضاري الإنساني

المبحث الثاني: آليات العمل السياسي والعمل الاجتماعي

كل هذا سنفصله بالشرح والتحليل من خلال هذا الفصل

المبحث الأول

آيتا الدعوة إلى الله عز وجل، والحوار الحضاري الإنساني

من أهم الآليات العملية التي تتواصل بها الحضارة الإسلامية في واقعها اليوم مع الحضارة الغربية، تجسيدا لأمر الله عز وجل بضرورة التعارف مع غيرها من شعوب هذه الحضارة، آية الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وآلية الحوار الحضاري.

لكن الإشكالية التي نطرحها في هذا المبحث: كيف يمكن تفعيل آيتا الدعوة إلى الله، والحوار الحضاري في تحقيق مقصد التعاون الحضاري الإنساني؟، ما أهم المبادرات العملية من كلا الجانبين لإنجاح هذا التعاون الحضاري؟ وهل حققت الحضارة الإسلامية اليوم مقصد الشارع الحكيم من خلال هاتين الآيتين؟ بعبارة أخرى ما واقع الدعوة إلى الله والحوار الحضاري الإنساني اليوم؟

للإجابة على هذه الإشكاليات انتهجت في هذا المبحث الخطة الآتية

المطلب الأول: آية الدعوة إلى الله عز وجل
المطلب الثاني: آية الحوار الحضاري الإنساني

المطلب الأول

آلية الدعوة إلى الله عز وجل

من سيدنا آدم - عليه السلام - إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي اختصر الله - عز وجل - مهمته في أعظم آية من آيات القرآن الكريم **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾﴾** [الأنبياء/107].

فكان حبيبنا صلى الله عليه وسلم بحق رحمة للعالمين بدعوته، بتفنته في هذه الوسيلة بجملة وصبره حتى بلغ الأمانة وجاهد في الله حق جهاده فتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، ولا يزال إلى يوم الدين خلفاء للأنبياء يدعون على بصيرة وعلم لله - عز وجل - من أجل نشر الإسلام في كل بقاع العالم. فكيف نوظف آلية الدعوة في تعاوننا الحضاري مع غير المسلمين؟ وكيف يمكن الاستفادة من التطور التكنولوجي لجذب الآخر إلى روعة ديننا وروحانيته؟ هل هناك نماذج تطبيقية عملية لآلية دعوة غير المسلمين؟ إن كان كذلك فهل هناك مراكز دعوية تقوم بهذه الوظيفة؟ وهل حققت الأهداف والمقاصد التي أرادها العزيز الحكيم؟ بتعبير آخر ما واقع الدعوة عموماً، ودعوة غير المسلمين خصوصاً؟ فتكون خطة المطلب الأول كالاتي

الفرع الأول: حقيقة آلية الدعوة إلى -الله عز وجل-

الفرع الثاني: منهج الدعوة العالمية إلى الله، وأهم وسائطها في العصر الحاضر

الفرع الأول: حقيقة آية الدعوة إلى الله - عز وجل -

أولاً: تعريف آية الدعوة لفظياً

أ - معنى آية لغة واصطلاحاً

1- معنى آية لغة: اسم مؤنث منسوب إلى آلة، مصدر صناعي¹، وهي فن اختراع الآلات واستعمالها والآلة أداة والجمع الآلات.²

2 - المعنى العام لمصطلح الآلية: نسبة إلى الآلة، وهو ما يعالج به الفاعل المفعول لوصول الأثر إليه.³

3 - المعنى الخاص لمصطلح الآلية: نعني بها خطط وأساليب وإجراءات محدّدة من خلالها نستطيع الوصول بها إلى الآخر لإقناعه بما لدينا من عقائد وأفكار وثقافات.

ب - معنى الدعوة لغة واصطلاحاً:

1 - الدعوة لغة: للدعوة معانٍ عدّة في لغة العرب نذكر أهمها:

- الإمالة: تقول دعوت أدعو، دعاء؛ أي قمت بمحاولة الإمالة.

- القصد إلى المكان: يقال دعا فلانا المكان كذا إذا قصد ذلك المكان، كأنّ المكان دعاه، وهذا من فصيح كلامهم.⁴

قال ذو الرمة:

دعت مئة الأعداد واستبدلت بها

خناطيل آجال من العين خدل.

- السؤال والاستغاثة: قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ؕ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا

بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تَوَمَّرُونَ ﴿ ٦٨ ﴾ [البقرة/ 68]؛ أي: سله.

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ﴿ ٤١ ﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿ ٤١ ﴾

¹ - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، / 33، ط / 4، ت / ط، 2004، مكتبة الشروق الدولية.

² - الصحاح تاج صحاح اللغة العربية، الجوهري / 64.

³ - معجم التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: صديق المنشاوي، / 25، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

⁴ - مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، 2 / 279 - 281.

[الأنعام/ 40 - 41] ؛ أي تستغيثون.¹

- **الابتهاال والنّداء والطلب والإقبال:** يقال دعوت الله أدعو دعاء، ابتهلّت بالسؤال، ورغبت فيما عنده من خيرٍ.

ودعوت زيدا إذا ناديته، وطلبت إقباله، ودعا المؤذن الناس إلى الصلّاة، فهو داعي الله.²
من خلال هذه المعاني اللغويّة للدعوة فإنّ المعنى الأقرب لموضوع بحثنا هو النّداء وطلب الإقبال، كما تحمل أيضا معنى الإمالة، وسنرى هذه المعاني مجسّدة أكثر في التعريف الاصطلاحي للدعوة.

2- الدعوة اصطلاحا: قد عرّف العلماء الدّعوة بعدة تعريفات أهمّها:

- **تعريف ابن تيمية:** «هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أحبروا به وطاعتهم فيما أمروا به»³

- **تعريف محمد البيانوني:** «مجموعة القواعد والأصول التي يتوصّل بها إلى تبليغ الإسلام للنّاس، وتعليمه وتطبيقه».⁴

- **تعريف الرّيسوني:** «هي دعوة إلى الإسلام الحنيف بالتعريف به والترغيب فيه، والحثّ على اعتناقه والحض على الانخراط في سلك المؤمنين به والعاملين بشريعته، وهي دعوة مباركة يوفّق الله لها الصّالحين والمصلحين من عباده في شتى الأمصار والإعصار.

وهي دعوة الرّسل الكرام عليهم السّلام إذ أنّ مهمّتهم الكبرى الدّلالة على توحيد الخلائق وإفراده بالعبادة الخالصة والإيمان به ذاتا وصفاتا، وأسماء، وتصديقه فيما أخبر به، واتباع أمره، واجتناب نهيه، والإحسان إلى خلقه والاستعداد للقائه والإيمان بملائكته وكتبه، ورسله وقضائه وقدره».⁵

¹ - مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني 1 / 227.

² - المصباح المنير في غريب شرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد الفيومي، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، 1 / 194، ط / 2، د / ت ط، دار المعارف، القاهرة، مصر.

³ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام محمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، 15 / 157، د ط، ت ط / 1425 2004، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السّعوديّة.

⁴ - مدخل إلى علم الدّعوة، أصولها ومناهجها، وأساليبها، ووسائلها ومشكلاتها في ضوء النّقل والعقل، محمد أبو الفتح البيانوني / 19، ط / 3، ت ط / 1415 - 1995.

⁵ - فقه الدّعوة في الغرب، ووجوب تجديدها على الحكمة والوسطيّة والاعتدال، علي بن محمد الرّيسوني، / 44 مجلّة الأمن والحياة العدد 335 ربيع الآخر - 1431.

من خلال هذه التعريفات نجد أنها كلها اتفقت على موضوع الدعوة، والمقصد منها، غير أنها لم توضح أكثر كيفية تبليغ الدعوة إلى الله.

وعليه يمكن تعريف الدعوة كآلية للتواصل الحضاري الإنساني باعتبارها مركباً إضافياً فنقول:

3 - معنى آلية الدعوة باعتبارها مركباً إضافياً: هي قيام داعية مؤهل علمياً وثقافياً من أجل إيصال دين الله من عقيدة وعبادات، ومعاملات وأخلاق، إلى كافة الناس مهما اختلفت أجناسهم وألوانهم، ولغاتهم بكل الوسائل والأساليب والآليات المشروعة، والمقنعة والمحبة لدين الإسلام، مع التزامه -أي الداعية- بأخلاق الأنبياء والرسل من تجرد لله عز وجل، وصبر وحلم على المدعو حتى يقتنع طواعية بروعة هذا الدين، ويعمل هو الآخر لنصرته، ومواصلة الدعوة لأجله.

ثانياً: فضل الدعوة إلى الله عز وجل، وأهم سمات الداعي

أ - فضل الدعوة إلى الله عز وجل:

1 - الأجر العظيم من الله عز وجل: إنَّ للدعوة إلى الله فضل عظيم، وأعظم فضلها أنها أحب الأعمال إلى الله عز وجل. **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾﴾** [فصلت / 33].

فيكفيها شرفاً ومنزلة عظيمة عند الله عز وجل أنها وظيفة الأنبياء والرسل، والله سبحانه وتعالى لا يختار لأصفيائه إلاَّ أجل الأعمال، وأنفعها للإنسانية جمعاء.

يقول ابن القيم الجوزية: «وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها فهي لا تحصل إلاَّ بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لابد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد يصل إليه السعي ويكفي هذا في شرف العلم أن صاحبه يجوز به هذا المقام والله يؤتي فضله من يشاء»¹.

فهذا الثناء لمن دعا دون ارتباط بالنتيجة، فكيف إذا حصلت الاستجابة، إنَّ الأجر حينئذ أعظم وأجزل.

¹ - التفسير القيم للإمام بن القيم / 319، جمعه محمد أويس الندوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، د / ط، د / ت ط، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان.

كما أخبر عليه الصلوة والسلام في قوله: [لئن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من حمر النعم]¹، وهذا في هداية الواحد فكيف بهداية الجمع من الناس؟

الأجر حينئذ يزداد ويتضاعف كما أرشد إلى ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل: [من دعا إلى هدى فإن له من الأجر مثل أجورهم، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً]². والبحث في عمل يتعلّق به الأجر والثواب له عند المسلم أهمية كبرى، إذ أنّ غاية أمله تكفير ذنبه وزيادة أجره.³

2 - نيل الصلاح والمغفرة والفوز العظيم: **قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾** [الأحزاب / 70-71].

فالداعية إلى الله مطالب بأن يكون قوله سديداً طيباً، فإن حقق هذا الشرط، نال من رب العالمين صلاح أعماله وطهارتها من الرياء والنفاق، وغفران لذنوبه، وبذلك توجّح في الآخرة بالفوز العظيم، ألا وهو نيل رضوان الله عزو جل ووجنته.

3- زيادة الهدى لمن يهدي ويهتدي عباد الله - عز وجل - فالأجر إذا من جنس العمل . **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَلَقِيَّتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾** [مريم / 76].

ولا شك أنّ من دعا إلى الله على بصيرة مخلصاً في دعوته، داخل في هذا الوعد؛ لأنهم مهتدون، وعملهم هذا عمل صالح بل من أفضل الأعمال الصالحة.⁴

إنّ فضل الدعوة إلى الله عظيم، لا تفي هذه الأسطر بحصر أجر ومنزلة الداعية إلى الله فيكفيه شرف أنّه خليفة الله عزو جل من بعد رسله، عليهم أفضل الصلوة والسلام. ولكن حتى يستطيع هذا الداعية أن يضطلع بهذه المسؤولية العظيمة يجب عليه أن تتوفّر فيه أخلاق وسمات تؤهّله للقيام بهذه المهمة العظيمة

¹ - صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن 3٨ / 1357، رقم الحديث / 3498.

² - صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سنّ في الإسلام سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، / 235 رقم الحديث 6699.

³ - الداعية، صفات، مهارات، ومعوقات، عبد القاهر عبد الله الحوري، / 14. www. Alukah.net.

⁴ - منهاج النبوة في الدعوة إلى الله، مهدي بن إبراهيم مبجر / 30، ط / 1، ت ط / 1432-2011.

ب - سمات الداعية إلى الله عزو جل: حتى ينجح الداعية إلى الله عز وجل لابد أن تتوفر فيه الخصائص والسمات أساسية، وأخرى تكميلية الآتية:

1- السمات الأساسية للداعية إلى الله عز وجل:

- الإخلاص: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١٤﴾ [غافر / 14].

قد كان السلف الصالح يسترون أعمالهم الصالحة ويبالغون في ذلك خوفاً من الرياء، ويلاحظ اليوم، أنّ الطلب اشتدّ على المديح والثناء، وهذا يعكّر صفاء النيّات، ويعرّض الأعمال الصالحة لخطر الرّفص. وإذا كان الصّواب شرطاً أساسياً للنّجاح فإنّ الإخلاص شرط أساسي للتّوابع والقبول، ولا غنى للداعية عن هذا أو ذاك.¹

- تجرّد الداعية عن العصبية، والمنافع الخاصّة: إنّ كثيراً من جاذبيّة الدّعوة نابع من اعتقاد الآخرين أنّ ما يدعون إليه لا يعود بالفائدة عليهم، فهي دعوة لإنقاذهم من النّار، ولإصلاح معاشهم في الدّنيا، ولذا فإنّ نظرهم إلى الدّعاة هي نظرة احترام وتقدير وإكبار، حيث يضحّون بأوقاتهم وراحتهم من أجل الآخرين، وقد كان من سنّة الأنبياء - عليهم الصّلاة والسّلام - الإعلان لقومهم أنّهم لا يبتغون من وراء دعوتهم منفعة خاصّة حتّى يسدّوا الطّريق من أوّله على المرجفين للدّعاية المضادّة، وكان الشّعار دائماً، ما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٣﴾ [الشعراء / 109].

- الشّفافيّة الرّوحيّة: طريق الدّاعية طريق شاق؛ لأنّه طريق تضحية، وطريق عقبات، الاستمرار فيه يحتاج إلى زاد كثير، ولن يكون زاد أنفع من الصّلة بالله - تعالى - واللّجوء إليه وطلب العون منه، إنّ الدّعوة الخالصة هي تضحية خالصة، ومن ذا الذي يقوى على التضحية بشكل دائم، إن لم يتّصل بمصدر للطّاقة لا ينضب بل يزداد مع الأيّام كرماء وجوداً مع هذا العصر المادّي، الذي يتّجه كلّ شيء فيه إلى أن يكون نادراً، صارت الحاجة إلى الشّفافيّة الرّوحيّة أكبر وأكثر.

¹ - مقدّمات في التّهوض بالعمل الدّعوي، عبد الكريم بكار / 123، ط / 4، ت ط / 1432 - 2011، دار القلم دمشق - سوريا. ينظر: صفات ومهارات الدّاعية، عبد القاهر عبد الله الحوري / 18.

إنّ بإمكاننا بعد هذا أن نجعل من الشفافية الروحية مقياساً حقيقياً لكون الداعية على المنهج الصحيح؛ لأنّ الداعية المؤمن الحق الموصول بالله تعالى مغمور بعطائه وكرمه فهو لذلك باستمرار في رقي دائم على طريق الهداية والمعرفة.

- التواضع: إنّ الله تعالى علّم نبيّه صلى الله عليه وسلم كلّ ما يجعل منه الداعية الأوّل في العالم وكان من جملة ما أرشده إليه قوله تعالى: ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء/ 215].

إنّ التواضع فوق أنّه تعبير دقيق عن العظمة الحقيقية، قليل التكلفة على المستوى الشعوري والعملي فالتواضع يبدو دائماً أقلّ من حقيقته، وبذلك فإنّه يظلّ يكبر في أعين الناس دون جهد يبذل، كلّما كشفت لهم الأيّام عن جواهره المخبوءة!

على حين أنّ المتكبر يضع نفسه في امتحان دائم، فهو رجل عريض الدعاوى، وعليه يسعى باستمرار أن يثبت أنّه ليس أقلّ ممّا يعرف عليه وهيئات أنّه ليس أقلّ ممّا يعرف عنه، وهيئات هيئات أن يتمّ له ذلك.¹ إنّ الداعية المتواضع كالأرض المنخفضة تجمع فيها خيرات السماء، على حين تغادر القمم والسفوح.

- الحكمة: الحكمة تجعل الداعية إلى الله - عز وجلّ - يقدر الأمور قدرها، فلا يزهّد في الدنيا والناس بحاجة إلى الجدّ والنشاط والعمل، ولا يدعو إلى التبتّل والانقطاع، والمسلمون في حاجة إلى الدّفاع عن عقيدتهم وبلادهم، ولا يبدأ بتعليم الناس البيع والشراء، وهم في حاجة إلى تعلّم الوضوء والصلاة.

الحكمة تجعل الداعية ينفذ إلى قلوب الناس من أوسع الأبواب، وتشرح له صدورهم، ويرون فيه المنقذ الحريص على سعادتهم ورفاهيتهم، وأمنهم واطمئنانهم، وهذا كله من الدّعوة إلى الله بالحكمة، التي هي الطّريق الوحيد للنّجاح.²

فالحكمة إذا هي التي تملي على الداعية أن يتكلّم في موقف من المواقف، وهي نفسها التي تدفعه إلى أن يسكت في موقف آخر، هي التي تجعله يخطو في بعض الأحيان خطوتين إلى الأمام، وخطوة إلى الوراء.

الحكمة تتأبى أن تنزل في قوالب جاهزة أو أشكال محفوظة، إنّها أهمّ الوسائل والأساليب، لكنّها أكبر من أن يحويها أسلوب أو منهج معيّن.

¹ - مقدّمات في التّهوض بالعمل الدّعوي، عبد الكريم بكار، / 126.

² الحكمة في الدّعوة إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، سلسلة الرّسائل الدّعوية، د/ ط، د / ت - ط.

- الحرص على المدعويين: إنّ نصف شروط نجاح الدّاعية متوقف على الآخرين، فمها توقّرت شروط النّجاح لدينا فإنّ ذلك لا يعني على الصّعيد العملي شيئاً ما لم يحدث استجابة لدى الذين يشكّلون حقل الدّعوة ومن ثمّ فإنّ الدّاعية الحق يلازمه شعور قويّ بالحاجة إلى الآخرين، ولم لا وبأيديهم في التّهيأة الحكم عليه بالنّجاح أو الإخفاق.¹

- الشّجاعة الأدبيّة: لا يستطيع الدّاعية أن يقوم بأيّ عمل من الأعمال دون امتلاك قسط من الشّجاعة ذلك أنّ طبيعة الدّعوة تكمن في تجاوز السّكون والسلبية والقصور الدّاتي إلى التّأثير في الآخرين، وإعادة صياغتهم من جديد وهذا يعني دخول المجال الخاص للآخرين، والذي يعدّونه شيئاً لا يصحّ اختراقه.

- الأخذ بالعزيمة: إنّ الذي يحدّد عتبة الخير للمجتمع وسقفه هي النّماذج التي يقتدي بها النّاس، ومن هنا تتبع مسؤوليّة الدّاعية عن الرّقي بمجتمعها وأمتها، ومن هنا أيضاً يُطالب بما لا يُطالب به غيره في الأخذ بالعزائم والبعد عن الرّخص، ومواضع الخلاف ما أمكن، وفي نفس الوقت ينظر الدّاعية إلى ترخّص النّاس في بعض الأمور نظرة إعدار وتقدير لمدى عملهم بالحكم ومدى استعدادهم التّفنسي وطبيعة الظّرف الذي يمرّون به.

هناك موقف رائع في أخذ الدّاعية الإمام بالعزيمة " الإمام أحمد بن حنبل «فإنّه لما أخذ ومعه محمّد بن نوح إلى الخليفة وقد حملا مقيدين جاءهما رجل يقال له: جابر بن عامر، فسلم على الإمام أحمد وقال له: يا هذا إنك وافد النّاس اليوم فإيتك أن تجيبهم إلى ما يدعونك إله من قول بخلق القرآن، فيجيبوا، وتحمل أوزارهم يوم القيامة وإن كنت تحبّ الله فاصبر على ما أنت عليه فإنّه ما بينك وبين الجنّة إلا أن تقتل، وإنك إن لم تقتل تمت، وإن عشت عشت حميداً».

2 - السمات التّكميليّة للدّاعية: سأحاول تلخيصها في ما يأتي.

- إنصاف الآخرين: التقدير للآخرين وإعذارهم وتفهم وضعيتهم العامّة.

- المهارة في إيجاد أجواء: الدعاة الرّبانيّون يقلعون أشواك العصبيّة والانغلاق والتّحرّب ليعمّ التّفاهم والتعاون والتّأثير والتّأثر.

- البعد عن الشّخصانيّة: قد يرى الدّاعية أنّه من المناسب أن يسوق للنّاس بعض تجاربه الخاصّة ليقننوا به فلا بأس بذلك، مع الحذر من أن يعطيهم انطباعاً خاطئاً أنّه يمدح نفسه، أو يرفعها فوق قدرها.

¹ - مقدّمات في التّهوض بالعمل الدّعوي، عبد الكريم بكار / 127.

– الأناة في التخطيط والحماسة في التنفيذ: الذي يحتاجه الداعية ليس البرود، ولا مشي السِّلحفاة وإنما تقدير الأمور التقدير الصحيح، إن المطلوب من الداعية التخطيط للعمل الدعوي، التخطيط الذي لا يرهق تنفيذه كواهل الدعاة، ولا يهدف في الوقت نفسه تحقيق إنجازات صغيرة.

– المصابرة: الصبر يجعل الزمن يعمل لصالح الداعية، لكن لا يمنعه من مراجعة العمل الدعوي في ضوء المبادئ التي يؤمن بها، وفي ضوء النتائج التي تحصل عليها، وإلا فمن المحتمل أن يصبح تصبير النفس نوعا من التغطية على النتائج السيئة، ونوعا من احتمال آلام الأخطاء دون مبررات.

– النوعية العليا حاجتنا: قد أنشأنا كليات للدعوة، ومعاهد لتدريس الدعاة، وألوف من المدارس الشرعية، التي تخرج الأئمة والخطباء، لكن هاجسنا دائما هو الكم.

إن ما نجده في نبوغ بعض الدعاة ناتج عن جهد شخصي، وهو نبوغ لم يكتشفه أحد، وقلما يلقي النابغة رعاية خاصة متميزة من جهة، فكانت عاقبة ذلك على العمل الدعوي سيئة.

والخلاصة: إن الصفات التي تساعد الداعية على التميز كثيرة لم نذكرها كلها منها: التعالي على الأحقاد وحب الإنجاز، والرّفق والاستغناء عن الناس، حسن الظن بالمسلمين، والستر على عيوبهم، والتّضحية في سبيل الدعوة والإيجابية وحب الخير للناس، والزهد في القيادة، وما إلى ذلك من الشيم الحميدة.¹

بهذه الصفات والسمات نستطيع أن نجعل من آية الدعوة إلى الله طريقا مستقيما لتحقيق مقصد التعارف الذي خاطبنا به القرآن الكريم. **قَالَ تَمَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات / 13].**

ليس مجرد تعارف من أجل مصالح الدنيا بل تواصل وتعامل من أجل خير الدنيا والآخرة، فنحن في حاجة إلى منجزاتهم العلمية وتقدمهم التكنولوجي، وهم بحاجة إلينا لما اصطفتنا به الله عز وجل من نعمة الإسلام، ونور الإيمان نوصله إليهم بالحكمة والموعظة الحسنة، فنحافظ بذلك على منجزات الحضارة الإنسانية المادية، ونقويها بمبادئ وقواعد الإسلام من أخلاق وعقيدة صافية تنقذها من سلطان المادة وطغيانها الذي كاد يغرق سفينة الإنسانية بأسرها في واقعنا اليوم للأسف.

الفرع الثاني: منهج الدعوة العالمية إلى الله، وأهم وسائلها، وواقعها في العصر الحاضر

أولا: منهج الدعوة العالمية إلى الله

¹ – مقدّمات في النهوض بالعمل الدعوي، عبد الكريم بكار / 135 – 139.

لأننا في موضوعنا نتحدث عن مقصد التعاون الحضاري الإنساني ونحن بصدد الحديث عن الدعوة إلى الله كآلية من آليات التعاون الإنساني، ارتأيت أن أركز الحديث في هذا العنصر عن منهج الدعوة إلى الدين الإسلامي كدين عالمي خصوصا؛ "لأن التوجه العالمي خاصية بارزة من خصائص الدعوة الإسلامية جاءت كتتويج للجهود الرسالي الضخم الذي قامت به قافلة المرسلين استطاعت من خلاله أن ترتقي بالوعي الإنساني إلى مستوى من التضح العقلي يؤهله لرسالة جديدة أكثر شمولا وعمومية تخاطب الإنسانية كافة وتدعوها للارتقاء والتعاون".¹

والأصل في دعوة غير المسلمين أن يبلغوا هذه الدعوة على وجهها الصحيح بلاغا يقطع العذر كما جاء في كتاب الله عز وجل وسنته، ولا تقوم الحجة عليهم إلا بهذا²: **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾﴾** [المائدة/ 67].

والدعوة إلى الدين الإسلامي العالمي من أعظم الأمور خطرا وأجلها قدرا، وبخاصة إذا كانت الظروف المحيطة بها ظروفًا متغيّرة حسب تغاير الميدان، وإذا كانت في محيط يختلف في لغته عن لغة الداعين، يختلف في عاداته وسائر أحواله السياسيّة والاقتصاديّة وغيرها.

من هذه الأمور التي يجب انتهاجها عند دعوة غير المسلمين يجب أولاً:

أ- المعرفة الوافية والشفافية للبلاد التي توجه إليها الدعوة: ذلك أنّ ظروف العالم تتغيّر من زمن إلى زمن ومن منطقة إلى منطقة قد تكون الدعوة ميسرة في مكان ما، ومتغيّرة في مكان آخر، وقد تكون الموضوعات الهامة لمنطقة من المناطق غيرها من المناطق الأخرى.

وقد تتطلّب ظروف بلد مبعوثا معيّناً من طراز خاص يتناسب مع جو البلد الذي يوفد إليه غيره ذلك من الاعتبارات المختلفة.

إنّ هذه الدّراسة الواعية هي أساس التخطيط للدّعوة، وهي تتطلّب جهداً كبيراً، وزمناً واسعاً.

¹ - منهج النبي p في حماية الدعوة، الطيّب برغوث، / 150، ط / 1، ت ط / 1416 - 1996 المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية.

² - منهج القرآن في دعوة غير المسلمين، زكريا إبراهيم الزميلي / 1131، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيّرات العصر ت / 7 - 8 ربيع الأول / 1426 الموافق ل: 16 - 17 / 2005، جامعة غزّة الإسلامية.

فالدعوة الإسلامية للدين العالمي لا بد لها من دراسة واعية للأرض التي تلقى فيها البذرة، ومعرفة أجوائها المختلفة ليتمكن أن نجني من وراء هذا الجهد ثمرة طيبة.¹

ب - الوضوح والمباشرة: إنّ إثبات الدلائل دون وضوح الدعوة للدخول إلى هذا الدين تضييع للرسالة الحقيقية، وانصراف إلى الوسائل دون الوقوف على المراد فلاكتفاء بالمنهج العملي من حسن الخلق ليس هو الأصل في الدعوة إلى الإسلام ولكنه مصاحب له، فيركّز على ما يكون الكافر به مسلماً من دعوة صريحة إلى التوحيد.

هذا عدي بن حاتم تحدّث عن إسلامه فيقول: [آتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عدي بن حاتم أسلم تسلم قلت: وما الإسلام؟ فقال: تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وتؤمن بالأقدار كلّها خيرها وشرّها حلوها ومرّها]²

إنّ وضوح الدعوة ومباشرتها قاطع في الدلالة على ما يراد من المدعو، وليس القضية مجرد تعريف بما نحن فيه من دين وإتّما دعاء له.

ج - الإفادة من طرق المبشرين والدعاة على الأديان الأخرى: لا بدّ من الإفادة من طرق المبشرين والدعاة إلى الأديان الأخرى، ودراسة أساليبهم وخططهم في الدعوة، لنقرع الحجّة بالحجّة إن كان هناك نزال في الميدان، ولنقاتل العدو بالسلاح الذي يقاوم به إذا اضطررنا الظروف إلى مثل هذه المواقف، فلهؤلاء الدعاة تنظيمات وترتيبات لم تكن أمثالها موجودة في العهود الماضية، فالدعوة الإسلامية مثلاً في أيام الضعف السياسي للدولة الإسلامية اتخذت طابعاً فردياً خالصاً، فكان لكل فرد أسلوبه الخاص في نشر الدعوة قلّ أن يفيد منه داعٍ آخر، ولكن المهمة الآن ضخمة وشاقّة؛ لأنّ لنا أعداء ينافسوننا الدعوة إلى أديانهم، بل ويحاولون أن يخرجوا المسلمين من دينهم.

فلا بدّ أن تكون عندنا يقظة تامّة ومعرفة بأساليبهم لتنفيذ منها في هذا الميدان، ولا نقنع بما عندنا من خبرة قليلة أخذناها من الماضي فإنّنا قل، أن ننجح في الوقت الحاضر أمام الخبرات الحديثة.

فلا عيب إذا من تجارب الآخرين مهما كانت عقيدته واتجاهاته، فالحكمة ضالة المؤمن أنّ وجدها فهو أحقّ بها، ولا يضّرّه من أيّ وعاء خرجت.³

د - منهج فقه الأولويات:

¹ - الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه، عطية صقر، سلسلة البحوث الإسلامية، الكتاب الخامس ت / ط، 1408 - 1988.

² - المعجم الكبير، الطبراني، 17 / 69.

³ - الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه، عطية صقر / 172.

1 - التوحيد: إنَّ الدين الإسلامي دين الأنبياء جميعا مهما تعددت الشرائع. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾ [آل عمران/ 19].

هو دين واحد في جوهره ومقصده، وإن تعددت الشرائع، لهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [الأنبياء إخوة لعلامة أمماتهم شتى، ودينهم واحد].¹

إنَّ الدَّعوة تكون من خلال العناصر المشتركة المتفق عليها، لذا نجد القرآن الكريم في دعوته لعقيدة التوحيد لم يتحدَّث عن إثبات وجود الخالق فقط؛ لأنَّ هذه المعرفة أمر جبلي فطري لدى جميع الخلق، بل جعل ذلك سبيلا لتقرير توحيد الألوهية.

إنَّ العمل من خلال هذه الأرضية المشتركة، وتفعيلها عند الدَّعوة لدفع المدعو نحو الإقرار بوجود الخالق وربوبيته سيستلزم منه الخضوع لمقتضياته ونتائجها قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [آل عمران/ 64]

قال محمد رشيد رضا: «هذه الآية أساس الدين وأصله الأصيل، ولذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو بها أهل الكتاب إلى الإسلام كما ثبته في كتبه إلى هرقل والمقوقس».²

2 - معالجة المشكلات التي تلي التوحيد: فمجتمع النبي لوط كان يعاني من آفة خلقية خطيرة اشتهر بها بل لعله انفرد بها، ألا وهي إتيان الرجال شهوة دون النساء قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف/ 80-81].

فكانت جلّ دعوة لوط علاج هذه المشكلة والتّركيز على خطورتها، والدَّعوة إلى هجرتها واستئصالها؛ لأنّه لا قيمة لإيمان قومه مع إصرارهم على هذا المنكر.³

3- منهج دعوة أهل الكتاب: الغرب عموما أهل كتاب، وأهل حضارات، فهم ينظرون إلى الشعوب الأخرى وخاصّة الإسلاميّة بمنظار التّحدّي والغلبة، والتّفوق الذّهني العلمي، هذه التركيبة النفسية والتاريخية والدينية

¹ - صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام /65، رقم الحديث / 2365.

² - تفسير المنار، محمد رشيد رضا / 327-328.

³ - معالم في دعوة غير المسلمين، عبد الرحمن بن معلا اللّوحيق / 145 - 148.

راجعة إلى تلقيهم تلك الثقافة الخاصة على أيدي المستشرقين الحاقدين الذين شوّهوا صورة الإسلام والمسلمين من جهة.

من جهة أخرى نلاحظ أنّ تلك الشعوب الغربية تعيش في متاهات حياتية وأخلاقية، وعلاقات اجتماعية ضعيفة وصراع نفسي كبير، وتحلّل روابط الأسرة والمجتمع، وهذا يجعل تلك الشعوب بحاجة إلى مدّ العون وبجاجة إلى عقول واعية تستفيد من تلك الظروف السيئة، وإنقاذهم منها، وأيضا أن يعرف هذا الغرب أنّ الذي يدعوهم للإسلام يريد لهم الخير، وعلى ذلك فلا بدّ للداعية أن يفهم نفسية وثقافة من يدعوهم.¹

إنّ أعظم منهج لدعوة أهل الكتاب هو منهج القرآن الكريم **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾** [العنكبوت / 46].

فعلى العقول الواعية من الدعاة المسلمين وهم يدعون غيرهم أن يجادلوا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ولطف ولين كلام، ودعوة إلى الحق، وتحسينه بالأدلة العقلية والتقليية، وردّ الباطل بأقرب طريق وأنسب عبارة وأن لا يكون القصد من ذلك مجرد المجادلة والمغالبة، وحبّ العلوّ، بل لا بدّ أن يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق.²

4- القدوة العملية الحسنة للدعوة إلى الله: من أهمّ ما يساعد على قبول الناس لدعوة الإسلام، أن يكون العمل بالدين ومبادئه واقعا حيا في المجتمع الإسلامي، فالعمل بالدين أكبر دعاية له، ولو أراد المسلمون أن يعرضوا على الأجانب هذا الدين على أنّه الأ نموذج الكامل لنظام الحياة لقيم لهم في صراحة، وبكلّ بساطة لو كان فيه خيرا لاتخذوه نظاما لحياتهم، بل إنّه سيقال لهم لو كان الإسلام خيرا لسعد به معتنقوه، وتفوقوا ديناً ودنيا، ولكن واقع حياتهم يناقض دعواهم.

إنّ تطبيق المسلمين لمبادئ الدين يعطيهم شخصية مستقلة وعميقة الجذور يأمنون معها أن تؤثر عليهم التيارات الفكرية والمذاهب المختلفة التي يعجّ بها المحيط الدولي، ويستحقّون بجدارة أن يكونوا مصدرين لمبادئ الحق والخير لا مستوردين لها والإسلام غنيّ بكلّ أسباب السعادة، لا يجمل بالمسلمين أن يتركوه إلى نظم أخرى وقد أثبت واقع التاريخ الإسلامي في عصوره الزاهرة أنّ الإسلام أعظم نظام لسعادة الجنس البشري، وشهد بهذه

¹ - منهج القرآن الكريم في دعوة غير المسلمين، ركزنا إبراهيم الزميلي / 1139، مؤتمر الدعوة الإسلامية، ومتغيرات العصر 7 - 8 - 1426 - 16 / 17 / 05 / 2005، الجامعة الإسلامية، غزة، كلية أصول الدين، سلسلة الدراسات الإسلامية.

² - كيفية دعوة أهل الكتاب إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة، د سعيد بن علي بن وهف القحطاني / 4 - 5، سلسلة الرسائل الدعوية، د / ط، د ت / ط.

الحقيقة كبار المنصفين من الباحثين والكتّاب الغربيين، فلا ينبغي أن يزهد المسلمون في إسلامهم، ويعرضوه على غيرهم من الأمم كأنه عملة وقيمة لم يعد لها قيمة أو متاع قدّم لا يصلح للحياة الجديدة، نريد أن نبينه لغيرنا.¹

إنّ الحديث عن منهج الدعوة إلى الله عموماً ولغيرنا من أصحاب الديانات خصوصاً يحتاج إلى إخلاص ومهارة ذكاء وكما يكون للدعوة منهجاً قويمًا فإنّ هذا المنهج لا بدّ له من وسائل وأساليب لا تقل مهارة عن المنهج القويم الذي اختاره الداعية من منطلق القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

فما أهم الوسائل الحديثة التي تساعد الداعية إلى الله تبليغ رسالة الإسلام للعالمين؟

ثانياً: وسائل الدعوة في العصر الحاضر، وأهم المبادرات العملية لتجسيدها

يعيش العالم ثورة في المعلومات، وتعدّد في وسائل الاتصال، وهي فرصة كبيرة للدعاة لنشر الإسلام ودعوة غير المسلمين، فقد جعلت هذه الوسائل جميع بلدان العالم بمثابة البلد الواحد الذي كان يرسل إليه كلّ نبيّ قبل الرّسول صلى الله عليه وسلم في هذا دلالة على أنّ محمداً أرسل للناس كافة لا لقومه خاصّة، والله سبحانه وتعالى أعلم بأنّ هذا العالم سيصبح قرية واحدة فلا يحتاج إلى تعدّد الرّسل؛ لأنّ دعوة الرّسول الكريم صلى الله عليه وسلم مستعمّ شعوب العالم أجمع، لذلك نجد أنّ الرّسول صلى الله عليه وسلم هو القدوة الحسنة للدعاة فقد استخدم ووظّف لخدمة الدّعوة الوسائل والإمكانيات المتاحة في عصره، منها وسيلة الخطابة والدروس في المساجد وفي غيرها، كما استخدم الأسلوب القصصي والأمثال، والإشارات والمجسمات والرّسم التخطيطي، وهو أحد مكوّنات التكنولوجيا في العصر الحديث، حيث أتى يوماً وخطّ على الرّمال خطأ مستقيماً² فعن عبد الله بن مسعود قال: [خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ: هَذَا صِرَاطُ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ ثُمَّ خَطَّ سُبُلًا، ثُمَّ قَالَ: وَلَيْسَ مِنْ هَذِهِ السُّبُلِ سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ يَدْعُو إِلَيْهِ ثُمَّ قَرَأَ³ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأَنْعَامُ/ 153].

ومن أهم وسائل الدّعوة إلى الله في العصر الحديث نذكر:

أ - وسائل الدّعوة في العصر الحاضر:

¹ - الدّين العالمي ومنهج الدّعوة إليه، عطية الصقر. / 217 .

² - منهج القرآن في دعوة غير المسلمين، زكريا الزميلي / 1147 - 1148

³ - المسند الجامع، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، كتاب العلم، باب في كراهية أخذ الرأى / 141 - 142، ط / 1، ت - ط /

1434 - 2013، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان.

1 - الشبكة العنكبوتية¹: لا جدال في أن شبكة الإنترنت تُعد ثورةً كبيرةً في عالم الاتصالات، إذ أصبحت أقوى وسيلة إعلامية عالمية من حيث التأثير، ووصل عدد مستخدمي الإنترنت في العالم إلى ما يزيد عن 500 مليون مستخدم والواجب يحتم علينا -نحن المسلمين- أن نستفيد من هذه الثورة الإعلامية والاتصالية قبل غيرنا من بني البشر باعتبار عالمية رسالة الإسلام التي نحملها، فيجب علينا إبلاغها لكل من يحيا على هذه الأرض، ولقد فتحت هذه الشبكة الدولية العظيمة آفاقاً جديدة للدعوة الإسلامية والعمل الإسلامي، واستغلالها في الدعوة اليوم أصبح ضرورةً ملحة، إلى جانب كل ما وصل إليه العلم من وسائل إعلامية كالطباعة والتصوير والكمبيوتر والإذاعة والتلفاز، وخصوصاً الإذاعات الموجهة والقنوات الفضائية²، ويمكن تفعيل هذه الوسيلة للدعوة إلى الله بالطرق الآتية:

- وسائل تكنولوجية يمكن تطويعها في الدعوة:

- **موقع التواصل الاجتماعي (الفايسبوك):** موقع اجتماعي شهير يدخل عليه حوالي 250 مليون إنسان على مستوى العالم، مما يؤكد أهميته ورواجه الواقعي، وتفاعل أعضائه في أي شيء، ومن خلاله يتم التواصل مع أي إنسان في أي مكان وفي أي زمان، ومن هنا فقد انتبه إليه دعاة كثيرون في زماننا، وتم عمل صفحات شخصية لهم عليه لمخاطبة جماهيرهم ونشر الدين والدعوة داخل العالم العربي وخارجه. بالنسبة لتطويعه يمكن القيام بالآتي:

- **التواصل مع غير المسلمين لدعوتهم إلى الدين الإسلامي العظيم، وذلك بإتقان لغة المخاطب، وتوضيح صورة الإسلام الصحيحة التي شوّها الغرب عبر إعلامهم.**

- **محاورة المجموعات التي تقوم بتشويه صورة الإسلام والضغط على موقع الفيس بوك.** لإغلاقها وهذا ما حدث بالفعل مرارا وتكرارا.

¹ - هي شبكة عالمية تسمح بالاتصال والتواصل واكتساب المعلومات من الشبكة الممتدة إلى جميع أرجاء الأرض بوسائل بصرية وصوتية ونصية مكتوبة، وبصورة تتجاوز حدود الزمان والمكان والكلفة وقيود المسافات - وتتحدى في الوقت نفسو سيطرة الرقابة الحكومية. ويعرف الآخرون الأنترنت كلك بأنها شبكة دولية لمعلومات تتفاهم باستخدام بروتوكولات تتعاون فيما بينها لصالح جميع مستخدميها وتحتوي على العديد من الإمكانيات، مثل: البريد الإلكتروني، وإقامة المؤتمرات بالفيديو وقوائم البريد بالإضافة إلى الملايين من مجموعات الأخبار والعديد من الملفات المتاحة لنقلها واستخدامها بطريقة شخصية وكذلك آلات البحث المرجعي. أنظر: أهمية الشبكة الدولية للمعلومات كأداة للتواصل بين الشعوب، رشا صلاح الدين عبد الحميد [/http://www.mohe-casm.edu.eg](http://www.mohe-casm.edu.eg)

² - الدعوة الإسلامية عبر الإنترنت مقترحات للنهوض وتفعيل المواقع الدعوية أحمد محمود أبو زيد <http://www.alukah.net/culture/0/2066/#ixzz3xIjPaymU>

- الإيميلات ومجموعات البريد الإلكتروني: (Yahoo Hotmail .. maktoob Gmail).¹ والتي يمكن من خلالها:

- التعرّف على أصدقاء من جنسيات مختلفة، وإرسال لهم دوريا رسائل عبر بريدهم الإلكتروني، تعرفهم من خلالها على الدين الإسلامي، والتركيز أكثر على جانبه العقدي، وأهم الأخلاق التي يدعو إليها طبعاً مع مراعاة ضوابط الشريعة في التواصل مع الآخرين؛ أي أن يتواصل الرجال المسلمون مع نفس جنسهم من غير المسلمين، والنساء المسلمات مع نفس جنسهنّ من غير المسلمات.
- إرسال لهم القرآن الكريم بلغاتهم المختلفة، وكذا انتقاء كتب في السيرة النبوية تعرفهم من خلالها بالرحمة المهداة إلى البشرية جمعاء سيدنا و قدوتنا الحبيب صلى الله عليه وسلم.
- مواقع مشاركة الفيديو: هذه المواقع يتم فيها نشر ملقات الفيديو بأنواعها ومشاركتها للجميع وأشهر المواقع اليوم يوتيوب الذي يزوره يومياً 20 مليون زائر عبر العالم، فتصل الرسالة عبر الفيديو بشكل أسهل وأسرع من الكتابة فيمكن استثمار هذه الوسيلة في دعوة غير المسلمين كالاتي:
- البثّ المباشر للمحاضرات والدروس والفعاليات الدعوية المتنوعة مترجمة بلغات عديدة، وأسلوب جذاب لعرض الإسلام والتعريف به.
- فتح قنوات بثّ مباشر للدعوة إلى الله باللغات الممكنة، والتواصل الصوتي والمرئي مع تلك اللغة بواسطة دعاة متمكنين من العلم الشرعي.²
- المكتبات الإلكترونية: أصبحت السوق الإلكترونية رائجة على شبكة الإنترنت فكثرت المواقع التي تتيح مكتبات إلكترونية حافلة بالكتب والبحوث على هيئات الإلكترونية مختلفة يمكن قراءتها وتصفحها من خلال المواقع أو من خلال تنزيلها على الكمبيوتر الشخصي ثمّ يتصفحها بعد ذلك. يمكن استثمار هذه الوسيلة كالاتي:
- نشر المصحف مصوّراً بعدة لغات ممكنة عبر هذه المكتبات.
- انتقاء كتب إسلامية تشرح أركان الإسلام والإيمان بأسلوب راقٍ وجذاب لعلماء متميزين، وترجمتها بلغات يمكن أن يفهمها غير المسلمين، خاصة اللغات المنتشرة أكثر.

¹ - تطويع وسائل التكنولوجيا الحديثة في الدعوة إلى الله عادل عبدالله هندي، 22/07/1431 الموافق 2010/07/04

موقع: <http://main.islammessgae.com/newspage.aspx?id=558>

² - الدعوة إلى الله عبر الأنترنت، أساليبها ووسائلها.

- **غرف الحوار المباشر:** هذه الغرف تتيح المحادثة الصوتية المباشرة عديد من الأفراد المشتركين في هذه الغرف مثل البالتوك¹ وغيرها، وتختلف مميزات هذه الغرف من حيث سعة المشاركين، وجودة الصوت وغير ذلك يمكن استثمار هذه الوسيلة خاصة البالتوك كآتي:

- إلقاء محاضرات مباشرة ونقاشات ثنائية بعدة لغات، وقد اهتدى كثيرون بسبب هذه الغرف الحوارية.
- الرد على مطاعن التصاري وشبهاتهم التي يعرضها المبشرون في كتبهم وفي خلال هذا البرنامج.
- يعدّ هذا البرنامج وسيلة من الوسائل الحديثة الهامة في بيان محاسن الإسلام وعدالته ونشر ذلك بلغاتٍ مختلفةٍ وبلوغ ذلك أقاصي الدنيا وأطرافها.²
- **القنوات الخاصة لدعوة غير المسلمين عبر شبكة الإنترنت:** وينبغي أن يكون عنوانها جذاباً مثل: هيا إلى السعادة، أو هيا إلى الإسلام، يمكن استثمار هذه القنوات في الآتي:

- توثيق الحوارات التي أدت إلى إسلام البعض، وذلك بنشر فيديوهات مسجلة أو مباشرة لهذه اللقاءات من خلال هذه القنوات، أو نشر ملخصات لهذه الحوارات الدعوية، الهدف منها ترغيب وتحييب الآخرين في الدين الإسلامي.³

- توجيه الدعوات الخاصة لبعض المشاركين في القناة من غير المسلمين إلى التّحاور والتّعارف، ومن خلالها تعريفه بالدين الإسلامي، ودعوته بالتي هي أحسن.

- أن تكون تلك القنوات بألسنة متعدّدة حتى تجذب أكبر جمهور لسماعها والمشاركة فيها.

2- نماذج عن وسائل مادية أخرى للدعوة إلى الله:

- **وسائل مادية فطرية ومرئية:**

- **وسيلة القول تعريفها:** هي وسيلة متوقّرة لدى جميع الناس إلا من شدّ منهم كالحرس أو نحوه. من

أمثلة وسيلة القول الخطابة، الموعظة، الدروس والمحاضرات... الخ.

- **أهمية هذه الوسيلة:** اهتمام القرآن الكريم بها فقد ورد لفظ قل في القرآن الكريم أكثر من ثلاثمائة مرّة

كما جاءت مشتقاته وتصريفاته في القرآن أكثر من ألفي مرّة.

¹ - البالتوك: (paltalk)، وإن هذا البرنامج عبارة عن محادثات صوتية قد يصاحبها كتابة وربما تكون مرئية أيضاً.

<http://www.paltalk.com>

² - استخدام البالتوك في الدعوة إلى الله عز وجل والبديل المقترح، عاصم بن عبدالله القريوتي

<http://www.saaaid.net/afkar/48.htm>

³ - وسائل الدعوة إلى الله في شبكة المعلومات الدولية - الإنترنت - وكيفية استخدامها الدعوية، إبراهيم عبد الرحيم عابد

256 - 257، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تاريخ المناقشة / 7 - 5 - 0 1427.

- استخدم جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام لها فما من رسول إلا وقد دعا قومه بلسان قومه بالقول

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم/ 4].

إن كل الوسائل مهما تعددت وتطوّرت لا غنى لها عن وسيلة القول، ثمّ أنّها حاضرة دائما مع الدّاعية وهو

داعية في بيته في عمله، في سفره.¹

¹ - مدخل إلى علم الدّعوة، محمد أبو الفتوح البيانوي / 311.

3 - الفضائيات، واستثمارها إيجابيا في مجال الدعوة:

- أهميتها: تعتبر الفضائيات - وخصوصاً في أيامنا هذه- من أخطر الوسائل تأثيراً على المجتمعات والشعوب، ومن ثم فهي من المؤثرات التي توليها الحكومات والجماعات أهمية قصوى؛ نظراً لتعدد القنوات الفضائية، ونظراً لسهولة وصول هذا الوسائل إلى قطاعات عريضة جداً من المجتمع، حيث تؤثر في عقول الناس ونفوسهم، ومن ثم تؤثر في اتجاهاتهم ومواقفهم التي يتخذونها حيال كثير من القضايا، يستوي في ذلك الصغير والكبير، الغني والفقير، المتعلم والجاهل، كما أن الفضائيات لها تأثيرها على السلوك والاتجاهات، كما تؤثر في تنظيم الحياة اليومية، وعلى العلاقة الأسرية.

- كيفية استثمارها في المجال الدعوي: فرصة عظيمة للدعاة لنشر دين الله "الإسلام" في ربوع الكرة الأرضية، فيمكن لمن يتصدون للدعوة إلى الله - تعالى - من تطويع قدرات القنوات الفضائية في الانتشار والذيع، والإبهار لغزو قلوب الكافرين والمبطلين في كل مكان، إخراجاً لهم من الظلمات إلى النور، وحداً من الآثار السلبية التي أحدثتها في الجوانب الفكرية، والخلقية، والسلوكية.

وتأكيداً على هذه الإيجابية يقول الدكتور أحمد موسى الضبيبان: «إنَّ النَّاسَ - كلَّ النَّاسِ - في أمسِّ الحاجة إلى جهد إعلامي يجعل التدين ثقافة النَّاس، والقنوات الفضائية وسيلة العصر المناسبة بحكم تطورها، وشدة جذبها للنَّاس، على مختلف طبقاتهم».¹

وقد لاحظنا اليوم قنوات رائدة في الدعوة للإسلام تعرض برامج شيقة وجذابة في المجال الدعوي مثل قناة الرسالة الفضائية، قناة الرحمة، قناة فور شباب، كما أن هناك قنوات فضائية مخصصة في إذاعة القرآن مترجم كتاباً باللغة الإنجليزية كقناة الحمد، وقناة الفجر ...

رغم ذلك لا زلنا بعيدين كثيراً عن تحقيق الأهداف المرجوة منها في مجال الدعوة إلى الله.

إذا الوسائل كثيرة، لمن أراد أن يجاهد في سبيل الله بالدعوة إليه فالله عز وجل سيهديه إلى سبيله إن صدق مع الله وأخلص وصبر قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت/ 69].

ب - أهم المبادرات العملية للدعوة إلى الله من خلال المراكز الإسلامية في العالم الغربي:

سأقتصر على ذكر بعض نماذج تقوم بعمل الدعوة إلى الله لغير المسلمين

¹ - الفضائيات بين الإيجابيات والسلبيات، منيرة الحوشاني، <http://www.alukah.net/culture/0/41242>

1- مجلس الإفتاء الأوربي التعريف به : هيئة إسلامية متخصصة مستقلة ، يتكون من مجموعة من العلماء

- المقر الحالي للمجلس : الجمهورية الأيرلندية.

اللقاء التأسيسي عقد اللقاء التأسيسي: ل (المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث) في مدينة لندن في بريطانيا في الفترة : 21-22 من ذي القعدة 1417 هـ الموافق 29-30 من شهر آذار (مارس) 1997 م بحضور ما يزيد عن خمسة عشر عالماً . وكان ذلك تلبية لدعوة من قبل (اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا. وفي هذا اللقاء تم إقرار مسودة الدستور لهذا المجلس النظام الأساسي.

- مقاصده وأهدافه:

يتوخى المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث تحقيق الأهداف التالية:

1 - « إيجاد التقارب بين علماء الساحة الأوروبية ، والعمل على توحيد الآراء الفقهية فيما بينهم ، حول القضايا الفقهية المهمة.

2 - إصدار فتاوى جماعية تسد حاجة المسلمين في أوروبا وتحلُّ مشكلاتهم ، وتنظم تفاعلهم مع المجتمعات الأوروبية ، في ضوء أحكام الشريعة ومقاصدها.

3 - إصدار البحوث والدراسات الشرعية ، التي تعالج الأمور المستجدة على الساحة الأوروبية بما يحقق مقاصد الشرع ومصالح الخلق.

4 - ترشيد المسلمين في أوروبا عامةً وشباب الصحوة خاصةً، وذلك عن طريق نشر المفاهيم الإسلامية الأصلية والفتاوى الشرعية القويمة»¹

5 - «ساهم المجلس كمؤسسة دينية في إرساء قيم الوسطية والاعتدال لديننا الحنيف ، وذلك من خلال مختلف اللقاءات والدورات التي يعقدها سنويا ، وكذا من خلال الفتاوى الفقهية التي يصدرها سواء إجابة عن استفسارات مسلمي أوروبا أو الفتاوى العامة ، كما ساهمت مجلته " المجلة العلمية للمجلس الأوربي للإفتاء والبحوث في هذا المسعى نظرا لحساسية أحوال المسلمين في الفترة الزاهنة في ظل ما يسمّى بإسلامفوبيا أو الخوف من الإسلام»².

- وسائل تحقيق مقاصده:

¹ - مجلس الإفتاء الأوربي ، النشأة والأهداف [/https://www.e-cfr.org/](https://www.e-cfr.org/)

² - المنهج الوسطي في فقه الأقليات المسلمة " المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث أمودجا " / 637 ، أحرم بلعمري ، الملتقى الدولي " الوسطية في الغرب وأثرها في نشر الإسلام في إفريقيا وأوروبا / ديسمبر / 2017 .

يسعى المجلس لتحقيق أهدافه من خلال اعتماد الوسائل التالية:

- تشكيل لجان متخصصة من بين أعضاء المجلس ذات مهمة مؤقتة أو دائمة ويعهد إليها القيام بالأعمال التي تساعد على تحقيق أغراض المجلس.
- الاعتماد على المراجع الفقهية الموثوق بها ، وخصوصاً تلك التي تستند إلى الأدلة الصحيحة.
- الاستفادة من الفتاوى والبحوث الصادرة عن الجامعات الفقهية والمؤسسات العلمية الأخرى .
- بذل المساعي الحثيثة لدى الجهات الرسمية في الدول الأوروبية للاعتراف بالمجلس رسمياً ، والرجوع إليه لمعرفة أحكام الشريعة الإسلامية
- إقامة دورات شرعية لتأهيل العلماء والدعاة.
- عقد ندوات لدراسة بعض الموضوعات الفقهية.
- إصدار نشرات وفتاوى دورية وغير دورية وترجمة الفتاوى والبحوث والدراسات إلى اللغات الأوروبية
- إصدار مجلة باسم المجلس تنشر فيها مختارات من الفتاوى والبحوث والدراسات التي يناقشها المجلس أو التي تحقق أهدافه .

- نشاطاته و فعالياته :

- **المؤتمرات واللقاءات الدورية :** منذ تأسيسه إلى يومنا هذا عقد المجلس 27 مؤتمراً أو ما يسميه لقاءات دورية: أول مؤتمر كان بمدينة سراييفو البوسنة والهرسك بتاريخ 29 - 30 مارس 1997 ، آخرها كان بمدينة استانبول في تركيا في الفترة من: 18-22 صفر 1439هـ الموافق 7-11 نوفمبر 2017 م¹

- مصادر الفتوى وضوابطها : يعتمد المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث في إصدار الفتوى على :

- مصادر التشريع الإسلامي المتفق عليها بين جمهور الأمة وهي : القرآن ، والسنة ، والإجماع ، والقياس
- مصادر التشريع المختلف فيها كالاستحسان ، والمصلحة المرسله ، وسد الذرائع ، والاستصحاب والعرف ، ومذهب الصحابي ، وشرع من قبلنا ، وذلك بشروطها وضوابطها المعروفة عند أهل العلم ، ولاسيما إذا كان في الأخذ بها مصلحة للأمة .

كما تركز منهجيته على :

- اعتبار المذاهب الأربعة وغيرها من مذاهب أهل العلم ثروةً فقهيةً عظيمةً ويُختار منها ما صحَّ دليله وظهرت مصلحته .

¹ - مجلس الإفتاء الأوربي ، النشأة والأهداف /<https://www.e-cfr.org>

- مراعاة الاستدلال الصحيح في الفتوى ، والعزو إلى المصادر المعتمدة ، ومعرفة الواقع ومراعاة التيسير .
- وجوب مراعاة مقاصد الشرع واجتناب الحيل المحظورة المنافية لتحقيق المقاصد .
- طريقة إصدار الفتاوى والقرارات :
- تصدر الفتاوى والقرارات باسم المجلس في الدورات العادية أو الطارئة بإجماع الحاضرين إن أمكن ، أو بأغلبيتهم المطلقة ، ويحق للمخالف أو المتوقف من الاعضاء إثبات مخالفته ، حسب الأصول المعمول بها في الجامع الفقهية.
- وينص النظام الأساسي على أنه لا يحق لرئيس المجلس ولا لعضو من أعضائه إصدار الفتاوى باسم المجلس ما لم يكن موافقاً عليها من قبل المجلس نفسه ، ولكل منهم أن يفتي بصفته الشخصية ، من غير أن يذيل فتواه بصفة عضويته في المجلس ، أو أن يكتبها على أوراق المجلس الرسمية .¹
- مجلس الإفتاء الأوروبي الحقيقة والواقع : رغم كلّ المساعي الحثيثة لعلمائنا الأجلاء رغم كلّ الظروف التي يعملون فيها ، إلا أن مجلس الإفتاء الأوروبي لازال بعيدا عن تطلّعات الأقليات المسلمة في الدّول الأوروبية للأسباب الآتية :
- وجود هوة كبيرة بين علمائنا الأجلاء والجالية المسلمة، وعلى الأخص المنظمات الإسلامية المرموقة في أوروبا.
- المجلس لا يتواصل مع الجالية والمنظمات الإسلامية بالقدر التفاعلي المطلوب كي يصل صوته فيكون مؤثرا في ما سمي جيل الصحوة وجيل الشباب.
- الحاجة لعلماء المجلس أن يتكلموا ويتواصلوا بلغة أهل البلد الذي يقطنون فيه.
- عدم وجود جيل جديد من العلماء الشباب، ومن ذوي الاختصاصات العلمية الطبيعية والهندسية والإنسانية، بخلفية شرعية عميقة، وعلى علم ودراية بالمذاهب المختلفة.
- المجلس يظهر للجالية في أوروبا وكأنه خاص بالجالية من أصول عربية؛ فذلك تقليص سحيق لدوره ويمكنك إدراك ذلك من خلال علماء المجلس الكرام ذاتهم وقد تفردوا بالتحدث العلمي باللغة العربية في غالبيتهم. وإذا كنت في بحث عن موقع المجلس على الشبكة العنكبوتية، فإنك تجده غير محدث كما ينبغي وباللغة العربية إلا القليل الذي عفى الزمن على ترهله بلغة أخرى.

¹ - مصادر الفتوى وضوابطها ، الإسلام اليوم ، -32- <http://www.islamtoday.net/bohooth/artshow-32-7000.htm>

- وجود عطب شديد في الجهازين الإداري والتشغيلي للمجلس، ونلاحظ الهوة الشديدة بين هذين الجهازين ومجلس البحوث والفتوى¹.
- شح مصادر التمويل بالقدر الذي يتناسب مع أهدافه المعلنة.
- صدور فتاوى للمجلس لا يلتزم بها مشايخ المجلس أنفسهم في مساجدهم التي يؤمّون المسلمون فيها. وقد يقول قائل: هم لا يملكون القرار في تلك المساجد! وعندها نسألهم: كيف يتسنى لهم إذا لم ينجحوا في تأثيرهم ودعوتهم في مساجدهم، أن ينجحوا في تأثيرهم في الجالية المسلمة بشكل أوسع؟
- ضعف تواصل المجلس مع المؤسسات الرسمية في بلدانهم ليكونوا مؤثرين، كما هو الحال مثلا في قوانين الأحوال الشخصية الخاصة بالمسلمين.
- التواصل مع الجالية المسلمة والمنظمات الإسلامية بطريقة تفاعلية ديناميكية عبر الشبكات الاجتماعية، متخاطبين باللغتين العربية، ولغة أهل البلد الذي يقطنون فيه.
- لا توجد قياسات معروفة معلنة لتقييم أداء المجلس، بل لا توجد آليات لتنفيذ تلك القياسات. وقبل أن نختم، فإنه لا بد لنا أن نعيد التذكير بأننا ومن صميم واجبنا نجل ونقدر علماءنا في مجلسهم الموقر، ولكننا ندون هنا من باب الواقع الذي تعيشه الدعوة الإسلامية في الداخل والخارج
- **مجلس الإفتاء الأوروبي آفاق وتطلّعات :**
- واجب عمل كل فرد منا في الجالية المسلمة على رفع الوعي بـ"المجلس الأوروبي للبحوث والإفتاء" والدور الذي يقوم فيه، وذلك حتى يتلاقى جهد العلماء بجهد الأفراد المتلقين.
- قيام المنظمات الإسلامية بالتعاون والتخاطب مع المجلس ونشر الوعي به، وذلك بين أفراد جالياتهم التي ينتمون إليها.
- قيام الجمعيات الخيرية في أوروبا بتمويل المجلس بنسبة مئوية تتناسب مع حجم أعمالها وعائداتها السنوية، فلا يترك المجلس عرضة للتأثر في عدم تحقيق أهدافه تبعا لشح مصادر تمويله.
- أن يقوم الأفراد والمنظمات الإسلامية والجمعيات الخيرية بمساءلة سنوية للمجلس بمختلف أجهزته العلمية و الإدارية والتشغيلية، عن تحقيق أهدافه وفقا لقياسات جودة نوعية يتفق عليها وتنتشر مسبقا.

¹ - المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث.. ما له علينا؟ وما لنا عليه؟، محمد حسني عودة <https://arabi21.com>

ندعو الله العزيز القدير أن يجزي علماءنا الأفاضل، في مجلسهم الموقر، خير الجزاء وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم في يوم لا ظل فيه إلا ظله سبحانه وتعالى،¹

2- مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية "كبير": تأسس هذا المركز في عام 1994 كأول منظمة حقوق مدنية أمريكية إسلامية متخصصة في استقبال حالات التمييز العنصري والديني التي وقع ضحيتها المسلمون بالولايات المتحدة وحالات تشويه صورة المسلمين والإسلام في الإعلام الأمريكي.

ويضطلع المجلس بدور كبير في دعم وجود الإسلام والمسلمين في المجتمع الأمريكي، بتبنيه استراتيجية الحوار والتواصل مع الآخر، متقيداً بالقوانين الأمريكية والقيم الإسلامية، لخلق حالة من التعايش والتأثير البناء للمسلمين في المجتمع الأمريكي.

ويطلق "كبير" منذ عام 2001م عددًا من الحملات الكبرى لتوعية الرأي العام الأمريكي بصورة الإسلام والمسلمين الصحيحة، ومواجهة حملات الإساءة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم أطلق "كبير" مؤخرًا حملة لتزويد الأمريكيين والكنديين بكتب وأشرطة وثائقية تناول حياة وتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم بصورة موضوعية.

3- المركز الإسلامي دار السلام بروما - إيطاليا:

- تاريخ تأسيسه: يقع المركز في مدينة روما بإيطاليا، منطقة لاورنتينا بجوار مدينة الجيش وأمام حلف التاتو. تأسس في شهر شعبان سنة 1426 - 2006. ومنذ اليوم الأول لإنشائه كان هدفه الدعوة إلى الله، فمن منطلق الإيمان بأن الواجب على المسلم أن يكون داعيًا إلى الله في أي مكان حلّ به، وذلك بحسب قدرته واستطاعته.

- من أهم أنشطة هذا المركز:

- إقامة المحاضرات الأسبوعية والشهرية والفصلية، وإقامة الندوات العلمية.

- صندوق خذ نسختك، ويوزع فيه أيضا بعض الكتب والمطويات الدعوية.

- إرسال هدايا لجيران المسجد في المناسبات كالأعياد.

- مكتبة لإعارة الأقراص المضغوطة، ويختار لها قيم لتنظيمها.

¹ - المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث.. ما له علينا؟ وما لنا عليه؟، محمد حسني عودة <https://arabi21.com>

- القدوة والأخلاق الحسنة، وتأليف قلوب الناس بزيارتهم والتودد لهم.¹

من أجل ذلك كان شعور المشرفين على هذا المركز بجسامة المهمة الملقاة على عاتقهم من أجل جمع الشمل وتوحيد الكلمة، وترشيد الحوار بين الديانات السماوية، وتقديم الإسلام في صورته الحقيقية الناصعة حتى يصبح المسلم فاهما ومتفهّما لسماحة الإسلام وعدله، وأنه دين حضاري لا مجال فيه للغو، ولا مكان فيه للتعصب ولا للتطرف، وأنه دين الإنسانيّة جمعاء. يعترف بحقوق الإنسان منذ 15 قرنا، وأنه دين المساواة ودين المحبة، ودين العلاقات الإنسانيّة القائمة على الأخوة والتعارف، وحسن الجوار.

كان عملهم في الدعوة إلى الله بين الأفراد والجماعات لنيل رضا الله ورضوانه.²

4 - جمعية الدعوة الإسلامية العالمية:

- تأسيسها: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية هيئة خاصة ذات نفع عام، مقرها طرابلس بليبيا، أُسست عام 1970م تنفيذاً لتوصية صدرت عن المؤتمر الإسلامي الكبير الذي حضره مئات العلماء والمفكرين ورؤساء الهيئات الإسلامية، والذي عُقد بمدينة طرابلس بليبيا في شهر ديسمبر 1970 ميلادية، وهي منظمة غير حكومية تعمل في المجال الديني والثقافي والتربوي، كما تغطي نشاطاتها جوانب الحوار الديني والتواصل الثقافي وكذلك العمل الإغاثي والإنساني.

وتموّل الجمعية أنشطتها ذاتياً من خلال ما يتوفر لها من دخل استثماراتها داخل دولة المقر وخارجها، إلى جانب ما يصلها من الهبات والصدقات والعطايا غير المشروطة، كما أن النسبة المخصّصة لها من الاستقطاعات الضريبية في دولة المقر تمثل جزءاً من ميزانيتها.

- عضويتها: تحظى جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بعضوية عدد من الهيئات والمنظمات الدولية والإقليمية: فهي عضو في المجلس الاقتصادي والاجتماعي بالأمم المتحدة، وتحضر دورياً اجتماعاته بالمقر، كما أنّها عضو بدرجة مشارك في منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم "اليونيسكو"، ولها مكتب ومندوب داخل مقر المنظمة بباريس، وهي أيضاً عضو مراقب في منظمة التعاون الإسلامي، وتلك الصفة تحضر الجمعية مؤتمرات القمة الإسلامية والاجتماعات الوزارية المتخصصة التي تنظمها وتشرف عليها المنظمة أو أحد أذرعها، كما أن

¹ - المراكز الإسلامية في إيطاليا ودورها في الدعوة إلى الله - مركز دار السلام ب روما أنموذجاً "الواقع والمأمول" إعداد: محسن

مبارك عبد العظيم عرفة، / 121 - 124 أطروحة علمية لنيل درجة الماجستير - الجامعة الإسلامية العالمية، قسم الدعوة والثقافة

الإسلامية إشراف ياسر لمعي عبد المنعم - منصور سبالك، ت م / 1435 - 2015

² - المرجع السابق، / 121 - 124

الجمعية عضو مؤسس في لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك المنبثقة عن منظمة التعاون الإسلامي، والتي تضم أكثر من أربعين مؤسسة من كبريات المؤسسات الإسلامية العاملة في الحقل الدعوي والثقافي¹.

- مكاتبها: لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية مكاتب ومندوبون في عدة دول في العالم نظراً للتحديات التنموية التي تواجهها القارة الإفريقية، وتنامي حاجة سكانها لخدمات الجمعية، وطبيعي أن تحظى هذه القارة بالنصيب الأوفر.

- مجالات عملها: تتعدّد مجالات عمل الجمعية، فهي وإن ركّزت على الشأن الدعوي إلا أنّها تقدّم خدمات متميّزة في المجالات الثقافية والتربوية والاجتماعية والإنسانية، كما تولي برامج الحوار الديني والتواصل الثقافي أهمية تتناسب وشبكة العلاقات الواسعة التي تربطها مع منظمات دولية وإقليمية تعمل في ذلك المجال². ما نلاحظه من خلال هذه النماذج أنّ عملها الدعوي يكاد ينصب على المحافظة على دين وهويّة المسلمين في الخارج أي على الأقليات المسلمة في دول الغرب، وأنّ تركيزها أكثر على ردّ العدوان على الإسلام والمسلمين، وواجب الدعوة إلى الله عزّ وجلّ، أوسع من أن تنحصر في هذه المهام، فنحن حقيقة أمام واقع مرّ وتحديات جسام تتعرّض واجب الدعوة في داخل العالم الإسلامي قبل خارجه. وهذا يدفعنا للحديث عن نقطة مهمّة نختم بها هذا المطلب لتكون أكثر موضوعية في الطرح.

ثالثاً: واقع الدعوة الإسلامية، ومدى تحقيقها في المجتمع الإنساني في عصرنا الحاضر

1 - واقع الدعوة الإسلامية: إنّ الأمة الإسلامية اليوم تمرّ بظروف خاصّة، وربما لم تمرّ بها من قبل فقد هبطت معرفتنا بالإسلام إلى أدنى حدٍّ وصلت إليه في تاريخها كلّها، وأمّا ممارستها للإسلام فهي أدنى من ذلك بكثير.

فقد حالت الأحوال، وتغيّرت الأمور، وصار ما يظهر من المؤمنين يخالف ما يدعو إليه دينهم، وصار بأسهم بينهم شديداً، والعدل الذي كان داعيتهم اختفى فيما بينهم، فلم يعدلوا في أنفسهم، ولم يعد العدل أساس علاقتهم بغيرهم، بل الأدهى والأمر أنّنا صرنا نستحدي العدل منهم، وصار غيرنا يتصرف فينا³. ولذلك فإنّ مهمّة الدعوة اليوم أخطر بكثير من مهمتها في الظروف السابقة فلم تعد مجرد التذكير بل أوشكت أن تكون إعادة البناء، الذي تماوت أسسه وأوشكت أن تنهار في الوقت الذي تداعت فيه الأمم على الأمة الإسلامية من كلّ حذب كما أخبر صلى الله عليه وسلم: [يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أَفْقٍ كَمَا

¹ - موقع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية 2014 <http://www.wicsociety.ly/index.php/homepage/2014>

² - موقع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية 2014 <http://www.wicsociety.ly/index.php/homepage/2014>

³ - الدعوة إلى الإسلام، محمد بو زهرة، / 12، ط / 1، ت ط / 1992، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر.

تَتَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى فَصْعَتِهَا، فُلْنَا: مِنْ قَلِيلٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: لَا، أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُنَاءٌ كَغُنَاءِ السَّيْلِ، يَنْزِعُ اللَّهُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، قِيلَ: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ¹.

كلنا ثقة أن البناء سيعود - بإذن الله - شامخاً كما كان، والمبشرات كلها تشير إلى جولة جديدة للإسلام ممكنة في الأرض على الرغم من الحرب التي تشتتها الجاهلية في الأرض كلها على الإسلام، ولكنها مهمة شاقّة في الغربة الثانية للإسلام عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء]².

ففي الغربة الأولى كان الإسلام معلوماً عند الناس في أصوله العامة على الأقل، وهي الإيمان بالله الواحد والإيمان بالوحي والنبوة، والإيمان بالبعث، سواء في ذلك من دخل في الدين الجديد، ومن وقف يحاربه أشدّ الحرب ويرصد طاقته كلها لمحاولة القضاء عليه، وإنما كان سبب الغربة قلة المؤمنين، وضعفهم وهوانهم على الناس، وكثرة الرافضين له وطغيانهم في الأرض.

أما الغربة الثانية فالأمر مختلف، وإن كانت غربة في جميع الأحوال، الإسلام اليوم غريب عن أهله، فضلاً على بقية الناس، وحين تعرضه على حقيقته يستوحشون منه، ويقولون لك: من أين جئت بهذا؟ ليس هذا هو الإسلام الذي نعرفه اليوم. في غربة الإسلام الثانية، تواجه الدعوة ضرورة بذل الجهد في أمرين معاً: التعريف والتربية.

أما التعريف بالإسلام ليقوم يعرفون بعضه ويجهلون بعضه، ويضنون في الوقت ذاته أنهم يعرفونه كلّ مشكلة تحتاج إلى جهد ليس بالقليل.

أما التربية بالنسبة للقاعدة على الأقل فمشكلة تحتاج إلى جهد أكبر لتعدّد مجالات التربية المطلوبة من جهة؛ ولأنّ النفوس لا تتخلّى عن مألوفها بسهولة، ولا تستجيب استجابة فورية لكلّ ما يطلب منها من تكاليف

¹ - سنن أبي داود، أبي داود سليمان السبستاني، تحقيق وضبط: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، كتاب الملاحم باب في تداعي الأمم على الإسلام، 6 / 354 - 355، رقم الحديث، / 4279، ط / خاصة، ت ط / 2009 - 1430، دار الرسالة العالمية، بيروت - لبنان.

² - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، وإنه يارز بين المسحدين، / 90، رقم الحديث / 145.

فضلاً عن كون المطلوب، ليس مجرد بناء نفوس مؤمنة، بل إعداد شخصيات فائقة التكوين، تحصل لحمل المهمة الضخمة التي تواجهها.¹

أمام هذه الغربة التي يعيشها المسلم اليوم يجد الداعية إلى الله صعوبات في أن يدعو أخاه المسلم المقصر فما بالك بغير المسلم الذي يرى الأمة الإسلامية اليوم ضعيفة مهانة على يد قومه، ويسمع عن الإسلام أنه دين تحضر وتطور دين أخلاق وقيم لكن العكس يراه في سلوكيات المسلمين فيتوه بين حقيقة الإسلام وجوهره، وبين المسلم الذي تخالف تصرفاته هذا الدين العظيم. هنا يجد الداعية إلى الله عز وجل صعوبة في دعوة غير المسلم لكن تبقى مشيئة الله في هداية من يجب نور يستمد منه الداعية إلى الله مواصلته لنشر الدين الله عز وجل مهما كانت الصعوبات والعقبات التي تواجهه **﴿ قَالَ تَمَالَى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَا كُنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿ ٥٦ ﴾ [القصص / 56]**

2 - ومدى تحقق ضرورة الدعوة إلى الله - عز وجل - في المجتمع الإنساني في عصرنا الحاضر:

لقد تحققت هذه الضرورة في الصدر الأول من الإسلام، وذلك ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أنقذت الناس من الجهالة والضلالة العمياء. كما تحققت بسيرة الرعيل الأول من الصحابة الكرام، الذين تابعوا مهمة الأنبياء، فكانوا القدوة الحسنة للناس.

ثم أتى على المسلمين حين من الدهر غفلوا عن مهمتهم، وقصروا في القيام بوظيفتهم فجهل كثير من الناس هدي الإسلام، وانتشرت فيهم الضلالات من جديد، فتطلعت البشرية إلى القدوة الحسنة، فوجدوها ضعيفة في الأفراد والمجتمعات، فتشوّهت لديهم صورة الإسلام المشرقة، وظنّها بعضهم في الصورة القائمة في المسلمين ومجتمعاتهم، فزهدوا فيها وأعرضوا عنها، وتحمل المسلمون النتيجة، وغفل معظمهم عن وظيفتهم، وواجههم في الدعوة إلى الله.

رغم هذا الواقع المرير في ساحة الدعوة الإسلامية، إلا أنّ المتدبر لآية الكريمة **﴿ قَالَ تَمَالَى: ﴿ يُرِيدُونَ**

أَنْ يُطِغُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿ ٣٢ ﴾ [التوبة / 32]

بأنّ الإسلام في صفائه الرباني، وإشراقاته التوراتية والحق الأبلج الذي يدعو إليه، ما عرض على عاقل باللغة التي يفهمها ورفضه أبداً.

والدليل على ذلك تلك القطاعات الكبيرة من مختلف الأجناس والأعراف، واللغات والأعمار، تتسارع في الإقبال على الإسلام، رغم خبث الخارج وكيد العملاء من الداخل¹ «فلإسلام جولة أخرى، لا تقوم الساعة إلا

¹ - كيف ندعو الناس، محمد قطب، / 6 - 8، ط / 3، ت ط / 1424، دار الشروق، القاهرة - مصر.

وقد بلغت مداها، ورفعت سناها...، وسنظلّ إلى يوم القيامة فوق الذين كفروا، وسيظلّ كتابنا المحفوظ هو وحده مصدر الحقائق الدنيوية التي يحاسب الناس على التمسك بها أو التفريط فيها».²

سيأتي هذا اليوم، وسيتم الله نوره عندما يصحو المسلمون من غفلتهم، ويعودون إلى ميزتهم الدعوية بكونهم خير أمة أخرجت للناس فيقوموا بواجب البلاغ المبين، الذي كلفهم الله - عز وجل - به فيسعون لتحقيقه بالوسائل، لم تنهياً لدعاة الرّجيل الأول من التقنيات الحديثة - كما وضّحنا نماذج منها سابقاً - ممّا يسهّل عليهم مهمّتهم، ويعينهم على أداء وظيفتهم.

يوم يقوم المسلمون بهذا الواجب الشرعي كلّ بحسب إمكاناته وقدراته، وميدانه وموقعه، تبراّ ذمتهم وتقوم لهم الحجّة على غيرهم، ويسلّم لهم خصيصة الخيرية التي منحهم الله - عز وجل - إياها³ سيتحقق وعد الله العزيز الحكيم **قَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّأ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة/ 32]**

المطلب الثاني

آلية الحوار الحضاري الإنساني

في عالم يعجّ بالصراع والحرب، بالإرهاب والعنف، عالم إسلامي في مرحلة الاستضعاف، وعالم غربي في مرحلة الاستكبار، عالم إسلامي يبحث عن هويته المفقودة منذ قرون، وعالم غربي يفرض ذاته بالقوّة. ترى هل يمكن أن تحلّ آلية الحوار الحضاري بين هذين العالمين مشكلة الصراع والإرهاب الذي ولدته قوى لادين ولا وطن لها؟ وما المقاصد المراد تحقيقها؟ ما الشّروط والضوابط التي تحكم آلية الحوار الحضاري؟ هل هناك مبادرات عملية للحوار الحضاري الإنساني؟ وما واقعه اليوم؟ هي إشكاليات سنحاول الإجابة عليها في هذا المطلب منتهجين الخطة الآتية:

الفرع الأول: معنى الحوار الحضاري، ومشروعيته

الفرع الثاني: أهم مقاصد الحوار الحضاري في الشريعة الإسلامية، وضوابطه

الفرع الثالث: المبادرات العملية لحوار الحضارات، وواقعه اليوم

الفرع الأول: معنى الحوار الحضاري⁴، ومشروعيته

¹ - رسالتي إلى الأمة، زغلول النّجار، / 486، ط / 2، ت ط / 2011، دار النّهضة، القاهرة - مصر.

² - الدعوة الإسلاميّة في القرن الحالي، محمد الغزالي، / 177، د / ط، د / ت ط، دار الشّروق.

³ - الدعوة ضرورة إنسانية، محمد أبو الفتح البيانوني، 1 / 69، مؤتمر الدعوة الإسلامية الحاضر والمستقبل، رابطة العالم الإسلامي مكة - المملكة العربية السّعوديّة.

⁴ - سبق لنا أن فضّلنا وبيّنا مصطلح مفهوم الحضارة في اللغة والاصطلاح، عند تطرقنا لمعاني مفردات عنوان البحث في الفصل التمهيدي

أولاً: معنى الحوار الحضاري

أ - معنى الحوار باعتباره مركباً إضافياً

1- معنى الحوار لغة: تأتي لفظة الحوار بعدة معانٍ أهمها

- الجواب والمجاوبة: يقال: كلمته فما أحرار إليّ جواباً ولا حويراً، ولا حوية، ولا محورة، ولا حواراً أي ما ردّ جواباً.¹

- المراجعة: الحيرة والحيرة مراجعة النطق، وتجاوزوا: تراجعوا الكلام بينهم² ويقال أيضاً: كلمته فما رجع إليّ حواراً وحواراً، ومحورة، وحويراً.³

- المرادة في الكلام: ومنه التّحاور⁴. قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي

إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرِكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ [المجادلة/ 1].

كلّ هذه المعاني اللغوية داخلة في معنى الحوار، فالتحاوران يتراجعان أطراف الحديث مع بعضيهما، ويجوبان عن تساؤل كلّ واحد منهما، كما يكون بينهما ردّ في الكلام.

2 - الحوار اصطلاحاً:

- مناقشة بين طرفين أو أطراف، يقصد بها تصحيح كلام أو إظهار حجّة وإثبات حق ودفع شبهة، وردّ الفاسد من القول والرأي.

فهو إذا تعاون بين المتحاورين على معرفة الحقيقة والتّوصل إليها ليكشف كلّ طرف ما خفي عن صاحبه منها والسّير بطرق الاستدلال الصّحيح للوصول إلى الحق.⁵

- «نوع من الحديث بين شخصين، يتمّ فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما فلا يستأثر به أحدهما دون

الآخر، ويغلب عليه الهدوء، والبعد عن الخصوصيّة والتّعصّب».⁶

1 - الصّحاح تاج اللّغة، وصحاح العربيّة، الجوهري / 293.

2 - القاموس المحيط، الفيروزبادي / 381.

3 - معجم مقاييس اللّغة، ابن فارس، 2 / 117.

4 - المفردات في غريب القرآن، الأصبهاني، / 178.

5 - أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن عبد الله حميد / 6 - 7، ط / 1، ت ط / 1415 - 1994 دار المنارة جدّة

6 - الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى بن محمّد حسن بن أحمد زمزمي، / 22، ط / 1، ت ط / 1414 -

1994، دار التريّة والتراث مكّة، دار الزمادي للتّشتر - المملكة العربيّة السّعوديّة.

وعليه يمكن القول أنّ الحوار في الشريعة الإسلامية ليس هدفه تغيير عقيدة الآخر أو إلزامه بالإيمان بالإسلام شرطاً للحوار إنما غرضه الاتفاق على المشتركات والانطلاق منها للعمل سويًا.¹

ب- معنى الحوار الحضاري باعتباره مركبًا إضافيًا : هو الحوار المحقق للتفاعل بين الثقافات والحضارات وهو التعارف بالمعنى القرآني السامي، الذي هو الأصل في تعامل الأمم والشعوب بعضها مع بعض وفي تعاونها على الخير والعدل والحقّ والأمن والسلام، فهذا الضرب من الحوار بين الحضارات هو الأمل المنشود وهو الدّواء الشّافي من الأمراض والعقد الثقافيّة والفكريّة والحضاريّة، التي تتسبّب في الاختناقات السياسيّة وتؤدّي إلى الأزمات الاقتصاديّة، وتخلق الاضطرابات الاجتماعيّة و هو رسالة التفاعل الحضاري في عالم سريع التغيّر مقبل على آفاق جديدة سيكون على الحضارات أن تتبادل الأفكار والآراء والثقافات في إطار من المرونة والتسامح.²

ويمكن تعريفه أيضًا: «المقصود بحوار الحضارات في الثقافة الإسلاميّة هو كلّ حوار بين ممثلي الحضارات لقيام تعاون وتفاعل مشترك في شؤون الحياة المختلفة، ولتبليغ كل طرف رسالته الحضاريّة لآخر بالجدال والإقناع والبرهان وفق أصول وأهداف وضوابط لا يمكن المساس بها».³

وعليه فإنّ معنى الحوار الحضاري الإنساني يقصد به الأمور الآتية:

1 - تلاقح الثقافات الإنسانيّة بين هذه الحضارات.

2 - تفاعل سياسي متبادل بين هذه الحضارات.

3 - امتزاج اجتماعي منضبط بين هذه الحضارات.

4 - تبادل تقني وتكنولوجي بين هذه الحضارات.⁴

ثانياً: مشروعية الحوار من خلال القرآن والسنة

لقد جعل القرآن الكريم والسنة النبويّة الحوار أحد مناهجه الأساسيّة في التّواصل والتّفاعل مع الآخرين وفيما يأتي أدلّة على ذلك:

¹ - الإسلام والتعدّد الحضاري بين سبل الحوار وأخلاقيات التّعاش، عبد الهادي الفضلي، / 179، د / ط، د / ت ط مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي - سلسلة الدراسات الحضارية، جميع حقوق الطبع محفوظة.

² - الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسلامي، عبد العزيز بن عثمان التّويجري، / 30 - 31، ط / 2، ت ط / 14 36 - 2015، منشورات المنظمة الإسلاميّة للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو.

³ - حوار الحضارات - دراسة عقديّة في ضوء الكتاب والسنة - فهد بن عبد العزيز بن عبد الله السنيدي، / 30.

⁴ - حوار الحضارات، وخناجر في جسد الإسلام، محمد مسعد ياقوت / 6، موقع نبي الرحمة nabi alrahma.com.

أ - مشروعية الحوار من القرآن الكريم:

1- حوار الله عزو جل مع الملائكة : قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَيَمْحُجُّ نَسِيجَ بَحْمَدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة/ 30]

2 - حوار الله عز وجل مع رسله : قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٦٦﴾﴾ [المائدة/ 116].

3- بل حتى حوار سبحانه مع الكافرين : قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَضَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَمَا نَسِيَ الْيَوْمَ نَسِيًّا ﴿١٣٦﴾﴾ [طه/ 125- 126].

4- وأيضا حوار الله جل جلاله مع إبليس: قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أُعْوِطْتَنِي لِأَفَعِدَّنَ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف / 12- 16].

5- و القرآن الكريم ملئ بمحاورات الرسل مع أقوامهم قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أُنثَىٰ لِلآبَشَرِ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [إبراهيم / 10].

6 - فهذا حوار سيدنا إبراهيم مع مدعي الربوبية¹: قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي تَرَىٰ إِلَىٰ الْآذَىٰ حَاجًّا إِبْرَاهِيمَ فِي رَيْبِهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمَلَكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة/ 258]

7- كما نجد في آيات عديدة حوارات سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون مدعي الربوبية نذكر مثلا من القرآن على ذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ

¹ - الحوار النبوي مع المخالف والمستنهم، وأثره في الإيمان والأمن، خالد بن ناصر حسين الغامدي، / 13 المجلة العربية في الدراسات الأمنية والتدريب، مج / 29، العدد / 57.

فَعَلَّتْكَ أَلْتِي فَعَلَّتْ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١١﴾ قَالَ فَعَلَّهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٢﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣﴾ وَذَلِكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٤﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّكُمْ مُوقِنِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿١٩﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّكُمْ تَقُولُونَ ﴿٢٠﴾ قَالَ لَئِن أَخَذتَّ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ أُولُو حِجَّتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴿الشعراء/ 18 - 31﴾

- حوار الرسول مع المرأة صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ [المجادلة/ 1].
فحضارتنا الإسلامية حضارة حوار انطلاقاً من المنهج القرآني.

ب - مشروعية الحوار من خلال السنة النبوية الشريفة: لو أراد كاتب أو مؤلف أن يستقصي حياة نبينا الكريم في قضية التخاطب والتحاوُر لما استطاع إلى ذلك سبيلا لأن حياة النبي صلى الله عليه وسلم في جملتها تدور على التخاطب والتحاوُر، وفن التفاهم الرّاقِي الذي يحقق النّجاح تلو النّجاح، ويمنح المحاور اليقين والإيمان العميق بهذا الدّين الحنيف، ومن ثمّ يعكس هذا أمنا وسلاماً، وسكينة على من حاوره النبي صلى الله عليه وسلم.¹

وفيما يأتي نقتصر في هذا الموضوع على ذكر بعض النماذج لحوار الحبيب صلى الله عليه وسلم مع الآخر المخالف.²

1- حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع عدّاس الغلام النّصراني: لما رأى ابنا ربيعة الحبيب صلى الله عليه وسلم بعدما فعل به سفهاء الطائف برميّه بالحجارة حتّى شجّوا رأسه وأسألوا دمه، تحركت له رحمهما، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عدّاس، وقالوا له: خذ قطعاً من هذا العنب، واذهب به إلى هذا الرجل. فلما وضعه

¹ - الحوار النبوي مع المخالف والمستفهم، وأثره في الإيمان والأمن، خالد بن ناصر حسين الغامدي، / 13 المجلة العربية في الدراسات الأمنية والتدريب، مج / 29، العدد / 57.

² - قد سبق لنا أن ذكرنا بعض النماذج لتحاوُر الحبيب p مع الآخرين في الفصل الأول عند التّأصيل للتعاون الحضاري الإنساني من خلال السيرة النبوية، وأردنا أن نثري الموضوع أكثر في هذا الفصل بذكر أدلة أخرى لاستعمال الحبيب عليه أزكى الصّلاة والسلام آلية الحوار.

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مد يده إليه قائلاً: [بسم الله ثم أكل، فقال عدّاس: إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أي البلاد أنت؟ وما دينك؟ قال: أنا نصراني من أهل نينوى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرية الرجل الصالح يونس بن مئى. قال له: وما يدريك ما يونس ابن متى؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبي، فأكبّ عدّاس على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويديه ورجليه يقبلها].¹

والشاهد، هو استعداد الرسول صلى الله عليه وسلم للحوار وهو مغلوب على أمره، والدّم يسيل منه لا يخرج من طوره، ويتخيّر الألفاظ، ويكسب العباد، فإنه هنا يكسب عبدا مغلوبا على أمره بالحوار، ويخرج من الطائف، وقد كسب صديقاً، وعضواً للصفّ المسلم حينما أبرز له شيئاً من علمه وسعته، فالحوار يتصل مع الأشراف والسادة والملوك والعبيد والمهمّشين؛ لأنهم أمام الله عزّ وجلّ سواء، وكذلك هم إخوان في الإنسانية وكلّهم يستحقّ الخلاص والوصل بالكلمة الطيبة " لا إله إلا الله".²

فهذا نموذج حوار الحبيب صلى الله عليه وسلم مع الغلام النصراني، وهو في مرحلة الاستضعاف منهج قويم للأمة الإسلامية اليوم وهي مستضعفة بين الأمم، تستطيع من خلاله الاهتداء إلى أنجع السبل في استعمال آليه الحوار فيما يقويّ ويعزّز جانبها بين الأمم، بإمكانها أن تكسب القلوب، وتستميل العقول من خلال الهدى النبوي في حوار مع الآخر، حتى وإن كان مغلوباً؛ لأنّ قوته وإخلاصه وحبّه لله عزّ وجلّ والتّضحية من أجل نشر دينه سبحانه هي القوّة المثلى للخروج من مرحلة الاستضعاف إلى مرحلة القوّة والتمكين.
حوارات عديدة منذ بدء الدّعوة في مكّة، والجهر بها إلى قبيل وفاة الحبيب صلى الله عليه وسلم، نتخيّر منها أنموذجاً آخر من عام الوفود في مرحلة القوّة والتمكين.

2- حوار الرسول صلى الله عليه وسلم مع وفد نجران: [آنّ نصارى نجران لما وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلوا يضربون النّاقوس. فقال أصحاب رسول الله: يا رسول الله هذا مسجدك؟ فقال: "دعوهم" فلما فرغوا دنوا من رسول الله فقالوا: إلى ما تدعو؟ فقال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأنّ عيسى عبد مخلوق يأكل ويشرب ويحدث، قالوا: فمن أبوه؟ فنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: قل لهم: ما تقولون في آدم أكان عبدا مخلوقاً يأكل ويشرب ويحدث، وينكح؟ قالوا: نعم، قال: فمن أبوه؟ فبهتوا.

¹ - الرّحيق المختوم، صفى الرّحمن المباركفوري، / 114، د / ط، د / ت ط، دار الإحياء والتّراث.

² - الحوار وقبول الآخر في ضوء الهدى النبوي، بن يحي الطاهر ناعوس، www. Alukah.net.

فأنزل الله قوله ﴿إِن مِّثْلَ عَيْسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمِثْلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران / 59]

إذاً هي قضيةٌ جديرةٌ بالتأمل والدراسة - ذكرناها هنا باختصار -¹؛ لأنها مثال عملي تطبيقي، يشمل جملة من القواعد والأصول والحكم، والمعاني والمعاملات الحسنة، والصبر الجميل في الحوار والمناقشة منها على سبيل الإيجاز:

- أن النبي صلى الله عليه وسلم حاور وجادل هذا الوفد طويلاً، مطبقاً معايير القرآن في ضبط الجدل بالتي هي أحسن وغيره من الشروط.

- كان الحوار في أصل من أصول التوحيد، وتأليه غير الله، وقد حاورهم طويلاً، وردّ أباطيلهم، ولم يساوم أو يتنازل عن شيء من الحق، وإذا جاز الحوار في هذا، فكل ما عداه أهون منه؛ لأن الحوار هو طريق الفهم والبيان، وإقامة حجة الله تعالى على الناس.

- أن النبي صلى الله عليه وسلم أنزلهم مسجده، وتركهم وما يدينون، فلم يكرههم على شيء، وبعد أن تصلبت عقولهم عن قبول الدليل والبرهان دعاهم للمباهلة.²

- بعد أن اتضح الحقائق، وتقررت العقائد، وظهر الحق جلياً لم يمنع ذلك من التعايش السلمي معهم على ما هم عليه، وقد قبلهم في دولته، وعقد معهم صلحاً³ على غاية من العدل والفضل، راعى فيه حقوقهم وحقوق المسلمين، وهذا هو الأساس في قبول غير المسلمين في الدولة الإسلامية، وعدم انتقاص حقوقهم بسبب الخلاف في الدين مع تجلّية العقائد، وأحكام الدين، وعدم المداهنة، أو تمييع حقائقها.

- من هذا وأمثاله كثير يتقرر أنّ الحوار واسع، ثمّ التعاون حتى بعد الخلاف، وهو عندنا -نحن المسلمين- ليس قضية سياسية تخضع للتقلبات، وإنما هو دين ملتزم، مقرر بنصوص القرآن، وعمل الرسول، وأنّ

¹ - ينظر: نصارى نجران بين المجادلة والمباهلة، أحمد علي عجيبة، / 76 - 80، ط / 1، ت ط / 2004 دار الآفاق العربية - القاهرة مصر.

² - المباهلة: الملاعبة، والابتهاال: التضرع، ويقال في قوله تعالى ﴿قَالَ تَمَالِكُ﴾ ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ﴾ [آل عمران / 61] أي نخلص في الدعاء . الصّحاح تاج اللّغة، وصحاح العربيّة، الجوهري / 119.

³ - ستحدّث عن هذا الصلح بالتفصيل، عند التّطرق إلى آلية العمل السياسي، كوسيلة من وسائل للتعاون الحضاري الإنساني.

الأمة الإسلامية مكلفة به ملتزمة تطبيقه في كل العصور، وضرورة أنه وسيلتها العظمى في الدعوة والإبلاغ.¹

3- حوار مع قريش يوم فتح مكة:

- حوار الرسول صلى الله عليه وسلم مع أبي سفيان قبل دخوله مكة المكرمة: عن العباس رضى الله عنه قال: [..فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودخل عليه عمر. فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان، قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني فلاضرب عنقه.

قال العباس: فقلت: يا رسول الله، إني قد أجزته، ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه فقلت: والله لا يُناجيه الليلة دوبي رجل، فلما أكثر عُمرُ في شأنه، قلت: مهلا يا عمر، فو الله أن لو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف.

فقال عمر: مهلاً يا عباس، فو الله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلا أنني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به.

قال العباس: فذهبت به إلى رحلي، فبات عندي، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلمّا رآه قال له: "ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟"

قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك!، والله لقد ظننت أنه لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد.

قال الرسول: "ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أي رسول الله؟".

قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك!، أمّا هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً. قال العباس: فقلت له: ويحك أسلم، واشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله قبل أن تُضرب عنقك.

فشهد شهادة الحق فأسلم.

قال العباس: قلت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجلٌ يُحبُّ هذا الفخر، فاجعل له شيئاً.

¹ - أهداف الحوار مع الغرب ومحاذيره، سعد بن علي بن محمد الشهراني / 12 - 13، بحث مقدّم لمؤتمر: العالم الإسلامي والغرب الحواجز والجسور المنعقد بالجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، تنظيم، المعهد العالمي لوحدّة الأمة الإسلامية في فترة: 12 - 14 / 08 / 1427 - 5 - 7 / 9 / 2006.

قال الرسول: نعم، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَفِيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ.¹

أبو سفيان هو نفسه من اجتمع في دار الندوة مع زعماء قبل ثلاث عشرة سنة، للتآمر على قتل الحبيب صلى الله عليه وسلم، من تسبب في إخراج الرسول، من أحب البلاد إلى قلبه، هو نفسه من حاربه في غزوة بدر، وأحد... وغيرها من المواقع، طوال هذه السنين وهو نفسه من سلّ سيفه لحرب الله ورسوله، والآن في موقف ضعف وذلة، زعيم قريش وقائدهم بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم يكلمه، يحاوره، يزيد به فوق ذلك شرفاً أن يجعل كل من دخل داره، فهو آمن.

سموّ في الحوار الرّاقبي مع العدو، الذي يصلح عليه اليوم بحسب القانون الدولي الإنساني، مجرم حرب يتحول بمهذابة الله - عز وجل - إلى جند من جنوده، إنّه الحوار النبوي في أسمى مقاصده ومعانيه.

4- حوار الرسول صلى الله عليه وسلم مع أبي سفيان عند دخوله مكة المكرمة فاتحاً: سمع أبو سفيان "سعد بن عباد" وقد كان يحمل راية الأنصار يقول له: [يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة اليوم تستحلّ الكعبة، اليوم أذلّ الله قريشاً.

فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان، قال أبو سفيان له: أمرت بقتل قومك؟ قال الرسول: لا.

قال أبو سفيان: ألم تعلم ما قال سعد بن عباد؟ قال الرسول: ما قال؟

قال أبو سفيان: قال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستحيل الكعبة، اليوم أذلّ الله قريشاً" وقال أبو سفيان للرسول: أنشدك الله في قومك، فأنت أبرُّ النَّاسِ، وأوصلهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا سفيان، كذّب سعدٌ، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تُكسى فيه الكعبة، اليوم يوم المرحة، اليوم يعز الله فيه قريشاً.

وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن عباد، فأخذ لواء الأنصار من يده، فجعله في يده ابنه.²

¹ - السيرة النبوية، ابن هشام، 4 / 42 - 44.

² - صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركز النبيّ ﷺ الرّاية يوم الفتح؟، / 1559 - 1560 رقم الحديث / 4030.

ما أروع من حوار تتلخّص فيه قيم التّسامح والعفو عند المقدرة، فالحبيب صلى الله عليه وسلم في قمة الانتصار يحاور أبا سفيان بتواضع جمّ لله - عز وجلّ -، يحاسب صاحبه سعد بن عبادة رضى الله عنه لأنّه تفوّه بألفاظ فيها العنف والانتقام ويعتذر لقريش بألفاظ تذوب الجبال من الحسن والجمال، والأمن والأمان لبيّته في قلوب قريش أملا في الله - عز وجلّ - من أن تلين قلوبهم لقبول الهداية، وعبادة الله وحده لا شريك الله وفوق ذلك يعاقب سعد بأن نزع منه لواء الأنصار، ويجعلها في يد ابنه.

لقد أراد الحبيب صلى الله عليه وسلم من خلال هذا الحوار أن يعلم قادة العالم كيف يتصرّفون مع أعدائهم إن أمكنهم الله منهم، وذلك بأن يتحلّوا بقيم الإحسان والتواضع، بقوة البيان ولين الكلام، حتى يحقّقوا المقصد الأسمى ألا وهو قبول الطرف الآخر التّعاون الحضاري معهم، بل إسلامهم، واستسلامهم لربّ العالمين، وما ذلك إلا ثمرة من ثمرات الحوار الحضاري الذي انتهجه الحبيب صلى الله عليه وسلم حتى مع ألدّ أعدائه.

5- حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع قريش بعد فتحه مكة: خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقال: [لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهو الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو مال أو دم ، فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ، ألا وقتل الخطأ شبه العمد السوط والعصا ، ففيه الدية مغلظة ، مائة من الإبل أربعون منها في بطونها أولادها . يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم من تراب " ثم تلا هذه الآية **قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات : 13]**

ثم قال : " يا معشر قريش ما ترون أبي فاعل بكم ؟ " قالوا : خيرا أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : " فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته : **﴿ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾** [يوسف : 92] اذهبوا فأنتم الطلقاء]¹.

إنّه حوار حضاري من قائد فاتح منتصر، إلى من حاربوه زمنا طويلا، وأوعدوا دونه أبواهم، بل وأخرجوه من دياره، وشرّده في شعب مكة لسنوات، هو ومن آمن برسالته من الصحابة -رضوان الله عليهم جميعاً-، ليقرر بعد ذلك بوحى من الله عزّ وجلّ أن يهاجر إلى المدينة المنورة مع أصحابه المستضعفين، ويعود بعد عشر سنوات فاتحا لمكة المكرمة، وقد ملكه الله سبحانه رقاب أهلها، فيسألهم، سؤال الرّؤوف الرحيم بحالهم: "ما ترون أبي فاعل بكم" فيجيبونه جواب الواثقين بأخلاقه من حلم، وعفو عند المقدرة، من إحسان ورحمة: " خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت"، وقد كان الخير منه -صلوات الله عليه وسلامه- فيردّ عليهم بنفس ردّ أخيه يوسف عليه السلام: **﴿ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾**

¹ - زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية / 473.

[يوسف / 92] اذهبوا فأنتم الطلقاء .

حوار حضاري راقٍ، ممزوج بقيم العفو والحلم، والإحسان، بالرحمة والتواضع، لتكون النتيجة، حرّيتهم من أيّ عبوديّة إلاّ عبوديّة الله عز وجل، دون إكراههم طبعاً، تحريرهم من كلّ حقوقه عليهم.

هذا هو منهج الحبيب صلى الله عليه وسلم في حوارهِ مع من خالفوه عقيدة، مع عدائهم الشّدِيد لهم ومحاربتهم إيّاه فيذيب بذلك صخور الكبر من قلوبهم. فيؤمنون به حبّاً وطواعيّة، وما ذلك إلاّ بقوة الحوار والكلمة الطيبة معهم فهذا هو الحوار الحضاري، الذي يجب على المسلمين اليوم أن ينهجوهم مع غيرهم، ليكون آيّة فعّالة لمقصد التّعاون الحضاري الإنساني، مهما كان الواقع الذي نعيشه اليوم، فقد رأينا الحبيب صلى الله عليه وسلم محاوراً لهم وهو في مرحلة بداية الدعوة، وقد كان العدو أكثر منه قوّة وتسلّطاً، رأيناه محاوراً لهم وهو في مرحلة القوّة والتّمكين من الله -عز وجل-، لتكون نتيجة هذا الحوار، بناء أعظم حضارة إنسانية شهدتها التاريخ، ولن يشهد مثيلاً لها إذا ابتعدنا عن المنهج الإلهي الذي سطره الله - سبحانه تعالى - للحبيب صلى الله عليه وسلم وقد طبّقه أروع تطبيق.

ثالثاً: حوار الحضارات في ضوء قوله ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾

لقد حضّ القرآن الكريم على التّعارف بين النّاس في أيّ زمان ومكان، وهذا واضح في قوله تعالى:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات / 13] .

فحينما يحمل المسلمون رسالة الإسلام الحضاريّة للنّاس جميعاً فإنّما يحذوهم إلى ذلك ما غرست مبادئ الإسلام في قلوبهم من حبّ الخير للنّاس جميعاً، والرّغبة الملحة بأن يخرجوا النّاس من الظّلمات إلى النّور ويدفعوهم إلى معارج المجد الإنساني ويأخذوا بأيديهم إلى القمم الحضاريّة الرّاقية، وبأن يشاركوهم في اقتباس العلوم الدّينيّة والمعارف الأخلاقيّة وطرق تنظيم الحياة، ليطبّقوها فيسعدوا بها، بأن يسيروا معهم متعاونين متآزرين لتحقيق أكبر قدر ممكن من التّقدّم الحضاري الذي حضّهم الإسلام عليه في مختلف المجالات الإنسانيّة والفكريّة والتّفسيّة والسلوكيّة والماديّة .

فالأخوة التي أعلنها الإسلام بين النّاس تستدعي أن يحبّ الإنسان لأخيه ما يحبّ لنفسه، فالحضارة التي أقامها الإسلام تجعل المسلم يحاور أصحاب الحضارات الأخرى ويتدرّج معهم من الدّعوة الهادئة إلى الموعظة الحسنة إلى المجادلة بالتي هي أحسن.

فالحوار الحضاري الذي يريده الإسلام هو الحوار المحقّق للتفاعل بين الثقافات والحضارات، وهو التّعاون بالمعنى القرآني السّامي الذي هو الأصل في تعامل الأمم والشّعوب بعضها مع بعض.

فعلى أصحاب الحضارات المختلفة أن يحرصوا على الوصول إلى كلمة سواء في مواجهة الطّغيان.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ

بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴿آل عمران/ 64﴾ .

وهذا رسّخ القرآن الكريم الحوار بين الحضارات، وفتح الآفاق لما فيه خير البشرية.¹

الفرع الثاني: أهم مقاصد الحوار الحضاري الإنساني في الشريعة الإسلامية، وضوابطه
أولاً: أهم مقاصد الحوار الحضاري الإنساني في الشريعة الإسلامية

هي كلّ ما يحقق الخير والصّلاح والأمن والسّلام، والرّخاء والطّمانينة للنّاس كافّة، وفي اللفظ القرآني "التّعارف" من قوله تعالى في سورة الحجرات ما يغني ويقوّي ويعزّز هذه المعاني جميعاً: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات / 13] .

فالتعاون هنا يتّسع ليشمل التّعاون والتّعايش، وكلّ ضروب العمل الإنساني المشترك لما فيه الخير والمنفعة لبني البشر وهو مقصد سامٍ من مقاصد الحوار.

وينبغي أن تبدأ مقاصد أيّ حوار من الإنسان، وتدور حول شؤونه وقضاياها وتعود إليه لئلاّ يفقد الحوار قيمته وأهميته ومضمونه الهادف، هذه المقاصد هي من الكثرة بحيث يتعدّد حصرها²، ولكن يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

أ- الحوار الحضاري لتحقيق مقصد الدّعوة إلى الله تعالى: تعرّفنا على الدّعوة إلى الله كآلية من آليات التّعاون الحضاري الإنساني وفيما يأتي نوضحه كيف تكون كمقصد من مقاصد الحوار الحضاري فنقول:

إنّ الحوار الحضاري مع الغرب يعدّ تطبيقاً لمبدأ جهاد الدّعوة، وهو أحد أنواع الجهاد التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم: [جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألستكم]³. فالحوار معهم يندرج تحت الجهاد باللسان⁴، وهو مجال عظيم، ومناخ مناسب يمكن للمسلمين أن يستفيدوا منه لتحقيق أحد فرائض دينهم، وهو الدّعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي أحسن.

فهذا المقصد -الدعوة إلى الله- هو أسمى المقاصد وأعلاها؛ لأنّ فيه تبليغ دعوة الله إلى النّاس، وإنقاذهم ممّا هم فيه من الشّرك والجهل.¹

¹ - الحوار في القرآن الكريم، معن محمد عثمان ضمرة، إشراف محمد حافظ الشريدة، / 168 - 170، أطروحة لنيل درجة الماجستير في أصول الدين، جامعة النّجاح الوطنيّة - نابلس، فلسطين، 2005.

² - الحوار والتّفاعل الحضاري من منظور إسلامي، عبد العزيز بن عثمان التّويجري، / 25.

³ - سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب كراهية الغزو، 4 / 157 - 158، رقم الحديث، 2504.

⁴ - الحوار في الكتاب والسنة، أسسه وأهدافه، بسّام داود عجك، / 182.

فحوار الدّعوة، وهو وظيفة المرسلين، وخلفائهم من العلماء الرّبانين، والدّعاة والنّاصحين، وهو مشروع الأمة الإسلاميّة، وعنوان خيريتها على سائر الأمم، ومضمون هذا الحوار، الكلمة السّواء الّتي دلّ عليها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران/ 64].

فالحوار إذا بهذا الاعتبار وعاء لوسائل الدّعوة المشروعة مثل: المجادلة، والمناجاة، والمناظرة، والموعظة والبيان والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.²

ب - الحوار الحضاري لتحقيق مقصد درأ المفاصد عن المسلمين: يواجه المسلمون اليوم في بلدان شتى حملات تنصيريّة كثيفة، تدعمها دول غربيّة مستغلّة الظروف السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة في تلك الدّول فيأتي الحوار لدعم المسلمين معنوياً تجاه تلك الحملات الشّرسية، فيولّد ضغطاً على المنصّرين، وفضحاً لأساليبهم وطرقهم في تنصير المسلمين أو تخفيفاً لنشاطاتهم التنصيريّة، وكشفاً لعقيدتهم الباطلة الّتي يندعون البسطاء والعوام بها.

وقد نجح بعض الدّعاة المتمرّسين في حوار المنصّرين، في كسر شوكتهم، و افحامهم في مناظرات حاشدة مشهودة فكان ذلك إعزازاً للمسلمين، وتثبيتاً في دينهم، وتحصيناً للمنخدعين. كما يستهدف المحاور المسلم تحييد خصمه، إذا لم يتمكّن من كسبه، وهذا بلا شكّ من المكاسب الكبيرة فإنّ من لم يستطع كسبه ليكون عوناً على الخير فلا أقلّ من إخماد شرّه، وكفّ أذاه وفساده.³

1- الحوار الحضاري للدّفاع عن القيم والمبادئ الفاضلة وتحقيق المصالح المشتركة:

-الحوار الحضاري للدّفاع عن القيم والمبادئ الفاضلة: يعيش العالم اليوم فوضى أخلاقيّة، جرّاء هذا التّمردن المادّي الّذي كاد يقضي على كل القيم الإنسانيّة، الّتي تحتمي بسياحها كل البشريّة من الشّرق إلى الغرب ومن الشّمال إلى الجنوب، إنّها قيّم الرّحمة والوفاء، العدل والتّسامح، ولا سبيل إلى الحفاظ عنها إلاّ من خلال الحوار الحضاري الرّاقى الهادف إلى جمع شتات العالم الغارق في وحل الانحلال الخلقي.

«إنّ من أعظم محاسن ديننا الإسلامي، أنّه دين الخلق فنبّه صلى الله عليه وسلم وصفه ربّ العزّة بقوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم/ 4].

وقوله صلى الله عليه وسلم [إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق].¹

¹ - الحوار مع أهل الكتاب، أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، خالد بن عبد الله القاسم، / 114، ط / 1، ت ط / 1414 دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض -السعودية.

² - الحوار في القرآن والسنة أسسه وأهدافه، أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي، / 160 - 161.

³ - أهداف الحوار مع الغرب ومحاذيره، سعد بن علي بن محمد الشّهراني / 27.

ولقد كانت لمشاركة المسلمين في المؤتمرات والتدوات التي تنادي بالأخلاق في العالم أثر كبير في إيصال رسالة هذا الدين والدعوة إليه بحوار حضاري راقٍ، وهناك أصول أخرى غير ما سبق تنادي بها المنظمات المنصفة في العالم لتبليغ دعوة الإسلام».²

لهذا ينبغي تفعيل حوار الحضارات من أجل الرقي بأخلاق الإنسانية، وإعادة تمها إلى جبلتها، وما فطرها الله عز وجل عليها من أخلاق الرحمة والتسامح، والعفو والعدل. وهكذا يصبح الحوار الأخلاقي الحضاري سياق يهدف إلى حماية البشرية من الآلة المادية العمياء التي تعصف بالإنسانية يومياً فتقرّبها إلى حتفها.

- الحوار الحضاري لتحقيق المصالح المشتركة:

- مقصد التعاون من مقاصد الحوار: التعاون بين الناس، ولا أدل على ذلك من قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥﴾ [المائدة/ 2].

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: [... والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه]³. وإن دعوة الإسلام التعاونية لا تنحصر في نطاق الأمة التي كوّنوها، ورسم لها طريقها، وحدد لها منهاجها، وسمّاها أمة وسطا، بل هي على نحو من السعة والشمول بحيث تسع الحياة الإنسانية بأكملها، دون تخصيص جانب على جانب، ولا طرف على طرف

مما كان له الأثر الجيد في التواصل الحضاري بين الشعوب الذي دعا الله إليه، وأوضحه المقصد من إرسال الرسول في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأنبياء/ 107]

¹ - رواه البزار في كتابه البحر الزخار المعروف بمسند البزار، تحقيق: عادل بن سعد، 15 / 664، رقم الحديث / 8949 ط 1 / ت ط / 1427-2006، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية.
² - حوار الحضارات، دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسنة، فهد السندي، / 71-72.
³ - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر / 2 / 1242، رقم الحديث، / 2699.

ولا يتم مفهوم الرحمة على نحو من العالمية إلا بتحقيق التعاون الإنساني بمفهومه الشامل وهذا ما أكده الرسول في قوله: [الرحماء يرحمهم الله، ارحموا من الأرض يرحمكم من في السماء]¹. ولذا نهى الله عن الترف لما فيه من إخلال بتقدير القيم الإنسانية المثلى، فما من ترف إلا فيه حق مضيع.

ولا شك أنّ الحوار مع أهل الكتاب بالتي هي أحسن يعكس جملة من النتائج منها: التعاون الفكري بتبادل الخبرات والتعاون المادي بالتكافل الاجتماعي، مع ما يحققه الحوار من تشاور وتكامل حضاري. والإسلام ينظر للإنسان بصفته فرداً مستقلاً، وبصفته فرداً وسط منظومة من حيث هو عضو في أمة متماسكة كل يومٍ دوره. **قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوا عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾** [المائدة/ 2].

حتى لا تكون الأمة مجرد رابطة جنسية أو عرقية، وإنما هي أمة متعاونة بفضل إيمان أعضائها المتتمين إليها والمكونين لها إيمانا عميقا نابعا من أحاسيسهم المشتركة بأنّ أمّتهم واحدة لها شخصيتها، وخصائصها وأصالتها التي بها تنفرد عن سائر الأمم في القديم والحديث، ولتسهم هذه الأمة بدورها - بما رسّخه الإسلام في نفوس أفرادها من إرادة العيش المشترك- في التعاون مع بقية الأمم لصنع حضارة إنسانية تؤدي رسالتها في تحقيق العدل بين البشر أجمعين، ونشر السلام بين العالمين، وهكذا بتقبل الطرف الآخر والتحاوّر معه يمكن التوصل إلى التعاون على جملة من الأمور، منها:

- التعاون على حماية وتعزيز العدالة الاجتماعية، والقيم الإنسانية، وكفالة الحرية للناس جميعا، خاصة وأنّ الأديان السماوية عموما تدعو إلى مثل هذه القيم.
 - التعاون على مواجهة الأخطار التي تحيق بالبشرية من حروب، وتلوث بيئي، ومخدرات، وغيرها.
 - درء الخطر المشترك، وذلك بمحاربة الشبهوات الجاحمة، والإباحية العفنة، والمادية المستحكمة، يُرَوِّج لها تحت أسماء كاذبة مثل النظام والحرية. ولا يخفى ما تجره من ويلات ودمار. **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَءَاعَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾** [الأنفال/ 25].
- التعاون على عمارة الأرض وفق إرادة الله عند المسلمين، و وفق القيم الإنسانية عند غير المسلمين تحقيقا لمقصد الاستخلاف الإنسان في الأرض **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ قَالُوا**

¹ - رواه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الناس، / 439، رقم الحديث / 1922.

أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُقْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ^ط قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ [البقرة / 30]

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يونس / 14].
وذلك بما يأتي¹:

- حوار التعاون والتعاقد العلمي: وتوضح صورة الحوار في التعاون والتعاقد العلمي بين العالم الإسلامي والعالم الغربي في مجموعة كبيرة من الوسائل المحدثة التي كان لبعضها أثر كبير في حياة المسلمين، بل في وصول صوت الحق إلى غير المسلمين، ومن تلکم الأمور:

- كراسي البحث العلمي في الجامعات العربية التي تستضيف من أساتذة البحث من الغرب من يكون لزيارتهم أثر في نقل الصورة الحقيقية عن الإسلام وأهله... وكذلك كراسي البحث العربية في جامعات الغرب؛ بل إن الأثر الذي خلفه الأساتذة العرب أثناء تدريسهم في الجامعات الغربية لا يمكن إغفاله... وقد حكى بعضهم هذا الأثر من خلال المساهمة الفاعلة في تغيير المناهج الدراسية الغربية التي شوّهت الإسلام وأهله؛ لكن مشاركة هؤلاء الأساتذة غيرت هذا بل أسهمت في تصحيحه².

- فالتركيز على مبادرات الحوار الإيجابية الهادفة إلى إزالة الغشاوة والتضليل المتراكمين في العقلية الغربية، هنا تبرز أهمية التنسيق والتعاون العلمي، وفتح قنوات الحوار والاتصال مع مختلف الجهات الإعلامية والثقافية والفكرية الغربية والعمل على إقناع الإعلاميين الغربيين بوقف نشر الأكاذيب والمفتريات عن الإسلام والمسلمين³ بما يحقق الكرامة الإنسانية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوُجُوهِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء / 70].

- بما يقيم العدل في الأرض بين الناس جميعا بدون استثناء
- بما يؤكد التعارف بين الناس مما يحقق الأمن والأمان، والتعايش في سلم وسلام
- بما يدعو إلى التواصل بين الحضارات في جوانبها المادية والإبداعية.
- بما يحافظ على البيئة.

¹ - مشروعية الحوار مع الآخر و أهدافه ،عمر بن صالح بن عمر ،خميس ، 2011/14/07 - 19:02 .
<http://www.alhiwartoday.net/node/312>

² - حوار الحضارات، دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسنة، فهد السندي / 68.

³ - صورة الإسلام في الغرب بين حملات التشويه، وواجب التصحيح، مجموعة من المؤلفين، بحث مقدم في مجال تصحيح صورة الإسلام، بكلية الشريعة بفاس في 9 / 05 / 2006، مطبعة آنفو براين، فاس، المغرب.

- بما يدعو إلى تنسيق الجهود والعمل الجماعي لعمارة الأرض، وتحقيق النهضة الحضارية.

فمثل هذه المفاهيم والقيم تعتبر قواعد مشتركة بين الناس أجمعين، تحقق كرامة الإنسان، ومصالحته وأمنه بقطع النظر عن جنسه ولونه ودينه. يقول أحد المسيحيين: «إنما الحماية المسيحية في البلاد العربية هي اتجاه المسيحيين للتلاحم والتفاهم مع المسلمين في هذه البلاد ليتابعوا سويًا المسيرة التاريخية الرائعة في التأخي الإنساني، والتعايش السلمي الذي سجّله المسلمون والمسيحيون في هذه البلاد عبر العصور التاريخية المتوالية.

3- حوار السلام من أجل تحقيق السلام العالمي: فالسلام مطلوب الإسلام الأول من المجتمعات الإنسانية على اختلاف عقائدها ومذاهبها، وأفكارها ومبادئها، وهو مطلوب الثقافة الجادة، والحوار هو السبيل دائماً؛ لأنه وسيلة سلمية إسلامية، والسلام الغاية يقتضي ويستلزم ذريعة وطريقاً يتّصف بمثل ما اتّصفت به الغاية. وكلها الإسلام والحضارة والثقافة تدعو إلى السلام عبر طريق الحوار.¹

لكن الذي يجب التركيز عليه هو أنّ الحوار من أجل السلام لا يكون أبداً مع المحارب المعتدي على الأرض والوطن كما هو الحال في حوار السلام الفلسطيني مع العدو الصهيوني.

فحوار السلام المقصود والمطلوب شرعاً، هو حوار العزة والكرامة، حوار من أجل الأمن والسكينة للشعوب المظلومة والمقهورة، حوار التحرر دون إراقة الدماء، حوار السلام من أجل أن تقرّر الإنسانية مصيرها بكلّ حرية فقد يثمر الحوار ما لا تثمره الحروب، فيستقطب الناس، ويؤلين القلوب، فهذا ابن عباس حين انتدبه علي بن أبي طالب رضی الله عنه عنهما لمحاورة الخوارج من أهل حروراء، فأتمى الحوار ثماراً يانعة، فرجع أكثر من ألفين من الخوارج عن مذهبهم، فكان ذلك ولا شك أبلغ من القتال. ومما يؤكد هذا من السيرة النبوية: ما جرى من حوار بين الرسول وقومه في الحديبية وما أثمره من صلح كان فتحاً للمسلمين، وسبباً من أسباب انتشار هذا الدين في الجزيرة العربية بسرعة لم تكن لو انعدم هذا الحوار واستبدل بالقتال.²

هذا هو الحوار السلمي الذي تدعو إليه الشريعة الإسلامية، وترنو إلى تحقيق تعاون من أجل خير الإنسانية جمعاء.

فالحوار الحضاري إذا آلية فعّالة من خلالها نستطيع تحقيق مقاصد عظمى تخدم الإنسانية جميعاً، بما نستطيع أن نعرّف الآخر عظمة الدين الإسلامي وندعوه بالحكمة والموعظة الحسنة إلى قبوله دون إكراه، بما نتعاون على تحقيق مصالح مشتركة فيما يخدم البشرية من خلال الحوار لأجل التبادل العلمي والمعرفي في كلِّ

¹ - الحوار الثقافي الحضاري في خدمة السلام، رؤية إسلامية، محمود عكّام / 318 - 320. مؤتمر مكة الخامس، رابطة العالم الإسلامي.

² - مشروعية الحوار مع الآخر وأهدافه، عمر بن صالح بن عمر. <http://www.alhiwartoday.net/node/312>

المجالات، وكذا الحوار للاستفادة من خبرات بعضنا البعض سياسياً واجتماعياً، اقتصادياً وفكرياً، بآلية الحوار الحضاري نرسخ لدى المجتمع العالمي قيم السلام والعدل والإحسان، مبادئ الحرية والتسامح، بآلية الحوار الحضاري نحقق مقصد درء المفاسد عن المسلمين، ونجلب له المصالح .

ثانياً: أهم ضوابط الحوار الحضاري الإنساني

لا بد لكل حوار حضاري يراد له النجاح من أن ينطلق من مبدأ أساس يرمي إلى هدف ثابت، هو البحث عن الحقيقة من جهة نظر الطرف الآخر، باعتبار أن إيمان الشخص بصواب رأيه لا يعني أن رأي الطرف الآخر غير صواب، ومتى تحققت هذه المنهج وتلك الرغبة أمكن القول بأن الحوار منتج ومثمر ومفيد.¹

وللحوار الحضاري قواعد وضوابط كثيرة يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

أ - عدم التنازل عن ثوابت الأمة الإسلامية: فلا يجوز مجال من الأحوال التنازل عن الهوية والثوابت الإسلامية التي تميز المسلم عن غيره عقدياً وسلوكياً، ولا التفريط في أي أصل من أصول العقيدة الإسلامية، ولا مبادئه باسم التسامح والتعايش السلمي مع الآخر.

فلا يجوز التنازل عن:

1- الثوابت والتصوص والأحكام التي لم تترك الشريعة مجالاً للاجتهاد فيها، وهي المسائل التي لا تقبل التحريف أو التبديل، كحرمة الزنا واللواط، وشرب الخمر وفرضية الحجاب، فلا مجال للتحاوّر الحضاري في مثل هذه القضايا.

2 - من الثوابت التي تحكم المسلم بغيره، قضية الولاء والبراء، فهي الضابط الذي يستمد منه المسلم المحاور لغيره قوته وعزته، وقد سبق لنا وأن فصلنا مسألة الولاء والبراء عند تطرقنا للتأصيل العقدي للتعاون الحضاري الإنساني في الفصل الأول.

3 - عدم المشاركة في الدعوات المغرضة والمشبوهة كالدعوة إلى حوار الأديان، أو مشاركة الكفار في باطلهم.

4 - لا يجوز لنا أن نحمل ما يراه البعض من آراء شاذة تحت ضغوط واقع المسلمين اليوم، بحيث يحاول البعض أن يتلمس بين الآيات والأحاديث مسوغات وتعتفات تزيد الإثم إثماً في مسلسل التنازلات

¹ - ضوابط الحوار مع الآخر، سعد عبد الله عاشور، 16 / 95، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإسلامية العدد الأول جانفي / 2008.

وتبريراتها، حتى وجد من يدعو إلى موالاتهم واتخاذهم إخواناً.¹

وحرّيّ بالحوار المسلم أن يتأسى بالرسول صلى الله عليه وسلم فلقد كان يعرض دعوته على القبائل فتشترط هذه الأخرى شروطاً عليه، فلا يتنازل على قيم ولا مبادئ ولا أصول الدين الإسلامي. وهذا أنموذج عن قمة وروعة ثبات الحبيب صلى الله عليه وسلم وحفاظه على ثوابت الدين الإسلامي.

قال ابن إسحاق: وحدثني الزهري: [أنه أتى بني عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم نفسه فقال له رجل منهم - يقال له: بيحرة بن فراس، قال ابن هشام: فراس بن عبد الله بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة: -والله، لو أتي أخذت هذا الفتى من قريش، لأكلت به العرب، ثم قال: رأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء، قال: فقال له: أفتهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا لا حاجة لنا بأمرك، فأبوا عليه].²

ب - تفعيل ضابط الاحترام المتبادل: فهو سبيل قويّ لضمان قدر كاف من الموضوعية والجدية في عناصر الحوار المرتقب، الذي يعمل على تعزيز الجهود الإنسانيّة الصادقة من أجل تقوية أسباب السلم في مدلوله العام وتدعيم دواعي الأمن في مفهومه الحضاري الشامل.

وإذا كان العدل والحق والمساواة بين الناس هو السند الفكري لقواعد القانون الدولي، فإن هذه المفاهيم أصل ثابت من أصول الإسلام الذي أنزله الله رحمة للعالمين ودعا فيه إلى إقامة الموازين بالعدل والقسط بين الناس أجمعين، حتى أن القرآن الكريم ليشير إلى أنّ غاية الرّسالات السّماوية التي جاء بها الأنبياء جميعاً هو تحقيق العدل والقسط بين الناس، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد/ 25].

¹ - الأحكام والضوابط العقديّة المتعلّقة بالحوار مع غير المسلمين، سهل بن رفاع بن سهيل العتيبي، / 30 - 31، قسم الدراسات الإسلاميّة، كليّة التربية، جامعة الملك سعود، الرياض - المملكة العربيّة السّعوديّة.

² - سيرة النبويّة، ابن هشام، 2/ 66.

فإذا استند الحوار بين الثقافات والحضارات إلى هذه القاعدة وكان الهدف منه هو تقوية هذه المفاهيم كان هذا الحوار خيراً للإنسانية في حاضرها ومستقبلها، وكان عملاً صالحاً ومنهجاً قويمًا يقرّه الإسلام ويدفع الأمة باتجاهه.¹

ج - الاتفاق المبدئي حول النقاط الأساسية التي ستشكل موضوع الحوار: مما لا شكّ فيه أنّ لكلّ حديث نافع محور ومحاور يدور حولها، ولكي يكون الحديث مجدياً ومثمراً، لا بدّ أن يتعد المتحاورون عن التشتت والخروج خارج نطاق الموضوع، وهذا لا يكون طبعاً إلاّ بتحديد محاور الحديث، ونقاط الحوار التي سيجلس المتحاورون لبحثها والتوصّل إلى حلول عمليّة لمشكلاتها **قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران / 64].**

والكلمة السواء هنا تحمل في جملة ما تحمل الثابت والأسس التي يلتقي حولها المتخاصمون أو المتحاورون والحق إنّ مع ضرورة إلزام المتحاورين بالنقاط التي تحدّد مسارات حوارهم فإنّ ثمة فائدة أخرى هنا هي ضبط من يريد التهرّب من الحقّ والحجّة الملزمة عند شعوره بالفشل والخسارة.

د - تحديد الهدف من الحوار: **قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسَبَّحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧٨﴾﴾ [يوسف / 108].**

فلا ينبغي للمحاور المؤمن أن يكون إمّعة، بل يكون على بصيرة وبيّنة ومنهج واضح جليّ.²

هي إذا بعض ضوابط الحوار الحضاري الإنساني ذكرناها بإجمال من خلالها نستطيع أن نتفاعل مع الآخر دون ذوبان ولا ضعف، ولا مدهانة، فنبني مجتمعاً إنسانياً عالمياً قوامه التفاهم والتعاون فيما اتفقنا عليه ممّا يعود على البشرية جمعاء بالخير العميم، والسلام العالمي.

الفرع الثالث: المبادرات العملية لحوار الحضارات، وواقعه اليوم

دعوات من كلا الجانبين تدعو لانتهاج آلية الحوار الحضاري للقضاء على التوتّرات العالميّة التي تكاد تعصف بالإنسانية في كلّ المجالات، في العام الواحد يجتمع عقلاء العالم مرّات عديدة، للتّحاور حول القضايا المشتركة بغية البحث عن حلول ترضي الطرفين الإسلامي والغربي، مؤسّسات دولية أنشئت لهذا الغرض، لكن هل

¹ - الحوار... الذات، والآحر، عبد الستار إبراهيم الهيتي، سلسلة كتب الأمم

<http://library.islamweb.net/newlibrar>

² - إضاءات قرآنيّة حول مفهوم حوار الحضارات، أشرف محمد زيدان - نور روضة حاج نسرین - فخر الأدب عبد القادر، 3 /

66- 67، مجلّة جامعة الأنبار للعلوم الإسلاميّة، العدد / 12، كانون الأوّل / 2011.

هذه الآلية فعّالة اليوم بحيث استطاعت أن توقف نزيف العنف والتطرّف الذي ما فتئت البشرية تدفع يومياً آلاف الضحايا؟!

قبل الحديث عن واقع الحوار الحضاري الإنساني بموضوعية، لا بد من جولة علمية لاستقصاء أهم المراكز التي تعنى بهذا الجانب.

أولاً: المبادرات العمليّة لحوار الحضارات

مبادرات عديدة ومساهمات حثيثة لإرساء ثقافة الحوار الحضاري الإنساني حمل لوائها عقلاء وعلماء العالم الإسلامي، وآمنوا بأهميتها ودورها في تحقيق مقصد التعاون الحضاري الإنساني، فأنشأوا لهذا المبدأ مراكز، وسطّروا لكل مركز أهداف وعقدوا له مؤتمرات عالميّة في شتّى بقاع العالم فكان اجتهاداً منهم مأجورين عليه بقدر نياتهم الصادقة مع الله - عز جل - نذكر نماذج تطبيقية لهذه المبادرات من باب التمثيل لا الحصر.

أ- مراكز الحوار الحضاري في العالم الإسلامي:

1- مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان: نشأ مبدأ الحوار بين أتباع الأديان السماوية في دولة قطر عندما عقد المؤتمر الأول لحوار الأديان في عام 2003 بتوجيهات كريمة من صاحب السمو الوالد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني وتوالت المؤتمرات السنوية التي عقدت في السنوات التالية بين أتباع الأديان السماوية الثلاث الإسلام والمسيحية واليهودية. وفي شهر مايو 2007 تمّ إشهار مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان وتشكيل مجلس إدارة للمركز وكذلك تشكل مجلس استشاري عالمي من علماء الدين في الأديان السماوية الثلاثة للمعاونة في التخطيط والتواصل مع المؤسسات المناظرة حول العالم.

2- أهدافه: يهدف مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان إلى:

- أن يكون منتدى لتعزيز ثقافة التعايش السلمي وقبول الآخر.
- تفعيل القيم الدينية لمعالجة القضايا والمشكلات التي تهم البشرية.
- توسيع مضمون الحوار ليشمل الجوانب الحيائية المتفاعلة مع الدين.
- توسيع دائرة الحوار لتشمل الباحثين والأكاديميين والمهتمين بالعلاقة بين القيم الدينية والقضايا الحياتية.

3 - الوسائل والآليات:

- **المؤتمر السنوي:** يعقد المركز مؤتمراً سنوياً لحوار الأديان، تناقش فيه بعض القضايا الإنسانية المهمة، ويتمّ تناولها من منظور كل دين للتوصل إلى نتائج مشتركة، تصبّ في خدمة قيم العدل والسلام منذ عام 2003. وأوصى المؤتمر الخامس في ماي 2007 بإنشاء مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان؛ من أجل نشر ثقافة الحوار والتعايش السلمي وقبول الآخر.¹

¹ - موقع مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان: <http://www.dicid.org/program.php>

- عقد المؤتمر السادس في الدوحة في الفترة ما بين 13-14 ماي 2008 تحت عنوان "القيم الدينية بين المسالمة واحترام الحياة" بتنظيم وإشراف من المركز. وفي مساء يوم الأربعاء 14 ماي 2008 تم افتتاح مبنى المركز رسمياً. وقد شارك في المؤتمر حوالي 200 مدعو من مختلف دول العالم وناقش أوراق متعددة منها :

- الحياة وقيمتها.

- العنف والدفاع عن النفس.

- المسالمة بين الأديان.

- الموت الرحيم والسريري.

- الإساءة للرموز الدينية وذلك من منظور الديانات الثلاث، حيث سعى الجميع للوصول إلى قواسم مشتركة وتعاون متناغم ورغبة حقيقية في إرساء دعائم السلام العالمي، وساعد في ذلك فريق مؤمن بالحوار سبيلاً إلى حل المشاكل وفض النزاعات وإرجاع الحقوق.

- **الندوات:** هي ندوات وورش عمل وطاولات مستديرة متخصصة لمناقشة بعض الموضوعات ذات الاهتمامات المشتركة بين أتباع الأديان المختلفة، حيث يدعى إليها متخصصون وعلماء دين وباحثون لإثراء هذه الموضوعات، ويتم نشر نتائج هذه المناقشات في كتيبات يصدرها المركز بصورة دورية.

- **المجلة العلمية:** يصدر المركز مجلة دورية باللغتين العربية والإنجليزية، وهي ذات طابع علمي منهجي تتضمن العديد من البحوث المحكمة وتناقش مختلف القضايا الفكرية والإنسانية والحوارية بين الأديان.

- **بحوث ودراسات:** يقوم المركز بإعداد البحوث والدراسات في مجالات متعددة مثل القواسم المشتركة بين الأديان والدراسات الميدانية للقضايا ذات الأولوية وتحليل مؤشرات أداء المركز.¹

ب - مركز آدم لحوار الحضارات:

1- التأسيس والنشأة: تأسس مركز آدم لحوار الحضارات بمبادرة من المهتمين بالتطور والتواصل الحضاري بين الشعوب والحضارات المختلفة، من منطلق إيمانهم بالدور الحضاري والتاريخي لفلسطين، ولوفرة مخزونها الحضاري سواء داخل فلسطين أو في الثقافات والحضارات الأخرى. حيث كانت ولا زالت فلسطين محضن للديانات السماوية الرئيسية في العالم وهي: الإسلامية، والمسيحية، واليهودية، واحتضانها إلى الكثير من المظاهر والتراث الحضاري والتاريخي لهذه الحضارات بما يؤهلها لأن تلعب جسراً للترباط بين الحضارات والشعوب المختلفة إضافة إلى أنّ كثيراً من السلم العالمي، والتفاهم بين الشعوب الحضارات والتراث العلمي والثقافي والحضاري الذي عرفته البشرية عبر مراحلها التاريخية المختلفة مرّ من فلسطين وأخذ منها وأعطاها بما أسهم في إغناء هذا التراث

¹ - المرجع السابق. موقع مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان: <http://www.dicid.org/program.php>

وإعطائه صفة العالمية في الهوية والانتماء. كما جاء تأسيس هذا المركز من منطلق رغبة المؤسسين المساهمة في التقريب بين الحضارات، وتعزيز قيم التفاهم والحوار بين الحضارات والشعوب والثقافات المختلفة، خصوصا في عصر باتت فيه الحاجة إلى التقارب بين الحضارات مسألة ذات أولوية لتحقيق الاستقرار .

2- أهدافه:

- المساهمة في تعزيز التفاهم والتقارب بين الحضارات والشعوب بما يعزز أجواء التفاهم والتقارب ويمنع التصادم وأسباب الصراع بين الحضارات.
- استنهاض الدور التاريخي والحضاري لفلسطين كبوابة لعبور الديانات والحضارات والتواصل مع الشعوب الأخرى.
- فتح آفاق الحوار، والدراسات والبحث البناء الذي يساهم في تقديم فهم مشترك للقضايا الحضارية والمسائل ذات الاهتمام.
- المساهمة في تأهيل الكوادر الوطنية القادرة على تحمّل مسؤولياتها نحو مجتمعها وتاريخها وحضارتها.
- نشر الوعي الحضاري والثقافي في أوساط الشباب بما يساهم في خلق جيل قادر على التواصل والتفاهم.
- إقامة علاقات وتعاون مع المراكز والمؤسسات الشبيهة في العالم، والتعاون في تعزيز التفاهم بين الشعوب والجماعات المختلفة.

3- الوسائل والآليات:

- عقد اللقاءات والحوارات المختلفة حول قضايا الحضارات والتراث الإنساني.
- إقامة المؤتمرات وورش العمل التي تعزز التفاهم، وتتيح مناقشة القضايا المحورية، وتعمق التفاهم بين الشعوب المختلفة.
- عقد المسابقات والتدوات التي تعمق الفهم والبحث الحضاري وتنشر الوعي بين شرائح الاجتماعية المختلفة.
- عمل دراسات ميدانية حول الظواهر التي تؤثر على التفاهم بين الشعوب والجماعات المختلفة.
- إعداد وطباعة الوسائل الدعائية التي تعرّف بالمعالم التاريخية والحضارية لفلسطين.¹

ج -رابطة العالم الإسلامي:

¹ - موقع مركز آدم لحوار الحضارات. <http://www.adam.ps/about>

1 - التعريف بها: منظمة إسلامية عالمية جامعة، مقرها مكة المكرمة، تنسق الجهود في مجالات التعريف بالإسلام وشرح مبادئه وتعاليمه، ودحض الشبهات والافتراءات التي تلصق به، وتعمل على جمع كلمة المسلمين وعونهم في حل مشكلاتهم، وتنفيذ مشروعاتهم الدعوية، والتعليمية، والتربوية، والثقافية. وتشجع الحوار مع أصحاب الثقافات الأخرى؛ وتسعى إلى ما يحقق السلم والأمن والعدل في البشرية، وتحارب العنف والإرهاب.

2 - نشأتها: أنشئت بموجب قرار صدر عن المؤتمر الإسلامي العام الذي عقد بمكة المكرمة في 14 من ذي الحجة 1381 هـ الموافق 28 من ماي 1962م. وتمثل الرابطة في معظم المنظمات الإسلامية والعالمية ومنها منظمة التربية والتعليم والثقافة (اليونسكو). ومنظمة الطفل العالمية (اليونيسيف) وهيئة الأمم المتحدة بصفة عضو مراقب بالمجلس الاقتصادي والاجتماعي بين المنظمات الدولية غير الحكومية ذات الوضع الاستشاري. وتشارك في اجتماعات منظمة التعاون الإسلامي بصفة مراقب، كما تحضر مؤتمرات القمة ومؤتمرات وزراء خارجية الدول الإسلامية.

3 - أهدافها:

- التعريف بالإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً، والدعوة إليه، وتوعية المسلمين بحقائقه النبيلة وفقاً للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.
- العمل على تحقيق رسالة الإسلام في نشر السلام، والعدل، وحفظ حقوق الإنسان.
- شرح تعاليم الإسلام الصحيحة والدعوة إليها، ودحض الافتراءات عليه، والتصدي لمحاولات التشويه لصورته والتضليل الموجه ضد دعوة الحق.
- تنمية التعارف والتعاون بين الشعوب الإسلامية، والعمل على إيقاظ الوعي المشترك بقضايا المسلمين وتطلعاتهم إلى تحقيق العدل والسلام والاستقرار.
- بذل الجهود في علاج المشكلات التي يواجهها العالم الإسلامي، وتقديم العون للمسلمين في حل مشكلاتهم، وتحقيق آمالهم المشروعة.
- بذل الجهود الممكنة لدفع عوامل النزاع والشقاق وفساد ذات البين داخل الشعوب والجاليات الإسلامية وفيما بينها.
- السعي لنشر الفضيلة، والإصلاح في الأرض، ودفع الإفساد عنها، وحث الناس على طاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ.
- السعي إلى نشر ثقافة الحوار الحضاري بين شعوب العالم، والعمل على تعميق التعايش الإيجابي، والتركيز على القيم الإنسانية المشتركة، والتصدي لنظريات الصراع الحضاري.¹

4 - أهم مبادراتها العملية الداعية للحوار الحضاري الإنساني:

¹ - موقع رابطة العالم الإسلامي: <http://www.muslimworldleague.com/node/1>

- المؤتمر العالمي الإسلامي المقام بمكة المكرمة: جاء في الخطاب التأسيسي للمؤتمر العالمي الإسلامي لخادم الحرمين الملك عبد الله: " من حوار بيت الله الحرام بدأنا ومنه - بإذن الله - سننطلق في حوارنا مع الآخر بثقة نستمدّها من إيماننا بالله، ثمّ بعلم نأخذه من سماحة ديننا، وسنجدال بالتي هي أحسن، فما اتّفقنا عليه أنزلناه مكانة الكريم في نفوسنا، وما اختلفنا حوله نحيله إلى قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون/ 6]. وهكذا وضع المؤتمر الإسلامي في مكة المكرمة الأسس الشرعية للحوار مع الآخر، وحدّد مفهوم الحوار بأنه منهج قرآني أصيل وسنة نبوية درج عليها الأنبياء في التواصل مع أقوامهم، وتقدّم السيرة النبوية العطرة منهاجا واضح المعالم لا تخطئه عين المتأمل في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع نصارى بحران ومراسلاته - عليه أركى الصلاة والسلام - ملوك العالم وعظماؤها، فكان الحوار من أهم سبل بلوغ هداية الإسلام إلى العالمين".

وقد حدّد المؤتمر تسعة أهداف للحوار لعلّ أبرزها ما ورد في البنود الآتية:

- كشف دعاوى المروجين لصراع الحضارات ونهاية التاريخ، ورفض مزاعمهم بعداء الإسلام للحضارة المعاصرة بهدف إثارة الخوف من الإسلام والمسلمين، وفرض السيطرة على شعوب العالم، وبسط ثقافة واحدة عليه.
- حلّ الإشكالات والخصومات التي قد تقع بين المسلمين وغيرهم ممّن يشاركون معهم في الأوطان والمجتمعات بدرجاتي الأقلية والأكثرية، وتوفير المناخ الصالح لتعايش الاجتماعي والوطني، بلا مجافاة أو خصومات أو تباعد.
- التّعريف على غير المسلمين وثقافتهم، وإرساء المبادئ المشتركة معهم ممّا يحقّق التعايش السلمي والأمن الاجتماعي للمجتمع الإنساني والتعاون على بثّ القيم الفاضلة، ومناصرة الحقّ والخير والسلام ومكافحة الهيمنة والاستغلال، والظلم والفساد الخلقي، والتحلّل الأسري، وغيرها من الشرور التي تهدّد المجتمعات.
- تحقيق التفاهم مع الحضارات والثقافات الإنسانية، وتأكيد انخراط المسلمين ضمن التعددية الحضارية لبني الإنسان، وتوظيف هذا التفاهم لتحقيق السلام العالمي وحمايته.

- المؤتمر العالمي الإسلامي المقام في مدريد بإسبانيا: وانطلاقاً من هذا التأسيس، وفي ضوء هذه الأهداف، عقد المؤتمر العالمي للحوار في مدريد - إسبانيا في جويلية-2008، بحضور الملك الإسباني ورئيس الحكومة وممثلين عن جميع الأديان والمعتقدات الروحية في العالم.¹

- نقل مبادرة حوار الحضارات إلى هيئة الأمم المتحدة: وانطلاقاً من الأسس والمبادئ ذاتها، التي أعلنها الملك عبد الله في مكة ثمّ في مدريد، حدّر في خطابه أمام الأمم المتحدة من أنّ التركيز عبر التاريخ على نقاط الخلاف بين أتباع الأديان والثقافات قاد إلى التعصّب، وبسبب ذلك قامت حروب مدمرة سالت فيها دماء كثيرة

¹ - موقع الإسلام في حوار الحضارات ن محمد السّمّك، / 112 - 113، ط / 1، ت ط / 1433 - 1012، دار التفانس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

لم يكن لها مبرر من منطق أو فكر سليم، وقد آن الأوان لأن نتعلم من دروس الماضي القاسية، وأن نجتمع على الأخلاق والمثل العليا التي نؤمن بها جميعاً، وما نختلف سيفصل فيه الله - سبحانه وتعالى - يوم الحساب. إن مأساة العالم اليوم ناتجة عن التخلّي عن مبدأ عظيم من المبادئ التي نادى بها كلّ الأديان والثّقافات، فمشاكل العالم كلّها لا تعني سوى تنكّر البشر لمبدأ العدالة.

لقد ساعدت هذه المبادرة على نقل العالم الإسلامي، وعلى نقل الإسلام من موقع المتّهم بالإرهاب إلى موقع المحاور من أجل مستقبل أفضل للإنسانية، وساعدت بالتالي على نقل العالم من صراع الحضارات إلى حوار الحضارات، وكما اتّخذ الإسلام موقعا متقدّما في مواجهة الصّراع المفتعل اتّخذ أيضا موقفا متقدّما في الدّعوة إلى الحوار الفاعل.¹

وما أكثرها المبادرات الإسلامية عبر مؤسّساتها ومراكزها الحكومية وغير الحكوميّة، التي اتخذت ولا زالت من آية حوار الحضارات منهجا للتعاون الحضاري الإنساني عبر تاريخها الطويل إيمانا منها بتطبيق قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات/13].

ب - أهم مراكز حوار الحضارات في العالم الغربي:

1 - مشروع حوار الحضارات في اليونسكو: تعمل اليونسكو على إيجاد الشروط الملائمة لإطلاق حوار بين الحضارات والثّقافات والشّعوب على أسس احترام القيم المشتركة. فمن خلال هذا الحوار، يمكن للعالم أن يتوصّل إلى وضع رؤى شاملة للتنمية المستدامة، تضمن التقيد بحقوق الإنسان، والاحترام المتبادل والتخفيف من حدّة الفقر وكلّها قضايا تقع في صميم رسالة اليونسكو وأنشطتها.

إنّ الأهداف الشاملة والغايات الملموسة للمجتمع الدّولي - كما وردت في الأهداف الإنمائيّة المتفق عليها دولياً بما فيها الأهداف الإنمائيّة للألفية - تشكّل منطلقات لاستراتيجيات اليونسكو وأنشطتها. ومن ثمّ فإنّ كفاءات اليونسكو الفريدة في مجالات اختصاصها، وهي التّربية، والعلوم، والثّقافة، والاتّصال والمعلومات إنّما تساهم في بلوغ هذه الأهداف. وتتمثّل في رسالة اليونسكو في الإسهام في بناء السّلام، والقضاء على الفقر وتحقيق التّنمية المستدامة وإقامة حوار بين الثّقافات، من خلال التّربية والعلوم والثّقافة والاتّصال والمعلومات.²

¹ - المرجع السابق، / 114 - 115.

² - موقع منظمة اليونسكو <http://ar.unesco.org/about-us/introducing-unesco>

2 - مجلس برلمان أديان العالم: انطلق برلمان أديان العالم في عام 1893م، ويعدّ أقدم وأعرق تجمع قيادي للحوار بين الأديان في العالم، ويعقد كل 5 سنوات، ويمثل نحو 220 ديانة وطائفة دينية مختلفة حول العالم.¹

- أهدافه: في رسالة المجلس المعلنة، واهتماماته الظاهرة أمور، منها:
- تحقيق التفاهم والتوافق بين الطوائف الدينية والروحية التي تعيش لتساهم في إيجاد عالم أفضل من خلال استثمار ما تحتويه الأديان من ثروات الحكمة والرحمة.
- استبدال المخاوف الدينية والثقافية والكراهية بالفهم والاحترام.
- التعارف بين الناس واهتمام بعضهم ببعض.
- احترام التنوع الإنساني والديني والعرقي، وتفاعل هذه التنوعات في الحياة العالمية والاجتماعية والحضارية والمدنية.
- تحريك مؤسسات العالم الأقوى والمؤثرة لإدراك ما وراء المصالح الشخصية الضيقة، وإدراك الصالح العام.

4 - آليات عمله:

- التعاطف والتعاون بين أشخاص متنوعين وطوائف وثقافات مختلفة.
- الترويج لحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية وزرع ثقافة السلام ضمن الجاليات الدينية حول العالم.
- عقد المنتديات المفتوحة التي يجيء فيها الأفراد والجاليات والمؤسسات الدينية.²

¹ - <http://www.alkurum.com/article/1/640>

² - حوار الحضارات - دراسة عقديّة في ضوء الكتاب والسنة، / 434.

ثانيا: الحوار الحضاري بين النظري والواقع

كثيرة هي مراكز الحوار في العالم الإسلامي والعالم الغربي كثيرة هي المؤتمرات الداعية إلى حوار الحضارات، وكثيرة هي الكتب المؤلفة في هذا المجال، والأكثر منها مواقع على الشبكة العنكبوتية المخصصة لحوار الحضارات، منتديات، وبحوث ودراسات عن الحوار الحضاري.

لكن هل أتت ثمارها؟ هل الإنسانية اليوم تنعم بالأمان والسلام الذي يدعو إليه الحوار الحضاري الإنساني؟ هل قضى حوار الإسلامي الغربي على الإرهاب أو كاد يقضي؟! لماذا لم تفعل مقاصد الحوار كما دعا لها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة؟! هل المشكل في دعاء الحوار من الجانب العالم الإسلامي؟! أو من جانب العالم الغربي؟! هل هذا الحوار مقيد بالضوابط الشرعية؟ باختصار ما تقييم تجارب حوار الحضاري في عصرنا الحالي؟! أسئلة يجيب عليها الواقع المشاهد الذي لدى الإنسان العادي، فما بالك بالمتقن؟!!

أ- تجارب من؟: لا توجد ثقافة عقدت المؤتمرات، وكتبت المقالات، وأطلقت الأحاديث، وحميت المناقشات حول صراع الحضارات أو حوار الثقافات كما حدث في الثقافة العربية المعاصرة، وكأنها كانت على غير انتظار وأصبح الموضوع وسيلة ليس فقط لإظهار اللاوعي التاريخي المكتوم، بل وسيلة لإظهار اطلاع المفكر على الأحداث والنظريات وأشهرها.

والعجيب أنه حتى في الثقافة الغربية التي خرجت منها هذه المفاهيم لا يوجد هذا الزخم الهائل حول حوار الحضارات إذ يبدو أنها مفاهيم للتصدير وليست للاستهلاك المحلي، تنشغل بها الثقافات المولعة بالاستيراد فالغرب هو المبدع وغيره هو المستهلك، الغرب مهتم بالإنتاج، وطاقاته كلها من أجل العمل والتصنيع، وغيره مولع بالمسائل النظرية التي تخفي التناقضات العملية، ولا يوجد نقاش في الغرب لا ينتج عنه مصلحة عملية مقولتهم: " في البداية كان العمل"، ومازلنا نحن نردد: "وفي البداية كانت الكلمة".

بل إن العالم الإسلامي لم يشغل نفسه كما شغلنا في الوطن العربي بحوار الحضارات، لا في ماليزيا ولا في إندونيسيا؛ لأن طموحها الحضاري في التفوق الصناعي في إطار مشروع التمرور الآسيوية، فعل أكثر وكلام أقل وإبداع أكثر ونقل أقل.

الأمم المتحدة التي أعلنت أن عام 2000 هو عام حوار الحضارات، ولم يحدث شيء، واستمر صدام الحضارات هو الشائع والموجه والمحرك، فوراء جهاز إعلام غربي يذيع وينشر وكأن الإعلام عن شيء هو حقيقته والآن لا يوجد جامعة عربية أو إسلامية إلا وبها مركز حوار الحضارات لاستئناف الموجة القديمة لحوار الأديان.¹

¹ - تقييم تجارب حوار الحضارات، حسن حنفي، / 52 - 54، سلسلة محاضرات حوار الحضارات، تحرير: نادية محمود مصطفى علا أبو زيد، ط / 2، ت ط / 1428 - 2007، دار السلام للنشر والتوزيع، مصر.

ب - إشكاليات حوار الحضارات في عصرنا الحالي: حوار الحضارات في عصرنا الحاضر تثار حوله إشكالات عدة تمنعه من أن يرتقي من الجانب النظري إلى الجانب العملي التطبيقي نلخص هذه الصعوبات في النقاط الآتية:

1- سيادة تيار الانغلاق: المأزق العالمي اليوم يتلخص بسيادة تيار الانغلاق في الغرب والشرق، كما أن تيار مصادرة الحقوق والحريات في كل منهما أصبح حزبا أكبر من السابق. إن مدرسة "صراع الحضارات" هي التي أصبحت اليوم العنصر الرئيسي في تأخير السلام بين العوالم المختلفة. ففي الغرب هناك تعالٍ يبلغ عنان السماء، يصنع فيه التاريخ في غياب الالتفات للآخر أو إيلائه اهتماما، يرى بفعله أن الاعتراف بالغيرية يعد تنكرا لرسالته الحضارية ذات الطابع الخلاصي للعالم. وبالمقابل في العالم الإسلامي اعتداد بالنفس مبالغ فيه، تركز أساساته على خيال ديني لم يع الغرب منطقته حتى الآن. وهكذا فكلا الطرفين في دائرة محكمة الانغلاق، لذلك يتحاوران عبر العنف، ويريد كل منهما إبلاغ رسائله للآخر عبر أقسى درجات الشراسة والتدمير.

2- خوف الغرب من المسلمين: الخوف من الآخر أو بالأحرى الخوف من المسلمين بالذات، أي ما يطلق عليه إسلام فويا. ومنع هذا الخوف يكمن في الظاهرة الجديدة التي برزت في زماننا هذا وجعلت الشعوب والثقافات أكثر تمازجا، وهي ظاهرة الهجرة الكثيفة من بلدان الجنوب الأقل نموا وتقدما نحو الدول المتقدمة الغنية. وقد ازدادت أعداد المسلمين في هذه الدول غير الإسلامية وأصبحوا يكوّنون كتّلات داخل المجتمع الأوروبي والأمريكي، ويعيشون في ظل الدساتير الأوروبية والأمريكية، ويطبّقون قوانين وتشريعات هذه الدول مع احتفاظهم بخصوصياتهم الثقافية ومع احترامهم لمعتقداتهم الإسلامية. وقد تزامن الوجود المكثف للمسلمين في الدول الأوروبية وأمريكا في النصف الثاني من القرن العشرين مع انتشار بعض حوادث العنف والتفجيرات في كثير من بقاع العالم وللأسف الشديد التصقت تهمّة العنف والإرهاب بالمسلمين، خاصة بعد جريمة 11 سبتمبر/ 2001 الدامية وبعد ازدياد عمليات الاستشهاد الانتحاري التي ينفذها الشباب الذين يفجرون أنفسهم بقنابل موقوتة. وقد نتج عن هذا العنف المتزايد هذه الظاهرة الجديدة في المجتمعات الأوروبية والأمريكية، ظاهرة الخوف من الإسلام. والمسلمين، وأصبح المسلمون الذين يعيشون في تلك الدول يعانون تزايد موجات التخوف منهم والشك في انتمائهم وفي ولائهم وفي احترامهم لقوانين تلك الدول.¹

¹ - إشكاليات حوار الثقافات في عالم متغيّر، الدكتور عبد الله تركماني: <http://www.mokarabat.com/s726.htm>

3- مواضيع حوار الحضارات: مواضيع حوار الحضارات بين العالم الإسلامي، والعالم الغربي يكتب متنه هذا الأخير، ونحن نكتفي بالشرح "وكأننا ما زلنا في عصر الشروح والملخصات في العصر العثماني. فالفكر لا يبدأ إلا إذا احتاج إلى سند يعتمد عليه، وإلى عكاز يستند إليه، وإلى دعامة يقوم عليها، إلى نقطة بداية يلتف حولها فيتحوّل الفكر إلى شرنقة أو خيط عنكبوت ينسج حول المتن.

ويكون السؤال متى أكتب متني؟ ولنفرض أن المقال الشهير عن صدام الحضارات لم يظهر هل يصمت القلم ويتوقف الفكر، يحتفي الصوت؟ متى تأتي المبادرة التاريخية متي؟ أن أكتب نصي فيشرحه الآخرون، وأن أدون متني فيعلق عليه أصحاب المتن، وأن أبداع فكري فينقله الآخرون؟ إلى متى يستمرّ الإحساس بالنقص عندي بأني لست صاحب بضاعة بل ناقل لها، والإحساس بالعظمة في الغرب بأنه صاحب بضاعة يصدرها إلى الآخرين؟ إلى متى تظلّ علاقة المركز المبدع بالأطراف الناقلة.¹

ج - آثار هذه الإشكاليات على حوار الحضارات: لم ينجح حتى الآن الحوار العربي - الأوروبي؛ لأنّ أوروبا ما زالت تنظر إلى العرب كمجال حيوي لها، وأسواقاً وطاقة وعمالة ومناطق نفوذ تكراراً لصورة الغرب الاستعماري القديم والعرب ينظرون إلى أوروبا باعتبارها المتحكّمة في أقدار البشر، اقتصاداً وسياسة، وثقافة. تريد أوروبا الاقتصاد قبل السياسة، ويريد العرب السياسة قبل الاقتصاد، تفهم العرب في رفع الحصار عن ليبيا والعراق، واسترداد حقوق شعب فلسطين، وتقدم إيران وهي ظهير الوطني العربي، الثورة الإيرانية رصيد الثورة قبل الغرب في العصور الحديثة، التفاهم الثقافي سابق على التبادل الاقتصادي والتعاون السياسي، وكما ساعد الشرق الجنوب إبان حركات التحرّر يستطيع الغرب أن يساعد الجنوب لبناء الدول الحديثة والتنمية خاصّة وأنّ الجنوب يعاني من مشاكل التصحرّ والفقر والتخلف ومعظمها من آثار الاستعمار الأوربي.

وما زال الحوار العربي - الأمريكي متعثراً نظراً لدمار البنية التحتية لليبيا والعراق، والتأييد شبه المطلق لإسرائيل والعمل على تفتيت الوطن العربي وشرذمته حتى تبقى العوامة نظام العالم الجديد في عالم ذي قطب واحد ويبقى للعرب صراعاتهم بين العرب والبربر والأكراد والمسلمين والشيعية والأقباط، نزاعات عرقية طائفية ومذهبية في مصر والسودان والعراق ولبنان والخليج والوطن العربي كلّ.²

ولما نذهب بعيداً فإن الحوار الداخلي بين أطراف الدولة الواحدة لم ينجح، فكيف ينجح حوارنا مع

الآخر؟!

¹ - تقييم تجارب حوار الحضارات، حسن حنفي، / 55.

² - المرجع نفسه / 69 - 70.

رغم هذا الواقع المرير الذي يتخبّط فيه العالم إلا أنّ نافذة الأمل تبقى ترسل بأشعتها الوهاجة لغد أفضل عندما نترك الاهتمام بالقضايا النظرية وننصرف إلى صياغة برامج عمل مشتركة، من خلال حوار حضاري مبني على مقاصد شرعية وبضوابط إسلامية، فتتكامل فيه إمكانات الإنسانية، ويتوجّه طرفا الحوار نحو هدف مشترك ألا وهو التعاون والتكافل لإخراج جميع الإنسانية من كل المآزق التي تتخبط فيها في كل الأصعدة، فكريا وثقافيا علميا وسياسيا واجتماعيا.

عبد القادر للعطوم الإسلامية

المبحث الثاني

آلية العمل السياسي والاجتماعي

الله - عزّ وجلّ - نوع العلاقات الإنسانية، وجعلها مترابطة مع بعضها البعض، فهناك علاقات سياسية شرع لها وسائل بواسطتها تتواصل البشرية وتتفاعل مع بعضها على أساس الاحترام، والحفاظ على الحقوق.

أما في المجال الاجتماعي فأصدق تعبير يلخص هذه العلاقة قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِّن دِينِكُمْ أَنَّ تَبَرُّوهُمْ وَنُقِيسُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [المتحنة/ 8].

لكن كيف يمكن تفعيل آلية العمل السياسي والعمل الاجتماعي في مجال التعاون الحضاري الإنساني في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية، ومعطيات الواقع الحاضر؟

قبل معالجة هذه الإشكالية الرئيسية لا بد أولاً من توضيح وتبيين حقيقة آلية العمل السياسي والاجتماعي وأهم الوسائل المساعدة على تفعيلها.

المطلب الأول

آلية العمل السياسي

أكثر العلاقات تفاعلاً بين الحضارات قديماً وحديثاً هي العلاقات السياسية و الدبلوماسية، سواء في حالتي الحرب أو السلم، والقرآن الكريم أكد على أهمية هذه العلاقة من خلال شرعية مبدأ الوفاء بالعهد الذي يعدّ من أهم أسس العلاقات السياسية، والحبيب صلى الله عليه وسلم جعلها ميداناً عملياً على أرض الواقع في تعامله مع من خالفوه عقيدة وفكراً، وقد وضّحنا ذلك آنفاً عند تأصيلنا لمقصد التعاون الحضاري الإنساني في المجال السياسي من السيرة النبوية الشريفة وسنزيد الموضوع وضوحاً وتأكيداً في هذا الفصل من خلال نماذج أخرى تبين أهمية آلية العمل السياسي في تحقيق التعاون الإنساني بين البشرية جمعاء مهما اختلفت أجناسها وألوانها، عقائدها وثقافتها ألسنتها وأفكارها .

الفرع الأول: حقيقة آلية العمل السياسي

أولاً: معنى آلية العمل السياسي

أ - معنى السياسي لغة: السياسة في اللغة: القيام على الشيء بما يصلحه، والسياسة فعل سائس، يقال هو يسوس الدواب إذا قام عليها وراضها، والوالي يسوس رعيتته، أبو زيد سوس فلان لفلان أمراً فركبه كما يقول: سؤل له وزين له، وقال غيره: سوس له أمراً؛ أي روضه وذلك.¹

السياسة في اللغة إذا هي: الإصلاح، وتزوين الأمر وتدليله من طرف الحاكم إلى المحكومين.

ب - السياسة اصطلاحاً:

1- عرفها التبّهاني بقوله: «السياسة رعاية شؤون الناس داخلياً وخارجياً، وهي تعني نظام الحكم وجهاز الدولة وتعني علاقة الناس وعلاقة الأمة بغيرها من الأمم، وهو ما اصطلح على تسميته بالسياسة الداخلية والخارجية».²

من خلال هذا التعريف نلاحظ ما يأتي:

1- أن السياسة مقصدها الأول هو القيام بشؤون الناس مهما كانت جنسياتهم ومعتقداتهم ولغاتهم بما فيه صلاح دينهم وديناهم.

2 - أن السياسة تتسم بالمرونة والتغيير بدليل أنّها ليست مقيدة بنصوص قرآنية ولا أحاديث نبوية إنّما

تستمد شرعيتها من مقاصد الشارع في جلب المصالح لعباده، ودرء المفاسد عنهم، فهي مجال خصب لتفعيل مقاصد الشريعة الإسلامية.

¹ - لسان العرب، ابن منظور، 6 / 108.

² - مفاهيم سياسية لحزب التحرير، / 5، ط / 4، ت / 1425 - 2005، منشورات حزب التحرير.

من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي للسياسة يمكن استخلاص تعريف للعمل السياسي:

ج - العمل السياسي: أسلوب من أساليب التغيير المطروحة على صعيد العمل الإسلامي المعاصر، ويراد به: السعي إلى تكوين الأحزاب أو المشاركة فيها أو الاشتراك في البرلمانات ومجالس الشورى وغيرها من المؤسسات السياسية للدولة. من ثمرته:

تمكين شريعة الله من خلال هذا الواقع، وتحصيل بعض المصالح الشرعية، ومنع أو تخفيف بعض المظالم الواقعة عليها.¹

«فالعمل السياسي بصفة خاصة عمل متنوع ومتقلب فهو مفتوح على مجمل المشاكل والمتطلبات الداخلية والخارجية للمجتمع والدولة فضلا عن المشاكل الخاصة بالكيان الحزبي التنظيمي، ويحتاج إلى تفرغ وتخصص ومهارة، ويحتاج إلى حسابات وتقديرات خاصة ومتجددة في نطاق المبادئ والمقاصد الثابتة».²

ثانيا: دليل مشروعية العمل السياسي، وأهم ضوابطه

أ - دليل مشروعية العمل السياسي: استدلال القائلون بمشروعية العمل السياسي بأدلة من القرآن الكريم، والسنة النبوية والقواعد الفقهية والأصولية والمعقول نذكر أهمها:

1- من القرآن الكريم: من الآيات التي استنبط منها علماء التفسير مشروعية العمل السياسي قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿قَالَ تَمَالَىٰ ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۗ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۗ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۗ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿﴾ [يوسف/ 55-56]

وجه الاستدلال من الآية: " الآية أصل لوجوب عرض المرء نفسه لولاية عمل من الأمور، وخاصة إن لم يكن ممن يتهم على إثارة منفعته لنفسه على مصلحة الأمة، وقد علم يوسف -عليه السلام- أنه أفضل الناس هنالك لأنه كان المؤمن الوحيد في ذلك القطر، فهو لإيمانه بالله يثبت أصول الفضائل التي تقتضيها شريعة آباءه إبراهيم وإسحاق ويعقوب - عليهم السلام - فلا يعارض هذا ما جاء في صحيح مسلم عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: [يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة

¹ - العمل السياسي وسياسة العمل، موقع السكينة

<http://www.assakina.com/balrman/14544.html#ixzz46AJby500>:

² - مراجعات ومدافعات، أحمد الريسوني، / 16، ط / 1 ت ط / 2013، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.

وكلت إليها، وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها¹؛ لأن عبد الرحمن بن سمرة لم يكن منفردا بالفضل من بين أمثاله ولا راجحا على جميعهم².

ومما لا شك فيه أن العمل السياسي أو المشاركة السياسية، إذا اختير لها الأمين المخلص فقد يحقق بعض المكاسب للدعوة الإسلامية سواء في الداخل أو الخارج، ويحميها من الاضطهاد والاستبداد؛ لأن الدعوة إلى الله إذا كان عندها برلمانيون أو قادة في المجالس المحلية الدولية فسيكونون بإذن الله - سببا في الدفاع عن ثوابت الأمة الإسلامية ورد كل الهجومات التي تظالها من الأعداء المتربصين بها، كما أن من شأن العمل السياسي أن يحقق مصالح دنيوية لكل البشرية.

2- من السنة النبوية الشريفة:

- استدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم: [من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فقلبه، وذلك أضعف الإيمان].³

قوله: [إنه يستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع، قالوا: أفلا نقاتلهم، قال: لا ما صلوا].⁴

فدلّ الحديثان على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن ذلك القيام بماذين الواجبين عبر البرلمان لأنها هي الوسيلة الفعالة ولا شك.

كما استدلوا بقوله عليه الصلاة والسلام: [مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلّوا على أخيكم أصحابه] فوصفه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه رجل صالح، وأنه من المسلمين، وأمر بالصلاة عليه مع أنه كان ملكاً لأمة كافرة، وكان لا يحكم الشريعة رغم إسلامه.

¹ - صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها، 2 / 884 رقم الحديث 1652.

² - تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، 13 / 9.

³ - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان 1 / 41، رقم الحديث / 49.

⁴ - راه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا، ونحو ذلك 2 / 899، رقم الحديث / 1854.

⁵ - صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب موت النجاشي، 3 / 1408، رقم الحديث / 3664.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ [إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمْرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نُفَاتِلُهُمْ، قَالَ: لَا مَا صَلَّوْا، أَيَّ مَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ وَأَنْكَرَ بِقَلْبِهِ].

وجه الدلالة: "إنّ هذا الحديث، وكثير أمثاله في الصحاح، هو دليل على جواز العمل السياسي في المجالس النيابية وغيرها من المؤسسات السياسية، وربما لوجوبها أحياناً، ذلك أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم بين موقف المسلم من الأمراء المنحرفين.

فإذا اعتزلهم فقد سلم، وإذا حالطهم وسكت على منكرهم فقد هلك، وإذا نابذهم فقد نجأ، والمنابذة في المجالس النيابية، هي بلا شك أقوى وأبعد أثراً، وقد تؤدي ولو في حالات قليلة إلى إزالة المنكر، وإذا وجد هذا الاحتمال فإنها تصبح هي الأفضل؛ لأن المقصود من المنابذة ليس مجرد إنكار المنكر، وإنما تغيير لمن استطاع وهذا ما يؤيده حديث¹.

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان].²

- حلف الفضول: قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري يقول: قال صلى الله عليه وسلم: [لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت].³

وجه الاستدلال: في حلف الفضول ملمحاً خطيراً جدّاً، المسلمون في أمسّ الحاجة إليه، هذا التوقع، هذا الانكفاء على الذات، تكفير الآخرين، ازدراء الآخرين، إلغاء وجود الآخرين، الاعتداد أننا أمة مثلاً

قَالَ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَتَوَءَمَّنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ [آل عمران / 110].

هذا صحيح وغير صحيح، صحيح إذا أمرنا بالمعروف، ونهينا عن المنكر، وأمنا بالله، وغير صحيح إذا تفلتتا من منهج الله؛ لأن الآية التي حُوطب بها أهل الكتاب تنطبق علينا أشد الانطباق.

¹ - المشاركة في البرلمان والوزارة عرض ونقد، محمد بن شاكر الشريف، / 42، د / ط، د / ت ط.

² - سبق تخرجه.

³ - السيرة النبوية، ابن هشام 1 / 154-155.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ [المائدة/ 18].

إذاً نريد أن نستنبط من هذا الموضوع من حلف الفضول الانفتاح، الحوار مع الآخر، أن نقبل الآخر، ولو لم يكن كما نريد.

أردت من هذا الحلف أن يكون منهجاً لنا، وقد حضره النبي في سنّ العشرين وإذا ظننت أنه يرفضه حينما أتته الرسالة قال بعكس ذلك.

وجدت في حلف الفضول ملمحاً رائعاً يحتاجه المسلمون اليوم كي يتعايشوا مع الطرف الآخر، ألم يسمح الله للمسلمين أن يقبلوا من أهل الكتاب الجزية، وأن يجموا دمائهم وأعراضهم، وأموالهم مقابل هذه الجزية، إذاً فيه تعايش، قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ [التوبة/ 7].

وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ [المتحنة/ 8].

هؤلاء القبائل الذين تداعوا إلى حلف، فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان لشرفه، ولسنه، فكان حلفهم عنده، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى تردّ عليه مظلمته، فسَمّت قريش ذلك الحلف حلف الفضول.

[لو دعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت].

إذاً لا تكن متفوقاً، كن منفتحاً، وساهم في حل مشكلات أمتك، وأر الطرف الآخر أنّ المسلم إيجابي خير ويجب حلّ مشكلات أمتّه، ويجب أن يقدم لها شيئاً، لا تكن في برجا عاجيا، وتقل: هؤلاء ليس فيهم خير وأنا لست منهم.¹

فالحبيب صلى الله عليه وسلم قبل بعثته شارك في هذا العمل السياسي مع أطراف مختلفة وقبائل متعدّدة جمعهم هدف واحد هو نصرّة المظلوم مهما كان جنسه، فما أروع من موقف حرّي بكلّ من يندب نفسه لخدمة أمتّه بل الإنسانية جمعاء في إطار العمل السياسي أن يجعل حلف الفضول منهجاً قوياً يستنبط منه ملامح إيجابية ومقاصد عظيمة يتحقق من خلالها مقصد التعاون الحضاري الإنساني.

¹ - حلف الفضول، محمد راتب النابلسي <http://www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art>

3- القواعد الأصولية الحاكمة للعمل السياسي في إطار المنظمات الدولية:

- المصالح المرسله والمشترك الإنساني: إنّ البناء على أصل المصالح في الشريعة الإسلامية بالنسبة

للممارسة السياسية عموماً يقتضي تفصيلاً يتحدّد من خلاله أهمّ ضوابط هذا الأصل.¹

فإن من المعلوم في أصل المصلحة المرسله عند الأصوليين أن لا يوجد في نصوص الشريعة ما يشهد لها بالاعتبار ولا بالإلغاء.²

بوسع المصالح المرسله أن تعالج كثيراً من القضايا التي تجرّد في حياة المسلمين، سياسية كانت أم اقتصادية، أم ثقافية، أم اجتماعية، ذلك أنّ مجالها التّوازل التي لم يرد فيها نص خاص بالاعتبار أو الإلغاء؛ فإن وافقت مقصود الشارع وقواعده الكلية اعتبرتها ودعت إليها؛ وإن خالفت ألغتها وحذّرت من شرّها ومفاسدها. ومن هنا كانت تسعة أعشار العلم.

إنّ العمل بالمصالح يدور جوهره على قواعد وأطر تحدّد طبيعة الدّواعي من استخدامها، وهذا الجوهر هو الذي فتح الباب على كيفية استخدام المصالح المرسله في ظواهر ومستجدّات العمل السياسي، ومنها ظاهرة المنظمات الدولية المعاصرة.³

إذا فالمصالح المرسله ميدان خصب للعمل السياسي من خلالها يستطيع السياسي المسلم أن يستنير بها في خدمة أمته بما يقيم صرح حضارتها ويقوّي بنيانها فحريّ بالمجتهدين في عصرنا الحاضر وضع كل آليات العمل السياسي تحت مجهر المصالح المرسله.

فمن المعلوم أن العالم اليوم تحكمه منظمات دولية تسيّر مصالحه، فهل يتمتع المسلم المشاركة فيها وهو يعلم أنّه لم يوجد بديلاً؟، والواقع اليوم خير دليل على ما نقوله فالعالم الإسلامي كلّّه تحت سيطرة هذه المنظمات الدولية لأن مجال العمل السياسي لم يخرج إلى الإطار العالمي مسترشداً بمقاصد الشريعة الإسلامية، وبقاعدة المرونة المصالح المرسله.

¹ - المصالح المرسله والمشترك الإنساني "بحث في أصول السياسة الشرعية"، إدريس الفاسي الفهري، / 17 ندوة: تطور العلوم

الفقهية الفقه الإسلامي: المشترك الإنساني والمصالح 6 - 9 / 4 / 2014 م المحور: السياسة الشرعية وفقه المشترك الإنساني.

² - أثر الأدلة المختلف فيها - مصادر التشريع التبعية في الفقه الإسلامي - مصطفى ديب البغا، / 34، دار الإمام البخاري دمشق - سوريا.

³ - من النّظور الحضاري للمنظمات الدولية رؤية تأصيلية، سامي الخزندار، / 78، ط / 1، ت ط / 1433 - 2012 القطرية للطباعة - الدوحة قطر.

- قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد: إن جعل جوهر جلب المصالح ودرء المفاسد مقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى.

يقول الشاطبي: «المصالح المحتلبة شرعا والمفاسد المستدفة إنما تعتبر من حيث مقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى لا من أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية أو درء مفسادها العادية».¹ وعليه فإن عملية الحراك نحو جلب المصالح ودرء المفاسد هي حركة خيرية، والبناء للمصالح الإنساني العام الذي تسعى إليه الرسالة الحضارية.

إنّ هذه القاعدة تحدّد إطارا عامّا ضابطا للمنظور الإسلامي وحراكه تجاه المنظمات الدولية في مجال تحقيق جلب المصالح ودرء المفاسد والضّرر لصالح الإنسانية عموما، والأمة الإسلاميّة خصوصا.²

- قاعدة تغيير الأحكام بتغيير الزّمان والمكان: لا ينكر تغيير الأحكام بتغيير الأزمان كما نصّت على ذلك القاعدة الفقهية، وهو ما يؤكده المحققون من العلماء فكثير من الأحكام تختلف باختلاف الزمان، وتغيير عرف أهله لحدوث ضرورة أو لفساد أهل الزمان، بحيث لو بقي الحكم على ما كان أولا للزم المشقة والضّرر بالنّاس وخالف قواعد الشريعة المبنية على التّخفيف والتيسير، ودفع الفساد والضّرر".³

وتعتبر ظاهرة العمل السياسي في إطار المنظّمات الدولية من مستجدات الإنسانيّة التي نشأت لخدمة النّاس وحفظ أمنهم، والمساهمة في رعايتهم، وتسهيل سبل معاشهم وتلبية حاجياتهم.

وحيث أنّ العمل السياسي في إطار المنظّمات الدولية ظاهرة إنسانيّة معاصرة، فإنّه يمكن النّظر إليها وفق الأحكام الإسلاميّة الخاصّة بقاعدة تغيير اعتبارات الحال والزمان.

من هنا فإنّ الرّؤية الإسلاميّة تجاه العمل السياسي في إطار المنظّمات الدولية، وطبيعة التّعامل معها مرتبط بالمصلحة سلبا وإيجابا بحسب ظروف الزّمان والمكان، فقد يكون التّعامل مع بعض المنظّمات الدوليّة مفيدا في مرحلة ما أو قضية ما فالخير في التّواصل والتّفاعل معها، وقد تكون المصلحة في مقاطعة هذه المنظمات في مرحلة ما أو قضية ما منعا لضرر أو فساد أكبر مترتب على هذا التّعامل.⁴

¹ - الموافقات، الشاطبي 2/ 63. ينظر: قواعد المقاصد: مفهومها وتطور الاهتمام بها، أحمد الريحوني، / 601، بحث مقدم لـ معلمة زيد للقواعد الفقهية والأصولية، منظمة التعاون الإسلامي -مجمع الفقه الإسلامي الدولي.

² - من النّظور الحضاري للمنظمات الدولية رؤية تأصيلية، سامي الخزندار، /79.

³ - قاعدة العادة المحكّمة -دراسة نظرية تأصيلية -يعقوب عبد الوهاب الباحسين، ط / 2، ت / ط 1433-2012 مكتبة الرشد -المملكة العربيّة السعوديّة.

⁴ - من النّظور الحضاري للمنظمات الدولية رؤية تأصيلية، سامي الخزندار، /80-83.

- قاعدة ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب: قال القرافي: «وعندنا وعند الجمهور، ما لا يتم الواجب المطلق إلا به وهو مقدور للمكلف فهو واجب لتوقف الواجب عليه».¹

التراتب التي تحفظ بها الحقوق وتؤدي بها المصالح والأمانات العامة والخاصة يجب رعايتها والتقيدها بالصلاحيات المحددة فيها؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.² كالعامل السياسي في إطار المنظمات الدولية التي تحفظ بها الحقوق والمصالح في إطار مبدأ العدل والمساواة.

وقد تبين لنا أن العدل والمساواة والمصالح الإنساني العام هي من مقاصد الشريعة، وبالتالي فإن أي تعاون مع دولة أو كيان دولي لتحقيق الأمن الإنساني هو أمر مطلوب شرعا.

ومن هنا فإن التعاون مع المنظمات الدولية في إطار العمل السياسي أمر يدخل في المنظور والسياس الإسلامي ورؤيته الحضارية طالما هو يصب في تحقيق المقاصد العامة للشريعة ويعتبر هذا التعاون وسيلة لتحقيق بعض هذه المقاصد من باب "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب" مثل: تحقيق الأمن الإنساني كحفظ النفس وإعمار الأرض وغيرها.³

وكثيرة هي القواعد الأصولية التي تعضد بعضها البعض في مشروعية العمل السياسي.

- قاعدة المشقة تجلب التيسير: التيسير الواقع في الشريعة ليس له حدّ معيّن، ولا باب خاص، إذ اقتضت رحمة الله تعالى أن لا يجعل علينا في الدين حرج، فحيث كان الحرج والمشقة وجد منفذ للخروج منه.⁴

ف نطاق السّماحة والتيسير في الإسلام لا يقتصر على شؤون العبادة، وإنما يتسع لكلّ أحكام الإسلام من معاملات وتصرفات شخصية، وعقوبات جزائية وتشريعات قضائية، ويظهر جلياً من خلال تتبع قواعد الشريعة وارتباطها بالمقاصد الشرعية التي تدور حول جلب المصلحة ودرء المفسدة.⁵

¹ - شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، القرافي، / 128، د / ط ت / 1424-2004، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

² - ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، عبد المحسن عبد العزيز الصويغ، / 40، جامعة الملك سعود - الرياض - كلية التربية. قسم الثقافة الإسلامية، ت ط / 1420 هـ.

³ - من النظور الحضاري للمنظمات الدولية رؤية تأصيلية، سامي الخزندار، / 84.

⁴ - قاعدة المشقة تجلب التيسير، دراسة نظرية - تأصيلية - تطبيقية، يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين، / 197، ط / 1 ت ط 1424-2003، مكتبة الرشد - المملكة العربية السعودية.

⁵ - المشقة تجلب التيسير، د / علي أبو البصل، / 401، مجلة الحكمة، العدد / 17، شوال / 1419.

وعليه فإنّ واقع الضّعف السياسي والاقتصادي والاجتماعي للأمة الإسلاميّة، وطبيعة السياسة والقوى الدوليّة المحيطة وعجز الأمة الإسلاميّة على الفعاليّة وردّ المظالم عنها وعن حقوقها هو واقع مشقّة يؤثّر على حياة الأمة ودولها وأفرادها وهو تأثير فيه الكثير من القهر والاضطهاد والظلم وتضييع الحقوق.

من هنا فإنّ التعامل مع بعض المنظّمات والعمل على توجيه جزء من قراراتها تجاه الأمة الإسلاميّة توجيهها إصلاحيا وبتاءً يجعل منها وسيلة إيجابية للتخفيف والتيسير على الأمة الإسلاميّة من شراسة بعض قوى الاستعباد والقهر الدولي وذلك من خلال حالة التدافع في النظام الدولي وقوانينه، واستخدام أدواته التي تسمح أحيانا بدفع بعض الضّرر، وإن كانت في أحيان أخرى هي سبب من أسباب أو أدوات المظالم، ولكن جلب المصالح ودرء المفسد لا يمكن أن يكون كاملا، وغالبا ما يخضع للموازنة وغلبة المصلحة ما أمكن في ضوء واقع الضعف الحالي للأمة الإسلاميّة.¹

- الاستحسان: يقول الشاطبي: «إنّ الاستحسان غير خارج عن مقتضى الأدلّة إلاّ أنّه نظر في لوازم الأدلّة و مآلاتها».²

فالاستحسان هو وضع ضوابط وقوانين جديدة في دائرة المباحث غير المحدودة على حسب الحاجات بحيث تتفق إلى أكبر درجة مع روح نظام الإسلام.³

ويستند الاستحسان في بعض صورته إلى العرف، ولكن العرف الذي لا يعارض أصلا شرعيا أو مقصدا معتبرا، وهنا تظهر أهمية استخدام قاعدة الاستحسان المستند إلى العرف الذي يرتبط بالتعامل مع ما يسمى الأعراف الدوليّة السائدة في تنظيم العلاقات بين الدول أو مع المنظّمات الدوليّة، فإنّ الاستحسان المستند إلى الأعراف بحكم المنظور والتعامل الإسلامي وعلاقته مع المنظّمات الدوليّة في إطار العمل السياسي بما لا يعارض أصلا شرعيا أو مقصدا شرعيا أساسيا، أي بما لا يتعارض مع⁴

الضوابط الشرعيّة لاعتماد العرف.⁵

1 - من المنظور الحضاري للمنظّمات الدوليّة رؤية تأصيلية، سامي الخزندار، / 86.

2 - الموافقات، الشاطبي، 4 / 209.

3 - الإسلام وضرورة التغيير، محمد عمارة، / 166، ط / 1، ت ط / 2007، سلسلة التنوير الإسلامي.

4 - من المنظور الحضاري للمنظّمات الدوليّة رؤية تأصيلية، سامي الخزندار / 89 - 90.

5 - ينظر: قاعدة العادة المحكّمة، دراسة نظريّة - تأصيلية - تطبيقية، يعقوب بن عبد الوهاب الباسين، 235 / 242.

وخلاصة الأمر أنّ واقع الضعف العربي والإسلامي في مختلف مجالات الحياة، وشدة الحاجة والاعتماد على الدول القوية المتقدمة في مختلف متطلبات الحياة يجلب موضوع المصلحة " مصلحة الأمة الإسلامية أو الضرورة المرتبطة بتوفير الاحتياجات الأساسية لمتطلبات الحياة.

وموضوع رفع الحرج على الضعف والعجز الإسلامي عن فرض قواعده وقوانينه وخضوعه قهرا إلى قوانين دولية قد لا تنصفه، ولا تكون عدلا في حقه يجعل قاعدة الاستحسان المستندة إلى هذه العناصر أمرا لازما وضروريا ولا يمكن الاستغناء عنه لتحقيق أبسط متطلبات حياة الأمة، والمحافظة على مسيرة وجودها، أو عملية بنائها وتنميتها، أو تطويرها، ولا شك أن هذه القاعدة متكامل، وأحيانا تتداخل مع قواعد أخرى التي تمت الإشارة لها سابقا.¹

هذه بعض أدلة التي توضح مشروعية العمل السياسي طبعاً بضوابط.

ب - ضوابط العمل السياسي: للعمل السياسي ضوابط قومية بما يقيم سياجا يحميه من الزيف والانحراف وهذه أهمها باختصار:

1- أن يكون العاملون في العمل السياسي مؤمنين تمام الإيمان بالعقيدة الإسلامية والشريعة الإسلامية المنبثقة عنها. **﴿ قَالَ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِكَايَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾** [آل عمران / 19].

2- أن تكون غاية العمل السياسي إقامة الشريعة الإسلامية، والمحافظة على استمرار تطبيقها في كل شؤون الحياة. **﴿ قَالَ تَعَالَى: الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ ﴾** [الحج / 41].

3- الإخلاص التام في العمل السياسي، والاعتراف بالتقصير، ودوام الاتصال مع الله سبحانه وتعالى فينبغي على العاملين في العمل السياسي أن لا يألوا جهداً، ولا يدخروا وقتاً في خدمة دعوة الله، والخضوع والانقياد له تعالى، فيبدلوا ويجاهدوا ويدعوا، وفي المقابل لا يزكوا أنفسهم، ولا يدعوا الكمال ولا يصيبهم العجب بل يتهموا أنفسهم دوماً بالتقصير والتقصير فيجددوا توبتهم وإنابتهم لله تعالى.

﴿ قَالَ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور / 21]

¹ - من النظور الحضاري للمنظمات الدولية رؤية تأصيلية، سامي الخزندار / 90.

4- لا بدّ في العمل السياسي من أن يكون تمّ معيار موحد متفق عليه يعطي الأعمال السياسية والقرارات وزنها وقيمتها الحقيقية في ضوء مؤشرات عديدة مهمّة فلا نبخس ولا نشطط، ولا نفرط ولا نغلو، بل نكون وسطا بين كلّ ذلك هذا المعيار يزن ويقارن، ويقدم ويؤخر في مجال الحراك السياسي، فيقدم ما شأنه التّقدم لأنّه الأولى، ويدع الآخر أو يرحئه لا؛ لأنه خاطئ أو محرم، بل؛ لأنه يأتي ثانيا في هذه المرحلة وهذا الواقع وهذا الزمن، ولا بد من جهد سياسي وديني لتجديد هذا المعيار، فهو مفتاح الولوج لوحدة الرؤية في أولويات المرحلة السياسية ومتطلباتها.

5- لا بدّ أن يؤمن العامل في الحراك السياسي بفقته المرحلة، والتّدرج في التّغيير فالصّدام الواقع بين السياسة والدين ناشئ عن قصر التّظر في فقه المرحلة وطلب القفز بالأمة فوق مدرج التّغيير دون مراعاة لبعدها واقعا عن المأمول، ودون ملاحظة لسنة التّبيين والمصلحين في التّدرج وفي التّغيير.¹

6 - المساحة المباحة في العمل السياسي لا بدّ من أن تتوافق مع ضوابط العمل بالمصلحة ولا تتجاوزها وعند التّحقيق فإنّ هذه القاعدة هي محك الخلاف الذي أنتج النزاع الفكري والسياسي العلماني والإسلامي الذي سبّب إشكالا في تعاطي السياسة بين السياسيين والفقهاء.²

فإذا التزم الذي يتصدّى للعمل السياسي في إطاره العالمي بهذه الضوابط القويمة حقّق بذلك مكاسب عظيمة لا يعود نفعها فقط على الأمة الإسلاميّة، بل يعمّ خيرها كافة البشريّة.

الفرع الثاني: مبادئ العمل السياسي الدّولي، وأهمّ مظاهره

الإسلام نظم العمل السياسي بين الدول في إطار التعاون الحضاري الإنساني على أسس أخلاقية قويمة تهدف إلى خير الإنسانية جميعا، بعيدا عن الجنس أو اللون أو الدين.

أولا: مبادئ العمل السياسي في الإسلام

من أهمّ مبادئ العمل السياسي الدّولي اليوم التي يجب أن يتقيّد بها العامل المسلم في الحقل السياسي، في إطار المنظّمات الدّولية الإنسانيّة سواء الحكوميّة منها أو غيرها ما يأتي:

أ- مبدأ التقوى: تكمن أهميّة التقوى الحضاريّة والكونيّة في كونها تحدّد للأفراد والجماعات مقاييس السلوك الصّائب والعلاقات السليمة في كافة ميادين الحياة، ممّا يجعل الإنسان منسجما مع قوانين الوجود في فكره ومشاعره وسلوكه، ويجعل المجتمع الذي تشيع فيه قيم التقوى مجتمعا متوازنا مع مسيرة التّطوّر في نشاطاته

¹ - التحديات السياسية المعاصرة بين التّأصيل والتّجديد، والثابت والمتغير، ناجي مصطفى بدوي، 23 / 26، مؤتمر مكة الثالث عشر بعنوان: المجتمع المسلم الثوابت والمتغيرات، 1 / 5 - 1 / 20 - 20 / 10 / 2012.

² - المرجع نفسه / 30.

ومساراته، وهذا يستلزم من الإنسان المتَّقِي أن يقوم بجميع المسؤوليات على أحسن وجه، ويتَّقِي الاصطدام بالقوانين الإلهية والسنن الكونية التي توجّه العلاقات بين الإنسان وخالقه، وبينه وبين الكون، وبينه وبين أخيه الإنسان، فيتَّقِي الانحراف عن علاقة العبودية مع ربه تعالى، ويتَّقِي الانحراف عن علاقة التسخير مع الكون، ويتَّقِي الانحراف عن علاقة العدل والإحسان مع أخيه الإنسان.

والتَّقوى بهذا المنظور الشمولي بمثابة الإطار العام لعمل الإنسان وفق المنهج الرباني، الكفيل بتحقيق مهمّة الاستخلاف والتعمير في الأرض عبادة وعملاً¹. بل بمثابة تيار كهربائي حين يمرّ بقطعة حديد، أو يمرّ عليها مغناطيس، في رأيكم ماذا يحدث في كيانها؟، يحدث كما يقول علماء الفيزياء، أن يعاد ترتيب ذراتها على نسق معيّن فيصبح لها قوّة محرّكة بعد أن كانت ساكنة لا تتحرّك ولا تُحرّك.

أين كانت هذه الطّاقة في كيانها؟ كانت مبعثرة مشتتة، فلم تكن تظهر، ولم تكن تعمل، فلم يكن لها وجود واقعي مشهود... والآن تجمّعت على نسق معيّن فظهرت وعملت، وصار لها آثار مشهود في أرض الواقع شبيه بذلك ما يحدث في نفوس البشر حين تخالطها بشاشة الإسلام، حين يعرف التوحيد، وحين تؤمن بلا إله إلاّ الله، تتجمّع النّفس من شتاتها، وتتحدّ وجهتها.²

وعليه فإنّ السّياسي المسلم المتَّقِي وهو يخوض معركة البناء الحضاري، لن يستطيع أن يخدم أمته ما لم يتزوّد بزيادة التّقوى وخاصّة إذا وسّع من دائرة عمله السّياسي ليشمل نفعه كافّة الأسرة الإنسانية في مشارق الأرض ومغاربها مقصده الأسمى تطبيق مبدأ التّقوى من خلال التعارف والتّواصل الإنساني الذي جعله الإسلام ضرورة اجتماعية وحضارية؛ بل دعا إليها ليتحقّق التعاون على الخير بين بني البشر في المجال السّياسي وغيرها من المجالات الأخرى على أساس قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾

يفهم أكثر من قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات/ 13].

ب- مبدأ فريضة العدل: إنّ وجوب فريضة العدل الإسلامية على الكافّة وعمومها وشمولها يتعدّى بها نطاق الأولياء فنجدها واجبة العموم بصرف النّظر عن العقائد والشرائع الدّينية التي يدين بها من لهم الحق فيها الأمر الذي يجعلها فريضة إنسانية وضرورة بشرية تجب على الإنسان للإنسان فهي فريضة واجبة سواء أكان الأمر تجاه

¹ - التّقوى والعمران الحضاري في القرآن، محمد البوزي، 30 / 06 / 2009 - 7 / 7 / 1430.

30/6/2009http://www.alukah.net/publications_competitions/0/6447

² - كيف ندعو / 80.

المؤمنين أو الكفار. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ [النساء/ 58].
هكذا بهذا التعميم ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ﴾ لا بين الناس فحسب.

وقد أنزل الله - سبحانه - تسع آيات في سورة النساء عتابة للرسول الكريم حين هم أن يدافع على قوم من المسلمين الضعفاء أو المنافقين اتهموا يهوديًا ظلما بالسرقة، ولم يكن هو السارق، إنما هم السارق.
والعدل مع من تكره من الناس ممن يحملون لك الشنآن، والشنآن هو شدة البغض والعداوة، ولكن هذا لا يجوز أن يحمل المؤمن على الظلم، فإن الله لا يحب الظالمين، ولا يهديهم، ولن يفلحوا إذا أبدا، لا في الدنيا ولا في الآخرة.¹

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨١﴾ [المائدة/ 8].

وانطلاقاً من هذا المفهوم فإنه يجب على المتصدّي للعمل السياسي أن يتحقق هذا المبدأ القويم بل يتجاوز مبدأ العدل إلى مبدأ الإحسان² لقوله [النحل/ 90].

ويكن دائماً قدوته الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح متمثلاً³

قوله تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَاقِرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ [النساء/ 135]

فالعدل إذا هو الصيغة البشرية لسنة التوازن في الكون، وإذا أردنا أن نقيم التوازن بين أشكال التنوع في المجتمع الإنساني فلا بد أن نقيم العدالة، وهذه قضية ليست سياسية فقط، إنما العدالة ضرورة في كل الصور السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والقانونية إلى آخره.

¹ - كيف نتعامل مع القرآن العظيم، يوسف القرضاوي / 119- 120، ط / 3، ت ط / 1421- 2008، دار الشروق - مصر.

² - الإسلام وحقوق الإنسان "ضرورات لا حقوق"، محمد عمارة، / 58، د / ط، ت / ط 1405- 1985، عالم المعرفة - الكويت.

³ - العدل مقصد الشريعة الأصيل، محمد لافي / 18 / 10 / 1436 / www.almoslim.net

وارتباط العدل بين الناس بالتوازن نفهمه في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى/ 17] ؛ أي بالعدل.

فالكتاب والميزان بينهما وبين العدل دائما علاقة سببية، فإذا تحقّق العدل تحقّق الميزان والتوازن بين الناس على اختلافهم وتنوّعهم.¹

فالعدل أساس العمل السياسي به يتحقّق التعاون الحضاري بين الشعوب في أرقى مستوياته، به يطبق مبدأ الحوار الحضاري في كلّ ما يخدم خير الإنسانية من سلم وأمن واستقرار ومن أهم آثار العدل على آلية العمل السياسي في مجال التعاون الحضاري الإنساني ما يأتي:

1- آثار العدل على آلية العمل السياسي في مجال التعاون الحضاري الإنساني:

تحقيق مقصد الأمن الإنساني الحضاري: يعتبر الإسلام العدل أحد أهم الأسس وأبرز القواعد التي يقيم عليها صرح الأمن الإنساني الحضاري، وهو اللّغة الرسمية التي يتميز بها الفرد المتحضر والمجتمع المتقدّم والأمة الواعدة التي تدرك ما ينطوي عليه المناخ الآمن من عوامل حضارية فتيّة وعناصر ديناميكية فاعلة تقود إلى صنع مجتمع حضاري متقدّم يحظى بالاستقرار وينعم بالسكينة ويتفياً ظلال الأمن وحياة الرفاهية.²

أقام الإسلام قواعد الاستقرار على العدل والإحسان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والفحشاء والظلم والبغي بغير الحق، وإقامة الحدود التي تصون كيان المجتمع وتحميه من التفكك والتشرد والضياع قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل/ 90].

ولم يقتصر مفهوم العدل لتحقيق مقصد الأمن السياسي في الإسلام على المسلمين، بل إنّ غير المسلمين كان لهم التّصيب من الأمن على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، وقد تمّ ذلك بصحيفة المدينة المنورة التي كانت أوّل وثيقة تنظم أمر المجتمع المسلم، وعلاقات أفراد من المسلمين بغيرهم من أهل الكتاب، فمن أهم مبادئ تلك الصّحيفة أنّ ذمّة الله واحدة، وثمة نص واضح وصريح في الوثيقة يتعلق بالأمن، وهو بين بنودها العامة: "من خرج آمن، ومن قعد بالمدينة آمن، إلا من ظلم وأثم وأن الله جار لمن بر اتقى".³

¹ - العدل أساس التوازن والاستقرار، جاسر العودة، www.feker.net / ar2014/02/22860

² - الأمن الإنساني وتطبيقاته في المحافل الدولية، مع إضاءة حول مكانته في الإسلام، عبير بسويوني رضوان / 34، ط / 1 ت ط 1432- 2011، دار السلام، القاهرة مصر.

³ - السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية -دراسة تحليلية، مهدي رزق الله، / 307.

كما أنّ خطبة الوداع وضعت بحق الأمن لكلّ النَّاس حين وضع صلى الله عليه وسلم الأسس السّبعة للإسلام العالمي من وحدة الرّب وحرمة الدّم والأموال وحرمة الظلم وحرمة الرّبا وشرع الأشهر الحرم الأربعة لأمان النَّاس جميعاً وأوصى بالرّحمة بالنّساء.¹

فالمجتمع الآمن الذي يشعر فيه النَّاس والأعراض والأموال فيما بينهم، يؤدّون فيه شهادة الدّين المجتمع المسلم القابل للنمو والارتقاء، والذي تتحقق فيه خيرية الأمة.²

فالعدل مبدأ يبعث المتخلّق به على إقامته في نفسه وفي النَّاس بما استطاع.³

فالعمل السّياسي القائم على مبدأ العدل، يحقّق للإنسانيّة أعظم المطالب الإنسانيّة ألا وهو مقصد الأمن السّياسي العالمي.

- كفالة حقوق الإنسان: فالعلاقة جدّ عميقة بين مبدأ العدل، ومفهوم حقوق الإنسان. حيث إنّ العدل بكلّ ما يحتضن من قيم ومتطلّبات، هو الحاضن الأكبر لمشروع حقوق الإنسان.

ولا يمكن أن توجد حقائق حقوق الإنسان بدون العدل فهو بوابة نيل الحقوق وصيانة كرامة الإنسان إذ لا حياة لأحكام وقيم الدّين إلّا بالعدل.

فبالعدل واحترام حقوق الإنسان يتحقق التّعاون بين الشّعوب على ما فيه الخير، وتقدم أنواع البر إلى جميع بني الإنسان، دون النّظر إلى جنسيتهم أو دينهم؛ عملاً بما جاء في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا

خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿﴾ [الحجرات / 13].

بالعدل تتوحد الأسرة الإنسانيّة، ويعلن بأنّ خير بني الإنسان عند الله هو أكثرهم نفعاً لهذه الأسرة وهناك كثيرٌ من التّصوص التّشريعية الإسلاميّة التي لا تحصى لحماية هذه الحقوق التي أشرنا إليها أعلاها، وهي في مجملها تشرح حقوق الإنسان الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثّقافيّة من مستوى آفاقها الإنسانيّة العليا، التي لا تميّز ولا تسمح أن يميّز فيها ما بين إنسان وآخر، وخاصّة بسبب الأمور التي نصّ عليها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وهي: "الجنس أو اللون، أو اللّغة، أو الدّين، أو الرّأي، أو الأصل الوطني والاجتماعي، أو الثّروة، أو البلد."⁴

¹ - ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام، 4 / 248 - 249.

² - الأمن الإنساني وتطبيقاته في المحافل الدولية، عبير بسويوني / 41.

³ - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر عاشور / 187، ط / 2، د / ت ط، الشركة التونسية للتوزيع.

⁴ - شهادة علميّة بحقوق الإنسان في الإسلام، عبد الحليم عويس 1 / 05 / 2015 - 12 / 07 / 1436

كلّ هذا يسان ويحفظ بمبدأ العدل.

هي إذا أهم الآثار المترتبة على مبدأ العدل الذي يضبط العمل السياسي في الإسلام سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي.

ج - مبدأ الوفاء بالعهود والمواثيق واحترامها: إنّ العقد هو أساس التنظيم الدولي والمعاهدة الدولية التي أنشأت المنظمة الدولية أو الإقليمية المعاصرة هي بمثابة عقد بين أطراف الدول والالتزام بمضمون العقد؛ أي تنفيذه بدون خداع أو تضليل أو تهرب يدعو الإسلام للالتزام به طالما كان أساس العقد سليماً. من جانب آخر فإن تحقيق الأمن والسلام للبشرية، وتحقيق التعاون والاعتماد المتبادل والعدالة والخير للإنسانية والتفاعل الإسلامي مع محيطه الدولي ضمن طبيعة "العالمية، الدعوة والبلاغ" والسعي الإسلامي لمحاربة الظلم والعدوان والفساد في الأرض، وإعمار الكون يتطلّب جهوداً ضخمة وجماعية تشترك فيها الأمة الإسلامية من خلال آلية العمل السياسي مع الأمم الأخرى ومع الدول والمنظمات الدولية المعنية بتحقيق الخير والصلاح الإنساني العام.

إنّ هذا كلّه يحتاج إلى علاقات تعاون وتحالف، وتعاقد بين الأمة الإسلامية والأمم الأخرى عبر آلية العمل السياسي هذه الغايات والقيم الإنسانية السامية التي يدعو لها الإسلام، وهذه العلاقات والتّحالفات تقتضي إيجاد معاهدات واتفاقيات تنظّم أشكال التعاون، وتحدّد غاياته ووسائله ومجالاته، وتشكّل مرجعاً ضابطاً لمنع منازعات بين هذه الأطراف.¹

د - مبدأ المسؤولية الجماعية: يرتبط الدخول في المعاهدات والاتفاقيات الدولية التي تسعى للخير الإنساني العام و تحقيق الأمن والسلام والعدالة بمبدأ آخر هو المسؤولية الجماعية بين وحدات المجتمع الإنساني لمحاربة الفساد والظلم والعدوان، كم فعل الرسول صلى الله عليه وسلم في حلف الفضول لنصرة الضّعيف ومقاومة الظلم، وسعيها لتحقيق الخير الإنساني العام كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَجْلُوْا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضُلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٠﴾ [المائدة/ 2].

من هنا فإنّ المنظور الإسلامي يرى في المنظمات الدولية التي تسعى إلى تحقيق السلام والأمن الدولي، والخير العام الإنساني، أنّها جزء من مبدأ المشاركة أو المسؤولية الجماعية أو التضامنية عن طريق العمل السياسي بين

¹ - من المنظور الحضاري للمنظمات الدولية رؤية تأصيلية، سامي الخزندار، 70 / 71.

الأمة الإسلامية والأمم الأخرى لمحاربة العدوان والظلم والفساد، وتحقيق العدالة والسلام، والخير الإنساني العام في الأرض.¹

ثانيا: الدبلوماسية مظهر من مظاهر العمل السياسي العالمي

أ- تعريف الدبلوماسية: "هي مجموعة المفاهيم والقواعد، والإجراءات والمراسم، والمؤسسات والأعراف الدولية التي تنظم العلاقات بين الدول والمنظمات الدولية، والممثلين الدبلوماسيين بهدف خدمة المصالح العليا الأمنية والاقتصادية والسياسيات العامة، وللتفويض بين مصالح الدول بواسطة الاتصال والتبادل وإجراء المفاوضات."²

ب - الدبلوماسية في الإسلام خدمة للحوار والسلام: على الرغم من أنّ الأجواء في العالم الإسلامي ملبّدة بكثير من السحب لأسباب كثيرة، ليس هذا مجال الخوض فيها، فإنّ الموضوعية والواقعية تقتضيان منا أن نؤكد في هذا المقام، أنّ القدرات التي تمتلكها دول العالم الإسلامي، والمكانة التي تحظى بها ضمن المجموعات الدوليّة توفّران للدبلوماسية الإسلاميّة فرصا كثيرة للتحرّك على أكثر من صعيد، لدعم جهود المجتمع الدولي من أجل تعزيز قيم الحوار بين الثقافات والتّحالف بين الحضارات، ولخدمة السلم والأمن في العالم .

إنّ العالم الإسلامي كتلة حضارية تسعى من أجل الحوار والسلام، وهما هدفان يندمجان في هدف استراتيجي واحد باعتبار أنّ السلام لن يأتي إلّا من خلال تعزيز الحوار بين الأمم والشّعوب على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية والحضارية، حوار بناء مثمر، حوار حضاري في عمقه وجوهره حوار إنساني يستهدف الارتقاء بالحياة الإنسانية من أجل بناء السلام الإنساني الشامل والقائم على قواعد العدل والفضيلة، ولذلك فإنّ الدبلوماسية الإسلامية تعمل في هذا الإطار الأرحب تسير في هذا الاتجاه القويم تحمي المصالح العليا للأمة الإسلامية، وتدعم جهود التّجمّع الدولي من أجل الحوار والسلام.

إن من المحاسن الخالدة لديننا أنّ للممارسة الدبلوماسية فيها طبيعةً سياسيّةً وحضارية متفردة، قادرة على أن تكفل للإنسانية حياة التّعارف، والاستقرار، والأمن، والتّهوض البشري، والارتقاء الحضاري.

¹ - المرجع السابق / 72-74.

² - فن التفاوض والدبلوماسية، صلاح محمد عبد الحميد، / 28، ط / 1، ت ط / 2012، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع.

فالدبلوماسية الإسلامية ذات خصوصيات تستمدّها من القيم والمفاهيم الإسلامية، ومن الأهداف الإنسانية السامية التي تتحرّك في إطارها لخدمة قضايا الأمن والسلم، ولترسيخ قواعد الحوار والتعايش والتعاون بين الأمم والشعوب.¹

ج - آليات الدبلوماسية في عصرنا الحاضر:

1 - السفارة: لقد خرجت السفارات الإسلامية إلى العالم انطلاقاً من المقومات الروحية والأخلاقية، والعلمية والتنموية المستمدة من الإسلام؛ فقدّم المسلمون للبشرية منهج العلم والمعرفة، وعلموا الإنسانية آداب العلاقات الدولية ومكّنوا للأصول الأخلاقية التعاونية، التي تعترف بأهمية التعاون بين البشر على البر والتقوى، لا على الإثم والظلم والعدوان كما فتحوا آفاقاً واسعة للإبداع الذي يطوّر الحياة البشرية، ووصل المسلمون لقيادة العالم.² فما معنى السفارة؟ وما هي أهم وظائف السفارة؟ وما واقعها اليوم؟

- معنى السفارة: لشرح الموضوع أكثر لا بدّ من تبيين معنى السفارة في اللغة والاصطلاح.

- معنى السفارة لغة: من الفعل سفر، والقائم بهذا العمل يسمى "السفير: الرسول المصلح بين القوم جمع سفراء مثل فقيه، فقهائ، وسفرت بين القوم، أسفر، سفارة، أصلحت.³

فالسفارة في اللغة تحمل معنى الإصلاح بين الناس، وهو من أهم مقاصد السفارة في الإسلام، كما سيبتين لنا ذلك.

- السفارة اصطلاحاً: "السفير هو المبعوث الدبلوماسي الأعلى درجة في مراتب المبعوثين الدبلوماسيين يرأس ويدير البعثة الدبلوماسية المسماة السفارة، يعيّن من قبل رئيس الدولة، ويعتمد لدى رئيس دولة أجنبية ويتولّى

تمثيل دولته وحماية الرعايا الوطنيين، وتنمية العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية والعلمية".⁴

غير أنّ هذا التعريف من الوجهة الإسلامية غير تام، فمن أعظم وأنبأ مهام السفير هي الدعوة إلى الله، ولا تقتصر فقط عند تنمية العلاقات الدبلوماسية، والمصالح الحياتية.

¹ - الدبلوماسية الإسلامية في خدمة الحوار والسلام، عبد العزيز بن عثمان التويجري، / 34، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو / 1430 - 2009.

² - أمة الدبلوماسية كيف تجدد رسالتها للعالم؟، محمود <http://www.alukah.net/sharia/0/104767>

³ - الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، / 54.

⁴ - قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية، أحمد سعيقان، / 202، ط / 1، ت ط / 2004، مكتبة لبنان ناشرون بيروت - لبنان.

وهذا ما سنوضحه أكثر في تبين مهام السفير في الفقه الإسلامي.

- **مهام السفراء ووظائفهم:** للسفراء مهام عظيمة تخدم مصالح البشرية في الدنيا والآخرة، وهي من أنبل المهام وأقومها نلخص أهمها في النقاط الآتية:

- **الدعوة إلى الله:** الإسلام كما بينا مرارا أنه للبشرية جمعاء، ينبغي أن يبلغوه، للعالمين عقيدة، وعبادة وسلوكا ومنهجاً أخلاقياً.

والسفارة أو عمل السفير من المهام المقدّمة لديه عند تمثيله لأمتة الإسلام، دعوته لغيره بالحسنى، تأسيًا بالحبيب صلى الله عليه وسلم عندما بعث مصعب بن عمير رضى الله عنه أول سفير في الإسلام -مع وفد العقبة، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين فكان يسمى المقرئ بالمدينة.¹

وقد مر بنا ذكر سفراء الحبيب صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الأرض في الفصل الأول، ممّا يدلّ على أنّ من أنبل وأعظم مهمّة للسفراء، هي مهمّة الدّعوة إلى -عزّ وجلّ- التي لا نجد لها للأسف اليوم أيّ مكانة في بعثة السفراء إلى الدّول الغربية!

- **تمثيل الدولة الإسلامية لدى الدّول الأجنبية:** الرّسول أو السفير من الأمور المسلّم بها أنّه بمجرد تعيينه فهو ممثّل للدّولة التي ابتعثته، ونائب عنها في كلّ صغيرة وكبيرة، في الأمور السّياسية والاقتصادية، في تحرّيه الجاليات المنتمية لوطنه ومساعدتهم في تسهيل أمورهم، والدّفاع عنهم حال ظلمهم.

- **حمل الكتب والرّسائل:** ممّا يقوم به الرّسل والسفراء حمل رسالة شفويّة أو كتاب من رئيس دولته إلى رئيس دار الحرب.

وهذه الوظيفة من الوظائف الظاهرة في عصرنا هذا، ولا تكاد تخرج عن هذا الإطار.

- **التفاوض لعقد الأمان والهدنة والمعاهدات:** من وظائف الرّسل أو السفراء المفاوضة على عقد الأمان للحريين أو عقد الهدنة لوقف القتال، وعقد الذمّة، وهي في الأصل من اختصاص الإمام والخليفة، ولما كان السفير أو الرّسول يمثّل الخليفة، ويعبّر عنه، فإنّه يقوم عنه بهذه الوظائف.

ويقوم السفير بالدّعوة إلى الصّلح²، وصلاح الحديبية دليل شاهد على هذه المهمّة، وقد وضحنا ذلك في الفصل التّأصيلي لمقصد التعاون الحضاري الإنساني من السيرة النبويّة الشريفة في الفصل الأول.

¹ - ينظر : السيرة النبوية، ابن هشام، 2 / 82.

² - السفارة والسفراء، عثمان بن جمعة ضميرية، / 65 - 69، مجلّة دعوة الحق، العدد / 191، ت ط / 1 - 3 / 1421 - 3 / 6 / 2000 م.

- تنمية العلاقات الثقافية والعلمية: إن تنمية العلاقات الثقافية من الوظائف التقليدية الدبلوماسية وقد أخذت هذه الأغراض الرسمية في اتفاقية فينا للعلاقات القنصلية 1963، حيث أصبحت الممارسات التي فرضتها منظمات، وحكومات دولية ومنها بالدرجة الأولى محاولة الدول التأثير على عقول الناس، وكسب تعاطفهم لصالح الدرجات السائدة.

وتقوم السفارات بدور كبير في هذا المجال عن طريق الملحققات التي تعنى بالشؤون الثقافية في سفارات الدول لدى دول أخرى حيث تقوم بتعريفها بثقافة دولتها وحضارتها من خلال المجالات والصحف التي تصدرها والمعارض الفنية والثقافية التي تقيمها، وما تنظمه من اتفاقيات للتعاون الثقافي بين البلدين.

هذه بعض مهام السفير في الإسلام تقوي مقصد التعاون الحضاري الإنساني في المجال السياسي، إن أذاها سفراء الأمة الإسلامية كما سطرناها مقاصد شريعتنا العزراء، لأبرزت للعالم أجمعين عزّة المسلمين وقوة وتأثيرهم الإيجابي عند تفاعلهم الحضاري مع غيرهم.

2- المعاهدات الدولية:

- معنى المعاهدات لغة:

- يطلق على الأمان. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ رِبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة/124].

- يطلق ويراد به الموثق واليمين والذمة. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَفْضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النحل/91].

- الوصية: يقال: قد عهدت إليه؛ أي: أوصيته.

- العهد: المطر الذي بعد المطر.¹

- المعاهدات الدولية اصطلاحاً: «أيّ اتفاق يجوز للدولة الإسلامية وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية أن تعقده مع واحد أو أكثر من الوحدات أو الأشخاص الدولية بقصد تنظيم موضوع ما أو مسألة محددة تخص العلاقات بين الجانبين على سبيل الإلزام.

فلا شك أنّ تعريف المعاهدة على هذا النحو يتفق وحقيقة العلاقة بين المسلمين وغيرهم، وما يعنيه ذلك من أنّ مراعاة أحكام الشريعة في هذا الشأن يكون أمراً منوطاً فقط بالجانب الإسلامي في التعاقد إلى جانب أنّ

¹ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، / 820 - 821.

هذا التعريف يتسع أيضا ليشمل التطورات الحاصلة في مجال الشخصية الدولية، فضلا على أنه لا يتعارض وواقع تعدد الدول الإسلامية¹.

- علاقة المعاهدات بمقصد التعاون الحضاري الإنساني: قد يتبادر إلى الأذهان بأن المعاهدات في الإسلام يقصد بها فقط إنهاء الحرب مع العدو، وأنها من الطرق التي يقتصر فيها على أمور القتال. والواقع أنّ المعاهدات الدولية من أهم الوسائل الدافعة إلى إقامة تعاون حضاري بين الشعوب في كل مجالات الحياة، فهي ليست فقط لإنهاء حالة حرب لمدة معينة، فقد لا تكون هناك حرب بين المسلمين وبين من يعاهدوهم، فدولة الإسلام دولة ليست منغلقة على نفسها فهي تقيم علاقات دولية بينها وبين غيرها من الدول غير المسلمة سواء أكانت علاقات ثقافية بموجب معاهدات واتفاقيات، أو معاهدات اقتصادية، أو معاهدات صداقة لتبادل المنافع والآراء.

- معاهدات لتبادل الخبرات العسكرية، والاستعانة بهم في مجال القتال عند الضرورة، وذلك عندما يكون الخطب فادحا، والخطر محققا، والعدو مباغتا و غازيا للبلاد الإسلامية، فلا يمنع الإسلام من عقد معاهدات التعاون، وما يسمى بمعاهدات الدفاع المشترك، في هذه الحالة حينئذ يجب على أفراد الدولة الإسلامية كلهم الدفاع عنها من غير مراعاة للشروط التي يجب توفرها في الجيش المسلم من الصحة والسلامة.²

- معاهدات الملاحاة وتعديل الأراضي التي تتعلق بحق الدولة وسيادتها، والمعاهدات التي ترهق ميزانية الدولة وتحمل الخزنة العامة للدولة نفقات لم ترد في الميزانية، كل هذه المعاهدات تناط في نظر الإسلام إلى تقدير الإمام حسب ما يراه من المصلحة العامة للمسلمين.

- معاهدات الصداقة والتعاون، وخاصة في المجال التجاري، وكذا معاهدات تبادل المنافع والخبرات، سواء أكانت اقتصادية أو حربية، أو تعديل حدود أرض، أو منافع ثقافية، كما كان يفعل ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان يبعث القراء والمعلمين من المسلمين يعلمون الناس القرآن، وأحكام الإسلام، ويعرفون غير المسلمين بالإسلام³.

¹ - الأصول العامة للعلاقات الدولية في الإسلام وقت السلم، دراسة في تحليل أهم أدوات العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية أحمد عبد الونيس شتا، / 45-46، ط / 1، ت ط / 1417-1996، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة - مصر.

² - المعاهدات الدولية في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام، محمد إبراهيم أحمد الديك، بإشراف: د / ذو الفقار علي ملك، / 136، جامعة بنجاب، لاهور، كلية اللغة العربية.

³ - نفس المرجع السابق، / 139-140.

فيتبين لنا إذا إنّ الدّين الإسلامي يقرّ وجود معاهدات دولية بين الدّول الإسلاميّة وغير الإسلاميّة من أجل تحقيق غايات إنسانيّة أو ثقافيّة وتعليميّة، ومنها معاهدات لإنشاء المراكز والمساجد الإسلاميّة مثلا في البلدان الغربيّة أو اقتصادية وتجارية وزراعيّة وصناعيّة، والأهداف سلميّة وتعاون بين أعضاء الأسرة الدوليّة المعاصرة وينبغي إعلام العالم بحسن نوايا المسلمين في تعاونهم مع غيرهم، وأنهم ليسوا إرهابيين كما يزعمون، كما ينبغي أن تعمل الدول غير الإسلاميّة صادقة على جعل معاملة المسلمين قائمة على العدل والحق، ورعاية حقوق الإنسان بالفعل.¹

فالمعاهدات في الإسلام من أهمّ الوسائل الفعّالة المقويّة لمقصد التعاون الحضاري الإنساني، بشرط أن لا يكون فيها ضرر للمسلمين كحال معاهدات السّلام مع الكيان الصّهيوني، وهي متروكة إلى وليّ الأمر وأهل الشّورى معه، ومن عهد إليهم ذلك لتحقيق منفعة أو دفع ضرر، أو تسهيل مهمّة، أو نكايّة بعدو على حسب الحال الذي يراد لإمام المسلمين خيرا لهم.

وبهذا فإنّ العمل السّياسي إذا انطلق من مقاصد الشّريعة الإسلاميّة في مسيرته عند التّعاون مع غيرنا سوف يؤتي ثماره، ويعود بالخير على الإنسانيّة جمعاء.

المطلب الثاني

آلية العمل الاجتماعي

"الإنسان اجتماعي بطبعه" جملة وجيزة، ولكنّها تعبر عن فطرة الله في خلقه، وسنة من سننه الكونية. إذ اتفقت كل البشريّة قاطبة منذ خلق سيّدنا آدم إلى يومنا هذا أن لا غنى للإنسان عن أخيه الإنسان في قضاء حاجاته.

حتى أن معظم العبادات الأكثر أجرا وثوابا عند الله -عز وجل- ما كان مقصدها تركية روح الجماعة. فصلاة الجمعة جماعة، والحج جماعة، والصّيام عبادة روحها الإحساس بالجماعة، وحقيقة التّعاون والتّفاعل لأجل تنمية المجتمع على العمل الاجتماعي.

وإن قلتم، وعبادة الزّكاة فهي عنوان العمود الفقري لتزكية الروابط الاجتماعيّة، وما تشريعها إلا لأجل التّكافل والتّضامن من أجل توطيد العلاقات الاجتماعيّة، فهي ميدان خصب للعمل الاجتماعي في أوسع دوائره ليشمل كل العوالم البشريّة مهما اختلفت أجناسها ولغاتها، وألوانها.

فما حقيقة العمل الاجتماعي؟ وكيف يكون آلية من آليات التّعاون الحضاري الإنساني؟

¹ - العلاقات الدولية في الإسلام مقارنة بالقانون الدولي الحديث، وهبة الزحيلي، / 18- 19، ط / 1، ت ط / 1420 - 2000 دار المكتبي، دمشق - سوريا.

هذا ما نحاول توضيحه وتحليله أكثر في هذا المطلب.

الفرع الأول: معنى العمل الاجتماعي، وأهم مقاصده

أولاً: تعريف العمل الاجتماعي

أ - تعريف العمل الاجتماعي لفظياً:

1 - معنى الاجتماعي لغة: اسم منسوب للمصدر اجتماع ويأتي بمعان عدة أهمها:

- الالتقاء والانضمام: أي التقوا في مكان وزمان معينين، وتآلفوا وتوحدوا.

- الاتفاق: يقال أجمع المسلمون على كذا، واجتمعت آراؤهم عليه، إذا اتفقوا.¹

2 - الاجتماعي اصطلاحاً: «تشير كلمة اجتماعي إلى العالم حولنا وإلى تفاعلات الناس وتعايشهم

مع بعضهم البعض، ويشار إلى الإنسان عادة بأنه حيوان اجتماعي، بمعنى أنه لا يمكن أن يعيش منعزلاً عن

الآخرين، وتتناقض كلمة اجتماعي في الغالب مع الحياة أو الشؤون الخاصة للأفراد، على الرغم من أن هناك

كلمات مثل غير اجتماعي ASOCIAL أو ANTI SOCIAL التي تصف بعض الناس الذين يتجنبون

الارتباط بالآخرين، أو الأنشطة المدمرة التي يحتمل أن تصيب المجتمع بالضرر».²

فلفظة الاجتماعي في اللغة والاصطلاح تحمل دلالة التقاء للقيام بأعمال متعددة، والانضمام مع بعضهم

البعض على أساس الألفة والاتحاد، تربطهم علاقات، يتبادلون من خلالها آراء، من أجل الاتفاق عليها وتطبيقها

على أرض الواقع خدمة للجميع.

ب - العمل الاجتماعي باعتباره مرگباً إضافياً: قصد بالعمل الاجتماعي، ذلك الأداء المناط بكيانات

إدارية حكومية أم غير حكومية، تعمل على تحقيق الرفاه الاجتماعي - وزارات الشؤون الاجتماعية وجهات أخرى

التي تقدم خدمات اجتماعية، ومن المهم هنا التأكيد أن العمل الاجتماعي في محصلته النهائية عمل خير بالمفهوم

الشامل للعمل الخيري حتى وإن تعددت أهدافه، وتنوعت وظائفه³، فالعمل الاجتماعي هو علم وفن ومهنة

لمساعدة الناس على حل مشكلاتهم.

¹ - المفردات في غريب القرآن، راغب الأصفهاني، 1 / 126.

² - الفرق بين مصطلحي (اجتماعي) و(مجتمعي)، أحمد إبراهيم خضر

/ <http://www.alukah.net/web/khedr/0/55384>

³ - العمل الاجتماعي - التنظيم، التحديات، المواجهة - على بن إبراهيم النملة، 17 / ط / 2، ت ط / 1434 - 2014

بيسان للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

وبناء عليه نقول: إن العمل الاجتماعي يشمل كل أنواع الخدمة الاجتماعية التطوعية، وأشكال التضامن الإنساني الهادف إلى مساعدة الأشخاص في وضعيات صعبة (اجتماعية، نفسية، تربوية، صحية، أسرية...) بقصد إزالة كل المعوقات والمشاكل التي تكدر صفو عيشتهم.¹

1- مصطلحات ذات صلة:

- **التكافل الاجتماعي:** «يقصد بالتكافل الاجتماعي في معناه اللفظي أن يكون آحاد الشعب في كفالة جماعتهم وأن يكون كل قادر أو ذي سلطان كفيلا في مجتمعه بمدته بالخير، وأن يكون كل القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الآحاد، ودفع الأضرار، ثم في المحافظة على دفع الأضرار عن البناء الاجتماعي وإقامته على أسس سليمة».

والتكافل الاجتماعي في مغزاه ومؤداه أن يحسن كل واحد في المجتمع بأن عليه واجبات لهذا المجتمع يجب عليه أداؤها وأنه إن تقاصر في أدائها، فقد يؤدي ذلك إلى أن ينهار البناء عليه وعلى غيره، وأن للفرد حقوقا في هذا المجتمع يجب على القوامين عليه أن يعطوا كل ذي حق حقه من غير تقصير ولا إهمال، وأن يدفع الضرر عن الضعفاء، ويسد خلل العاجزين، وأنه إن لم يكن ذلك تأكلت لبنات البناء، ولا بد أن يخر منهارا بعد حين.

وأن التكافل الاجتماعي يوجب أن يكون الناس جميعا متساوين في أصل الحقوق.²

2- **الخدمة الاجتماعية:** «الخدمة الاجتماعية من الخدمات المهنية تقوم على أساس من الحقائق العلمية والمهارة في مجال العلاقات الإنسانية الغرض منها مساعدة الأفراد كأفراد أو في جماعات لتحقيق الرفاهية الشخصية والاجتماعية، ولتنمية قدراتهم علي توجيه شئونهم بأنفسهم، وتكون ممارسة هذه الخدمة داخل مؤسسات متصلة بالخدمة الاجتماعية ومتخصصة فيها».³

وتعمل الخدمة الاجتماعية على بث روح التغيير الاجتماعي، والعمل على حل المشكلات الناجمة عن العلاقات الاجتماعية بخلاف ذلك تهدف لتمكين وتحرير الناس وتعزيز قدراتهم وإرادتهم لذا تستفيد الخدمة

¹ - العمل الاجتماعي ودوره في التنمية، إدريس بوحوت، مجلة الوعي، العدد / 565، جويلية - أوت / 2012

<http://www.alwaei.com/site/index.php?CID=1143>

² - التكافل الاجتماعي في الإسلام، محمد أبو زهرة، / 7، ط / 1 ت ط / 1991، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر.

³ - الخدمة الاجتماعية تحليل المهنة والجذور، فوزي شرف الدين، / 23 www.pdfactory.com

الاجتماعية من كافة نظريات العلوم السلوكية والإنسانية والاجتماعية لتحديد كيفية التفاعل بين البشر وبيئاتهم وكذلك تستفيد من حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية.¹

3- الرعاية الاجتماعية: «يقصد بالرعاية الاجتماعية في المنظور الإسلامي تلك الجهود الذاتية، المبادرات التطوعية التي يقوم بها أولو الغنى، وذوو المروءة ليعينوا بها أصحاب الحاجات أو ليسهموا بها في عمليات التنمية أو ليحققوا بها عن كاهل الدولة، سعيا منهم إلى التقرب إلى الله -عز وجل -ابتغاء مرضاته، واحتسابا للثواب عنده...».²

4- العمل التطوعي: عرفته هيئة الأمم المتحدة بأنه «عمل غير ربحي لا يقوم نظير أجر معلوم، وهو عمل غير وظيفي مهني، يقوم به أفراد من أجل مساعدة وتنمية مستوى معيشة الآخرين من جيرانهم أو المجتمعات البشرية بصفة عامة».

فهو كل جهد أو مال أو علم أو وقت يقدمه الفرد بنية التقرب إلى الله - سبحانه وتعالى - دون أن يكون مفروضا عليه، ودون انتظار أجر دنيوي.³

من خلال ذكر هذه التعريفات لمصطلحات لها علاقة بمفهوم العمل الاجتماعي نقول:

أنّ العمل الاجتماعي عمل يقوم على تكاتف وتضامن الجهود من أجل تقديم خدمات متعددة لرعاية كل صاحب حاجة سواء كانت اجتماعية، أو نفسية أو صحية، أو اقتصادية، أو فكرية أو ثقافية، في إطار مهني أو تطوعي، بقصد التنمية البشرية للمجتمع الإنساني مهما تعددت أعراقهم وجنسياتهم. فالتكافل والتضامن الاجتماعي، والعمل التطوعي أو الخيري، والخدمة والرعاية الاجتماعية هي صور ومظاهر للعمل الاجتماعي.

ثانيا: أهم أسس العمل الاجتماعي الإنساني

أ- احترام الكرامة الإنسانية: من أهم مبادئ العمل الاجتماعي الإنساني، مبدأ احترام الكرامة الإنسانية التي أصّل لها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء/ 70].

¹ - الخدمة الاجتماعية وحقوق الإنسان، خليل عبد المقصود عبد الحميد، / 6، د ط، د ت /.

² - الرعاية الاجتماعية في الإسلام، وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية، محمد بن أحمد الصالح، / 25- 26، ط / 1 ت ط / 1419- 1999، مكتبة الإسكندرية.

³ - العمل التطوعي من منظور إسلامي، محمد عبد الفتاح شاهين -إسماعيل محمد شندي / 5، بحث مقدم إلى مؤتمر: العمل التطوعي في فلسطين -واقع واحتياجات -1434- 2012. جامعة القدس المفتوحة -رام الله.

1- معنى الكرامة الإنسانية، وعلاقتها بالعمل الاجتماعي:

- معنى الكرامة الإنسانية: يتسم المفهوم الإسلامي للكرامة الإنسانية بخصيئتي الشمول والعموم فيكتسب بذلك هذا المفهوم عمقاً ورحابةً وامتداداً في الزمان والمكان. ولعلّ من دقائق المعاني التي ينبغي أن نلفظن إليها ونتنبّه لها أنّ آية التّكريم من سورة الإسراء جاءت في صيغة العموم، فالآية تشير إلى تكريم الله لبني آدم، وليس لجماعة المؤمنين، أو لفئة دون غيرها من الناس، فالتّكريم هنا، هو تكريم مطلق المعنى يشمل البشر كافةً، وينسحب هذا المعنى إلى الماضي والحاضر والمستقبل، ويمتدّ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فمن خلال المنظور الإسلامي، فإنّ الإنسان مكرّمٌ، بصرف النّظر عن أصله وفصله، دينه وعقيدته، مركزه وقيّمته في الهيئة الاجتماعية، إنّ الله خلقه مكرّماً، ولا يملك أحدٌ أن يجزّده من كرامته التي أودعها في جيلته وجعلها من فطرته وطبيعته، يستوي في ذلك المسلم الذي يؤمن بالقرآن كتاب الله وبمحمد بن عبد الله رسول الله ونبيةً، وغير المسلم من أهل الأديان الأخرى، أو من لا دين له، فالكرامة البشريّة حقٌّ مشاعٌ يتمتّع به الجميع من دون استثناء، وتلك ذروة التّكريم وقمة التّشريف.¹

ويقصد بها أيضاً: «توفير الحاجيات الطّبيعية والضّرورية للإنسان ومنها: الحاجيات العضويّة كالغذائية والشّرب والصّحة، والحاجيات الاجتماعية كالسّكن والشّغل والتّعليم والحاجيات الفكرية كحرية التعبير والتّفكير والروحانية كحرية التّدين والاعتقاد، وهذه الحاجيات ما زال كثير من الناس محرومين منها.

والكرامة مبدأ كوني بغضّ النّظر عن ديانة الأشخاص أو لوّهم أو جنسيتهم، وهي مرتبطة بمبادئ حقوقيّة كالديمقراطية والتّسامح، والتّضامن والحرية والمساواة، وقد أوصت كل الديانات السّماوية باحترام كرامة بني البشر باعتبارها حقّاً لكل إنسان».²

فالكرامة قيمة عليا جامعة خصّ الله عز وجل بها الإنسان، وتعني فيما تعني؛ النّفاسة، والرّفعة، والعزّة، وعلو الشّأن وانتفاء أيّ معنى من معاني الخسّة والصّعار والدّل والهوان والابتذال.³

- وعلاقتها بالعمل الاجتماعي: من خلال هذا التعريف يتّضح لنا أنّ الهدف الأول للعمل الاجتماعي

هو حفظ واحترام الكرامة الإنسانيّة للإنسان من خلال حفظ مقاصده الخمس:

¹ - الكرامة الإنسانية في ضوء المبادئ الإسلامية، عبد العزيز بن عثمان التويجري، / 14، ط / 2، ت ط / 1436- 2015 منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو.

² - حماية الكرامة الإنسانية في السنة النبوية، خديجة بنت عبد الحليم بن إيشان تركستاني، / 208، مجلة البحوث الإسلامية العدد: العدد المائة الإصدار من رجب 1434 هـ إلى شوال 1434 هـ.

³ - الكرامة الإنسانية وأثرها في البناء الحضاري، ربيع خليفة بيومي، مجلة الحراء، العدد / 49.

- حفظ دينه: كحرّيته في الدين والاعتقاد.

- وحفظ عقله: كحفظ حقه في طلب العلم، وحقه في حرية الفكر والتعبير.

- حفظ نفسه: فمن حقّ كلّ إنسان أن تهَيّئ له كفايته التامة من العيش بحيث تتوافر له الحاجات الأساسية من مأكل وملبس، ومسكن وعلاج، هذا حق لكل إنسان، والإنسان بنيان الله وملعون من هدم بنيان الله ملعون من ابتزّ مال أخيه المسلم وغير المسلم، ممنوع من ضيق على إنسان، ملعون من ألقى الرعب في قلب الإنسان، إنّه بنيان الله وملعون من هدم بنيان الله.¹

كلّ هذه المقاصد الشرعية هي مجال واسع تنشط فيه مؤسسات العمل الاجتماعي سواء على الصعيد المحلي أو إقليمي أو الدولي، تحقيقاً لمبدأ الكرامة الإنسانية.

2- واقع الكرامة الإنسانية للعالم الإسلامي: ولما كانت كرامة أمة من الأمم، هي من كرامة أفرادها وجماعاتها وشعوبها التي تكوّن نواتها الصلبة، فإنّه يمكن القول إنّ هضم كرامة الفرد يترتّب عليه الإضرار بكرامة الجماعة. ولذلك كانت الجماعة مسؤولة عن حفظ كرامة أبنائها، على نحو من الأنحاء.

من هذه الزاوية، ننظر اليوم إلى واقع العالم الإسلامي، وإلى ما تعيشه الأمة الإسلامية من أوضاع عامّة. ومهما تحلينا بفضيلة ضبط النفس، وحننا نحو التفاؤل، فلن نملك أنفسنا من الاعتراف بأن كرامة الأمة اليوم قد مسّها الضرر، فهي كرامة مثلوبة، ومهضومة، ومجروحة، تضافرت عوامل كثيرة لتؤدّي إلى هذه الحالة من الضعف والعجز والتراجع الحضاري.²

3- كيفية استرجاع الكرامة الإنسانية للأمة الإسلامية من أجل النهوض بالعمل الاجتماعي الإنساني: والسؤال الذي ينبغي أن نطرحه على أنفسنا في هذه المرحلة، هو: كيف السبيل إلى استرجاع كرامتنا الإنسانية في واقعنا المرير للنهوض بالعمل الاجتماعي الإنساني ثمّ النهوض بحضارتنا الإسلامية؟ إنّ استرجاع الكرامة الوافرة للأمة الإسلامية، يكمن في عودتها إلى دينها، تستلهم منه أسس التقدّم في الحياة.

وإذا ترجمنا هذا المبدأ العام إلى لغة العصر، فيمكن لنا أن نقول، إن ردّ الاعتبار للعقل الإسلامي حتى يسود ويقود الأمة نحو المستقبل ينبغي أن يكون عملية جماعية، وجهداً مشتركاً بين جميع مكونات الأمة الإسلامية، في إطار التضامن الإسلامي.

¹ - مظاهر تكريم الله للإنسان، محمد راتب النابلسي، <http://nabulsi.com/blue/ar/art.php?art>

² - الكرامة الإنسانية في ضوء المبادئ الإسلامية، عبد العزيز بن عثمان التويجري، / 25.

إنّ ذلك لن يتم إلاّ بخلق الشّروط الإنسانيّة والطّبيعية الملائمة للتحوّل، والعملية ليست يسيرة بكلّ تأكيد وهي حصيلة تضافر فعال وتضامن إيجابي لجهود وإسهاماتٍ وتدخّلاتٍ تصدر عن أطراف متباينة. ونحن مدعوون إلى أن نردّ الاعتبار للإنسان في العالم الإسلامي، باحترام حقوقه كاملةً غير منقوصة، في إطار ما تقتضي به وتوجّه المبادئ الإسلاميّة، وتوفير سبل العيش الكريم له في كنف الحرية والمسؤولية والشّعور بالكرامة على المستويّين الذاتي والموضوعي.

إنّ مجالات العمل الاجتماعي الإنساني تتشعب وتمتدّ أمامنا، وميادين الحركة تتعدّد وتشمل جميع مرافق الحياة وينبغي أن نسلك نحو تحقيق أهدافنا نهجاً تكاملياً، تضبطه وتتحكّم في اتجاهاته، قواعد العمل الاجتماعي الإسلامي المشترك ومبادئ التّضامن الإسلامي. ونحن نعتقد أنّ العمل في إطار منظمّة التعاون الإسلامي، وما يتفرّع أو ينبثق عنها من منظمّات ومؤسّسات وهيئات وجامعات، هو الإطار الأنسب لهذا التّحرك الذي نحن مدعوون جميعاً إلى القيام به على شتى المستويات، لإقرار مبادئ الإسلام في حياة الأمة، بما يحقّق القدر المطلوب من التّضامن والتكامل والترابط بين أجزائها، وبما يؤدّي إلى ازدهار الحياة ازدهاراً شاملاً تحفّظ فيه للإنسان المسلم كرامته موفورةً وحقوقه مُصانة¹.

ب- الرّحمة: إنّ نظرة الإسلام إلى البشريّة ملؤها الرّحمة، والعطف، ولا يمكن أن يكون غير هذا؛ لأنّ الدين الإسلامي آخر الأديان التي شرعها الله تعالى، وأمر الناس كافة بالدخول فيه، كما أنه تعالى أوحى بهذا الدين وأنزله على قلب أرجم الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء / 107].

فما حقيقة الرّحمة؟

1- معنى الرّحمة: معنى الرّحمة بتجلياته وراحبة وعائه، يبرز لنا أكثر أهميتها في التّواصل والتّعاون الاجتماعي الحضاري ملخّصة لنا قيمة المبدأ في رسوخ شريعة الرّحمة لتشمل كل الناس. نبدوها بمعناها اللغوي.

- الرّحمة لغة: تجمع المعاجم اللغوية على أنّ مفهوم الرّحمة مأخوذ من مادة (ر ح م) وفي، الرّاء والحاء والميم أصل واحد، يدلّ على الرقة والعطف والرّافة.

لسان العرب لابن منظور الرّحمة: الرّقة والتّعطف والمرحمة مثله، وقد رحمته وترحمت عليه وتراحم القوم، رحم بعضهم بعضاً².

- وفي التعريفات للجرجاني قوله: «هي إرادة إيصال الخير»¹.

¹ - المرجع نفسه / 26 - 27.

² - لسان العرب ابن منظور، 12 / 230.

فالرحمة لغة هي جماع الرقة والرأفة، وإيصال الخير لكلّ النَّاس.

- عرفها محمد الغزالي بقوله: «الرحمة كمال في الطّبيعة يجعل المرء يرقّ لآلام الخلق، ويسعى لإزالتها ويأسى لأخطائهم، فيتمنّى لهم الهدى والرحمة في أفقها الأعلى وامتدادها المطلق صفة المولى تباركت أسماؤه، فإنّ رحمته شملت الوجود، وعمّت الملكوت، فحيثما أشرق شعاع من علمه المحيط بكلّ شيء أشرق شعاع الرحمة الغامر».²

- يمكن تعريف الرحمة كالآتي: «هي أساس البناء الاجتماعي، وتفاعله ومنطلق كل تعامل بشري سواء مع ذاته أو مع غيره أو مع محيطه، وهي قيمة معيارية، تتوفر على سمات حضارية وخصائص إنسانية، تجعلها عالمية الأبعاد وإنسانية التوجه، نافعة في الدارين معاً».³

فالرحمة إذا هي عنوان التّواصل والتّعاون الحضاري الإنساني في أرقى وأرحب مجالاته، ومبدأ لنشر الخير والإحسان إلى الأسرة البشرية التي جمعتها الرّحم الإنسانية فتنعم بذلك بخير الدّنيا والآخرة.

2- علاقة أساس الرحمة بالعمل الاجتماعي الإنساني: العلاقة الروحية بين الله - عز وجل - والإنسان هي التي تلد العلاقة الاجتماعية، وهذه بدورها تربط بين الإنسان وأخيه الإنسان، وعلى هذا يمكننا أن ننظر إلى العلاقة الاجتماعية والعلاقة الدينية معا من الوجهة التاريخية على أنّهما حدث، ومن الجهة الكونية على أنّهما عنوان على حركة تطور الاجتماعي واحد.⁴

فمبدأ الرحمة من أهمّ مبادئ العلاقة الدّينية التي تربط بين الإنسان وأخيه الإنسان، فكأننا يعلم أنّ هذا المبدأ جاءت كلّ الدّيانات السّماوية أمرة به، وجاعلة منه العمود الفقري الذي يقوّي الرّوابط الإنسانية مهما اختلفت معتقداتها وجنسياتها، ألوانها لغاتها.

فكلّما قوي مبدأ الرحمة في نفوس البشرية جمعاء، كلّما أدّت إلى تطوّر العمل الاجتماعي في إطار من الإنسانية والتّحضر.

¹ - التعريفات، الجرجاني / 95. د / ط، د ت / ط، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.

² - خلق المسلم، محمد الغزالي، / 209، ط / 1، ت ط / 1408 - 1987، دار الريان للتراث، القاهرة - مصر.

³ - بناء الرحمة في القرآن، الصالحة المرتجي، / 187، بحث مقدم للمؤتمر الدولي: الرحمة في الإسلام، قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية، جامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية.

⁴ - ميلاد مجتمع، مالك بن نبي، / 1، شبكة العلاقات الاجتماعية، / 52، ترجمة عبد الصبور شاهين، د / ط، ت ط / 1405 1985، دار الفكر، دمشق - سوريا.

وللوصول إلى درجة الكمال الإنساني، ينبغي أن تسري الرّحمة في أوصال العالمين مسرى الدّم في عروق الجسد وبذلك تتسع العلاقات الاجتماعية، كما تمنح العمل الاجتماعي قوّة البناء والاتساق في كافّة مؤسساته الحكومية وغير الحكومية فيتحقق بهذا مقصد التعاون والتكامل والتعارف والتواصل الحضاري الإنساني بين كل شعوب العالم.

ج - أساس التضامن الإنساني:

1- معنى التضامن الإنساني: من أهم تعريفات التضامن الإنساني نذكر:

«هو التّكاتف والتّعاون ما بين الأفراد في ظلّ مجتمع واحد، وبين الأمم والشّعوب في ظلّ دائرة إقليمية أو قومية أو على صعيد إنساني عام وذلك انطلاقاً من المشترك بين المتضامنين من أجل تبادل المصالح والمنافع في إطار من التّكامل والتآزر لتحقيق الأهداف والغايات العامّة»¹.

- «هو ذلك المبدأ القائم على أساس النّبز والقسط، والرّحمة بالنّسبة للأمم الأخرى، لأجل خلق مجال للتواصل الحضاري لتبادل المنافع في دائرة الخير الإنساني»².

فالتضامن الإنساني من أسمى القيم الإنسانية التي تقوم على التعاون والتآزر والتكافل، وقد يتخذ صورة لها وجهان:

أحدهما مرتبطة بالكينونة الاجتماعية التي عبر عنها القرآن الكريم: **قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾** [الحجرات / 13].

فالإنسان لا يستطيع بمفرده أن يوفر لنفسه كل ما يحتاج إليه من أمن غذاء للحفاظ على حياته وضمّان بقاءه، واستمراره في الوجود.

- **والوجه الثاني:** تطوّر اختياري ويتخذ صيغة إنسانية مثل ما يحدث أثناء الكوارث الطّبيعية أو الصّراعات الاجتماعية، وهنا يظهر التّضامن في شكله الوجداني¹.

¹ - مشروع ميثاق التضامن الإسلامي، أحمد الهادي جاب الله، / 439.

² - خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم، فتحي الدريني، / 218، ط / 3، ت ط / 1434- 2013 مؤسسة الرسالة دمشق - سوريا.

2- أهم أركان التضامن الإنساني:

- العدالة الاجتماعية: للعدالة الاجتماعية أركان قومية بدونها، تضطرب حياة الناس، وتنهدم عوامل

الاستقرار والأمن الإنساني فيما بينهم، ولن يكون أي نتيجة إيجابية لتواصلهم وتعاونهم من أهم هذه الأركان:

- المساواة الإنسانية: جاء الإسلام ليقرّر وحدة الجنس البشري في المنشأ والمصير، في الحيا والممات، في

الحقوق والواجبات، أمام القانون وأمام الله، في الدنيا والآخرة، لا فضل إلا للعمل الصالح، ولا كرامة إلا للأتقى.

فالكل متساوي في الأصل والنشأة. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات/ 13].

فقد بلغ الإسلام مستوى لم تصل إليه الحضارة الغربية إلى يومنا هذا، الحضارة التي تبيح للضمير الأمريكي

إفناء عنصر الهنود الحمر إفناء منظماً تحت سمع الدول وبصرها، كما تبيح لحكومة جنوب إفريقيا أن تجهز بالقوانين

العنصرية ضد الملونين، وتبيح لحكومات روسيا والصين والهنود والحبشة ويوغسلافيا وغيرها إفناء

المسلمين.²

هذا هو للأسف واقع المساواة الإنسانية اليوم في العالم اليوم.

- الاحترام المتبادل بين الشعوب: يمثل الاحترام المتبادل، وتقدير كل طرف للآخر، ومراعاة كل من الطرفين

إنسانية أخيه السبيل القوي لتحقيق التضامن الإنساني البناء، والمشاركة الفاعلة بين البشر جميعاً فالاحترام قيمة

إنسانية رفيعة تعبر عن الذوق الرفيع والفطرة السوية، التي جبل عليها البشر جميعاً، فالعلاقة القوية الناجحة -بلا

شك - قائمة على احترام متبادل بين الأطراف، وذلك لا يكون إلا بعدم السخرية بالآخرين والتحقير من شأنهم

والتقليل من منزلتهم وهذا المعنى هو ما ترشد إليه الآية الكريمة. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا

مِن قَوْمٍ ءَعَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءٍ ءَعَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا

تَنَابَرُوا بِاللُّغَيْبِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَدَّبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات/

[11].

إنها دعوة صريحة في القرآن الكريم لكل شعوب الأرض، أن يحتفظوا بالحد الأدنى من الاحترام المتبادل،

هذا الحد الأدنى هو عدم السخرية من الآخرين، فالله -عز وجل - ذكر في الآية " القوم "، ولم يذكر الأفراد دلالة

على أهمية هذه الخاصية في التضامن ما بين الشعوب، ثم إن الله - سبحانه وتعالى - لا يكتفي بالبعد الأخلاقي في

¹ - التضامن الإنساني، سبل حماية البيئة العذبة، أميمة الزين / 60، المؤتمر الدولي العاشر حول التضامن الإنساني، 18- 20 /

11 / 2015، طرابلس - لبنان.

² - العدالة الاجتماعية في الإسلام، سيد قطب، 45 / 46، د / ط، ت ط / 1415- 1995، دار الشروق، بيروت - لبنان.

الأمر، بل يضيف له بعدا عقليا مهما؛ وهو أن هؤلاء الذين يسخر منهم قد يكونون أفضل منهم على الأقل في أحد المجالات وقد رأينا أَمَا في ظاهرها متخلفة وبسيطة في أمور التكنولوجيا والاختراعات ولكنها سامية جدا في أخلاقها، بل عندها من الأخلاق ما لا يتحقق في أعلى الشعوب تمدنا .

هذه الدعوة الأخلاقية للسمو في التضامن مع الشعوب الأخرى هي دعامة لا بديل عنها لترسيخ التعارف بين الناس والوصول إلى التعايش الجميل، الذي يسعد فيه كل إنسان بصرف النظر عن عرقه أو جنسه أو عقيدته ولا يخفى علينا أن الآية تحافظ على واحد من أهمّ المشتركات الإنسانية العامة وهو مشترك الكرامة الإنسانية الذي إذا تمّ خدشه فإنّ الصدام يكون حتما وقد لا يتوقّف.¹

3 - أهم مظاهر التضامن الإنساني: من أهم مظاهر التضامن الإنساني فروض الكفاية بل هناك من العلماء من أطلق عليها مصطلح الفروض التضامنية أو التكافلية والاجتماعية لتساع دائرة خيرتها في بعديها الزماني والمكاني ولتوضيح أحقيتها أكثر، ودورها البارز في تحقيق مقصد التضامن الإنساني، ومن ثمّ مقصد التعاون الحضاري الإنساني ارتأيت أن أمثل لها بأنموذج تطبيقي، لإبراز دورها التضامني الحضاري فيما يعمّ خير الإنسانية جمعاء ألا وهو أنموذج الإغاثة الإنسانية.

- الفروض الكفائية مظهر من مظاهر التضامن الإنساني: إنّ هدف تشريع هذا المبدأ ليس فقط لأجل تنبيه المؤمنين لضرورة تضامنهم لأداء هذه الواجبات، وإمّا يقصد العزيز الحكيم بثّ هذا الشعور في كل عباده من منطلق خلقهم مختلفين في العقيدة والإمكانات والقدرات فأمرهم إلى وجوب تعاونهم في شؤون الحياة لحاجتهم إلى بعضهم البعض، حاجة الإنسانية إلى نور هداية الإسلام، وحاجة المسلمين إلى ما عند غيرهم في التّقدم المادّي. فما المقصود بفروض الكفاية في إطارها الحضاري الإنساني؟ وما علاقتها بالتضامن الإنساني؟

- معنى الفروض الكفائية: لتعريف فروض الكفائية لا بدّ أولاً من تبين معنى الفرض اصطلاحاً والكفائية تعريفاً لفظياً، ثم نعرف الفرض الكفائي باعتباره مركباً إضافياً.

- معنى الفرض² اصطلاحاً هو: «الفاعل الذي ذمّ شرعاً تاركه مطلقاً، أو هو الطلب المقتضي فعل المكلف طلباً جازماً سواء كان الطلب بذلك ظنيّاً أو قطعيّاً».¹

¹ - المشترك الإنساني - نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب -، راغب السرجاني، / 663 - 664. ط / 1، ت ط / 1432

- 2011، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.

² - جمهور العلماء لا يرون فرقاً بين الفرض والواجب كما في التعريف الذي أوردناه، أما الحنفية فإنّ الفرض والواجب عندهم غير مترادفين أي أن كل واحد منهما يدل على معنى غير ما يدل عليه الآخر فالفرض أكد من الواجب. ينظر: الوصول إلى قواعد

- معنى الكفاية اصطلاحاً: هو القدرة المادية والمعنوية التي يتمتع بها الفرد عند أداء الحقوق والواجبات له ولغيره من خلال العمل على تحقيق كل ما يحتاجه هو ما يحتاجه هو ومن ينوب عليهم في أدائها بما يليق بواقع زمانهم وبيئاتهم.

- معنى فروض الكفاية باعتبارها مركبا إضافيا: "الخطاب بالواجبات الكفاية عام، وإن كان يقوم به البعض على سبيل التعاون بين الجميع، فمؤدّي ذلك أنّ فروض الكفاية جملة مطلوبة من الجميع، ولكنها موزعة على الطوائف والآحاد... يخاطب به الكافة، ويطلب بها على الخصوص من الخاصة من عنده قدرة عليه فالجماعة كلها مطالبة بتهيئة الأسباب ليكون من بينها الأطباء والمهندسون والزراع والصناع والقضاة، ومن كانت عنده الكفاية لأن يكون قاضيا أو مهندسا أو طبييا، أو قائدا أو متفهما في الدين مطالب على الخصوص فيما هو أهل له، وبذلك يتحقق الطلب العام ويتحقق الطلب الخاص، ويتبين السبب في إثم الجميع إن لم يتحقق الفعل المطلوب، وثبت أيضا أنّ من لم يقم بالفرض الكفاي يعدّ قائما به بقيام من أدّى؛ لأنّه دخل في تهيئة الأسباب".²

فالواجبات الكفاية بمفهومها الحقيقي، وتطبيقها العملي تحول التدين الصحيح إلى مشروع تنمية بشرية وتحرك حضاري إنساني، يحرك الجهود كلها وفئات المجتمع كله نحو الصالح العام... وبهذا يكون كذلك القضاء على الأفهام المتعلقة والسطحية على الدين والتدين الانغزالي، الذي يكرّس التخلف والتبعية والانجرار وراء الآخر.³

- علاقة المسؤولية الجماعية بفروض الكفاية: قبل الحديث عن علاقة المسؤولية الجماعية بفروض الكفاية لا بد أولا من:

- تعريف المسؤولية الجماعية: هي شعور الجماعة بالتزامات أخلاقية تجاه بعضهم البعض، وتجاه الإنسانية جمعاء وبتنتائج أعمالهم الإرادية فيحاسبون عليها إن خيرا، وإن شرا على فعلها والعقاب على تركها. ولكن الذي يجب توضيحه أن الإنسان لا يستطيع تحمل مسؤوليته الذاتية بطريقة سليمة، والتزامات

الأصول، الترمثاشي / 125، ط / 1، ت ط / 1420-1999، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الإحكام في أصول الأحكام، الأمدي، 1 / 140، ط / 12 ن ت ط / 1406-1986، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

¹ - نظرية الحكم ومصادر التشريع، أحمد الحصري، 40 / د / ط، ت ط / 1401-1981، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة مصر.

² - أصول الفقه، محمد أبو زهرة، 37 / د / ط، د ت / ط، دار الفكر العربي، بيروت - لبنان.

³ - إحياء الفروض الكفاية سبيل تنمية المجتمع، عبد الباقي عبد الكبير، 40-41، كتاب الأمة، العدد / 105، السنة / 25، ط / 1، ت ط / 2005-1426، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.

الإنسان تجاه المجتمع الإنساني ليست التزامات مفروضة عليه من الخارج، وإنما هي التزامات مرتبطة أشد الارتباط بوجوده الإنساني.¹

- علاقة المسؤولية الجماعية بالواجب الكفائي: تبدو لنا صلة المسؤولية الجماعية بالواجب الكفائي من خلال أمرين اثنين:

- أن القائمين بالواجب الكفائي يتولّد فيهم الشّعور بالالتزام نحو الآخرين، وهذا هو معنى المسؤولية الجماعية.

- قيام البعض بأداء الواجب الكفائي يجعلهم ملتزمين أخلاقياً بنتائج أعمالهم الإرادية، ويصبحون مطالبين ومحاسبين على أدائه، فإن قاموا به فلهم ثواب فعله، وإن تركوه عمّ الجميع إثم تركه، فالواجب الكفائي في حقيقته تكليف ومسؤولية جماعية.

- علاقة فروض الكفاية بالتضامن الإنساني: تبدو لنا علاقة التضامن الإنساني بالواجب الكفائي من خلال تحقيق المقاصد الآتية:

- تحقيق مقصد التكامل بين الأمة الإسلامية، والمجتمع الإنساني: إنّ مقصد التضامن الاجتماعي الإنساني نتيجة مكمّلة لمقصد التعارف، وهما معا يثمران مقصد التكامل بين المؤمنين والأمم الأخرى، ذلك أنّ سنة الله - عز وجل - في خلقه وكونه لا تقتصر على تنوع الناس، وإنما يشمل كذلك تنوع المصادر والثروات الطبيعية، مما يجعل الأمة الإسلامية محتاجة إلى ما لدى الشعوب الأخرى فيحدث التبادل في السلع والخدمات تحقيقاً لمقصد التكامل، وهو مبدأ التخصص وتوزيع العمل² على أساس الكفاءات والاستعدادات والمواهب في كلّ مجالات الحياة وهو حقيقة فروض الكفاية فيما يعمّ مصلحة الإنسانية جمعاء.

- تحقيق مقصد الخلافة العامة للإنسانية في تعمير الأرض: إنّ مقصد التضامن الإنساني من خلال أداء فروض الكفاية هو الدافع لتحقيق مقصد الخلافة العامة للإنسانية في الأرض وهذه الآيات الكريمة دليل على ذلك:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ ﴿٣٠﴾

¹ - الإسلام وقضايا الحوار، محمود حمدي زقزوق، ترجمة: مصطفى ماهر / 261، ط / 1، ت ط / 1423 - 2002 مطابع التجارية، قيلون - مصر.

² - نحو تفعيل مقاصد الشريعة، جمال الدين عطية، / 166.

[البقرة/ 30]، وقوله قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب/ 72].

فالخلافة العامة للإنسانية مطروحة من قبل الإسلام على الإنسانية قاطبة أرضية مشتركة صالحة للتعاون والتضامن الإنساني على أساسها بالرغم من تباين العقائد والأجناس، واللغات، وبديلا وتصحيحا لفكرة شعب الله المختار ولتحقيق الخلافة العامة للإنسان للتعاون في عمارة الأرض. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة/ 177].

سواء في مجال حماية البيئة، أو مكافحة الجريمة، أو مجالات التنمية المختلفة، الزراعية والصناعية، والخدمية وغيرها.¹

فهذه الآيات الكريمة تأمر بتحقيق مقصدي التكامل والتضامن الإنساني للوصول إلى نتيجة حتمية وهي تحقيق مقصد التعاون بين الإنسانية جمعاء، فينبثق من خلال هذه المقاصد التبعية المقصد الأصلي من خلق الإنسان، وهو الخلافة العامة لتعمير الأرض، وبناء حضارة إنسانية.

فالمصلحة العامة للإنسانية دائرة واسعة لأداء فروض الكفاية، فيتحقق بهذه الواجبات البعد الزماني فيما يخص خير الإنسانية في الدنيا والآخرة، والبعد المكاني، فيما يخص مجالات حياتها التي تلتقي عند أصول وكتليات الشريعة الإسلامية.

«إذن، فهو عمل اجتماعي بامتياز من حيث جهة الطلب طلب جماعي، ومن حيث جهة العقاب عقاب جماعي، بل من العلماء المعاصرين من يرى أن الفروض الكفائية هي واجبات اجتماعية تتسع بسعة الحياة الاجتماعية، تؤديها المجموعة بكيفية تضامنية، إذا قام بها البعض سقط التكليف عن الباقين، لا استخفافا بحقها وإنما لداعٍ موضوعي هو انتهاء الحاجة إليه».²

ولتوضيح العلاقة الوطيدة بين الواجبات الكفائية والتضامن الإنساني أكثر، نستدل بمظهر عملي تطبيقي لفروض الكفاية في مجالها الواسع الرحب، وفي دائرتها الإنسانية الحضارية ألا وهو الإغاثة الإنسانية:

¹ - المرجع نفسه، جمال الدين عطية، / 167.

² - العمل الاجتماعي ودوره في التنمية، إدريس بوحوت، مجلة الوعي، العدد / 565، جويلية - أوت / 2012

- الإغاثة الإنسانية مظهر تطبيقي وأ نموذج عملي للواجب الكفائي: إنّ التضامن الإنساني القائم على الإغاثة العالمية، والذي يعين الإنسان في أزمات الحروب والنكبات، والذي يلعب الدور الأهم في محاربة الفقر وتعزيز القيم الإنسانية، هو جدير بتنمية العلاقات الدولية وتعميق التواصل والتعاون الحضاري الإنساني.¹

ونحن إذ نركز في هذا العنصر عن الإغاثة الإنسانية لغير المسلمين لنبرز أكثر الروح الحضارية لقيم ديننا الإسلامي في أنه يتضامن مع المسلم من باب الأخوة الإيمانية، ويتضامن مع غير المسلم ويغيثه من باب الأخوة الإنسانية.

- معنى الإغاثة الإنسانية: بأنها كلّ ما يقدم للمنكوبين والمتضررين من خدمات ومساعدات وإعانات جرّاء وقوع نزاعات داخلية أو خارجية أو وقوع كوارث أو مجاعات بغض النظر عن دينهم أو جنسهم أو جنسيتهم.

- علاقة الإغاثة الإنسانية بالمقاصد الشرعية:

- حفظ الدين : حفظ الدين من حيث الوجود يتحقق بالعمل فيه وتحكيمه ، وتبليغه ونشره والدعوة إليه وإغاثة المنكوبين والمتضررين هو من أهم واجبات الدين ، فعندما يقوم به المسلم ابتغاء مرضات الله فهذا يظهر الصورة الناصعة لهذا الدين ويظهره على حقيقته، وهذا السلوك الأخلاقي القويم هو أكبر دعوة سلوكية للناس في الدخول إلى دين الله دون التلّفظ بكلمة واحدة ، إلاّ أنّه لا يجوز استغلال حالة الناس من غير المسلمين وتقديم العون والمساعدة لهم بهدف إدخالهم في دين الله فهذا يتنافى مع مبدأ حرية الاعتقاد الذي قرّره القرآن في أكثر من موضع. قال سيد قطب في تفسير قوله تعالى²:

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٧٧﴾ [البقرة/ 272].

¹ - دور المؤسسات الخيرية في تنمية العلاقات الدولية والتواصل الحضاري، خالد صالح محمد باحجر، / 5، بحث مقدم إلى المؤتمر الخليجي، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، 20- 22 / 01 / 2008.

² - أهداف الإغاثة الإنسانية في ميزان المقاصد الشرعية محمد حمد عبد الحميد، / 23- 24، بحث مقدم: إلى المؤتمر الدولي الثالث لكلية الشريعة وكلية القانون في جامعة آل البيت، الأردن.

إنّ الإسلام لا يقرّر مبدأ الحرّية الدينية وحده ولا ينهى عن الإكراه على الدّين فحسب. إنّما يقرّر ما هو أبعد من ذلك كلّهُ، يقرّر السّماحة الإنسانيّة المستمدّة من توجيهه الله- سبحانه- يقرّر حقّ المحتاجين جميعاً في أن ينالوا العون والمساعدة- ما داموا في غير حالة حرب مع الجماعة المسلمة- دون نظر إلى عقيدتهم.

ويقرر أن ثواب المعطين محفوظ عند الله على كل حال، ما دام الإنفاق ابتغاء وجه الله. وهي وثبة بالبشرية لا ينهض بها إلا الإسلام ولا يعرفها على حقيقتها إلا أهل الإسلام.¹

- حفظ حياتهم وأنفسهم: بتقديم جهود الإنقاذ اللازمة لذلك، وتقديم المساعدات الغذائية التي تبقيهم على قيد الحياة وخصوصاً في حالات المجاعات، وفي حالات البحث عن المفقودين.

- حفظ أعراضهم: ويكون ذلك في حالات الحروب الداخلية التي تكثر فيها حالات الاغتصاب وذلك بتأمين الحماية اللازمة وتأمين الممرّات الآمنة لخروجهم من مناطق النزاع.

- حفظ أموالهم وممتلكاتهم: بأن لا تنهب وتأخذ منهم ما داموا مسلمين وغير محاربين.

- حفظ عقولهم: وذلك بتوفير فرص التعليم لهم.

- مرتبة الحاجيات: وتحقق برفع الحرج والمشقة والضيق والعنت عن المتضررين

- مرتبة الكماليات و التحسينيات: وتحقق بتحسين أحوال المنكوبين والمتضررين وتسكينهم وإعادة

تأهيلهم ليعودوا إلى سابق حياتهم قبل الكوارث والتّكبات.²

- ضوابط الإغاثة الإنسانية لغير المسلمين:

- عدم الإساءة إلى المغاث: وذلك بالمن عليه بالقول أو الفعل، أو الوقوف معه الموقف السلبي من

الرسالات الأخرى، والنظر إليه على أنه من خصوم وأعداء، أو شتمه وإشعاره بأنه المتفضل عليه... .

- ربط العمل الإغاثي بالدعوة إلى الله: ومما يدلّ على ارتباط العمل الإغاثي بالدعوة إلى الله قوله

سبحانه ﴿ وَإِنَّ أَحَدًا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلَغَهُ مَا أَنَّهُ دَلِيلُكَ عَلَيْهِمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة/ 06].

أي فأجره وأمنه على نفسه وماله، فإن اهتدى وآمن عن علم واقتناع فذاك، وإلا فواجب أن تبلغه المكان الذي يأمن فيه على نفسه، ويكون حراً في عقيدته.³

¹ - في ظلال القرآن، السيد قطب، 3 / 314

² - أهداف الإغاثة الإنسانية في ميزان المقاصد الشرعية محمد عبد الحميد، / 24.

³ - ضوابط إغاثة غير المسلمين في العمل الخير الإسلامي، أسامة علي الفقير الربابعة / 23، بحث مقدم إلى مؤتمر العمل الخيري الخليجي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، دبي -الإمارات العربية المتحدة 20 - 21 / 01 / 2008.

- ضمان عدم إفشاء إغاثة غير المسلم إلى مفسدة: كأن يثبت يقينا أن المغاث ظالم، وأنه يستغل مواد الإغاثة في زيادة ظلمه.

ومنه أيضا أن يثبت أن طالب الغوث يتاجر بمواد الإغاثة، أو أنه يستغلها في تحقيق مآرب شخصية أو منافع ومكاسب ذاتية كأن يحتكرها أو يمنع بذلها إلا بمقابل من مال وغيره ...
ومن صور الإفشاء إلى مفسدة أن يخاف المغيث على نفسه وماله الهلاك والتلف، ومن صور الإفشاء إلى مفسدة إرسال النساء لتولي أعمال الإغاثة من دون ضوابط شرعية، ومن صورها أيضا توكيل الوكالات المشبوهة للمساعدة في العمل الإغاثي.¹

- ضابط مراعاة الأولوية عند تقديم الإغاثة: فإن تساوى طرفان في حاجة إلى الإغاثة وتزاحما على تحصيل الإغاثة، كان صرفها إلى المسلم أولى، فإن لم يستطع بذلها إلى كل مسلم اختص منهم بالقرابة، فإن لم يستطع خصّ من الأقارب الجار الجنب، وهذا من باب مراعاة الأولوية فإذا كانت الأولوية حاصلة بين المسلمين، فحصولها بين المسلمين وغير المسلمين من باب أولى.

ثم إن كان التزاحم بين ذمي مع مستأمن كان الذمي أولى، وإن تزاحم المستأمن مع الحربي كان المستأمن أولى وإن تزاحم حربي كتابي مع حربي غير كتابي، كان الحربي الكتابي أولى وهكذا.²
في المكان الذي هاجر إليه إلى مأمنه، وأمنه في ذلك حتى يلحق بدار المشركين".³

فالإغاثة الإنسانية أنموذج صادق، ومبدأ قيم لعظمة التشريع الإلهي لفروض الكفاية التي شملت المسلم وغير المسلم وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل دورها العظيم في تحقيق مقصد التضامن الإنساني.

- تحقيق مقصد الأمن الاجتماعي: الأمن الاجتماعي هو مطلب البشرية جميعا، فعندما يتوفر لهم الغذاء والصحة، الأمن والعافية، تنطلق كل الإنسانية إلى عالم البناء والتعمير، لكن ما مقومات الأمن الاجتماعي الذي تنشده البشرية في حاضرها ومستقبلها؟

قبل ذلك يجب علينا أولا تبين المقصود بالأمن الاجتماعي.

1- معنى الأمن الاجتماعي: «هو الطمأنينة التي تنفي الخوف والفرع عن الإنسان، فردا أو جماعة في سائر ميادين العمران الدنيوي، بل أيضا المعاد الأخروي».⁴

¹ - المرجع نفسه / 21 - 22.

² - المرجع السابق، / 30.

³ - القرطبي: أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، 8 / 76.

⁴ - الإسلام والأمن الاجتماعي، محمد عمارة، / 12، ط / 1، ت ط / 1418 - 1998، دار الشروق، القاهرة - مصر.

للأمن الاجتماعي مدلولات ذكرها علماء الإسلام نذكر منها:

يقول العلامة الماوربي: «الأمن العام تطمئن إليه النفوس، وتنتشر به الهمم، ويسكن فيه البريء ويأنس به الضعيف فليس لخائف راحة، ولا لحذر طمأنينة... فالخوف يقبض الناس عن مصالحهم ويحجزهم عن تصرفهم ويكفيهم عن أسباب المواد التي بها قوام أودهم، وانتظام جملتهم، والأمن المطلق ما عم». ¹

وقد عبر الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - عن هذه الحقيقة بقوله: «لقد رأيت - بعد تجارب عدة - أنني لا أستطيع أن أجد بين الطبقات البائسة الجوّ الملائم لغرس العقائد العظيمة، والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة، إنه من العسير جداً أن تملأ قلب إنسان بالهدى إذا كانت معدته خالية، أو أن تكسوه بلباس التقوى إذا كان جسده عارياً، إنه يجب أن يؤمن على ضروراته التي تقيم أوده كإنسان ثم ينتظر أن تستمسك في نفسه مبادئ الإيمان، فلا بد من التمهيد الاقتصادي الواسع والإصلاح العمراني الشامل، إذا كنا مخلصين في محاربة الرذائل والمعاصي والجرائم باسم الدين أو راغبين حقاً في هداية الناس لرب العالمين». ²

2- مقومات الأمن الاجتماعي: دعا الإسلام إلى الأمن الشامل وقد قلنا من قبل أن من خصائص الأمن الاجتماعي في الإسلام أنه كل لا يتجزأ يشمل الأمن السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفكري الثقافي وغيرها، والتي تعد من مقومات الأمن الاجتماعي الشامل، ولا يمكن تحقيق أيّا من فروع الأمن بمعزل عن الفروع الأخرى.

- **الإيمان بالله عز وجل:** الإيمان هو اطمئنان القلب بالانتماء إلى الخالق الرّازق، والمنعم والمتفضل والحافظ - أي اطمئنان بالمعينة الإلهية، العاصمة من أي خوف أو فزع أو اغتراب في الدنيا والآخرة. ومن ثم فالإيمان هو أفعال السبيل لتحقيق الأمن بالنسبة للإنسان، وبالنسبة للعلاقات بين الناس

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور / 55]

¹ - أدب الدين والدنيا، أبو الحسن الماوردي، شرح وتعليق: محمد كريم راجح / 157، ط / 4، ت ط / 1405 - 1985 دار اقرأ، بيروت - لبنان.

² - الإسلام وأوضاعنا الاقتصادية، محمد الغزالي، 61 - 62، ط / 1، ت ط / 1987، القاهرة - مصر.

فالإيمان مصل الأمان للإنسان المؤمن، ولمن يتعامل معهم من الناس؛ أي للفرد والمجتمع والاجتماع، ذلك أن الإيمان عندما ترجمه الأعمال الصالحات يحقق الاستخلاف الإنساني لله - سبحانه وتعالى - أي التمكين الذي يحقق الأمن المجتمعي للمؤمنين، ويحقق القوة للمستضعفين، حتى يجعلهم خلفاء الأرض، وأئمتها¹

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرِيدُ أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ أَسْتَضِعُّوهُ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ أَيْمَةً وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص / 05].

فالعلاقة جدلية، والعروة وثقى بين الأمن المادي والروحي على المعاش والمعاد، وبين الإيمان والانتماء لواهب هذه النعم، وإفراده بالألوهية والربوبية، والعبودية والعبادة.

ولحكمة لا تخفى كان الإيمان وثمرته الأمن الفردي والمجتمعي -هما جماع أداء الأمانة التي حملها الإنسان عندما استخلفه الله - سبحانه وتعالى - لعمران الأرض، وفق شريعته، التي هي النور الهادي إلى الإيمان والأمان؛ ولأن الإسلام دين الجماعة، فلقد تميّز وامتاز بإقامة الأمة والدولة، والمؤسسات والمدينة والحضارة.

فكان البعد المجتمعي والاجتماعي؛ أي الأمة والحضارة الذي تتحقق فيه ثمرة الأمن المؤسسة على قواعد الإيمان.²

- **مقوم المشترك الإنساني:** يتحرك البشر في دوائر ثلاث تمثل دوائر المشترك الإنساني، وهي تمثل الحد الأدنى الذي يلتقي عليه أغلب البشر. وتأتي منظومة القيم الإسلامية لتوسيع مساحات تلك الدوائر الثلاث وتمتين علاقات الناس والشعوب عليها، وهذه الدوائر الثلاث هي:

- **دائرة القيم الإنسانية:** فكلّ الناس تبحث عن قيم العدل والسلام والإخاء الإنساني، وكلّ الناس تبغض وتنفر من الجور والطغيان.

إنّ حساسية الضمير الإنساني بتقدّم القيم التي يؤمن بها الناس - كلّ الناس - من أهمّ أسس الأمن الاجتماعي.

- **دائرة المبادئ الدينية:** حيث تدين كثير من شعوب الأرض بديانات تلتقي على قواسم مشتركة مثل الإيمان بالله واليوم الآخر والنبوت والمعاد والحشر، وعلى مشروعية العدل، وعلى حرمة الظلم والجور.

¹ - مقومات الأمن الاجتماعي، محمد عمارة، 10- 11، ط / 1، ت ط / 1430 - 2009، مكتبة البخاري للنشر والتوزيع القاهرة - مصر.

² - المرجع السابق/ 14- 15.

ولما كان مجال التدين هو روح الحضارات؛ فإن الحوار بين أهل التدين يفسح المجال لحوار حضاري أصيل ممتد إلى مختلف المساحات الحياتية، ويوجّه الحوار الحضاري نحو مسارات أكثر إنسانيةً، فيتحقق بذلك الأمن الاجتماعي، ومن ثم الأمن الإنساني.

- **دائرة المصالح المتبادلة:** كقضايا التجارة في المواد الأولية والمصنعة، والطاقة، وحفظ الأمن والسلم الدوليين... وما إليها. فجزء كبير مما يحكم علاقة البشر ببعضهم هو ما يربطهم من روابط مصلحة، وما يجمع بينهم من مصالح مشتركة. وتقوم الرؤية الإسلامية على احترام تلك الروابط وتعميقها، وجعلها تسير في إطار الصالح العام للبشر جميعاً، وفي إطار تحقيق الخير المشتركة للإنسانية جميعاً.¹

فمقوم الإيمان، والمشارك الإنساني يختزلان لنا كل مقومات الأمن الاجتماعي فبالإيمان تتحقق الطمأنينة والأمن والأمان فهو صنوان حماية المجتمع الإنساني من كل دواعي تخريبه، ونشر ثقافة العنف.

والمشارك الإنساني بدوائره الثلاث، من احترام القيم الإنسانية، والمبادئ الدينية، وكذا تبادل المصالح الدنيوية فيما يحقق الاكتفاء لكل المجتمع الإنساني، بهذه القيم والمبادئ يقوى مقصد الأمن الاجتماعي وبالتالي ينجح العمل الاجتماعي الإنساني فيما يخدم خير الإنسانية جمعاء.

فمقصد الرحمة، والكرامة الإنسانية، والتضامن الإنساني، وكذا الأمن الاجتماعي مقاصد للعمل الاجتماعي الإنساني، يتحقق من خلالها تعاون حضاري إنساني في أرقى صورته.

الفرع الثاني: أهم مظاهر العمل الاجتماعي، وعوامل نجاحه

أولاً: أهم مظاهر العمل الاجتماعي

أ - **العمل الخيري والتطوعي الإنساني:** الأعمال الخيرية الإنسانية عنصر جوهري من ممارسات المسلمين الدينية والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية التي تعرف ماهية الأعمال، وتأمّر بالإتيان بها أو تفرضها أو تحثّ عليها كثيرة، وهي لا تستثني غير المسلمين من الحصول على المساعدات الإنسانية.²

فالعمل الخيري الإنساني من أهم مجالات العمل الاجتماعي الداعي لقيم التواصل والتعاون الحضاري الإنساني.

1- تعريفه: عرف العلماء المعاصرين العمل الخيري بتعريفات عدة نذكر أهمها:

¹ - ثقافة التعايش في ظل العولمة، محمد البشير، <http://boostany.hooxs.com/t3120-topic>

² - تأثير الدين الإسلامي على المساعدات الإنسانية، جمال كرافس، / 127، مختارات من مجلة الدولية للصليب الأحمر.

- عرفه الدكتور عبد الكريم بكار: «هو كل مال أو جهد ووقت يبذل من أجل نفع الناس وإسعادهم والتخفيف من معاناتهم وتوسع دائرة الخير لتشمل الإحساس بالآخرين، والتعاطف معهم، والدعاء لهم وتشجيعهم، ورفع معنوياتهم، ومنحهم الرؤية والمنهج وإرشادهم لما فيه خير دينهم وديناهم».¹

فالعمل الخيري الإنساني إذا هو جزء فاعل في العمل الاجتماعي لتحقيق الرفاه الاجتماعي، وكونه خيراً لا يعني أنّ يكون من الناحية الإدارية عملاً فردي متسبب وغير منضبط يقوم على اجتهادات عاطفية فقط.²

- ويعرف الشيخ القرضاوي العمل الخيري، ومنه العمل التطوعي، أيضاً بأنه: «النفع المادي أو المعنوي الذي يقدمه الإنسان لغيره من دون أن يأخذ عليه مقابلًا ماديًا، ولكن ليحقق هدفًا خاصًا له أكبر من المقابل المادي قد يكون عند بعض الناس الحصول على الثناء والشهرة، أو نحو ذلك من أغراض الدنيا، والمؤمن يفعل ذلك لأغراض تتعلق بالآخرة رجاء الثواب عند الله تعالى، والدخول في جنات النعيم، فضلًا عما يناله في الحياة من بركة وسكينة نفسية، وسعادة روحية لا تقدر بثمن عند أهلها».³

2- مشروعيته: لو تأملنا روح نصوص القرآن والسنة النبوية الشريفة لوجدناها ناطقة بفعل الخير والترغيب والحث عليه مع المسلم وغير المسلم من هذه النصوص:

- من القرآن الكريم:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۗ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾ [البقرة/ 148].

فالآية الكريمة لا تأمر فقط بفعل الخيرات، بل ترغب بالمسابقة لعمل الخير، والتنافس فيه.

- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝﴾ [الحج: 77]

فالآية الكريمة ترشد إلى أن فعل الخيرات سبب فلاح المسلم في الدنيا والآخرة.

¹ - ثقافة العمل الخيري، كيف نرسخها وكيف نعممها؟، عبد الكريم بكار، / 14، ط / 1، ت ط / 1433، 2012 دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة - جمهورية مصر العربية.

² - العمل الاجتماعي والخيري، عفاف بنت يحيى آل حريد، الأحد 9 ربيع الأول 1432، www.al-islam.com.

³ - أصول العمل الخيري في الإسلام في ضوء النصوص، والمقاصد الشرعية، يوسف القرضاوي، / 21، ط / 2، ت ط / 2008 دار الشروق، القاهرة - مصر.

هـ - وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [سبأ/ 39]

فالله سبحانه وتعالى خير الرازقين يعد عباده المنفقين للخيرات، بأنه يخلف لهم ما أنفقوه لوجهه خالصا ترغيبا وتحبيبا لهم على العمل الخيري.

و - قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان/ 8-9].

فالله عز وجل يمدح في هذه الآية يمدح عباده المؤمنين الذين يفعلون الخيرات مع المساكين واليتامى والأسرى لوجه الله خالصا لا يريدون جزاء ولا شكرا من أي مخلوق. وكثيرة هي الآيات القرآنية التي تحث على فعل الخيرات لوجه الله سبحانه وتعالى، لكل عباده دون استثناء تحقيقا لمقصد التعاون على البر بين الإنسانية جمعاء، من منطلق صفة الرحمن الرحيم بخلقه سبحانه وتعالى. فهذه الآيات الكريمة من باب التمثيل لا الحصر.

- الأحاديث النبوية: إذا استقرأنا أحاديث الحبيب صلى الله عليه وسلم الداعية للعمل الخيري وجدناها أيضا من الأقوال والمواقف العملية المحسدة لقيم العمل التطوعي نختار منها ما يأتي:

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس].¹

- عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [ما من مسلم يغرس غرسا، أو يزرع زرضا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة].²

- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء].³

بهذا التعميم: "من في الأرض"، وهذا يشمل المسلم وغير المسلم.

¹ - المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق: حمدي عبد الحميد السلفي، 12 / 453 رقم الحديث، / 13646، د / ط، د / ت ط مكتبة ابن تيمية، القاهرة - مصر.

² - رواه البخاري، كتاب المزارعة، فضل الزرع والغرس، 2 / 817، رقم الحديث / 2195، ومسلم، كتاب المساقاة والمزارعة باب فضل الغرس والزرع، 2 / 730، رقم الحديث / 1553.

³ - رواه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الناس، / 439، رقم الحديث / 1922.

وكثيرة هي الأحاديث النبوية الشريفة المرغبة في فعل الخير، للمسلم، ولغير المسلم، ذكرنا بعضها من باب التمثيل لا الحصر.

3- دور المؤسسات الخيرية في تنمية العلاقات الدولية: أمام المؤسسات الخيرية مساحة واسعة وملائمة وفرصة سانحة للقيام بدور إيجابي في تحسين العلاقات الدولية وتنميتها تنمية فعالة تخدم فيه المجتمع الإنساني كله وذلك من خلال:

- **نبيل الهدف وسلامة التعامل:** من وسائل تنمية العلاقات الدولية، والتواصل الحضاري التي ينبغي أن تقوم به المؤسسات الخيرية مع المجتمعات والشعوب غير المسلمة، نبيل الهدف وسلامة التعامل بالوسيلة الناجحة والمؤثرة إيجابيا في تنمية العلاقات الإنسانية، التي تقوم على الجمع بين الهداية والحكمة والموعظة الحسنة، والإصلاح التوجيهي والتشريعي، وكل ما من شأنه أن يسعد البشرية كلها.

- **التدرج البناء:** لكي تتمكن المؤسسات الخيرية من تنمية العلاقات مع الدول الأخرى غير الإسلامية لا بد من أن تكون عبر التدرج؛ لأن دراسة طبائع الشعوب تدلنا على أن محاولة تغيير الرأي العام لأمة من الأمم مرة واحدة عن المبادئ الأساسية، التي صارت بمرور الزمن جزءا من حياة تلك الأمة، أمر لا يمكن تحقيقه إلا بعد مضي زمن كاف لاجتثاث المبادئ القديمة، وغرس بذور المبادئ الجديدة بدلا منها، وعليه فإن تغييرا مثل هذا لا يتم إلا عن طريق التدرج البناء في إيصال الحقيقة عن الإسلام والمسلمين إلى الغرب عبر وسائل الإعلام وغيرها بحسب الظروف والمناسبات.

وبهذا يمكن للمؤسسات الخيرية تغيير الصورة المشوهة عن الإسلام وأتباعه في نفوس وأفكار مواطنيه، وبذر مفردات الصورة الصادقة لدين الإسلام وللمسلمين شيئا فشيئا.

- **التذكير الهادف:** من الأدوات التي تساعد المؤسسات الخيرية في تنمية العلاقات الدولية، وتحقيق التواصل الحضاري¹، تذكير المجتمع الإنساني بشهادات غير المسلمين لعظمة هذا الدين، ولقيم الخير التي نادى بها الحبيب صلى الله عليه وسلم نذكر شهادة عالم غربي لعظمة محمد صلى الله عليه وسلم إنه العالم برناردشو الإنكليزي، له مؤلف أسماه محمد، وقد أحرقت السلطات البريطانية، يقول:

«إنّ العالم أحوج ما يكون إلى رجلٍ في تفكير محمد، وإنّ رجال الدين في القرون الوسطى، ونتيجةً للجهل أو التعصب، قد رسموا لدين محمدٍ صورةً قاتمةً، لقد كانوا يعتبرونه عدوًّا للمسيحية، لكنني اطّلت على أمر هذا الرجل فوجدته أعجوبةً خارقةً، وتوصّلت إلى أنّه لم يكن عدوًّا للمسيحية، بل يجب أن يسمّى منقذ

¹ - دور المؤسسات الخيرية في تنمية العلاقات الدولية والتواصل الحضاري، خالد صالح محمد باحزر، / 24.

البشرية، وفي رأيي أنه لو تولى أمر العالم اليوم، لوفق في حلّ مشكلاتنا بما يُؤمّن السّلام والسعادة التي يرنو البشر إليها»¹.

هي إذا وسيلة من الوسائل التي تنمي علاقة التواصل والتعاون الحضاري مع غير المسلمين عبر المؤسسات الخيرية الإسلامية.

- العناية بتقديم نماذج من سماحة الإسلام: في إطار سعي المؤسسات الخيرية إلى تنمية العلاقات الدولية والتعاون الحضاري مع المجتمع الإنساني، كله يلزمها العناية بتقديم نماذج من سماحة الإسلام من خلال المسائل المتاحة مثل تبادل البر والصلة مع غير المسلمين المشار إليه في **قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَنْهَدِكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** [المتحنة/ 8].
والأمثلة المؤكدة في هذا السياق كثيرة جدا، وكلها تدور حول محور واحد، وتفرض مبدأ ساميا، وهو مبدأ اليسر والسّماحة في الإسلام.

- تفعيل مبدأ التعاون مع هيئات المجتمع الإنساني: من أخصب الفرص والمناسبات لتنمية العلاقات الدولية والتواصل الحضاري أمام المؤسسات الخيرية، تفعيل مقصد التعاون مع الهيئات العالمية في مجالات البرامج والنشاطات المختلفة، والمشاركة في المؤتمرات والتّدوات الإقليمية والمحلية والعالمية الموثوقة، وذلك لتبادل توزيع النشاطات والخبرات بحسب التخصص حتى تتمكّن المؤسسات الخيرية من إبراز تميزها الذي سيؤدي إلى اقتناع الهيئات العالمية بمصادقية ما يصدر عن هذه المؤسسات، وزيادة التّعاون الذي يكشف الصّورة النّاصعة للإسلام التي لم يعرفوها، أو وصلت إليهم مشوّهة .

وفي سياق التّعاون بين المؤسسات الخيرية، وهيئات التعاون الدولية يحصل التّعاون التّقافي بينهما، والتّعريف بمقاصد الدين الإسلامية التي تؤكّد عالميته، وصلاحيته لكل زمان ومكان، وفيه جميع ما تتطلبه الإنسانية والقدرة على استيعاب جميع قضاياها.²

- العمل الخيري والآخر: لعلنا في ظلّ التّحولات والتّطورات المعاصرة، والمحاولات غير المسؤولة التي تقوم بها جهات مغرضة للنيل من صورة الإسلام النّقية الصّافية، سواء في الدّاخل أو الخارج تحتاج أكثر من أي وقت مضى أن نبرز تلك الجوانب المتوقّدة من ثقافة العمل الخيري الإسلامي في العناية بغير المسلم داخل الدار وإسهاماتها في

¹ - الرسول الأعظم في مرآة الغرب، عبد الراضي محمد عبد المحسن، / 60، د / ط، د ت / ط، الهيئة العالمية للتعريف بالرسول ونصرته. ينظر أيضا: لماذا محمد p هو الأعظم، أحمد الديدات، / 27، د / ط، د ت / ط المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع.

² - دور المؤسسات الخيرية في تنمية العلاقات الدولية والتواصل الحضاري، خالد صالح محمد باحجر، / 28.

تعزيز الجوانب العلميّة والمعرفيّة مع دول الجوار، وتمتين الروابط الحية مع كافة المجتمعات الإنسانيّة خارج الديار، فعمل الخير مفتوح في وجه الجميع، أيًا كانت الملة أو النحلة وفق شروط حددها الفقهاء وأهل التخصص، كثير منها قابل للتجديد والتطوير والاجتهاد حسب ما تمليه قاعدة "جلب المصالح ودرء المفاسد".

وأكد أن تفعيل العمل الخير الدولي، يحتاج إلى تشجيع المؤسسات الرسمية والأهلية القائمة على الاهتمام بالأبعاد الدولية للعمل الخيري سواء ما تعلق الأمر بإدارات الأوقاف، ومؤسسات العمل الخيري أو منظمات الإغاثة الإنسانية، أو الجمعيات الأهلية التطوعية التي تعنى بإنجاز المشاريع التنموية المتعددة، بفضل صناديق الزكاة والصدقات والتبرعات ففي تنميتها وتوسيع دائرة فعلها، على المستوي العالمي، وتمكينها من أن تنزل بثقلها الحضاري والإنساني في سد حاجيات الناس أيا كانت مللهم ونحلهم ما داموا لم يحاربوا المسلمين في دينهم، ولم يخرجوهم من ديارهم.¹

فالعامل الخيري العالمي الإنساني وسيلة مثلى لتعزيز وتفعيل مقصد التعاون الحضاري الإنساني بين شعوب العالم وهناك مظهر آخر لا يقل فعالية من وسيلة العمل الخير والذي هو جزء منه ألا وهو الوقف العالمي فماذا نقصد به؟ وما حكمه وأدلة مشروعيته؟ وما المقاصد الشرعية التي جاء لتحقيقها فيما يخدم خير الإنسانية؟ هي نقاط وإشكالات سوف نجيب عنها فيما يأتي:

ب-الوقف العالمي: إن الأوقاف عمل اجتماعي، دوافعه في أكثر الأحيان اجتماعية وأهدافه دائما اجتماعية.

فالأوقاف في الأصل عمل الاجتماعي²، وهو صورة ومظهر من مظاهر العمل الخير والتطوعي الإنساني. وقبل تحديد المقصود بالوقف العالمي لا بد أولا أن نبين معنى الوقف العالمي لغة واصطلاحا، ثم نعرفه باعتباره مركبا إضافيا:

¹ - العمل الخيري الإسلامي بين التأصيل وإمكانات التفعيل، فاتحة فاضل العبدلاوي، / 17- 18.

² - الأوقاف الإسلامية ودورها الحضاري، الماضي والحاضر والمستقبل، عبد الرحمن بن إبراهيم الضحيان، / 99، ط / 1، ت ط / 1421- 2001، دار المآثر للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية.

1-تعريف الوقف العالمي لغة واصطلاحاً:

-معنى الوقف لغة: هو الحبس وهو مصدر وقف، وقف الأرض على المساكين وقفاً حبسها والحبس هو المنع وفعل الوقف يدل على التأييد بحيث أنه إذا قيل: وقف فلان أرضه وقفاً يفهم منه أنه جعلها حبساً لا تباع ولا تورث.¹

-أما اصطلاحاً: وأوجز تعريفات الوقف وأبلغها ما عرف به ابن قدامة المقدسي الوقف بأنه: «تحبس الأصل وتسييل الثمرة»²، وهذا التعريف مأخوذ من قول الحبيب صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه [احبس أصلها وسبيل ثمرها].³

هذا التعريف يتضمن كون أصل المال يصير محبوساً، فيمنع التصرف فيه على صاحبه، وعلى ورثته أو غيرهم ويستفيد من منفعته ومن ثمرته الذين حبس عليهم، من فقراء أو مرضى أو أيتام، أو مجاهدين، أو طلاب العلم أو عابرين للسبيل أو الأرامل، أو نحوهم ممن يحبس عليهم عادة.

والتسييل معناه جعل منفعته واستعماله والانتفاع به مفوتاً في سبيل الله لفائدة الذين حبس عليهم من طرف المحبس وهذه هي الصدقة الجارية كما سماها النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه المعروف⁴: [إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ].⁵

نفهم منه أيضاً، أن روح الأوقاف وشأنها أن يتم تخصيص العقار أو شيء آخر لأعمال الخير لوجه الله، بحيث يبقى الشيء على حاله أما العائدات منه فتصرف في أعمال الخير.⁶

- **العالمي**: صفة العالمي المنسوبة للوقف، هي صفة دالة على مدلول واضح ومحدد ومتميز عن غيره، فهي دالة على كون الواقف جهات عالمية متعددة، وعلى كون الموقوف عليه كذلك.

2-**معنى الوقف العالمي باعتباره مركباً إضافياً**: الوقف العالمي هو الذي يكون الواقف فيه متعدداً عالمياً أي أن يكون لهذا الواقف جهتين أو تشترك فيه عدة دول أو منظمات دولية أو إقليمية أو عدة أشخاص من دول

1 - لسان العرب، ابن منظور، 9/ 359.

2 - المغني، ابن قدامة المقدسي، 8/ 184.

3 - سنن النسائي، النسائي، كتاب الأقباس، باب حبس المشاع، / 560، رقم الحديث / 3603.

4 - الوقف الإسلامي، مجالاته وأبعاده أحمد الريسوني، / 14- 15، ط / 1، ت / ط 1435- 2014، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.

5 - رواه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من ثواب بعد وفاته، 2 / 770، رقم الحديث، 1631.

6 - الوقف الإسلامي الحديث بين تحديات الواقع وضرورة الإصلاح، مهدية أمنوح، / 5

مختلفة، في حبس مال أو أموال يملكونها، تحبس بأحكام وشروط الوقف المعتبرة، مع مراعاة صفة العالمية ومستلزماتها.

وعلى أن هذا الوقف يتميز عن الوقف الجماعي بعنصر العالمية التي تزيد على عنصر الجماعة بالامتداد الجغرافي واتساع دائرة التعامل وتعدد وتعدي المنافع والعوائد الوقفية وقيام الأداء الوقفي على العمل المؤسسي والقانوني والتعاوني الدولي وغير ذلك مما يستجيب للخاصية العالمية الكبرى للعمل الوقفي الخيري العالمي.¹

3- حكم الوقف العالمي وأدلة مشروعيته:

- حكم الوقف العالمي: الأصل في الوقف العالمي الجواز والإباحة. وقد يرقى إلى درجة الندب والوجوب بحسب بعض الاعتبارات الشرعية والواقعية.

ويراد بحكم الجواز والإباحة في الوقف، كونه عملاً مآذوناً فيه من جهة الشرع الإسلامي، وليس محمولاً على المنع والتحریم والحظر، والمكلف فيه مخير بين الفعل والتترك. وهذا هو الأصل في الحكم.

ويراد بحكم الندب في الوقف، كونه مرغّباً فيه ومرشداً إليه، لما فيه من الخير والمعروف والثواب.

أما حكم الوجوب في الوقف العالمي فيراد به، كون هذا الوقف قد يصبح واجباً فعله على القادرين عليه لما في ذلك من المصالح الشرعية المتوقفة عليه، فيكون فعل هذا الوقف بمثابة الوسيلة لمقصدها، والوسائل لها أحكام المقاصد، أو بمقام ما يتوقف عليه الواجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وكل هذا يتحدّد من قبل أهل العلم الراسخين والخفّيين، بحسب الضرورة أو الحاجة إلى فعل الوقف العلمي وإلى ترتيب آثاره وتحقيق مقاصده.

- أدلة مشروعية الوقف العالمي: ومن الأدلة المقررة لهذا التوجه، نصوص الشرع المقررة لعلمية الإسلام

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء/ 107].

وكذلك نصوص الشرع الداعية إلى معرفة الآخر ودعوته وإصلاحه والتعامل معه في مجال النفع العام والخير المشترك والفضائل المعروفة ومن ذلك

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالِى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَلْقَوهُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا

¹ - الوقف العالمي، أحكامه ومقاصده - مشكلاته وآفاقه، نور الدين الخادمي، / 27- 28، مداخلة علمية بالمؤتمر الثاني للأوقاف الصيغ التنموية والرؤى المستقبلية في رحاب جامعة أم القرى بمكة المكرمة في شهر شوال من عام 1427 هـ.

تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ [الأعراف / 85].

فيكون العمل الوقفي على صعيد العالم ضرباً مهماً من ضروب التواصل مع الآخر العالمي، سواء بعونه المادي وتفريغ كربه وقضاء حوائجه، أم بالاشتراك معه في بناء الحضارة الإنسانية وإنجاز العمارة الحياتية، أم بالإفادة بحكمه ومنجزاته النافعة والهادفة، أم بإقامة الحجّة عليه ودفع ذرائعه ودرء لومه ومؤاخذاته، وربما مؤامراته واعتداءاته، وكل هذا يفعل استجابة للتعاليم الإسلامية الداعية إلى الشهادة على الآخر وإصلاحه ودعوته بالحسنى ومجادلته بالتي هي أحسن، وإقامة مبدأ التعارف المذكور في قوله **قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾** [الحجرات / 13].

وإقامة الشهادة على الذات وعلى الناس بما يكون عليه المسلم المكلف من أعمال صالحة وسيرة حسنة وشخصية بناءة ومصلحة عادلة أساسها التقوى والصّلاح في الظاهر والباطن في العاجل والآجل

- من السنة النبوية الشريفة: [إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية...].¹

- الإجماع: الإجماع المنعقد على جواز الوقف، استناداً على فعل الصحابة رضي الله عنهم. وقد ذهب إلى هذا بعض العلماء.²

3-مقاصد الوقف العالمي:

- توسيع دائرة المشاركين، وتكثيف الأنشطة الوقفية، وتكثيف العوائد والمنافع وتكثيرها وتعميمها واستدامتها.
- تنمية رأس المال البشري، بإنجاز التنمية الروحية كالمساجد والعبادة، والتنمية العقلية كالمدارس والتعليم والتنمية الجسمية كالمستشفيات والصحة.
- تحقيق منافع الأوقاف الكبيرة التي لا تتحقق إلا بالوقف الجماعي والإقليمي والدولي والعالمي، لما تتطلبه تلك الأوقاف من أموال كثيرة وإدارة أو إدارات قوية وجهود جماعية وخبرات عالية وقدرة على التنظيم والتنفيذ والمراقبة والتقويم، وهذا كله لا يتاح لأوقاف صغيرة وفردية ومحدودة.
- تأكيد الصفة العالمية للأمة الإسلامية وللفقه الإسلامي، سواء على مستوى الإفادة من الخبرات والمنتجات العالمية إدارياً وتقنياً و اتصالياً واستثمارياً وتنموياً، أو على مستوى الإفادة بآثار الأعمال الوقفية العالمية التي تتسع لتشمل الأمة الإسلامية في العالم كله.

¹ - سبق تخرجه.

² - ينظر: المغني، ابن قدامة، 8 / 186.

ولتشمل غير المسلمين من الأفراد والفئات واطم عات التي قد يصلها خير هذه الأعمال الوقفية، بناء على أن الموقوف عليه يكون مسلما ويكون غير مسلم، لأن فعل الخير والبر والمعروف يشمل كافة الإنسانية. وهذا يؤكد خصائص الرحمة الإسلامية للعالمين وإصلاح العالم وإعمارها بالخير والنور والهداية والصالح

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء/ 107].

- الصمود والثبات أمام تحديات العولمة وآثارها العقدية والثقافية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية، وذلك من خلال التأسيس للعمل الوقفي العالمي الذي يسهم في تحقيق التوازن المادي والاقتصادي وإرساء الفرص الدولية المتكافئة والتقليل من آثار الهيمنة والعولمة والاحتكار العالمي الابتزازي الأناني الموضوع لخدمة الأغراض الفئوية الضيقة والمآرب المذهبية الفكرية الخاصة.
- الإسهام في تحقيق التمكين للأمة واستقلالها الاقتصادي والغذائي والاجتماعي والأمني والتربوي والحضاري بوجه عام إذ إن الوقف العالمي يعد ضربا مهما من ضروب العمل الإنمائي والاستثماري اللازم في تقوية اقتصاديات الأمة وأمنها المالي والتنموي الذي يشكل إحدى الحلقات الضرورية للأمن الشامل أو التمكين العام الذي يبعد عنها التبعية والرضوخ والاستجداء، ويجلب لها الاعتزاز والكرامة والهيبة، ويعيد لها دورها الحضاري الإنساني الرائع.¹

5- أهم مؤسسات الوقف العالمي في العالم الإسلامي: شهد عصرنا الحالي اهتماما متزايدا بالوقف

- العالمي في بعض المواقع والمواطن الموجودة في بعض البلاد الإسلامية والعالمية.
- وهذا الاهتمام، وإن لم يرق إلى المستوى المأمول والمنشود، إلا أنه يشكل تمهيدا ضروريا وأساسا لإنجاح مشروع الوقف العالمي وتفعيله وإدامته. ومن ضروب هذا الاهتمام قيام بعض المؤسسات والمنجزات الوقفية ومنها:
- الهيئة العالمية للوقف التي أنشأها البنك الإسلامي للتنمية.
- صندوق الوقف الخيري في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا الذي أسس كقسم من أقسام الجامعة بتاريخ 15 مارس 1999م.
- الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت التي أنشئت سنة 1993 م.
- هيئة الأعمال الخيرية بدولة الإمارات العربية المتحدة، والتي تأسست سنة 1984 م.
- مؤسسة حميد بن راشد النعيمي الخيرية بإمارة عجمان بدولة الإمارات.

¹ - الوقف العالمي، أحكامه ومقاصده - مشكلاته وآفاقه، نور الدين الخادمي، / 33 - 35.

- مؤسسة الوقف الدولية التي هي موضوع اقتراح حاليا، والتي تضم مشاريع أعمال تتصل ببنك الوقف التعليمي، وجامعة الوقف الإسلامية، وغير.

- مؤسسة الملك فيصل الخيرية.

- الهيئة الخيرية العالمية بالكويت.¹

ثانيا: عوامل نجاح العمل الاجتماعي

أ - عامل التنظيم والتخطيط العمل الاجتماعي:

1- عامل التنظيم في العمل الاجتماعي: يلتقي التنظيم كسمة جمالية مع التناسق، ولكن التنظيم يختص بتناسق الأبعاد، بينما تبقى سمة التناسق عامة حيث تشمل تناسق الألوان بعضها مع بعض أو المادة، أو الصوت. وقد ألمح القرآن الكريم إلى بعض مظاهر هذه السمة أحيانا وصرح ببعضها الآخر أحيانا أخرى، فالصفت، ترتيب وتنظيم وهو سمة جمالية في عالم السماء، وكذلك في عالم الأرض.

فالملائكة مصطفة في أداء عبادتها وبها أقسم الله سبحانه ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝١ ﴾ [الصفات/1]

وقالت الملائكة مبينة مهمتها: **قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا مِمَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ۝١٦٤ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ۝١٦٥ ﴾**

[الصفات/ 164 / 165].

والمسلمون يؤدون صلاتهم بالأسلوب نفسه، تنظيم وترتيب للصفوف لا ثغرات و لا اعوجاج والاصطفاف ليس مقصورا على الصلاة، بل هو مطلوب في عبادات أخرى²، وفي كل عمل يقوم به الإنسان لأن التنظيم في العبادات يلقي بآثاره الإيجابية على حياة الإنسان في كل مجالات حياته الدنيوية، ولعل أهمها مجال العمل الاجتماعي، فعندما تقدم الخدمات الاجتماعية لمستحقيها في أسلوب منظم وجميل ينجح ويثمر، والأروع من ذلك أن ننقل هذه الصورة الناصعة لحضارة الإسلام إلى الآخرين فتتعاون معهم في الشؤون الاجتماعية من خلال الجمعيات ومؤسسات العمل الاجتماعي بأسلوب منظم وحضاري مطبقين نظرية التنظيم في القرآن الكريم فيتحقق بذلك مقصد خيرية الأمة الإسلامية في الدنيا والآخرة، ليصبح مجتمعا إنسانيا متعاوننا على البر والخير كما أمرنا الله سبحانه وتعالى.

¹ - المرجع السابق، / 36.

² - من سمات الجمال... التنظيم، صالح http://www.alukah.net/literature_language/0/64853 / 06

/ 07 / 2016.

2- عامل التخطيط في العمل الاجتماعي: أضحي التخطيط سمة هذا العصر حيث تأخذ به كل المجتمعات في كل نواحي الحياة، فالفرد يخطط لنفسه لتحقيق أهدافه القريبة والبعيدة، وكيف يحقق طموحه الآني والمستقبلي، وكيف يواجه مشكلاته اليومية والمتوقعة باتباع أسلوب التخطيط القائم على العلم والفكر واختيار أمثل الخطوات والعمليات والإجراءات التي تحقق الهدف الذي يسعى إليه.

وقد أصبح التخطيط مؤخرًا مفتاح النجاح نحو المستقبل وتحقيق الأهداف في المجتمعات والدول على اختلاف نظمها السياسية ويتناول مختلف المشاكل والعقبات التي تعترضها نحو الوصول إلى مستوى أفضل مهما اختلفت في تقدمها أو تخلفها.

ويقوم التخطيط الاجتماعي على الفلسفة الاجتماعية للمجتمع مما يجعل مدلوله أكثر شمولاً واتساعاً ليشمل مختلف أنواع التخطيط، كالتخطيط الصحي، والاقتصادي، والتعليمي، والعمراني... وغيرها من الأنواع المتعددة للتخطيط والتي تشمل كل جوانب حياة الإنسان.

والتخطيط الاجتماعي هو أحد الأساليب العلمية التي تستخدمها مهنة العمل الاجتماعي في إحداث تغييرات اجتماعية مقصودة - يتضمّن مجموعة من الإجراءات التي تنظّم العمل به، ويقوم على عمليات فنية يقوم بها خبراء وفنيون ومخططون اجتماعيون بالتعاون مع أفراد المجتمع الإنساني بكل مؤسساته وجمعياته المدنية وقادته من خلال أجهزة التخطيط على مختلف المستويات الجغرافية والوظيفية في إطار خطة التنمية الشاملة للمجتمع العالمي وفي إطار أيديولوجيته السائدة.

العمل الاجتماعي كمهنة يعتمد على التخطيط الاجتماعي باعتباره الوسيلة الأنسب لاختيار الأساليب المستخدمة في العمل المهني الذي يستهدف حل المشكلات ومقابلة الحاجات المجتمعية.¹

هذا التخطيط في العمل الاجتماعي يؤدي إلى تنمية شاملة في إطار يكفل التعاون الوثيق وصولاً للتكامل الحضاري في كل مجالات الحياة بين كل أقطار العالم.²

ب- عامل الاستمرارية: العمل الاجتماعي يقوم على استمرار وجود الحاجة للخدمة على مدار الساعة ولا يحتمل تأجيل الحاجة لها إلى اليوم التالي أو الأسبوع الآتي أو الشهر المقبل، ولذا فإن العمل الاجتماعي يسير القائمين عليه؛ أي أن حجم المسؤوليات هو الذي يسير القائمين عليها، فلا يحتمل العمل الاجتماعي الاعتماد

¹ - التخطيط الاجتماعي، أحمد إبراهيم حمزة، <http://www.massira.jo/content>، 07 / 07 / 2016 .

² - التخطيط للتقدم الاقتصادي والاجتماعي، مجيد مسعود، / 42، سلسلة عالم المعرفة، جانفي / 1978.

على حساب الوقت، بل على تحقيق الهدف، ولذا يتناوب العاملون في العمل الاجتماعي على صورة ودريات لا تترك مجالاً للتأجيل والتسويف.¹

فمبدأ الاستمرارية في العمل الاجتماعي تطبيق عملي لحديث الحبيب صلى الله عليه وسلم: [أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ].²

فالعمل الاجتماعي من الأعمال الصالحة التي يعمّ نفعها كل البشرية، كلما داوم عليه المسلم، كلما ارتقى بالمجتمع الإنساني إلى سلم التكامل والتعاون والتعارف الحضاري في أسمى صورته، وأعظم مظاهره.

عبد القادر للعطوم الإسلامية

¹ - العمل الاجتماعي والحيوي التنظيم، التحديات المواجهة، علي ابن إبراهيم النملة، / 23-24، ط / 2، ت ط / 2014
بيسان للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

² - صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره، / 354، رقم الحديث / 218.

الفصل الثالث

مقصد التعاون الحضاري
الإنساني التنزيل على
الواقع

المبحث الأول: تنزيل مقصد التعاون الحضاري
الإنساني على الواقع
المبحث الثاني: مقصد التعاون الحضاري عوامل
فشله ، وسبل النهوض به

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

الله - عز وجل - لم يترك للبشرية في هذه الحياة أي سبب لشقائها و تعاستها، فشرّع لها مقاصد شرعية تحفظ كيانها من كل الجوانب، تحفظ لها دينها ودينها، عقلها وما لها، نسلها وعرضها وكرامتها الإنسانية، لكن الله العزيز الحكيم الخبير جعلنا أمة مختلفة ليكون الابتلاء والامتحان، وهو القادر على جعلنا أمة واحدة **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَسْتَ لَنْ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٧﴾﴾** [النحل / 93].

وتشاء حكمته أن يقتل قبايل هابيل بعد أن أكرمهم العزيز الحكيم بحرية الإرادة والعلم، لتبدأ رحلة البشرية وفق سنة التدافع بين الحق والباطل إلى يوم الدين **قَالَ تَعَالَى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٥﴾﴾** [المائدة / 30].

من هنا بدأ الإرهاب والقتل، بدأ الكره بدل المحبة، والتفرق بدل التّوحد، والتنافر بدل التعارف.

نعم من هنا بدأ الامتحان الأوّل والأزلي لهذه البشرية، بعد أن بيّن لهم الله - سبحانه وتعالى - العدو الحقيقي ورسخ فيهم قيم العدل والمساواة، والسّلم و الأمان، والرّحمة والتّسامح بينهم ببعثة الأنبياء - عليهم أركى الصلاة والسلام وبعد أن خاطبهم جميعا بقوله **تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾** [الحجرات / 13].

فأبت هذه الشّعوب إلا أن تتنافر، أبت إلا أن تختار الإرهاب والحرب، والعنف والتّطرف عنوانا لتصادمها بدل تعارفها وتعاونها. فعلا، واقع قاتم مهما تحلينا بالموضوعية فلن نستطيع إخفائه شئنا أم أبيناه.

واقع يتجلى للأعمى قبل البصير، وللعمى قبل العالم، ويجعل العالم يعيش في حالة من الذهول والألم

يسأل نفسه ما السبب؟، ولماذا؟ فتجيبه الآية في خاتمتها **﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾**

نعم إن أكرمنا عند الله أتقانا، فعندما يزول حجاب التقوى بيننا وبين الله عزّ وجلّ يفشل تعارفنا وتعاوننا الحضاري الإنساني لأسباب عدّة سنشرحها ونحلّها في هذا الفصل.

المبحث الأول: تنزيل مقصد التعاون الحضاري الإنساني على الواقع

المبحث الثاني: مقصد التعاون الحضاري عوامل فشله ، وسبل النهوض به

المقدمة الأولى

تنزيل مقصد التعاون الحضاري الإنساني على الواقع

تأصيل شرعي لمقصد التعاون الحضاري الإنساني، مواقف متميزة من تراث حضارتنا الإسلامية في فنّ التعامل والتعاون الإنساني مع غيرها، آليات قيّمة من تشريع العزيز الحكيم لتفعيل هذا التعاون الإنساني بين المسلمين وغيرهم، سنن إلهية مساعدة على إنجاح تعارفنا وتعاوننا مع الحضارة الغربية اليوم، ولكن للأسف كلّ هذه الأصول والآليات، وسنن إلهية تكاد تكون منعدمة عند التطبيق العملي، ممّا أدّت إلى ظهور عوامل عديدة وقفت حجرة عثرة في مسيرة التعاون الحضاري الإنساني، من تعصب ديني، وطائفية مقبّية، فجّرت إرهابا علميا يحصد يوميا آلاف الضحايا من مختلف الأعراق والجنسيات، المتضرّر أكثر هم المسلمون في جميع بقاع الأرض . لنستبصر ونحلّل واقع العالم الإسلامي اليوم في تعاونه الحضاري مع غيره ، هل توافق مع نصوص الشريعة ، وروح مقاصدها؟ هل رفع الحرج والمشقة على الأمة الإسلامية ؟ هل حقّق التنمية الاقتصادية لكلّ الإنسانيّة وبالتالي حافظ على كليّة المال التي هي مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية ؟

هل يمكن للأقليات المسلمة أن تكون جسر تواصل والتعاون بين الحضارة الغربية بحكم حقّ المواطنة فيها والحضارة الإسلامية بلد الانتماء والهويّة ؟

باختصار هل يمكن تنزيل كل تلك الأدلة ، دون معرفة واقع مقصد التعاون الحضاري الإنساني اليوم ؟ لذلك كان تركيزي أكثر في هذا المبحث على واقع التعاون الحضاري الإنساني من الجانب العملي الميداني المشاهد اليوم على ساحة العالم الإسلامي والعالم الغربي .

كلّ هذا أدى إلى واقع مؤلم لمقصد التعاون الحضاري الإنساني.

هذا ما سنحاول بسطه وتحليله أكثر في المبحث الآتي وذلك في ثلاثة مطالب وهي:

المطلب الأول: تنزيل مقصد التعاون الحضاري على الواقع الاقتصادي والثقافي

المطلب الثاني: تنزيل مقصد التعاون الحضاري الإنساني على الواقع السياسي والاجتماعي

المطلب الثالث: فقه المواطنة للأقليات المسلمة بالغرب ، التنزيل على الواقع

المطلب الأول

تنزيل مقصد التعاون الحضاري الإنساني على الواقع الثقافي والاقتصادي العالمي

قبل الحديث عن أهم نقاط هذا المطلب لا بد أولاً من تحديد معنى مصطلح الواقع في اللغة والاصطلاح وأهم آليات فهمه.

الفرع الأول : معنى التنزيل الواقع ولغة واصطلاحاً

أولاً - معنى التنزيل لغة واصطلاحاً :

أ- معنى التنزيل لغة : التنزيل لغة من نزل ويعني : الترتيب ، والتنزيل يستعمل في التدرج ، وهو مصدر بمعنى المفعول للمبالغة في الوصف .¹

ب- التنزيل اصطلاحاً : «التنزيل المراد في هذا البحث إنما هو تنزيل الأحكام الشرعية على الوقائع والمستجدات في حياة الناس في كلّ مناحيها : الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية والأخلاقية»²

ثانياً - معنى لفظة الواقع لغة

مأخوذ من الفعل وقع : يقال : وقع على الشيء ، ووقع الشيء ، وقوعاً فهو واقع يدلّ لغة عن سقوط الشيء ، وهو حقيقة في نزول الشيء ، لذلك نقول ، وقع الطائر يقع وقوعاً والاسم الوقعة : نزل عن طيرانه فهو واقع.³

فالواقع في اللغة يطلق ويراد به السقوط، والنزول، والموقع هو مكان وقوع الشيء.

فالواقع إذن : كلمة تجمع بين ما وقع وحصل وخرج للعيان، والحصول عياناً إذن هو الذي يؤكّد الواقع

الذي ربّما عجز الفكر عن توقّعه؛ أي عن تصوّره واقعا عيانياً، ولذلك يفاجأ الإنسان إذا هو لم يحسن توقّع ما سيقع وحين ذلك لا يعود بمقدوره عمل شيء، ولا دفع ذهوله، إذا كان الواقع شديداً.⁴

ثانياً : معنى لفظة الواقع اصطلاحاً

¹ - لسان العرب، ابن منظور، مادة نزل ، 11 / 657 - 658 .

² - فقه مقاصد الشريعة في تنزيل الأحكام أو فقه الاجتهاد التنزيلي ، فوزي بالثابت ، / 22 .

³ - المصدر نفسه ، مادة وقع . 8 / 407 - 408 .

⁴ - لسان العرب ، 8 / 402 .

- عرف الدكتور عبد المجيد النجار لفظة الواقع بقوله: «نعني بالواقع الإنساني ما تجري عليه الحياة في مجتمع ما من أسلوب في تحقيق أغراض ذلك المجتمع، ويدخل في ذلك مجموع الأعراف والتقاليد والنظم، التي تتفاعل فينشأ منها الأسلوب في تحقيق الأغراض وأسلوب تحقيق الأغراض الحياتية يشتمل على عنصر اجتماعي متمثل في بنية الترابط الاجتماعي وطبيعة التنظيمات الاجتماعية التي يمارس من خلالها الأسلوب الحياتي، كما يشتمل على عنصر اقتصادي متمثل في نظام الإنتاج والتوزيع والاستهلاك، وما يجري عليه من قواعد، كما يشتمل عنصراً سياسياً، يتمثل في طبيعة الحكم القائم في المجتمع ونظامه، وعنصراً ثقافياً متمثلاً في أنماط التعبير الفني التي ينتهجها الناس في تصوير آمالهم وآلامهم وأفراحهم وأتراحهم»¹.

فالواقع إذا: الحاصل التنازل المدرك، الذي تجري عليه حياة الناس - فردا كان أو جماعة - في مجتمع ما بمنهج يتبعونه في تحقيق أغراض مجتمعهم، سواء كان موافقا للشرع أو مخالفا، أو مزججا بين الموافقة والمخالفة. أي الحاصل في الواقع سواء كان الحسي أم العقلي، ولكن المراد في هذا المبحث هو الواقع المدرك الحسي لذلك قيد بالتنازل؛ أي على أرض الواقع المشاهد، ولا بدّ من إدراكه بالعقل والحس، وإلا بقي مجهولاً، لا يمكن الاستفادة منه في فهم الواقعة والحدث، وهذا الواقع هو الذي تجري عليه حياة الناس، متبعين منها معيّنا ليحققوا من ذلك أغراضهم في الحياة، وذلك بغض النظر عن حكمه الشرعي؛ لأنّ المراد هو فهم الواقعة وإدراكها، ثم تأتي مرحلة التوجيه في تنزيل الحكم عليها.

هذا الواقع الذي هو مجال التحرك الإنساني هو عبارة عن واقع طبيعي كوني، وأنساق معرفية واجتماعية متشابكة شديدة الترابط ببعضها (دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية وفكرية...) وفهم هذا الواقع وما فيه من وقائع واستيعابها وتبيين طبيعتها وخصائصها كما هي، لا كما نريدها أن تكون.²

ثالثاً - علاقة فقه التنزيل بفقه الواقع: إنّ فقه الواقع يعتبر محلّ التنزيل، فيتمثل نصف الطريق أو نصف الحقيقة، التي توقّف عندها كثير من العلماء في هذا العصر.

فتمّة إذا معادلة ثلاثية الأبعاد متكامل فيما بينها لتنتج تدينا راشدا قوامه تفعيل الخطاب الشرعي، وصياغته صياغة تمهّد بها السبيل لتنظيم حياة البشر، بما يسعدهم في حالهم ومآلهم، ومتغيّرات هذه المعادلة هو

¹ - فقه التدين فهما وتنزيلا، عبد المجيد النجار، / 67.

² - فقه مقاصد الشريعة في تنزيل الأحكام، أو فقه الاجتهاد التنزيلي، فوزي بالثابت، / 56 - 57، ط / 1، ت ط / 1432 - 2011 مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

فقه نصوص الخطاب الشرعي في شكلها المجرد بإعمال قواعد التفسير وأساليب الاستنباط ، وفقه الواقع بعينه وبمعرفة حقيقة وفقه تنزيل النص الخالد على مجريات الواقع المتغيّر المتجدّد باطراد .¹

الفرع الثاني: واقع تنزيل مقصد التعاون الحضاري الإنساني في المجال الاقتصادي العالمي

يدرك أبناء الإنسانية اليوم أنّ العالم ينقسم إلى عالم اقتصادي يقوم على الصناعات الكبرى والشركات الأخطبوطية، وعالم فقير غالبية سكانه موجودون في أفريقيا وأمريكا اللاتينية، وبعض دول آسيا، والعالم الإسلامي طبعاً ينتمي إلى العالم الفقير .

والمرعب في الوضع الدولي أنّ العولمة جاءت لتزيد الفقراء فقراً، والأغنياء غنى، وهذا الانقسام قد يؤدي إلى ازدياد الهوة بين الشعوب وتفجير الكبت والفقير حتى يصبح إرهاباً، وهو حاصل فعلاً للأسف اليوم في كثير من الدول.²

إنّ واقع التعاون الاقتصادي اليوم يمرّ بعوائق عديدة جعلته يئنّ تحت أزمات عديدة أحاول توضيحها أكثر فيما يأتي:

أولاً: عوائق التعاون الحضاري الإنساني في المجال الاقتصادي العالمي

أ- المديونية : عندما سارت البلاد الإسلامية في طريق الاستدانة، كانت قضية المديونيات واضحة المعالم في أنّها مشكلة وليست حلاً، بل هي معبر واسع لأزمات مخيفة، حتى لو روج لها حينها بأنّها مدخل لآفاق التنمية وبعد سنوات طويلة من عمر تلك المديونية لم تحقق هذه الدول شيئاً من التنمية ولا هي أصبحت قادرة على سداد ديونها، فالعجز تلاه العجز، وسداد الدين القديم أصبح يتطلّب ديناً جديداً، وصارت الأرقام تعطي حقيقة الهدر المخيف لموارد الأمة وثرواتها ليصحو أبناءها تحت وطأة دين لم يكونوا طرفاً في أخذه أو إنفاقه، وإن كان يقتطع من أقواتهم سداده.³

¹ - فقه التنزيل مفهومه وعلاقته ببعض المصطلحات ، بشير مولود جحيش / 06 ، ندوة مستجدات الفكر الإسلامي ، الحادية عشر " الاجتهاد بتحقيق ، المناط فقه الواقع و التّوقع ، فبراير 18 - 20 / 2013 .

² - منهج التعارف الإنساني في الإسلام، -نحو قواسم مشتركة بين الشعوب، حسن الباش، ط / 1، ت ط / 2005 منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس -لبنان.

³ - المديونية الخارجية للبلاد الإسلامية: تنمية الاقتصاد أم تنمية التخلف! العددان 258-259، السنة الثانية والعشرون رجب وشعبان 1429هـ، تموز وآب 2008م <http://www.al-waie.org/issues/258-259/article.php?id=2008>

1 - معنى المديونية الخارجية: «إجمالي الديون الخارجية يساوي في تاريخ معين مبلغ الالتزامات التعاقدية الجارية التي تقضي إلى عملية دفع يقوم بها مقيمو بلد لصالح غير المقيمين به، والتي تتضمن الالتزام بتسديد أصول الديون مرفقا بالفوائد أو من دونها أو تسديد الفوائد مع الأصل أو دونه».¹

2- أسباب المديونية الخارجية: تعود مشكلة الديون الخارجية للدول العالم الإسلامي إلى أسباب عدّة أهمّها:

- عدم التّمو الاقتصادي المتكافئ بين الدّول المتقدّمة والمتخلّفة، وبسبب توفّر الثّروات الطّبيعيّة في الدّول المتخلّفة، ورخص الأيدي العاملة فيها، وانخفاض أسعار الأراضي، وتوفّر الأسواق الاستهلاكية الواسعة فقد عمدت الدّول الصناعية إلى تحطيم معظم أنماط إنتاج الدّول غير الصناعية من خلال فرض عمل معين وتخصيصها بإنتاج سلع للتصدير حيث تمكّنت من استنزاف فائض الإنتاج الاقتصادي للدول غير الصناعية وضمنت لها أسواقا لتصريف سلعها الصناعية وأوجدت لها أيضا مواد خام أوليّة بأسعار متدنية.
- الخطط الإنمائية التقليدية التي بدأت بتنفيذها الدول المتنامية منذ بدء استقلالها في الخمسينات والستينات وبداية السبعينات، ولا تزال تستمرّ بها، حتّى أصبحت الأمور التّنموية متشابكة مع بعضها، ومع وجود بنية إدارية مرهنة للخارج عدا عن سوء في توزيع المداخل واتباع أنماط استهلاكية تحاكي أنماط الاستهلاك في الدول الصناعية تمدين عشوائي، وتدني في الإنتاج الزراعي ولا سيما الغذائي منه، إضافة إلى تضخّم الإنتاج الصناعي والرّكود في تصريفه في العالم المتقدّم.²

3- أثر المديونية على العالم الإسلامي: إنّ أسوء حالات الإفلاس التي يمرّ بها الإنسان هي تلك الحالات التي يستدين فيها ليأكل، حيث يتضاعف عجزه في كلّ يوم عن بلوغ مستوى من الحياة الكريمة، وهذا هو حال كثير من الدّول الإسلاميّة التي استمرت الرّبا، ومدّت يدها إلى المصارف والمؤسّسات المالية لتطعم شعوبها.

¹ - دراسة قياسية لأثر المديونية الخارجية على النمو الاقتصادي حالة الجزائر الأستاذ: حتحات محمد رضا / 4
www.kantakji.com/media/3568/7f.doc

² - التنمية في الإسلام مفاهيم -مناهج وتطبيقات، إبراهيم العسل، / 186، ط / 1، ت ط / 1416- 1996 المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت -لبنان.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

إنّ أزمة الديون الخارجيّة، وما يتبعها من جدولة، وإعادة جدولة، وغيرها من العمليّات المتعلّقة بها تؤدّي إلى نتائج مدمّرة لاقتصاد الدّول المدينة، لا سيما إذا كانت الديون مشروطة، ومتمثّلة باستيراد معظم حاجات المدين من الدولة المتقدّمة.

ب - **التبعية الاقتصادية:** التبعية من أهم العوامل التي ساهمت في تحلّف الشعوب التّامية على رأسها العالم الإسلامي. فما حقيقتها؟، وما أهم آثارها السيئة على مقصد التعاون الحضاري الإنساني؟

1 - **حقيقة التبعية الاقتصادية:** «هي اعتماد الدّول المتخلّفة على الخارج في تصريف إنتاجها من سلعة واحدة بصفة جوهرية، وإذا كان هناك من سلع أخرى إضافية فهي ثانوية، وضيقة في حدود تخصّصها، كما أنّ هذه البلدان تعتمد على الخارج في استيراد السلع الأساسية المصنّعة، والمواد الغذائية التي لا تقوّم، أو لا يسمح لها بإنتاجها محلياً، كما أنّ استيراد البلدان المتخلّفة من الخارج للمواد الأساسية، غذائية وصناعية، يرتبط بعملية التّبادل التجاري، وبالحسابات الجارية، وبالارتباطات والاتّفاقات ذات المنفعة المشتركة.

2 - **الوسائل هيمنة العالم المتقدم على الدول المتخلّفة:** تنتهج الدول المتقدمة طرق عديدة للسيطرة على الدول المتخلّفة، وإحكام القبضة عليها أهمّ هذه الطرق:

- سيطرة وهيمنة الأجهزة الأجنبية على مقدّرات البلد المتخلّف، بامتلاكهم بعض الأراضي وتمويل بعض المصانع واستثمار وسائل المواصلات، ومحطّات الطّاقة.
- واستمالة بعض الرّؤساء والفاعليات في البلد، وشراء الصّحف المحليّة عن طريق البنوك وشركات التّأمين المنتشرة في أنحاء البلد.
- عدم تكفّل المصالح الأجنبية في العديد من البلدان المتخلّفة بملكية إنتاج الصّادرات من المنتجات الأوليّة لصالح أسواق البلدان المتقدّمة التي تنتمي إليها شركات البترول في فنزويلا، والمملكة العربية السّعودية والكويت وغيرها¹.

3 - **مفاسد ومساوئ التبعية الاقتصادية:** للتبعية الاقتصادية آثار بالغة الخطورة على مقصد التعاون الحضاري الإنساني يمكن تلخيصها في النّقاط الآتية:

- التّخلف الاقتصادي والعلمي والتّقني عن المراكز والحواضر والدول المتقدمة.
- السّيادة النّاقصة على الأرض والجوّ والبحر، والثروات الطبيعيّة، والأسواق في الإقليم الذي تسيطر عليه الدّولة التّابعة.

¹ - المرجع السابق، / 177.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

- تدبّي مستوى دخل الفرد والبطالة الواسعة في قوّة العمل، مع ارتفاع معدّل الأميّة بين السكّان، وكذلك تحلّف وتدبّي إنتاجية العامل والعمل.
 - سيادة طرق الإنتاج القديمة، وتحلّف التقنيات المستخدمة في الزراعة والصناعة والحرفة، والاعتماد على تصدير المواد الخام والأولية و المنجمية، واستيراد المواد المصنعة والمواد الغذائية، مما أدى إلى عدم تحقيق الأمن الغذائي لهذه الشعوب وتراجع قدرتها على التّمو الدّاتي بالإضافة إلى انحسار القدرة على المنافسة.
 - خضوع سيادتها الخارجية والمالية الاقتصادية للدول المتقدمة ممّا يؤدّي إلى صراعات متعدّدة، كصراع الهوية والقومية والوطنية، والطائفية والعشائرية، والصراع الثقافي، بين ثقافة قديمة موروثه، وثقافة حديثة وافدة، صراع أيضا بين نخب دينية ونخب علمانية، ونخب سياسية.
 - صراع حول الدولة ونظام الحكم حول الدولة الديمقراطية الحديثة، والدولة الشمولية، دولة المستبد، ودولة العائلة والعشيرة ودولة الشعب والديمقراطية.
- هذه الآثار تجعل الدّول التابعة بلا هوية على حافة الحرب الأهلية منهكة القوى في صراعات النخب والطبقات متعثّرة التّمو يهدّدها الإرهاب تحت ذرائع شتى من الدول المسيطرة، منها غطاء حماية أمنها القومي ومصالحها الحيوية.¹
- بهذه الصورة وبهذه الحقيقة، وبهذا الواقع القائم، كيف للعالم الإسلامي المخنوق، والمكبّل للعالم الغربي أن يتعاون حضاريا معه؟

ج - الأزمة الاقتصادية العالمية: الأزمة التي يعيشها العالم، والتي اصطلح على تسميتها باسم الأزمة المالية المعاصرة لم تولد فجأة، بحيث يقال إنّها ولدت في هذا اليوم، أو هذه اللحظة، وهكذا.

هذه الأزمة وأمثالها لا يتلاءم معها هذا التكيف البسيط ذلك أنّ الأمور في هذه الأزمات تكون معقّدة، بل شديدة التعقيد حيث تتداخل فيها أمور اقتصادية مع أمور سياسية، مع أمور عسكريّة (الإنفاق على الحروب التي تشنّها الولايات المتحدة الأمريكية على العالم الإسلامي)، بل تذهب بعض التحليلات للأزمة إلى دخول أمور تتعلّق بالعرق أو الجنس والحضارة الغربية المسيطرة الآن في مقابل حضارات أخرى يمكن أن تصبح لها السيطرة.²

فما معنى الأزمة المالية العالمية، وما آثارها على التعاون الاقتصادي العالمي؟

¹ - الثقافة والتنمية المستقلة في عصر العولمة - التخلف العربي، ثقافي أم ايدولوجي؟ - محمد سعيد طالب، / 85 - 86، د / ط، ت ط / 2005، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق - سوريا.

² - الأزمة المالية العالمية المعاصرة والنظام الإسلامي البديل، رفعت السيّد العوضي / 343، مجلة البيان، العدد بعنوان: مستقبل الأمة وصراع الاستراتيجيات، العدد / 6، ت ط / 1430 - 2009.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

1 - معنى الأزمة المالية العالمية: «هي التدهور الحاد في الأسواق المالية لدولة ما أو لعدة دول، والتي من أبرز سماتها الرئيسية، والذي ينعكس سلبيًا في تدهور كبير في قيمة العملة وأسعار الأسهم، مما ينجم عنه آثار سلبية في قطاع الإنتاج والعمالة وما ينجم عنها من إعادة توزيع المدخول والثروات فيما بين الأسواق المالية الدولية»¹.

2 - أسباب الأزمة المالية العالمية: يمكن إرجاع الأزمة المالية إلى الأسباب التالية:

- الرّيا: لقد ارتبطت بؤادر الأزمة بصورة أساسية بالارتفاع المتوالي لسعر الفائدة من جانب بنك الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي منذ عام 2004، وهو ما شكّل زيادة في أعباء القروض العقارية من حيث خدمتها وسداد أقساطها. وتفاقمت الأزمة بحلول النصف الثاني من عام 2007م، حيث توقف عدد كبير من المقترضين عن سداد الأقساط الماليّة المستحقة عليهم.

وهذه نتيجة طبيعية؛ لأن الرّيا عنصر خفي محفز على التضخم. وقد نبّه اقتصاديون غربيون كبار لهذا الأثر المسيء لكن جشع المؤسسات والأفراد أعمى بصيرتهم بتفضيل المصلحة الفردية بصورة مطلقة على المصلحة الجماعية العالمية.

فالتوسع الهائل في الإقراض لجني الأرباح، دُمّر الاقتصاد، وتزايدت حجم المديونيات حتى صارت أكبر من نمو الاقتصاد الحقيقي نفسه.

- التوسع بالدين: من أسباب الأزمة المالية عملية بيع الديون العقارية وذلك من خلال تجميعها وتحويلها إلى أوراق مالية لا يمكن لأيّ مستثمر في العالم شراؤها - وهو أمر مألوف في الاقتصاد ويسمى توريق الديون التقليدي ومن ذلك حسم السندات والكمبيالات. لكن الأمر توسّع على الصعيد المصرفي الدولي وصيرته مصارف الولايات المتحدة ظاهرة في نهاية الثمانينات سمي: "بجنون الثمانينات" بسبب تكالب المصارف على توريق ديونها وهذا ما يفسّر انعكاس الفشل المالي في السّوق الأمريكية على السّوق الأوربية بشكل مباشر.

وبعبارة أكثر وضوحًا يتمّ تحويل الديون بعد تجميعها إلى سندات ماليّة، ويعمل لها تأمين مخاطر، وتباع كأوراق ائتمانية على شركات استثمارية وعلى مستثمرين، ومع رهن يربط بها.

وهذه القروض الجديدة تقوم بنوك أو مؤسسات مالية تحصل بها على قروض جديدة، وهكذا، حتى تكوّنت أصول مالية ساقطة رديئة، تميمها صعب، وشراؤها عسير.

¹ - الأزمة المالية العالمية: حقيقتها - أسبابها - تداعياتها، وسبل العلاج، على فلاح المناصير - وصفي عبد الكريم الكساسبة / 7، جامعة الزرقاء، كلية علوم الاقتصاد والعلوم الإدارية، / 2009.

- **الإفساد:** والذي تسبب في سقوط شركات التأمين التي تم تأمين السندات عندها.

التأمين على مخاطر الديون الهالكة، فلكي يستغلوا الاحتياطي المرصود تفتقت عقول البعض على بيعها مع التأمين عليها وهذا من أكبر أسباب انهيار شركة (AIG) أكبر شركة تأمين وقد كان لشركات التأمين نصيب كبير من حجم الخسائر إذ أنّها كانت حلقة الوصل بين المقترضين وبين البنوك، فكان المقترضون يؤمنون بملكاتهم في حالة حدوث عجز عن تسديد مستحقاتها، كذلك كانت البنوك تؤمن قروضها كي تضمن تسديد قرضها إذا عجز المقترض عن ذلك!!

- **التوسع في الإنفاق:** وفي مطلع القرن الحادي ونتيجة النفقات العسكرية على الإرهاب والعراق و أفغانستان¹.

3 - آثار الأزمة المالية العالمية على التعاون الاقتصادي الدولي: الاقتصاد العالمي أصبح اليوم بمثابة النسيج العنكبوتي، ما إن ينقطع خيط منه، إلّا وتأثر الجميع بانقطاعه. هكذا هي الأزمة المالية العالمية، إن كانت مصدرها وبداياتها هي الولايات المتحدة الأمريكية، إلّا أنّ اليوم كلّه تذوق الجميع تداعياتها؛ لأنّهم بمثابة النسيج خيوط في النسيج الاقتصادي الأمريكي إذا أرادت أن تعوّض أزمتهما فما عليها إلّا بإضعاف اقتصاديات غيرها خاصّة العالم الثالث.

4- أثر الأزمة المالية العالمية على الاقتصاد العالمي بوجه عام: خسر العالم 50 تريليون دولار من قيمة أصوله المالية خلال عام 2008م، من بينها 9,6 تريليونات دولار في آسيا وحدها بسبب الأزمة المالية العالمية. فيما سجلت اليابان صاحبة أكبر اقتصاد في القارة أول عجز في حسابها الجاري منذ 13 عاما. كما توقع تقرير خليجي أن يبلغ العجز في الحسابات الجارية لدول مجلس التعاون الخليجي ثلاثين مليار دولار خلال العام الجاري، بعد أن كان الفائض أربعمئة مليار دولار في العام الماضي، مؤكّدا أن تداعيات الأزمة المالية بدأت تظهر جلية في الفترة الماضية².

5 - أثر الأزمة الاقتصادية على اقتصاديات العالم الإسلامي خصوصا: انعكست آثار الأزمة المالية على اقتصاديات دول العالم الإسلامي والعربي، التي تملك أسواقا مالية أكثر انفتاحا على الأسواق الدولية، فقد تأثرت بهذه الأزمة باعتبار أنّ عوائد النّفط فيها يشكّل المصدر الأساسي لها، ونظرا لانخفاض أسعار البترول فمن المؤكّد

¹ - الأزمة المالية: أسبابها وعلاجها، علاء شعبان الزعفراني، <http://www.alukah.net/culture/0/89929>

² - تداعيات ونتائج الأزمة المالية العالمية والمنظور الإسلامي لها، عبد الستار أحمد

<http://www.saaaid.net/fatwa/sahm/100.htm>

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

أن فوائدها المالية ستتراجع بما ينعكس على مشاريع التنمية فيها بحجم الاستثمارات العربية الكبيرة في الأسواق المالية الأمريكية.

وتؤكد العديد من المؤشرات وجود مخاطر عديدة ألمت باقتصاديات الدول العربية، وبخاصة الخليجية منها وذلك على عدة أصعدة فمنيت الاستثمارات العربية في الخارج بحسائر ضخمة تقدر بنحو 4.1 تريليون دولار بعضها في شركات الرهن العقاري وبعضها بالبنوك التي أعلن إفلاسها، ثم بيعها لبنوك أخرى.

6 - أثر الأزمة العالمية على العلاقات الدولية: سرعة التطورات المالية والاقتصادية في العالم لا تتيح

التقاط الأنفاس، فالأزمات تتوالى وعمليات الإفلاس شبه يومية وأسعار السلع الأولية، وخصوصا النفط تنهوى نحو القاع في الوقت الذي تتجه فيه الأنظار نحو اجتماعات والقمة العالمية لعل وعسى تسفر عن بارقة أمل للخروج من هذا المأزق.

من هنا أجهت اهتمامات البلدان كافة نحو قمة مجموعة العشرين التي عقدت في واشنطن العاصمة في شهر نوفمبر 2008 في ظل مستجدات اقتصادية عالمية من ضمنها بروز كثير من البلدان الناشئة التي احتلت مواقع مهمة في العلاقات الاقتصادية الدولية كالصين والهند والبرازيل، ومنظومة مجلس التعاون الخليجي، والتي تحاول البحث عن موقع لأجندتها الخاصة المعبرة عن مصالحها، بما في ذلك هذه البلدان في المنظمات الدولية كصندوق النقد والبنك الدوليين.

ولحسن الحظ فإن العالم الإسلامي لم يكن غائبا عن اللقاء الذي يؤسس لنظام مالي عالمي جديد، وذلك من خلال دعوة السعودية لهذا اللقاء، وبما أن السنوات المقبلة ستشهد وضع هذه الأسس الجديدة فإنه من المهم أن تكون للبلدان العربية والإسلامية رؤيتها لهذه التغيرات المرتقبة، وذلك انطلاقا من مصالحها كقوة اقتصادية مؤثرة وخصوصا في مجال الطاقة والصناعات المرتبطة بها.

في هذه الحالة فقط يمكن أن يكون للعالم الإسلامي موقع المساهمة الفعالة في إدارة شؤون العالم المالية والاقتصادية وإذا كانت الأوضاع بعد الحرب العالمية الثانية قد فوّتت هذه الفرصة الآن لاعتبارات عدة، فإن الفرصة الآن مواتية لدور عربي وإسلامي يعكس الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية للعالم الإسلامي في العلاقات الاقتصادية الدولية.¹

¹ - أثر الأزمة العالمية على العلاقات الاقتصادية الدولية، وفيق حلمي آغا - سمير مصطفى أبو مدللة، / 20 - 22، بحث مقدم لجامعة الأزهر بغزة، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

فالأزمة المالية العالمية أَلقت بظلالها على الواقع الاقتصادي العالمي مما أسفر على آثار خطيرة على المجتمع الإنساني عموماً فنصّلها في العنصر الآتي.

ثانياً: خطر الواقع الاقتصادي العالمي على المجتمع الإسلامي

«إنّ شأن العالم الإسلامي أنّه دخل إلى صيدليّة الحضارة الغربيّة طالباً للشّفاء ولكن من أيّ مرض؟ وبأيّ داء؟»¹.

المشكلة العظمى أنّه أصيب بعدوى شديدة بكلّ آفاته الاجتماعيّة والأخلاقيّة، بعد أن تخلّى على قيم دينه وحصانة مبادئه ليستبدلها بتفسيخ الحضارة الغربيّة اعتقاداً منه أنّ هذا هو التّمدن والتّحضّر، فكانت هذه الأزمات الخطيرة بشقيها الاجتماعي والأخلاقي بسبب واقعه الاقتصادي المزري.

أ - الأزمة الاجتماعيّة : لقد ظهرت هذه الأزمات والآثار الاجتماعيّة منذ اللّحظة التي وقع فيها الرّجل المسلم في الأحولة الاستعماريّة، فأصبح العميل المستعبد المستغل للاقتصاد الحديث، دون أن يجد في نفسه وفي تقاليدته، وفي عاداته الوسيلة الكافية لنزع نفسه من تورّطه، وهكذا بدأ عصر الحتمية الاقتصاديّة بالنّسبة له مع بدء العصر الاستعماري، ولم يخلّصه تحرّره السّياسي بصفة عامّة من التورّط الاقتصادي، فإنّ المشكلة أولاً ذات طابع نفسي؛ لأنّ المعنى الاقتصادي لم يظفر في ضمير العالم الإسلامي بالتّموم نفسه الذي ظفر به في الغرب وفي ضمير الرّجل المتحضّر في حياته.

والحق أنّ الاقتصاد في الغرب قد صار منذ قرون خلت ركيزة أساسيّة للحياة الاجتماعيّة، وقانوننا جوهرياً لتنظيمها.

أمّا في العالم المتخلف فقد ظلّ على العكس من ذلك في مرحلة الاقتصاد الطّبيعي غير المنتظم، إنّّه لم يقبل على تطوير واقعه الاجتماعي لما انطوى عليه من نفسية خاصّة منعقدة على الزهد كمثل أعلى منذ قرون. لقد كان هناك عنصر تنافر أساسي بين أوضاع الشخصية الموروثة في البلاد الإسلاميّة، وبين التّكوينات الاقتصاديّة التي وضع أسسها العصر الاستعماري.²

وبهذا الواقع الاقتصادي للعالم الإسلامي، وبهذه العقليّة المتحجّرة في فهمه للزهد، وعدم اكتراثه لأهميّة العامل الاقتصادي في تطوّر المجتمعات وازدهارها، كانت تلك الآثار الاجتماعيّة السيئة من جهل وأمّيّة، وبطالة

¹ - شروط التّهضة، مالك بن نبي، / 41، د / ط، ت / ط / 1406 - 1986، دار الفكر للنشر والطّباعة والتّوزيع بيروت - لبنان.

² - المسلم في عالم الاقتصاد، مالك بن نبي، / 15 - 16، ط / 3، ت / ط / 1420 - 2000، دار الفكر، بيروت - لبنان.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

ومديونية خارجية، وتبعية اقتصادية فكانت تلك الآفات الاجتماعية من مخدرات وانتحار وقتل وسرقة وهجرة غير شرعية وأمراض وأوبئة خطيرة التي تقتل الآلاف من الناس يوميا.

واقع اجتماعي مزرٍ للعالم الإسلامي، أتى له أن يتعاون مع العالم الآخر الذي جعله مكبلاً وتابعا له في كل شؤونه؟!!

ب - الأزمة الأخلاقية: لقد أصبح التطور الاقتصادي اليوم صنم تقدّم له كلّ القرابين من الأخلاق الفاضلة¹ "فالتمرّق لم يصب الضمير العلمي فحسب بل أصاب ضمير الإنسانية المتهيّء لجميع الانفصالات المستعد لضروب المنازعات المشرف على منازل القيامة، ولعلّ في ضمير الغيب مصيرا محزنا ينتظر هذه الإنسانية إذ عساها تعود إلى عهود الكهوف، وقد توحى إلينا القنابل الذرية في الغد بفرق جديد من فنون العمارة، عمارة الحياة في جوّ الأرض، ويومئذ تعيش الإنسانية في أعشاش هائلة تشبه أعشاش عجبية تتفق وخصائص الإنسانية استعاضت عن العقل بالماكينه، وعن المبادئ الأخلاقية بالرقم، وعن الله بما ابتدعته من أساطير"²، ولم ينحو من ذلك العالم الإسلامي اليوم إبان احتكاكه بالغرب فهو يعيش في ظروف صعبة للغاية فعلى مستوى الثقافة فالمسلم فاقد للوعي بذاته ومنظوماته الرمزية إلا ما رحم ربي، وأمّا على مستوى الواقع فإنّ الفقر والجهل والمرض والتشرذم وقلة الحيلة وضعف الإنتاج الحضاري عامة، كل أولئك كان يخيم على أكبر بقاع العالم الإسلامي وهذا كله انعكس على خلق المسلم وفكره انعكاسا سيئا جدا، إذ لا يمكن بحال من الأحوال الفصل بين القيم والأحوال المعيشية، ووسائل كسب العيش والإنتاج والضغوط الاقتصادية التي يتعرّض لها الإنسان.³

«وأيّ كانت وجهة الأمر، فإنّ العالم الإسلامي لا يستطيع في غمرة هذه الفوضى أن يجد هداه خارج حدوده بل لا يمكنه في كلّ حال أن يتلمّسه في العالم الغربي الذي اقتربت قيامته، ولكن عليه أن يبحث عن طرق جديدة ليكشف عن ينابيع إلهامه الخاصّة، ومهما يكن شأن الطّرق الجديدة التي قد يقبّسها.

فالعالم اليوم يعاني من أزمة أخلاقية حادّة نتيجة الإسراف في الحياة الماديّة، وترقيتها على حساب الرّوح فكان نتيجتها بؤس وشقاء للإنسانيّة، وطبقية وعبودية الفقراء للأغنياء».⁴

الفرع الثالث: تنزيل مقصد التعاون الحضاري الإنساني على الواقع الثقافي والفكري العالمي

أولا: الغزو الثقافي ، وأثره على كليّة العقل لأجيال الأمة الإسلامية

¹ - نحو تنمية اقتصادية شاملة، عبد الكريم بكار، / 209.

² - وجهة العالم الإسلامي، مالك بن نبي، / 120.

³ - نحو انطلاقة حضارية شاملة، عبد الكريم بكار، / 157.

⁴ - وجهة العالم الإسلامي ، مالك بن نبي ، / 138 .

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

في هذه النقطة ركزنا بالذات على عوائق تقف حجرة عثرة في طريق العالم الإسلامي لأجل مدّ جذور التعاون الحضاري الإنساني مع غيره، ولكن للأسف العالم الذي يريد أن يتواصل معه ويتعارف ويستفيد كل منها من الآخر قابله بغزو ثقافي وفكري، وكثير منا يستقبلون الغزو الثقافي برضا أو بحماس ينظرون إليهم ثمّ يفتحون الباب على مصراعيه له، فهو في تصوّرهم إنقاذ من التخلّف والضياع.

إنّ التّقدّم العلمي ما يبيّننا منه إلا التّزر، أمّا الطّفح الحيواني والشّتات الاجتماعي فسيل دافق، وهنا مكمن الخطر والمأساة التي نشكو.

أنّ القوى المعادية للإسلام استغلّت التّفوق الحضاري الحديث كي تنال منّا أو تجهز علينا إن استطاعت وهذا التّفوق إن لم يكن من صنع يدها، فقد تمّ في أرضها، وتأثّر بدعايتها ضدّنا.

والعبرة السريعة من هذا الوضع أنّ التخلّف الحضاري جريمة عانينا منها الكثير وما نزال، وأنّ التخلّف يشمل للأسف ميادين شتى ماديّة وأدبيّة.¹

فما حقيقة الغزو الثقافي والفكري؟ وما وسائله؟ وما أثره على مقصد التعاون الحضاري الإنساني؟

أ- **حقيقة الغزو الثقافي:** "يقصد به الوسائل غير العسكرية التي اتّخذها الغزو الصليبي لإزالة مظاهر الحياة الإسلاميّة وصرف المسلمين عن التمسّك بالإسلام، ممّا يتعلّق بالعقيدة، وما يتّصل بها من أفكار وتقاليد وأنماط".²

ب - وسائل الغزو الثقافي لتعطيل العقل المسلم:

1 - الإعلام والدعاية: إنّ تعامل الغرب العسكري والقسري في فترات سابقة مع شعوب العالم برهن عدم فائدته على المدى الطويل؛ لأنّ الشّعوب تواقّة دوماً إلى رفض كل غريب عنها لذلك، وقد ساعد على ذلك التطور التّقني والتّكنولوجي الذي ساد في هذا العصر، ونتيجة لضعف الأطراف غير الغربية، وعلى رأسها العالم الثالث والعالم الإسلامي الخارج من تفكك واستعمار، أصبح هناك تسخير كلي للغرب الذي يمتلك وسائل الإعلام المتطورة لكي تحمل أفكاره وتبثّها وتنشرها في مجتمعاتنا، ضحاً يومياً لأطنان من المعلومات والإعلانات التي ترسخ

¹ - الغزو الثقافي يمتدّ في فراغنا، محمد الغزالي، / 71 - 72، د / ط، د ت / ط، دار الشروق.

² - واقعا المعاصر، محمد قطب، / 182، ط / 1، ت ط / 1418 - 1997، دار الشروق.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

وتعمّم النمط الغربي في مجتمعاتنا، ومع افتقاد القدرة على البثّ المضاد تحوّل هذا الصّخ الثقافي إلى غزو ثقافي بكلّ معنى الكلمة.¹

وهدف أعداء الإسلام من الهجمة الشرسة على العالم الإسلامي من خلال الإعلام والدّعاية هو إدخال المسلمين في حالة من الخدر الشّديد، فحيث لا يستيقظون إلاّ على الضربة القاضية التي ستوجّه إليهم.²

2 - القضاء على الإسلام والتشكيك في قيمه: إنّ توهين الإسلام وإشاعة روح اليأس في النفوس المسلمة وتشويه هذه الصفحات العظيمة الماجدة حتّى يسقط الإسلام فكراً وتاريخاً في نظر أهله، ويتطلّعون إلى مثل أعلى عند أصحاب الحضارة الغارقة والفكر الوثني الزائف مخدوعين بذلك البريق الخادع الذي يتمثّل في الأضواء والشّهوات والأحوال والسّموم التي يتدافع إليها القادمون دون أن يتبيّنوا مواضع أقدامهم.³

3 - تزيويع المسلمين في الكيان الأممي والعالمي: من أساليب الغزو الثقافي، وبثّ روح الهزيمة في المجتمع العالمي عن طريق ثلاث عبارات خدعت الكثيرين، وأصبحت تجري على ألسنتهم في سهولة ويسر دون تبين أبعادها وأهدافها:

الانفتاح الثقافي، التلقيح الثقافي، إثراء الفكر، وكلّ كلمة من هذه الكلمات بحاجة إلى توضيح أخطارها وأعماقها التي تغيب عن الغافلين والمخدوعين.

فالغزو الثقافي لبلاد المسلمين يستهدف إزالة الهوية الإسلاميّة العربيّة إزالة كاملة، وصهر هذه الأجيال في بوتقة الفكر الأممي تحت اسم الحضارة العالمية، والثّقافة العالمية.⁴

4 - التغريب: من أبرز وسائل التغريب انتهجها الغرب لإحكام سيطرته على العالم الإسلام: الاستشراق ووسائل الإعلام والبعثات الدراسية.⁵

¹ - العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، فتحي يكن - رامز طنبور، / 36، ط / 1، ت ط / 1421 - 2000، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.

² - الضربات التي وجهت للانقراض على الأمة، أنور الجندي / 304.

³ - كيف يحطّم المسلمون قيد التّبعية والحصار، أنور الجندي، / 57 - 58، ط / 1، ت ط / 1405 - 1985، مؤسسة الكتب الثقافية.

⁴ - كيف يحتفظ المسلمون بالذاتية الإسلامية، أنور الجندي / 7، د / ط، د / ت ط، دار الاعتصام، مصر.

⁵ - العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، فتحي يكن - رامز طنبور / 39.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

ما يزال المسلمون يقاسون من محاصرة حركة التَّغريب لفكرهم الإسلامي، وهو خلق عقلية جديدة تعتمد على تصورات الفكر الغربي بهدف سيادة الفكر الإسلامي والمجتمع المسلم، ومن خلالها يهدف إلى سيادة الحضارة الغربية وتسويدها على حضارة الأمم الأخرى ولا سيما الحضارة الإسلامية.¹

إنَّ التَّغريب يهدف إلى صناعة أجيال من المسلمين والعرب تحتقر مقومات الحياة الإسلامية والشرقية، وإبعاد العناصر التي تمثل الثقافة الإسلامية عن مراكز التوجيه.

كما تهدف إلى تدمير البطولات العربية الإسلامية والتشكيك في عظمتها، وفي مقدمتها الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، وأبطال الإسلام ومفكره.²

وأخطر محاولات التَّغريب، وضع البديل في مواجهة الأصيل، والعمل على تقديم بدائل سريعة ذات مظهر لامع تحوطها هالة من الدعاية لخلق كلِّ فكرة أصيلة، وتحويل الرأي العام فيها بأسلوب من الإغراء والتزييف تحت مسمى البحث العلمي والعبارة البراقة الخادعة.³

ج - أثر الغزو الثقافي على مقصد التعاون الحضاري الإنساني : إنَّ الغزو الثقافي بشقيه الشيوعي والصليبي، يتحرَّك بقوة وسط أمة نائمة أو تائهة، فهل تصحو⁴ لترى آثار هذا الغزو الثقافي؟

إنَّ الغزو الثقافي رسم سياسة دقيقة بعيدة المدى لتفتيت الكيان الذي سقط في يده، وإماتة خصائص الحياة والإباء فيه فرمى بأوزاره كلَّها على البلاد الإسلامية يحاول محق عروبته، وطمس تاريخها، وتلويث ينابيعها الفكرية والعاطفية حتى تنشأ الأجيال الحديثة عليلة المزاج سقيمة التفكير⁵، وهذا الذي حصل من خلال ما نراه من آثار مدمرة للغزو الثقافي نلخصها فيما يأتي:

1 - التخلُّف العقائدي الذي نشأ عنه تخلف في جميع نواحي الحياة، والمقصود به فساد التصور الصحيح لمقتضى "لا إله إلا الله، واكتفاء بتربيتها دون فهم لمعناها الحقيقي، ممَّا أعطى صورة باهتة عن حقيقة

¹ - كيف يحتفظ المسلمون بالذاتية الإسلامية في مواجهة أخطار الأمم، أنور الجندي، / 39، د / ط، د / ت ط، دار الاعتصام.

² - الغزو الثقافي والهزيمة النفسية، محمد إبراهيم الشربيني صقر، / 15، رابطة العالم الإسلامي، 4- 6- 11/ 1435 - 28 - 30 / 9 / 2014، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية.

³ - كيف يحتفظ المسلمون بالذاتية الإسلامية في مواجهة أخطار الأمم، أنور الجندي، / 39-40.

⁴ - الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، محمد الغزالي، / 86.

⁵ - ظلام من الغرب، محمد الغزالي، / 10، ط / 1، ت ط / 2000، نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مكتبة الإسكندرية - مصر.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

المسلم ودوره في الحياة مع محاولة التشكيك في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله من قرآن وسنة وكذلك إثارة الشبهات حول بعض التشريعات: كالطلاق، والميراث، وحقوق المرأة.¹

2 - اختفاء العديد من التقاليد والعادات العربية والإسلامية الحميدة في البلاد العربية، ولا سيما في مناطق الحضر.

3 - انتشار أساليب الحياة الجديدة للدول الغربية، وفي مقدمتها أمريكا في كل البلاد العربية، وأنماط العلاقات وخصوصاً بين النشء الجديد.

4 - سيادة ثقافة الصورة السمعية والبصرية التي أضعفت الثقافة الشفوية والمكتوبة، ولا سيما لدى الشباب والنشء وتولدت العديد من أدوارها بسرعة وكفاءة علمية لتشكيل شخصياتهم.

5 - التوسع المذهل لأنماط الحياة الغربية في اللبس والأكل والشرب، وفي الزيارات والاحتفال، في المناسبات العامة والخاصة.

6 - تغلغل الثقافة الاستهلاكية بين مكونات المجتمعات العربية والإسلامية وشرائعها، حتى وصلت إلى أقاصي المناطق الريفية النائية، وما يتبع ذلك من تميّط متزايد للسلوك المحكوم بالقيم المادية وملذاتها، والمدفوع بشهوات النفس.

7 - ضعف الالتزام المجتمعات العربية والإسلامية بالقيم الدينية وفضائل الأخلاق، والمعايير الاجتماعية في الحياة العامة والخاصة.

8 - انتشار مظاهر الفردية والأنانية والذاتية والغربة، وما يترتب على ذلك من تراجع صور الانتماء للأسرة والجماعة والمنطقة والقبيلة.

9 - ضعف انتماء النشء والشباب العربي والإسلامي إلى أوطانهم وأمتهم؛ لأنّ تلاشي الزمن والمكان الناتج عن تقنية الإعلام والاتصالات أضعف ارتباطهم بالأرض والأهل والواقع وهمومه، ممّا أدى إلى تزايد انتمائهم في المواطنة العالمية وعلى حساب اندماجهم في الأمة الإسلامية.

10 - تباين نظم التعليم بين تعليم ديني وتعليم حكومي، وتعليم خاص، وبين تعليم نظري وتعليم مهني وتقني.¹

¹ - الثقافة الإسلامية في مواجهة الغزو الثقافي في العصر الحديث، إبراهيم سعيد أبو عقاب، / 15 رابطة العالم الإسلامي، 4 - 6 / 11 / 1435 - 28 - 30 / 9 / 2014، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

هذه الآثار السيئة للغزو الثقافي أدت إلى تخلف العالم الإسلامي مادياً وعلمياً، وأثرت بشكل كبير في بناء أجيال المستقبل للأمة الإسلامية، وهذا الذي سنفصله في العنصر الآتي:

ثانياً- مفاصد التخلف المادّي والعلمي للعالم الإسلامي :

أ - التخلف المادي في العالم الإسلامي: إنّ تخلف العالم الإسلامي عن مواكبة المنهج الرّباني وضعف ارتقائها إلى مستوى الالتزام المطلوب به هو العامل الأساسي الذي يولّد كلّ أنواع التخلف المادّي الذي تعاني منه المجتمعات الإسلامية اليوم وسنسلط الأضواء في النقاط الآتية على بعض الجوانب المادية للحياة الإسلامية المعاصرة لعلنا نستطيع وضع أصبعنا على موضع الألم، ولعلنا بذلك نساهم في عرض صورة موجزة عن الحالة الإسلامية الراهنة.²

من مظاهر التخلف المادي للعالم الإسلامي ما يأتي:

1 - الجهل: ممّا يؤسف له أنّ أشدّ أنواع الجهل الذي نعاني منه هو الجهل بديننا حيث لا يعلم السواد الأعظم الأساسيات في دينهم على مستوى العقيدة والشعائر، ومعرفة الحلال والحرام فضلاً عن الجماليات والآداب مع أنّ روح الاعتزاز بالإسلام موجودة لكن عدم العناية بمنهج التربية الدّينية في أكثر الدّول الإسلامية أدّى إلى هذه الحالة المتكرّرة.³

هذا الجهل جعلنا نستورد من الحضارة الغربية كل المادّيات، ونستخدمها في واقع حياتنا دون ضوابط شرعية فانعكس سلباً على تعاوننا وتواصلنا؛ لأنّ العالم الإسلامي أصبح مكبّلاً بالتبعية والمديونية للعالم الغربي كما ذكرنا سابقاً.

2 - الفقر: في عصرنا هذا احتلّت مشكلة الفقر، مكاناً فسيحاً في عقول النّاس وقلوبهم، واتّخذها المخربون والهدّامون أداة لإثارة الجماهير، والتأثير عليهم وكسبها إلى جانب مذاهبهم اللادّينيّة الباطلة بإيهاهم أنّها في صفّ الضّعفاء، وفي خدمة الفقراء وساعد على ذلك جهل المسلمين بنظام الإسلام، وتأثرهم بالدّعيات

¹ - العولمة والتربية آفاق مستقبلية، أحمد على الحاج محمد، / 106 - 107، ط / 1، ت ط / 1432 - 2011 سلسلة كتب الأمة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر.

² - نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، عبد الكريم بكّار، / 68، ط / 3، ت ط / 1432 - 2011، دار القلم دمشق - سوريا.

³ - المرجع نفسه، / 70.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

المضلّة، التي مسحت صورته وشوّهت جماله مستغلّة في ذلك الواقع الكئيب لحياة المسلمين، والأفهام الخاطئة لبعض علمائهم في عهد الانحطاط.¹

وقد تجلّى خطر ظاهرة الفقر على حياة العالم المتخلف عموماً، والمسلمين خصوصاً اليوم في جوانب عدّة أهمها:

1 - خطر الفقر على العقيدة: فلا شك أنّ الفقر من أخطر الآفات على العقيدة، وبخاصّة الفقر المدقع الذي يجانبه ثراء فاحش، وبالأخص إذا كان الفقير هو الساعي الكادح، والمترف هو القاعد المتبطل.² هذا الانحراف العقدي الناشئ عن الفقر أدّى إلى أمور لا تحمد عقبها في العالم الإسلامي، أكثرها ظاهرة الانتحار والقتل وكذا انتشار الجريمة بشكل كبير، مما أدى إلى ظهور حالة من الفوضى و اللأمن.

2 - خطر الفقر على الفكر الإنساني: إنّ العطالة أدّت إلى عطالة اليد، ثم أخذت عطالة اليد تزيد في عطالة الفكر، وسيطر على كثير من المسلمين نمط الإنفاق الذي يصل إلى حدّ التبذير نتيجة سيادة الشكّلية والمظهرية والخضوع لبعض العادات والتقاليد، وصاحب ذلك كلّه خمول وتقاوس عن العمل ليؤدّي ذلك كلّه إلى أن يصبح السواد الأعظم من الشّعوب الإسلامية فقيراً، وأصبحنا نعاني من سوء التغذية والبطالة، والديون المتراكمة على اقتصادنا المنهك في الأصل.

وهذا كلّه خروجاً عن السنن التي ارتضاها الله - تعالى - لهذه الأمة من الشّهادة على الناس والقوامة على الأمم.

3 - خطر الفقر على الأخلاق: أثر الفقر المدقع في أخلاق كثير من المسلمين اليوم و سلوكياتهم فتفشّت فيهم أمراض خلقية عديدة مثل: الدّل، وفقد الثقة في النفس، والرّشوة والتّحايل والحسد.³ هذا الفساد العقدي والفكري والأخلاقي بسبب الفقر في العالم الإسلامي، أكيد أدى إلى مظاهر و سلوكيات أخطر، أمراض وأوبئة سوء التغذية، ومن ثمّ انحرافات قضت على معالم الجمال في كلّ قيمه ومبادئه.

كما عطّلت عجلة التنمية في العالم الإسلامي، وشوّهت صورته لدى العالم الغربي، أفقدته أهم مبادئ التعامل التجاري وهو مبدأ الأمانة والصدق والإخلاص، وبانعدامه استحلت المسلمون اليوم التعامل الرّبوي بكل

¹ - مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، يوسف القرضاوي، / 4، ط / 1، ت ط / 1406 - 1985، مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.

² - المرجع نفسه / 14.

³ - نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، / 80 - 83.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

صوره، وأصبحت معظم بنوكم تسيّر على أساس الفائدة، فكان المحق والتخلف، والتراجع القهقري للعالم الإسلامي في كلّ مجالات حياته وليس المجال الاقتصادي فحسب عالم بهذه الأوضاع كيف يتعامل اقتصاديا مع غيره وفق ومقاصد الشريعة الإسلامية!¹

ب - التخلف العلمي للعالم الإسلامي، وأثره على مقصد حفظ العقل لأجيال الأمة:

1 - الأسباب المادية لتخلف المسلمين اليوم علميا وتقنيا: هناك أسباب عديدة ساهمت في تخلف المسلمين علميا أهمّها:

- تمزّق العالم الإسلامي المعاصر إلى أكثر من 57 دولة ودويلة، بالإضافة إلى أقليات منتشرة في الدّول غير الإسلامية، تفوق أعدادها مئات الملايين في بعض الدّول كما هو الحال في كلّ من الهند والصين، واتّحاد جمهوريات الروسية، ممّا أدّى إلى تفتيت المقومات المادية للعالم الإسلامي وإلى تشتيت الطاقات البشرية للمسلمين اليوم في وقت أخذ العالم الاتجاه إلى التّوحد في تكتلات بشرية.

- تفشي الأميّة بين نسبة كبيرة من المسلمين البالغين في هذا العصر: تفتّت الأميّة بين المسلمين البالغين أكثر من 15 في هذا العصر بصورة مزعجة تتراوح نسبتها بين 50% و70% بمتوسط حوالي 58% بينما تقلّ نسبة الأميّة عن 2% من دول الشّمال، ولا تتعدّى هذه النسبة 45% في المتوسط في دول العالم الثالث بصفة عامّة، وهذا يعني بوضوح أنّ أعلى نسبة للأميّة بين البالغين في العالم في الدّول الإسلامية المعاصرة.¹ وأمة هذا واقعا بالنسبة لأبسط متطلبات المعرفة الإنسانية، لا يمكن لها أن تحرز تقدّما في أيّ مجال ناهيك عن مجال العلوم والتّقنية الذي يحتاج عقولا مستنيرة.

- إهمال دراسات العلوم والتّقنية في العالم المعاصر: إمّا بسبب كثرة ما نحتاجه من تجهيزات ومختبرات وأجهزة ومعدّات، وما وصلت إليه تكلفة ذلك في هذه الأيام من المبالغت في ظلّ تفشّي الفقر في غالبية الدّول الإسلامية، وبسبب انطلاق البحث العلمي عند غير المسلمين من منطلقات ماديّة بحتة، تنكر أو تتجاهل كلّ ما وراء المادّة، بينما الإيمان بالغيب يشكّل لبّ العقيدة الإسلامية أو للسببين معا.

- قيام مختلف المؤسسات العلمية والتّقنية في دول العالم الإسلامي المعاصر على أنماط مستوردة، لا تنبع من عقيدتها و تراثها، ولا من حاجات أفرادها ومجتمعاتها ممّا أدّى إلى غرابة هذه المؤسسات، وبين تحديد الأهداف واضحة وخطط محدّدة لعملها، حالت كذلك دون قيام خريجيها بواجباتهم كاملة في مجتمعاتهم، فعلى الرّغم من

¹ - قضية التخلف العلمي والتّقني في العالم الإسلامي المعاصر، / 165، ط / 1، ت ط / 1427 - 2006، مكتبة وهبة القاهرة - مصر.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

بلوغ عدد الجامعات في دول العالم الإسلامي المعاصر أكثر من 250 جامعة بالإضافة إلى 500 معهد علمي عال وحوالي 1000 من مراكز البحوث، إلا أنّ هذه مع هيئات تدريسها، و خريجها لم تتمكن بعد من تحقيق نهضة علمية وتقنية حقيقية تعين على جبر الهوة الكبيرة بيننا وبين الدول المتقدمة في هذا المجال.

- استمرار اعتماد المسلمين على جامعات الغرب والشرق في تكوين طاقاتهم العلمية المتخصصة، دون محاولات جادة لتأسيس قواعد ذاتية راسخة للبحث العلمي وتطبيقاته في العالم الإسلامي.

- انعدام التخطيط والتنسيق والتعاون بين مختلف المؤسسات العلمية والتقنية في العالم الإسلامي المعاصر مما أدى إلى تفتيت الجهود وتكرارها في خطوط قصيرة متوازية لا يستطيع الوصول إلى الهدف.

- عدم وجود الحوافز المادية والمعنوية الكافية للمنشغلين بالبحث العلمي والتقني في مختلف دول العالم الإسلامي المعاصر على الرغم من إنشاء عدد من الحواجز العلمية الكبرى مؤخرًا، لكن للأسف تظلّ قليلة بالنسبة للمشتغلين بالبحوث العلمية والتقنية مما صرف الناس عن هذه التخصصات، وأدى إلى هجرة كثير من العلماء مراكزهم.

- عدم توفر وسائل البحث العلمي والتقني من الأجهزة والمواد والمعدات المتطورة في كثير من دول العالم الإسلامي المعاصر مما أدى إلى تخلف البحوث العلمية والتقنية في غالبية الدول الإسلامية المعاصرة على الرغم من وجود أعداد من العقول النابجة والقادرة على العطاء.¹

- اعتماد الجامعات والمعاهد التقنية ومراكز البحوث في كثير من دول العالم الإسلامي المعاصر على أعداد كبيرة من الأساتذة والفنيين الغربيين.

- عملية تمييز الأجانب على كل من المواطنين والوافدين من العرب والمسلمين في جامعات ومعاهد ومراكز بحوثه أدى تأهيل أقلّ الناس كفاءة لحمل أمانة المسؤولية والقيام بتبعاتها.

- اعتماد الدول الإسلامية على الاستيراد أساسًا من الدول الأخرى بدلًا من التكامل فيما بينها مما أدى إلى خنق كثير من النشاطات الصناعية والزراعية في العالم الإسلامي، وإلى استنزاف أموال المسلمين واستغلالهم وارتباك اقتصادهم وابتزازهم، وفرض السيطرة عليهم من قبل الدول الكبرى وتكتلاتها الصناعية والزراعية والتجارية المختلفة.

2 - الأسباب المعنوية لتخلف المسلمين اليوم علميا وتقنيا: بالإضافة إلى الأسباب المادية لتخلف

المسلمين اليوم علميا وتقنيا هناك أيضا أسباب معنوية ساهمت بدورها في هذا التخلف نذكرها بإيجاز:

¹ - المرجع السابق / 172 - 176.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

- الشّعور الدّاخلي عند كثير من المسلمين المعاصرين، قيادة وأفرادا بالانهزام والتّخلف والضعف أمام التّكتّلات العالمية الكبرى وقد أدّى ذلك بغالبية أبناء الأُمَّة الإسلامية إلى الشّعور بالعجز عن الوصول إلى أيّ صورة من صوّر التّقدّم العلمي أو التّقني أو الإداري إلا بمساعدة هذه التّكتّلات العالمية.

- الهزّة السّحيقة الّتي تفصل قلة من المثقّفين عن السّواد الأعظم من الأميين وأشباه المتعلّمين، وذلك يمكن أن يؤدّي إلى تثبيط الهمم وإعاقة لعجلة التّقدّم، وتصدع في جسد الأُمَّة.

- غياب البيئة الصّالحة للتّقدّم العلمي والتّقني في ظلّ الاستبداد السّياسي الّذي يسود معظم دول العالم الإسلامي اليوم فالّتقدّم العلمي والتّقني بصفة خاصّة يحتاج إلى البيئة الّتي توفرّ حرّيّة الفرد وتصون كرامة الإنسان.

هذه الأسباب مجتمعة أو متفرّقة كانت وراء تخلف المسلمين المعاصرين علميًا وتقنيًا، وهذه الأسباب الّتي ذكرناها من قبيل تشخيص الدّاء بحثا عن الدّواء لا من قبيل تثبيط الهمم وإطفاء الحماسة، فالأُمَّة الإسلامية على الرّغم من ذلك كلّها لا تزال تملك من القدرات البشريّة والماديّة والروحيّة ما يؤهلها لقيادة الإنسانية وإنقاذها من الهاوية الّتي تردّي فيها اليوم خاصّة بيدها نور القرآن، وهدى خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.¹

فإذا حقّقت ذلك استطاعت أن تتعاون مع غيرها وفق مقاصد الشّريعة الإسلامية، فيما يخدم خير الإنسانية جمعاء تعاونًا متفاعلاً، تعاونًا من منطق القوة والقيادة، والشّهود الحضاري؛ لأنّ ديننا دين الإيمان والعلم ونخضة هذه الأُمَّة لن يكون إلا بهما.

المطلب الثّاني

تنزيل مقصد التعاون الحضاري الإنساني على الواقع السياسي والاجتماعي

واقع التعاون الاقتصادي والفكري والثقافي آثاره منعكسة على واقع التّعاون والسّياسي والاجتماعي، وهو بدوره تعترضه عوائق عدّة، نحاول توضيحها أكثر في هذا المطلب بإذن الله

الفرع الأوّل: واقع تنزيل مقصد التعاون الحضاري الإنساني في المجال السياسي الدولي

أولاً: أهمّ مؤسسات التعاون الحضاري السّياسي الدولي في العصر الحاضر

¹ - قضية التّخلف العلمي والتّقني في العالم الإسلامي المعاصر، زغلول النّجار، 179 / 184.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

إن طبيعة عالمية الإسلام تدعو إلى الاتصال بالحضارات والأمم الأخرى، فمادامت الأمة الإسلامية تحمل رسالة حضارية إلى الأمم الأخرى غير مسلمة يفرض عليها الشرع الاتصال مع هذه الأمم تأثيراً وتأثراً، والتفاعل يقتضي التجديد المستمر والتنويع الدائم.

لكن الإشكالية التي تطرح نفسها: هل للأمة الإسلامية مؤسسات للتعاون السياسي على الساحة الدولية في الوقت الحاضر؟ وهل العالم الغربي استطاع أن يتواصل ويتعاون سياسياً معنا من خلال منظمته " منظمة الأمم المتحدة؟ وهل حققت مقصد التعاون الحضاري الإنساني فيما بين شعوب العالم؟ كل هذه الإشكالات سنحاول الإجابة عليها فيما يأتي:

أ - مؤسسات التعاون السياسي الدولي في العالم الإسلامي "المصالح والمفاسد": وقد بدأ العالم الإسلامي نضاله عن طريق العمل السياسي بعد أن مزق الغرب كيانه إلى دول إقليمية منفصلة موزعة بين قواه الاستعمارية والإنجليزية والفرنسية، والإيطالية واليهودية، وفي ذلك الوقت بدأت الدعوات القومية في الظهور وقامت اتحادات على هذا الأساس القومي بعد أن أوهم الاستعمار البلاد العربية في ظل الجامعة العربية بمساعدة الإنجليز وقامت اتحادات أخرى لتعزيز التضامن الحضاري بين الأمة العربية الإسلامية.

ولعل أبرز هذه المؤسسات التي تنشط دولياً في حلّ القضايا السياسية لدول العالم الإسلامي خصوصاً مجلس التعاون لدول الخليج العربي، منظمة المؤتمر الإسلامي، رابطة العالم الإسلامي نبذوها بـ:

1 - التعاون السياسي من خلال جامعة الدول العربية "الحقيقة والواقع":

- ظروف نشأة جامعة الدول العربية: في عام 1945 من شهر مارس وقع ممثلو الدول العربية الست " سوريا لبنان الأردن، والعراق، العربية السعودية ومصر " ودخل تاريخ النفاذ في 5 / 5 / 1945 فكانت النشأة التي رافقتها الإيرادات الآتية:

- إرادة الفكر القومي، مما جعلها تخضع لمحددات تفرض عليها، ألا يصدر عنها قرارات تتناقض مع عقيدة النظام العربي.

- إرادة الأقطار الأعضاء مما يجعلها تخضع لمحددات تفرضها الأقطار لكي لا تتمادى الجامعة في التعبير عن الفكر القومي أو الحد من صلاحيات الدول الأعضاء.

- إرادة أو إيرادات البيئة الدولية مما يجعلها عرضة لتدخلات متواصلة من البيئة الدولية للتأثير على التوجهات والتوازنات السياسية العربية.¹

¹ - جامعة الدول العربية -مدخل إلى المستقبل - مجدي حماد، 35، د / ط، ت / ط 1428 - 2007، عالم المعرفة، مطابع السياسة الكويت.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

إنّ هذا التناقض الرئيسي الذي لصق بالجامعة منذ نشأتها كان سببا في أزمة الثقة التي نشبت واستمرت بين الجامعة والرأي العام، رغم أنّها وضعت ركائز لها في العمل السياسي.

- أهم ركائز التعاون السياسي لمنظمة الجامعة العربية:

- تنسيق الخطط السياسية بين الدول العربية.
- تسوية المنازعات التي تنشأ بين الدول العربية بطرق سلمية.
- إقامة نظام للأمن الجماعي العربي لحماية الدول العربية من أي عدوان خارجي.
- واقع حال التعاون السياسي في جامعة الدول العربية: إن الجامعة قد حققت نتائج إيجابية في الفترة التي قامت فيها فقد حصلت دول على استقلالها، وانضمت إلى الجامعة، ولكن بعد استقلال الدول العربية ورحيل الاستعمار بقيت المنازعات تنمو في جسم الأمة العربية، وتحول دون وحدة شعوبها.¹
- لقد أصبح دور الجامعة معدوما على الساحة العربية والدولية، وخاصة في هذه الأيام العصبية التي تمر بها الأمة الإسلامية والعربية، لقد أضيفت إلى قضية فلسطين، العراق والسودان، سوريا ومصر، ولبنان عالم تمزقه الحروب والطائفية والفتن وعدم الأمن والاستقرار، فأظهرت هذه الأزمات حقيقة ممثلي الجامعة العربية ومهانتهم وعدم إخلاصهم للقضايا العربية، ناهيك عن القضايا الإسلامية، وهو ما يثبت التبعية، ولعل السبب في إخفاق الجامعة العربية ودورها تجاه التعاون العربي، أن الزعماء العرب وقعوا فيما يسمى الآن بلعبة الأمم، والكل يعمل لحساب مصلحته سواء الرأسمالية أو الشيوعية.

هذا هو السبب الظاهر في تفتيت الوحدة السياسية في العالم العربي، وبالتالي فشلت الجامعة العربية في تحقيق التضامن في المجال السياسي.

وهكذا تاهت الجامعة في خضم الصراعات السياسية، فلم تستطع أن تبرز الشخصية الإسلامية الدولية في توجيه الجنس البشري إلى القيم والمثل الحضارية، ولم تكشف النقاب عن الوجه الإسلامي الصحيح للرسالة الإسلامية، واكتفت بذلك الدور الهزيل... شجب، واستنكار...

ولا شك أنّ الجامعة العربية بهذا الوضع لن تحقق للأمة الإسلامية العزة والقيادة، والاستخلاف في الأرض ذلك؛ لأنّ وعد الله باستخلاف الأمة مشروط بشرط صريح لا يرتبط بذاتية الأمة بقدر ارتباطه بالعقيدة والرسالة التي تنتشر بحملها وهذا أمر لم تتضمنه أهداف الجامعة.²

إنّ هذا يعتبر نكوصا عن الشرط، ونقضا لعهد الله وميثاقه، تبدو آثاره فيما تعانیه الأمة من فشل، وضعف وهوان هذا الفشل الذريع يقابله اتحاد أوربي مسيحي، لإحكام السيطرة على الإسلام والمسلمين، حتى أخذ هذا الاتحاد

¹ - المرجع نفسه - مجدي حماد، 35 - 36 .

² - التضامن الدولي في النظام الإسلامي، رشدي أبو شبانة الرشيد، / 454 - 456، ط / 1، ت ط / 1429 - 2008 دار اليقين للنشر والتوزيع، المنصورة - مصر.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

اسم " الأسرة الأوربية" لغرض التّحدي الاستعماري، واستيعاب الأمة الإسلامية وإجبارها على التسليم للواقع الدوليّ الرّاهن بظلمه واتجاهاته¹

فالتّعاون السّياسي في العالم الإسلامي من خلال منظمّة جامعة الدّول العربيّة لم تحقّق مقصد التّعاون الحضاري الإنساني بين الدّول الإسلاميّة العربيّة وهي تحمل نفس المبادئ والتّروابط والقيم، فما بالك بأن نتعاون حضارياً مع الدّول غير الإسلاميّة وهي الأخرى تحكّم خناقها على العالم العربي والإسلامي.

2 - التّعاون السّياسي من خلال منظمّة المؤتمر الإسلامي " الطّموح والواقع":

- ظروف نشأتها: نشئت المنظمة في الرباط بالمملكة المغربية في 25/9/1969م 12/7/1389هـ بعد انعقاد أول مؤتمر لقادة العالم الإسلامي عقب المحاولة الصهيونية الآثمة لحرق المسجد الأقصى الشريف في 1969/8/21 والتي أدانها العالم أجمع.

وبعد ستّة أشهر من هذا الحدث، في شهر مارس/آذار 1970 (محرم 1390)، عقد أول مؤتمر لوزراء خارجية الدول الإسلامية في جدّة بالمملكة العربيّة السّعودية، تمخّض عنه تشكيل الأمانة العامّة لمنظمّة المؤتمر الإسلامي لتأمين التّنسيق بين الدّول الأعضاء. كما عين المؤتمر أميناً عاماً للمنظمّة واختار مدينة جدّة لاستضافة مقرّها المؤقت إلى حين تحرير القدس الشّريف ليتمّ نقل الأمانة العامة إليه حينئذ ويصبح المقر الدائم للمنظمة.

تضم منظمة المؤتمر الإسلامي في عضويتها 57 دولة إسلامية اتفقت على المشاركة في الموارد وتوحيد الجهود والتحدث بصوت واحد لحماية مصالحها وتأمين التقدم والرّفاهية لشعوبها ولجميع مسلمي العالم... وقد قامت الدول الأعضاء بانتخاب البروفيسور أكمل الدين إحسان أوغلو، تركي الجنسية، أميناً عاماً للمنظمة في عام 2004.²

- أهم ركائز التّعاون السّياسي لمنظمّة المؤتمر الإسلامي " الطّموح لتحقيق الأهداف":

- الدعوة إلى عقد مؤتمرات القمة على مستوى الرؤساء والزعماء، لتتسق الجهود واتخاذ الآراء الموحّدة في المشاكل والقضايا التي تواجه العالم الإسلامي، وإحباط مكائد أعداء الإسلام الذين يبتغون جذور الفتنة والشقاق في صفوف الدّول الإسلاميّة.

- العمل على إجراء مشاورات دائمة على مختلف المستويات بين الدول الأعضاء لتهيئة المزيد من الدعم والتعاون والوحدة والعمل السياسي المشترك.

¹ - المرجع نفسه ، / 454 - 456.

² - منظمة المؤتمر الإسلامي النشأة والأهداف، <http://rtv.gov.sy/index.php?p=100032&id=48147>

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

- العمل على إقامة محكمة إسلامية دولية للسير على تنفيذ ميثاق التضامن الإسلامي، وتثبيت دعائمه والتّصدي لحلّ أي مشاكل قائمة بين الدول الإسلامية، أو تقوم بينها في المستقبل.
- إقامة علاقة وثيقة بينها وبين جامعة الدّول العربية لتنسيق المواقف في كافة القضايا السياسية مع تبادل المعلومات بينها وتحقيق الوحدة والانسجام في الرأي في كافة الموضوعات التي تمم كليهما.
- إقامة علاقة تضامن بينها وبين منظمة الوحدة الإفريقية، وذلك من منطلق المصالح والتّطلعات التي تستهدفها كليهما.¹

- واقع حال التعاون السياسي في منظمة المؤتمر الإسلامي: والحق أنّ منظمة المؤتمر الإسلامي قد تصدّت منذ نشأتها للعديد من المشكلات التي واجهت الدّول الأعضاء فيها في علاقاتها المتبادلة نجحت في بعضها، وأخفقت في الأخرى، ومن المشكلات التي أخفقت فيها على سبيل المثال النزاع الجزائري المغربي حول الحدود، إذ تجاهلت المنظمة هذا النزاع تماما ولم توله أي اهتمام من جانبها، وقد حققت المنظمة قدراً من النجاح في حدود إمكاناتها وهامش الحركة المتاح لها في حالات أخرى كالصراع العراقي الإيراني والنزاع السنغالي الموريتاني... إلخ.²

وعلى الرغم من القرارات التي تصدرها المنظمة في دعمها للدول الأعضاء، وإدانة العدوان والتدخل الأجنبي ضدّ العديد من الدّول الإسلامية فإنّ هذه القرارات اكتفت بتقديم الدّعم المعنوي فقط دون الدّعم المادّي، ولم تترجم هذه التّصوص إلى واقع ملموس في حين مازالت دول أعضاء المنظمة تتعرض للعدوان عليها والتدخل في شؤونها.³

فبدت المنظمة سلبية في المواقف التي أثرت وتؤثر في وحدة الأمة الإسلامية، بل إنّها تستخدم كأداة لتبرير سياسات الدول الإسلامية تجاه المشكلات التي تعترض الأمة الإسلامية، والتي تمارس فيها الضغوط الخارجية على

¹ - التضامن الدولي في النظام الإسلامي، رشدي أبو شبانة الرشيد، / 482- 483.

² - منظمة المؤتمر الإسلامي: الممكن أفضل من الواقع!، د / محمد شوقي
<http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/9480fefe-7efe-4c89-9d64-522bdea14e81>

³ - التعاون في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي، مذكرة ماجستير، من إعداد الطالب: فؤاد بلخير / 87، بإشراف: عبد القادر البعيرات جامعة الجزائر يوسف بن خدة - كلية الحقوق، فرع: القانون الدولي والعلاقات الدولية، 1430- 2009.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

سياسات تلك الدول¹، ثم إن معظم القرارات الصادرة عن المنظمة يعود تنفيذها إلى رغبة الدول الأعضاء، وإرادتها وتقديرها وفقا لأنظمتها السياسية والدستورية، وكذلك إلى حسن نيتها ورغبتها في تنفيذ التزاماتها.

ونتيجة للخلافات والتناقضات المتعددة والقائمة بين الدول الإسلامية فإن كل منها يعمل على تنفيذ قرارات المنظمة بالشكل الذي يريد، ووفق ما يخدم مصالحه وأهدافه.

إن التخلف الذي تعاني منه الأمة الإسلامية مرآته الكاشفة له مثل هذه المنظمات التي تملأ الدنيا صحبا ولا تقدّم حلاً، ولا تشفي عليلاً.²

فهي إزاء المشكلات التي تتخبط فيها الأمة الإسلامية لا تملك سوى لغة التّنديد والشّجب مثلها مثل أختها جامعة الدول العربية.

فإذا كانت هذه المنظمة عاجزة على تحقيق التضامن والتعاون فيما بين أعضائها فقط، فكيف لها أن تكون آلية فعالة ومؤثرة في تحقيق مقصد التعاون والتكامل الحضاري الإنساني بين كل شعوب العالم؟!.

قد ذكرنا أنموذجين من نماذج التعاون السياسي في العالم الإسلامي من باب التمثيل لا الحصر، وخلصنا إلى أنه مازال بعيدا عن طموحات وأهداف الأمة الإسلامية في تحقيق مقصد التعاون والتضامن الإنساني بين شعوب العالم، وهذا يدفعنا للحديث عن منظمة علمية الغربية نصبت نفسها وصية على شعوب العالم، من أولى أهدافها تحقيق الأمن والسلام العالمي من خلال تعاون الشعوب وتضامنها فيما بينها، إنها منظمة الأمم المتحدة. فما حقيقة هذه المنظمة؟ وهل استطاعت أن تحقق مقصد التعاون الحضاري الإنساني بين الشعوب من خلال آلية عملها السياسي؟

ب- التعاون السياسي بين العالم الإسلامي والغربي من خلال هيئة الأمم المتحدة

1- منظمة الأمم المتحدة الميلاد والنشأة: لم ينكر المجتمع الدولي أهمية التنظيم العالمي رغم فشل عصبة الأمم المتحدة في تحقيق الأمن والسلام العالميين أعقاب الحرب الأولى فبدأت الساسة، وعقلاء العالم التفكير من جديد في إنشاء تنظيم دولي آخر يكون أكثر قوة وتنسيقا، فتوالت التصريحات من جانب دول الحلفاء ضد دول المحور أهمها إعلان موسكو في 30 أكتوبر من عام 1943³، فقد نص هذا الإعلان على النص الآتي:

¹ - التضامن الدولي في النظام الإسلامي، رشدي أبو شبانة الرشيد، 493/.

² - موقف منظمة المؤتمر الإسلامي من قضية القدس، مذكرة ماجستير، إعداد أوهيبة خديجة، / 153، بإشراف محمد عدة جلول جامعة وهران، كلية العلوم الإسلامية والحضارة، قسم التاريخ وعلم الآثار، تخصص علاقات دولية، 2008-2009.

³ - المنظمات الدولية، دراسة فقهية وتأصيلية للنظرية العامة، والتنظيم الدولي والأمم المتحدة والوكالات المتخصصة والمنظمات الإقليمية جعفر عبد السلام، / 185، د/ ط، د / ت ط، دار النهضة العربية، القاهرة - مصر.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

وتعترف الدول الأربعة بضرورة العمل على إنشاء منظمة دولية عامة في أسرع وقت ممكن تقوم على أساس المساواة السيادية بين كل الدول المحبة للسلام، وتكون مفتوحة العضوية لمثل هذه الدول صغيرها وكبيرها من أجل الحفاظ على السلم والأمن الدوليين".¹

وفي جوان 1945 وقعت جميع الدول المشاركة في مؤتمر سان فرانسيسكو وعددها 50 دولة على الميثاق بعد الاتفاق على صيغته النهائية، ودخل حيز التنفيذ في 24 أكتوبر من نفس العام، بعد قيام أغلبية الدول المؤسسة وجميع الدول الكبرى دائمة العضوية في مجلس الأمن بإيداع أوراق العضوية للتصديق، وهكذا بدأ نشاط الأمم المتحدة في 10 جانفي 1946 حيث عقدت أول اجتماع لها بلندن، وتمت الموافقة على أن تصبح نيويورك مقرا دائما للمنظمة الجديدة.²

2- أهدافها: تضافرت عدة عوامل أدت إلى المطالبة بضرورة إيجاد منظمة عالمية تختلف عن عصبة الأمم التي فشلت في تحقيق أهدافها، أو ما أدى إلى اجتماع الدول الكبرى المتحالفة ضد دول المحور، واتفقت على مجموعة من الأهداف والمبادئ الآتية:

- حفظ السلم والأمن الدولي، وتحقيقا لهذه الغاية تتخذ الهيئة التدابير المشتركة الفعالة لمنع الأسباب التي تهدد السلم وإزالتها وتقمع أعمال العدوان وغيرها من وجوه الإخلال بالسلم، وتتذرع بالوسائل السلمية وفقا لمبادئ العدل والقانون الدولي لحل المنازعات الدولية التي قد تؤدي إلى زعزعة السلم أو لتسويتها.
 - إنماء العلاقات الدولية الودية بين الأمم على أساس احترام المبدأ الذي يقضي بالتسوية في الحقوق بين الشعوب بأن يكون لكل منها تقرير مصيرها وكذلك اتخاذ التدابير الأخرى الملائمة لتعزيز السلم العام.
 - تحقيق التعاون الدولي على حلّ المسائل الدولية ذات الصبغة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية وعلى تعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعا، والتشجيع على ذلك بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين، ولا تفرق بين الرجال والنساء.
 - جعل هذه الهيئة مرجعا لتنسيق أعمال الأمم وتوجيهها نحو إدراك هذه الغايات المشتركة.³
- فهل حققت هيئة الأمم المتحدة أهدافها؟

¹ - الأمم المتحدة في نصف قرن - دراسة في تطور التنظيم الدولي منذ 1945، حسن نافعة، / 63 العدد 202، سلسلة عالم المعرفة 1978 الكويت.

² - المرجع نفسه / 74.

³ - مستقبل الأمم المتحدة في ظل النظام الدولي الجديد، -مذكرة ماجستير، / 10- 11، / 10- 11 سلامة الماجد الفلايلة إشراف د / مازن العقيلي، / 10- 11، تخصص العلاقات الدولية، قسم العلوم السياسية، جامعة مؤتة، / 2007.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

3 - واقع مقصد التعاون السياسي الحضاري في ظل منظمة هيئة الأمم المتحدة: قبل أن نبين واقع مقصد التعاون الحضاري الإنساني في ظل هيئة الأمم المتحدة لا بد لنا أولا من مقدمات تسهل لنا تحديد هذا الواقع بدقة نبدوها ب:

- حقيقة نشأة هيئة الأمم المتحدة: وليدة اليهودية العالمية وأدواتها التنفيذية من ماسونية وصهيونية وجمعيات يهودية أخرى خلق عصبة الأمم بعد الحرب الكونية التي دبروها وخططوا لها لتقرر تهويد فلسطين ولتشرف على تنفيذ تلك العملية الإجرامية ودبر اليهود وخططوا للحرب الكونية الثانية، وبعد انتهائها خلقوا الأمم المتحدة لتقوم بالمرحلة الثانية في جريمة فلسطين، وهي إصدار قرار تقسيمها وإنشاء دولة اليهود في فلسطين فالجمعيتان من صنع اليهودية العالمية، وهما وسيلة من وسائلها للسيطرة على العالم، فالأخطبوط اليهودي ينشب أظفاره في كيان الأمم المتحدة، ويوجه نشاطها إلى المصلحة اليهودية العالمية.¹

- الخداع حكام المسلمين بهيئة الأمم المتحدة: اتجه الساسة المسلمون بقلوبهم إلى المنظمات الدولية حتى بعد أن رأوا بأعينهم أن المرحومة عصبة الأمم المتحدة لم تقم بتطبيق مبادئ ولسن أربعة عشر، بل انصرفت إلى توزيع انتدابات ومحميات جديدة فلم يفيدوا بذلك درسا عمليا، بل تكررت المهزلة في ثقة جديدة بميثاق الأطنطبي وهيئة الأمم المتحدة فانعقدت الجمعية العامة بقصر شايبو والقادة مازالوا منهمكين في مدح المنظمة الجديدة، وفاض طوفان الأساطير على ألسنتهم ليغمر الضمير المسلم بأبحرته المخدرة.²

نعم وبقي الحكام العرب مشدودين إلى هذه المنظمة رغم واقع عدم العدل الذي يرونه بأم أعينهم في كيفية تعاملها مع قضايا العالم الثالث عموما وقضايا العالم الإسلامي خصوصا، فها هي فلسطين تزداد كل يوم قضيتها تعقيدا وجرائم بني صهيون لا حسيب عليها ولا رقيب، تجرد من السلاح، ومنظماتها المقاومة إرهابية بحكم قرارات الأمم المتحدة، لتلحق قافلة الدول العربية الإسلامية بأختهم فلسطين، من العراق إلى مصر وسوريا، وإلى تونس والصحراء الغربية... .

فأين هدف السلام العالمي الذي تريده هيئة الأمم المتحدة تحقيقه؟!

وأين هو هدف إنماء روح العلاقات الدولية الودية بين الأمم على أساس احترام المبدأ الذي يقضي بالتسوية في الحقوق بين الشعوب؟! ونحن نرى القوي فيهم يأكل الضعيف، وخيرات شعوب العالم تستنزف من

¹ - خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، عبد الله التل، / 118، د/ ط، د / ت ط، دار القلم.

² - وجهة العالم الإسلامي، مالك بن نبي/ 104.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

طرف الدول الكبرى وكلهم يملكون حق الفيتو داخل منظمة الأمم المتحدة يفعلون ما يشاؤون بالأمم المستضعفة خاصة في قارة إفريقيا.

أين هو التطبيق العملي لهدف تحقيق التعاون الدولي على حلّ المسائل الدولية ذات الصبغة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية؟!، ونحن نشاهد واقعا مؤلما للشعوب العالم المكبلة بالديون لفائدة البنوك العالمية مما زادها بؤسا وفقرا وشقاء، وتبعية لا حدود لها، انعكست سلبا على أوضاعها الاجتماعية، والثقافية والإنسانية. إن هيئة الأمم المتحدة بعيدة كل البعد عن تحقيق مقصد التعاون الحضاري الإنساني في المجال السياسي طالما يتحكّم فيها أخطبوط الكيان الصهيوني.¹

ثالثا: واقع التعاون السياسي من خلال المنظمات الدولية

يعتبر التعاون السياسي في إطار المنظمات الدولية المعاصرة جزء من الرؤية في إطار التفاعل الإسلامي مع أطرافه ومؤسّساته وعلى رأسها، المنظمات الدولية. ولا شك أنّ التطبيق العملي لهذا المنظور يواجه مجموعة من الإشكاليات والتحديات الخاصة في ضوء معطيات حالة العجز والضعف العربي والإسلامي الذي يعيشه بعضها داخلية أي ناتجة من البيئة الإسلامية نفسها وبعضها خارجية مرتبطة بواقع المجتمع أو النظام الدولي المعاصر أو طبيعة المنظمات الأولية ذاتها: وفيها يأتي أهمّ هذه الإشكاليات والتحديات:

أ - الواقع السياسي الداخلي:

- 1 - حالة الضعف والتفكك والانحطاط الذي يعيشه العالم الإسلامي، ومن المعروف أن أيّ حقّ أو منظور حضاري ليس لديه قوة فعلية له على أرض الواقع فلا صوت مسموع له.
- 2 - ضعف محدودية جهود الباحثين وصنّاع القرار في بناء وصياغة النظرية أو المنظومة السياسية الفكرية الدولية للدولة الإسلامية المعاصرة في العالم الإسلامي للتعامل مع مستجدات العلاقات ومفاهيمها الحديثة وبالطبع هذا لا ينفي وجود أطر شرعية إسلامية في مجال العلاقات الدولية أو الخارجية ترشد في هذا المجال.
- 3 - شبه غياب للإرادة السياسية العليا في العالم الإسلامي لممارسة المنظور الإسلامي في العلاقات الدولية بغض النظر عن الدوافع والأسباب وراء هذا الواقع.

¹ - المرجع نفسه ، / 104

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

4 - أدت البنود الثلاثة أعلاه إلى شبه غياب لعملية تدويل المنظور والقيم والمبادئ السياسية الإسلامية وضعف نشرها في المجتمعات الإنسانية والمنظمات الدولية، وهو ما أضعف تأثيرها على صعيد الممارسة والتطبيق.

ب - مفاصد الواقع السياسي الخارجي:

1 - هيمنة السياسة الغربية على العالم الإسلامي: الهيمنة الأحادية القطبية للمنظومة السياسية الغربية على النظام الدولي المعاصر على حساب تعزيز التعددية الحضارية والسياسية في هذا النظام، وهذه الهيمنة عملت على محاولة جعل العالم الإسلامي يقع ضمن التبعية، أو ما يطلق عليه الإلحاق الحضاري الذي يقوم على محاولة فرض تبعية العالم أو الحضارة الإسلامية وخضوعها للمنظومة أو الحضارة الغربية، من ناحية أخرى إن فلسفة الهيمنة أو الإلحاق الحضاري جعلت الحضارة الغربية تعمل على تقديم تجربتها التاريخية ومعاييرها وسياساتها على المجتمع الدولي وعلى سلطة القرار¹ فالعالم الإسلامي اليوم يعيش مرحلة الاستعمار الحديث وهو استعمار أخطر وأدهى من الاستعمار الأول؛ لأنه يريد تحطيم عقيدة وهوية الأمة الإسلامية بكافة الوسائل والسبل، ويرمي إلى السيطرة على الشعوب الإسلامية عن طريق الهيمنة السياسية المباشرة وغير المباشرة.²

2- ظاهرة الخوف من الإسلام: ظاهرة "الإسلام فوبيا" الناتجة عن عدّة عوامل منها الإرث التاريخي الصراع بين المسلمين والأوروبيين، مثل سوء الفهم، وصناعة الصورة النمطية السلبية تجاه العرب والمسلمين وأيضاً دور المصالح والدوافع السياسية لدى بعض القوى والأطراف الفاعلة والمؤثرة في قرارات المنظمات الدولية الكبرى خاصة فيما يتعلق بقضية فلسطين الذي لا يزال الوضع المأساوي غير القانوني يلقي بظلاله على العالم أجمع فهو السبب الرئيس في تدهور الأحوال وفي تهديد الأمن والسلم الدوليين ليس منطقة الشرق الأوسط، وإنما في العالم أجمع، وهو أخطر أزمة تهدد العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب، في الحاضر والمستقبل مما يضعها أمام مفتاح الأزمة الدولية المتمثلة في انسداد الأبواب أمام تسوية عادلة لها في إطار الشرعية الدولية، تردّ الحقوق المشروعة إلى الشعب الفلسطيني بقيام دولته المستقلة بعاصمتها القدس.³

¹ - المنظور الإسلامي تجاه التنظيم الدولي المعاصر -مقاربة نظرية -، سامي إبراهيم الخزندار، مجلة دفاتر السياسة والقانون العدد / 11 / 06 / 2015.

² - حاضر العالم الإسلامي، تاج السر أحمد حران، / 55 - 57، ط / 1، ت / ط 2001، إشبيليا للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان -المملكة العربية السعودية.

³ - العالم الإسلامي والغرب، التحديات والمستقبل، عثمان بن عبد العزيز التويجري / 14، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، 1428 - 2007.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

وبدون ذلك سيبقى مقصد التعاون الحضاري الإنساني بيننا وبين العالم الغربي أعرج لا يؤتي ثماره.

3 - العولمة المعاصرة وآثارها على مقصد التعاون الحضاري الإنساني: إن النّظام العالمي المعاصر الذي تجسده موازين القوى في المؤسسات الدولية والممارسات الواقعية فإنه في الحقيقة نظام غربي يمثل الطور المعاصر للنظام الاستعماري الغربي الحديث ويمارس الهيمنة والاستغلال ضد أم حضارات الجنوب وفي مقدمتها الأمة الإسلامية.

إنّ عالمية أيّ نظام لا يمكن أن تتحقق إلاّ إذا راعت موثيقه ومؤسّساته الخصوصيّات الحضاريّة والعقدية والثقافية للأمم والحضارات المتميّزة في هذا العالم.

والمؤسّسات الدوليّة لا يمكن أن تكون دوليّة حقا إلاّ إذا راعت المصالح العادلة لمختلف الدّول التي تتمتع بعضوية هذه المؤسّسات.

تراعي ذلك في التمثيل بالمؤسّسات العامة والفرعية، وفي اتخاذ القرارات، وفي حق النقض -الفييتو- وفي معايير تطبيق القرارات، وفي توزيع العوائد المادية والثقافية والعلمية والفنية للمؤسّسات والمنظمات الدولية المتخصصة.

وبذلك وحده يكتسب النّظام صفة العالمية حقا، وتكون مؤسّسات هذا النظام بحق مؤسّسات دولية. ونحن نريد لعالمنا نظاما عالميا عادلا يسعى لتحقيق التوازن؛ أي العدل بين شعوب العالم وأمه وحضاراته ونعلم أن ذلك لن يتحقق لمجرد التمني.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ [النساء/ 123].

وإنما طريقنا إلى إقامة النّظام العربي والنّظام الإسلامي الذي يجعل من أمتنا وإمكاناتها كتلة ذات وزن سياسي في مكونات هذا النظام، وبذلك يتحقق مقصد التعاون الحضاري الإنساني في أروع صورته، وأوسع مجالاته ليعم خيره كافة البشرية مهما اختلفت أجناسهم وعقائدهم، ألوانهم و ألسنتهم.¹

الفرع الثاني: واقع تنزيل مقصد التعاون الحضاري في مجال التضامن الاجتماعي الإنساني

أولا: واقع التعاون الدولي لمكافحة الفساد في المجتمعات

¹ - الإسلام وضرورة التغيير، محمد عمارة، / 158- 159.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

يعتبر الفساد ظاهرة اجتماعية وسياسية موجودة في كافة المجتمعات، وعلى مرّ العصور بشكل نسبي ومتفاوت، فهو علاقة اجتماعية يتمّ من خلالها انتهاك قواعد العقد الاجتماعي والمبادئ والنظم القانونية لمصلحة العامة ممّا يضرّ بها عن طريق سلوك طرق غير مشروعة للوصول إلى الأهداف الخاصّة. إنّ ظاهرة محليّة عالمية قديمة حديثة تتشابه فيها الدّول المتقدّمة والنّامية، وإن كان بنسب متفاوتة، لكنّه يصعب أن نجد بينه وبين التّقدم علاقة محكمة، فتجده في الدّول المتقدّمة اقتصاديا، والدّول ذات الاقتصاد النّامي والدول الديمقراطيّة والدكتاتوريّة، والدّول القديمة والحديثة تجده أيضا قويّا وطاغيا أو ضعيفا محدودا في كلّ من هذه وتلك.

أ - معنى التعاون الدولي لمكافحة الفساد: هو ذلك التّسيق والتّعاون الدّولي، بتبادل المعارف والمعلومات بين الدّول مع بعضها البعض، أو المساهمة والمشاركة في الملتقيات الدّولية لدراسة ومعالجة هذه الظاهرة مع تقديم الدّعم المالي من الدّول المانحة والإشادة بالدّول النّاجحة في مكافحة الفساد في المجتمعات، سواء كان هذا الدّعم أو التّعاون ثنائي وجماعي أو في إطار منظمات حكوميّة أو غير حكومية.¹

ب- المفاسد الأخلاقية في المجتمع الدولي اليوم:

1- قطع الأرحام: قَالَ تَمَالَى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ [محمد/ 22 - 23].

فالواقع اليوم يبرز لنا العلاقة التلازميّة التي ذكرها القرآن الكريم بين الفساد في الأرض وقطع الأرحام، كل المجتمعات بما فيها الإسلاميّة ضعفت فيها أصرة الرّحم بين أفراد مجتمعاتها فعمّ الفساد، انتشر القتل بين المحارم وجرائم أخرى يندى الجبين لذكرها، أبناء لا علاقة لهم بأبائهم، دور عجزة منشرة، كانتشار المقاهي، ممّا جعل العالم كلّه يموج في فوضى لا يعرف لها حدّ.

قد تقولون ما علاقة قطع الأرحام، بموضوع التعاون الدولي في مكافحة الفساد؟ فأقول لو كانت كلّ الأسر في المجتمعات الإنسانيّة تربطها أصرة الرّحم وما يجمع بينها من مبادئ وقيم المحبّة والإنسانيّة، وقيم التعاون والتّضامن فيما بينها لعمّت قيم العدل والإحسان.

2 - انتشار الرذائل في المجتمعات الإنسانيّة: المجتمع الغربي خصوصا يكاد يسقط في قرار لا نهاية له

تفسخ وانحلال وانتكاس للفطرة البشريّة، مظاهر شتى تفتشت فيه أذكر أهمّها:

¹ - التعاون الدولي لمكافحة الفساد، ودعم التجارب النّاجحة، حسن هاشمي / www.univ-medea.dz.2

- تفشّي ظاهرة العزوف عن الزواج في المجتمع الغربي: ما تفشّى في الغرب الإعراض أصلاً عن تكوين الأسرة وعن فكرة الزواج نفسها، وما يترتب عليها من مسؤولية في عنق كلّ من الرّجل والمرأة، فما الذي يجعل أحد يقيد نفسه بشريك حياة طوال العمر، أدّى إلى ظاهرة مدمّرة سرت في أوصال المجتمع الغربي كالسرطان ألا وهي:

- تفشّي ظاهرة الحرّيّة الجنسية: إنّ الحرّيّة الجنسية في الغرب، والدّعوة إلى حلّ عقد الكبت والتحرّر من المفاهيم القديمة التي دعت إليها الأديان، وسقوط قيمة فضيلة العفة في سوق الشّهوات، جعل الكثير والكثيرات هناك يؤثرون حياة الاستمتاع الحرّ على حياة الأسرة المقيدة، ولهذا يفضّل الكثير من الرّجال أن يعيشوا حياة الحرّيّة الجنسية دون عقد أيّ التزام قانوني أو أخلاقي من جرّاء ذلك.

وهذا شكل جديد عندهم من أشكال الأسرة العصرية، والعشرة دون زواج.

- تفشّي ظاهرة الأسرة من جنس واحد: شكل آخر من الأسر الغربية ألا وهي الأسرة من جنس واحد وقد بات معروفا اليوم في العالم المتقدّم من زواج الرّجال بالرّجال، وزواج النّساء بالنّساء، وهو ما أجازته بعض قوانينهم ورحبت به بعض كنائسهم، وباركته.¹

هذا المجتمع الغربي، وهذه حياته الحيوانية، هي اليوم تقرّهم في كلّ لحظة وحين إلى درك الهاوية، حياة مليئة بالبؤس والقلق والشّقاء، مجتمع جمدت فيه العواطف الإنسانية وتفكّكت كلّ روابطه الأسريّة، انحلت أخلاقه الأسريّة سأم في الحياة، ضجر في العيش، وسخط على الوجود، نتيجته الانتحار وقتل للنفس بغير حق.

كلّ هذا؛ لأنّهم أسسوا مجتمعاتهم على أساس المادّيّة والغرائز الحيوانيّة.

أمّا المجتمع الإسلامي فبالرّغم من السياج الأخلاقي الذي جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لحمايته، إلّا أنّ ابتعاده عن هذين الأصلين، كان سببا لضلال كثير من أبناء الأمة الإسلامية، فقد بدأت تغزوه هذه الرّذائل ممّا أدى به أيضا لأزمة الأخلاقية، والاجتماعية كما وضحنا سابقا عند الحديث عن واقعه الاقتصادي، وأثر الغزو الثقافي عليه.

ثانيا - المنظمات الدولية الناشطة في مجال مكافحة الفساد الاجتماعي

أ - المنظمة العربية لمكافحة الفساد:

1 - التعريف بها: هي مؤسسة غير ربحية مستقلة لا تسعى إلى الربح، بل تهدف إلى تعزيز الشفافية والحكم الصالح في العالم العربي. تجتهد المنظمة، من خلال مجموعة من البرامج والمنشورات،

¹ - الإسلام حضارة الغد، يوسف القرضاوي، / 60.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

لمكافحة الفساد ثقافةً وممارسة وتعميم الوعي بآثاره المدمرة على الاستقرار السياسي والتنمية الاقتصادية والاجتماعية للعالم العربي والإسلامي.

2 - أهدافها: تسعى المنظمة العربية لمكافحة الفساد إلى تعزيز الحكم الصالح والمفاهيم الديمقراطية في المجتمع العربي من خلال ما يلي:

- إحداث الوعي وتوسيع الإدراك بأهمية مناهضة الفساد وحماية المصالح العامة والمال العام.
- كشف التأثير السيئ للفساد على الوثام والتماسك الاجتماعي وعلى عملية التنمية المستدامة والأضرار التي يلحقها بالاقتصاد الوطني والثروة القومية.
- توجيه اهتمام المواطنين ومؤسسات المجتمع المدني نحو أهمية النشاط المعادي للفساد، وأهمية كشف مواقع الفساد وفضحها والإصرار على إصلاح الأوضاع.
- تشجيع ثقافة وممارسات الشفافية والتداول الحر للرأي والمعلومات وإرساء قواعد ومستلزمات بناء الحكم الصالح عبر تعزيز الديمقراطية والرقابة والمحاسبة والتي بدورها تأسس لمنع الفساد.
- رصد وتشخيص القصور الهيكلي في نظم المحاسبة العامة في الإدارات الحكومية، وفي شركات ومؤسسات القطاع الخاص والمجتمع المدني.

3 - أهم وسائلها لمحاربة الفساد: تتوخى المنظمة، من أجل تحقيق أهدافها، سلوك الطرق والوسائل التالية:

- جمع ودراسة ومراقبة المعلومات المتعلقة بالفساد في الحياة العامة ومن مختلف المصادر المتوفرة إصدار تقارير دورية حولها. ويشمل ذلك القوانين والإجراءات المتبعة في الدول العربية، والتي لها علاقة بالفساد واقتراح أية تعديلات إيجابية على ذلك.
- تنظيم المؤتمرات والحلقات الدراسية والمحاضرات ونشر نتائج ذلك وأية مقالات ودراسات أخرى مما يؤدي إلى تنمية الوعي والإدراك للمواضيع المتعلقة بالفساد.
- زيارة الدول العربية والتداول مع مسؤولي الأجهزة والمؤسسات الرسمية، ومنظمات المجتمع المدني فيها بما يؤدي إلى التعريف بأهداف المنظمة.
- التواصل مع المؤسسات الدولية التي تعني بمناهضة الفساد والتنسيق معها بما يؤدي إلى المساهمة في النشاط الدولي المعني بمكافحة الفساد.¹

¹ - المنظمة العربية لمكافحة الفساد، <https://ar.wikipedia.org/wiki>

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

رغم الأهداف النبيلة، والأعمال التي تقوم بها هذه المنظمة العربية، إلا أنها لا زالت تراوح مكانها، ولم ترق بعد لآمال المجتمعات العربية للقضاء على الفساد الذي أرهق جميع مقوماتها وإمكاناتها، فهي أهداف نظرية أكثر منها عملية لا تواكب تطّعات المجتمع العربي والإسلامي اليوم في ظلّ حرب شرسة للقضاء على شبابه من خلال نشر ثقافة المجتمع الغربي داخل أوصاله.

ب - التعاون الدولي لمكافحة جريمة المخدرات: لم تعد مشكلة المخدرات والمؤثرات العقلية تخصّ دولة أو مجموعة من الدول، بل أصبحت معظم دول العالم تعاني من خطورة تعاطي المخدرات والإدمان عليها وتمثّل هذه الخطورة في إهدار الصّحة العامّة للإنسان، وتدمير الأسر والمجتمعات، والزيادة في معدّلات الجريمة والعنف والفساد فضلا عن تحوّل موارد بشرية ومادية عن التنمية الاجتماعية والاقتصادية إلى عمليات، ومن ثمّ باتت مشكلة المخدرات من أهمّ المشاكل التي تتصدّى لها الجماعة الدوليّة سواء في الأمم المتّحدة، أو جامعة الدول العربية، أو مجلس التعاون لدول الخليج، هذا إلى جانب الجهود التي تبذلها كلّ دولة بمفردها، أو من خلال تعاونها الثنائي مع دولة أخرى، أو التعاون المتعدّد الأطراف بين الدول، وذلك بإبرام الاتفاقيات الدوليّة، وبذل الجهود المشتركة في مجال الضبط والوقاية من المخدرات بهدف تحقيق السيطرة الفاعلة على المخدرات، والإضافة إلى فرض الرقابة المحكمة عن عملها لمنع تسربها للاستخدام غير المشروع.¹

1- أهم الاتفاقيات الدولية لمكافحة المخدرات:

- بروتوكول باريس 1948: تبيّن أن النظام القائم لمراقبة تداول المخدرات لم يعد كافياً، فقرّرت الجمعية العمومية للأمم المتحدة مناسبة إبرام اتفاقية دولية لمكافحة المخدرات، هدفها الأساسي توسيع نطاق الرقابة الدولية على المخدرات بحيث تشمل ما استجدّ من مواد طبيعية أو مصنّعة تؤدي إلى الإدمان، وإلزام الدول الموقّعة على هذا البروتوكول باحترام ما جاء فيه، وخاصة وضع المواد المخدرة تحت رقابة منظّمة الصحة العالمية، إلا أنّ غالبية الأعضاء رأوا أن تكون لجنة المخدرات هي التي تقوم بالرقابة على تصنيع وتوزيع المخدّرات؛ لأنها يمكن أن تتصرّف بطريقة أسرع.

- بروتوكول عام 1953: يختصّ هذا البروتوكول بتنظيم زراعة واستعمال الأفيون والاتجار غير المشروع فيه، وقد نصّت المادة الثانية منه على أن يقتصر استعمال الأفيون على الأغراض الطبيّة والعلمية؛ ونظراً لأن عدداً

¹ - الاتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية وغسيل الأموال، تقرير مجموعة العمل المالي لمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، / 17.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

من بلدان آسيا، وأمريكا الجنوبية تنتشر بين شعوبها عادة مَضغ الأفيون وتدخينه، ولا يَسهُل منعهم من ذلك؛ فقد اتَّفَق الموقَّعون على هذا البروتوكول على منح فترة انتقالية مدتها خمس عشرة سنة لاتخاذ تدابير انتقالية يمكن أن تقضي على هذه الممارسات الاجتماعية.

ويمكن القول: إن هذا البروتوكول لم يُحقِّق النتائج التي كان يصبو إليها؛ لأنه ترك أمر الرقابة بيد كل حكومة على حدة؛ لعدم إمكانية تطبيق أحكامه عالمياً؛ ولأنه تضمَّن فقرات تسمح لبعض الدول بالرفض أو الإنهاء أو التحفظ، إضافة إلى استثناء بلغاريا من قيود البروتوكول.

- اتفاقية نيويورك للعقاقير المخدرة 1961:

بناءً على طلب من المجلس الاقتصادي والاجتماعي، قامت لجنة المخدرات بإعداد مشروع اتفاقية وحيدة للمخدرات تضم الأحكام الفاعلة في المعاهدات السابقة، وتُضيف إليها حظر بعض المواد المخدرة، وتوسيع نطاق الرقابة تحت إشراف "اللجنة الدولية لمراقبة المخدرات"، وقد وافقت على هذه الاتفاقية ثلاث وسبعون دولة ودخلت حيز التنفيذ عام 1964.

وتعتبر اتفاقية نيويورك لعام 1961 خطوة مُتقدِّمة على طريق مكافحة المخدرات؛ حيث التزم الموقَّعون عليها بتطبيق أحكامها في المناطق التابعة لهم، والتعاون مع الدول الأخرى في تنفيذ ما ورد بها من أحكام، والتعهد بمضمر إنتاج المخدرات وتصنيعها واستيرادها وتصديرها وحيازتها والاتجار فيها على الاستعمالات الطبية والعلمية والعمل على تدريب كوادر مُتخصِّصة في تنفيذ القوانين والأنظمة ذات الصلة¹.

وتطبيقاً لذلك: أقامت الأمم المتحدة - بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية والمنظمة الدولية للشرطة الجنائية - دورات وبرامج تدريبية ذات فعالية مُتطوِّرة.

- اتفاقية فيينا للمؤثرات العقلية لعام 1971:

لاحظ عدد من الدول تداول كميات ضخمة من المواد التي لم تشملها اتفاقيات مكافحة المخدرات، واعتبار المتاجرة فيها مشروعاً، على الرغم من أنها تحتوي على الخواص الضارة بالفرد والمجتمع، ويمكن تحويلها إلى مخدرات تؤدي إلى الإدمان كالأمفيتامينات والباربيتورات.

- اتفاقية الأمم المتحدة لعام 1988:

اجتمع مُمثِّلو 106 دولة في فيينا عام 1988 للمصادقة على اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الاتجار غير المشروع في العقاقير المخدرة ومواد المؤثرات العقلية، وكان الهدف الرئيس لهذه الاتفاقية وضع ضوابط لمكافحة

¹ - التعاون الدولي في مجال مكافحة المخدرات، محمد جبر الألفي <http://www.alukah.net/culture/0/74646>

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

تهريب المخدرات والمواد النفسية، وإقرار عقوبات فعالة تطول مُرتكبي هذه الجرائم، وأبرز ما تناولته اتفاقية 1988 ما يلي:

- يُعتبر جريمةً جنائيةً الاشتراك في تهريب المخدرات والمؤثرات العقلية عن طريق الإنتاج أو التحضير أو العرض أو التوزيع.

- يُعد جريمةً جنائيةً التورط بأي طريقة في التعامل بالأموال المكتسبة من تهريب المخدرات، من خلال نقلها أو إخفاء منشئها أو المساعدة في ذلك.

- تُشدد عقوبة المتورط إذا ارتبط التهريب بجريمة أخرى، كالجريمة المنظمة أو الإرهاب أو الاتجار الدولي في السلاح أو استعمال العنف خلال عملية التهريب .

- مصادرة المخدرات أو الأموال المكتسبة منها، وتوجيه هذه الأموال لتمويل المنظمات العاملة في مجال مكافحة التهريب.

- حثّ الدول على الإسراع في البتّ بطلبات تسليم المجرمين في جرائم تهريب المخدرات وما يتّصل بها، بعد التأكد من أن طلب التسليم لا علاقة له بأمور عرقية أو سياسية أو دينية¹.

- ضرورة اتخاذ الدول الأطراف كافة الإجراءات ضمن حدودها لمنع مهربي المخدرات من استغلال مناطق وموانئ التجارة الحرة، وتفتيش الناقلات القادمة والمغادرة، وخاصة المشتبه بها، وتبادل المعلومات المتصلة بهذا الشأن.

هذه الاتفاقيات معظمها بقيت حبرا على ورق؛ لأنّ ما نلاحظه ونراه في الواقع استفحال هذه الآفة وتفشيها في كل المجتمعات المعاصرة، كل ذلك بسبب الفساد السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي أصبح اليوم ينخر في عظام كل الإنسانية.

ثمّ إنّ ترويج المخدرات أصبحت لها شركات خاصة مغطاة بستار قانوني مزيف، يتحكم فيها عصابات كبرى لها يد طويلة في السياسة والاقتصاد... .

ويبقى التعاون الدولي في مكافحة جريمة المخدرات التي تفتك يوميا بآلاف الأشخاص في سائر المعمورة بعيدة عن تطلعات وآفاق المجتمعات الإنسانية، بعيدة عن مقاصد التعاون الحضاري في حفظ العقول، والنفوس كما جاءت به الشريعة الإسلامية في فرض الحدود والعقوبات، التي لو طبقت اليوم لسعدت البشرية جمعاء في العاجل والأجل.

¹ - التعاون الدولي في مجال مكافحة المخدرات، محمد جبر الألفي <http://www.alukah.net/culture/0/74646>

ثالثاً- مقصد التعاون الحضاري في مجال العمل الخيري الإنساني "المصالح المشتركة" :

أ- التعاون في مجال العمل الخيري الإنساني في المجتمع الغربي " الولايات المتحدة الأمريكية أنموذجاً:

بلغت الأرقام تحدثنا أن معظم شعوب العالم وحكوماته تعنى بالعمل الخيري بغض النظر عن النوايا والمقاصد من ورائه ولكنها الأرقام فقط التي تحدثنا من باب أولى نحن المسلمين على التقدم لعمل الخير.

فعلى سبيل المثال، يوجد في الولايات المتحدة مليون ونصف مليون جمعية خيرية، ومنظمة غير ربحية، وكلها معفاة من الضرائب كما أنها تخصم من الوعاء الضريبي للشركات والأفراد، بل إن كثيراً من هذه المنظمات الأمريكية من حقها القانوني العمل خارج الولايات المتحدة الأمريكية في ساحات النزاع، وتؤكد الإحصاءات بأن إرادتها بلغت حوالي 248 مليار دولار عام 2004 منها 88 مليار دولار لأغراض دينية؛ أي بنسبة 35.5%

ويعتبر الشعب الأمريكي من أكثر شعوب العالم تبرعا للقطاع الخيري، وكمثال على ذلك وقفية بيل غيتس وزوجته ميليندا التي يبلغ رأسمالها 24 مليار دولار، ويذكر أن ثلاثة متبرعين فقط قدموا لهذه الجمعيات أحد عشر مليار دولار تبرعات عام 2000 وحده، وتسعة مليارات دولار عام 2004.¹

وتتضمن رابطة الجمعيات غير الربحية حوالي 100 جامعة أمريكية فيها تخصصات للعمل غير الربحي وتخصصات في العمل الخيري الدقيق، وبلغ عدد المجالس والهيئات التي تشرف على الأعمال الخيرية ألف هيئة لمساعدة المانحين للمنظمات الخيرية، وتوفر لهم المعلومات الكافية التي تمكنهم من تحديد الجهة التطوعية التي تناسب أهدافهم.²

ب - واقع العمل الخيري في العالم الإسلامي، وأهم المعوقات التي تواجهه: المنظمات الخيرية في كل أقطار العالم مجتمعة لا تصل من حيث العدد إلى مجموع المنظمات الخيرية في ولاية أمريكية واحدة، كما أن حجم أموال العمل الخيري الإسلامي حسب تقديرات خبراء العمل التطوعي تقدر ب 500 مليون دولار وهو رقم أقل من حجم أعمال مؤسستين أمريكيتين.

هذا فضلاً عما تتعرض له مؤسسات العمل الخيري الإسلامي من ضغوطات وعمليات مستمرة من التضييق والتجميد والتشهير³

- وأهم المعوقات التي تواجه العمل الخيري الإسلامي:

- انتشار الجهل والفقر في كثير من ربوع العالم عموماً، والعالم الإسلامي خصوصاً.

- تكبير نشاط المؤسسات الخيرية بالقوانين المقيدة للحركة والانطلاق.

¹ - المؤسسات الخيرية ودورها في تنمية العلاقات الدولية والتواصل الحضاري، محمد خازر المجالي، / 15.

² - أسس العمل الخيري، وفنون تسويقه، عيسى محمد صوفان القدومي، / 20، ط / 1، ت / ط 1430-2009.

³ - المؤسسات الخيرية ودورها في تنمية العلاقات الدولية والتواصل الحضاري، محمد خازر المجالي، / 16.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

- ضعف مصادر الدخل وعدم تفعيل قنوات دائمة للتمويل مثل الحقوقية في العالم العربي الوقف صناديق دعم الأنشطة، ومن يلجأ للتمويل الأجنبي يجب أن يتحمل وصمة عار والعمالة للأجنبي، وابتزازه من جانب الدولة.

- تأثرت معظم جمعيات العمل الخيري بشكل ملحوظ بأحداث 11 / 12 / 2001 في إطار ما يعرف بتجفيف منابع الإرهاب، وفرض سلطة الدولة عليها¹، وذلك مثلما حدث مع مؤسسة الحرمين الخيرية والتي تمّ اتهامها بجانب مئات من المؤسسات والشخصيات المؤثرة في العمل الخيري الإسلامي العالمي، وتمّ التركيز عليها نظراً لحجم أعمالها، وتوسّع الخارطة الجغرافية التي تغطيها، وللأسف فإن أعداء الخارج وجدوا من الداخل من روج لفكرة تلّبس مؤسسات الخيرية الإسلامية العاملة في إطار العالمية بالإرهاب بحماسة وتفاعل مُستَهجن.

- يُضاف إلى ذلك وجود بعض القصور لدى القائمين على هذه الجمعيات وطرق تنظيمهم وتخطيطهم وإدارتهم لها فلا يمنعنا تعاطفنا مع هذه الأعمال الخيرة أن نشير إلى فوضى إدارية وتنظيمية وهدر كبير في أعمال هذه الجمعيات، يعود سببه الرئيسي إلى ضعف الكوادر البشرية المؤهلة لقيادتها، وغياب الرؤية والتخطيط الاستراتيجي بالإضافة إلى ضعف والتحالفات والتكامل بين هذه الجمعيات.²

وخلاصة القول أنّ التعاون الحضاري الإنساني في المجال الاجتماعي، رغم كل الجهود المبذولة سواء من منظمات حكومية أو غير حكومية، أو من خلال جمعيات المجتمع المدني التي تعمل جاهدة لنشر ثقافة العمل الخيري، والتضامن الإنساني، إلا أن الواقع الاجتماعي لا زال يلوح بأفاته الخطيرة التي تفني يومياً ملايين البشر جرّاء ظاهرة المخدرات، وجرائم القتل والانتحار، ممّا يعني أن التعاون الإنساني الحضاري في المجال الاجتماعي بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، يكاد يكون منعزلاً لطغيان عالم المادّة على عالم المثل والأخلاق التي تعتبر السياج الأمان لكل المجتمعات الإنسانية المختلفة جنساً وعرقاً ولغة، ولساناً.

لكن السؤال المطروح إذا كان واقع تنزيل مقصد التعاون الحضاري الإنساني بين العالم الإسلامي والعالم الغربي لم يحقق الأبعاد المقاصد المقاصدية التي أرادها العلي العظيم من نفع عام يجلب المصالح ودرء المفاسد على كافة الشعوب الإنسانية، فهل يمكن للأقليات المسلمة وهي تعيش في قلب الحضارة الغربية أن يكون لها إسهام وعطاء حضاري يعود بالنفع والمصلحة على أمتها الإسلامية وعلى المجتمعات التي تعيش معها بحكم قانون المواطنة؟ وإن كان لها دور، فما الوسائل والآليات التي تساعدنا على تحقيق مقصد التعاون الحضاري الإنساني هذا ما سنحاول بسط البحث فيه في هذا المطلب

¹ - دور المؤسسات الخيرية في تنمية العلاقات الدولية وتقوية المجتمع المدني العالمي، علاء عبد الحفيظ، / 23، بحث مقدم إلى متمر العمل الخير الخليجي الثالث، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، 20 - 21 / 2008.

² - الخيري، أمين الغامدي، <http://magazine.islamtoday.net/art.aspx?ID=772>

المطلب الثالث

فقه المواطنة للأقليات المسلمة بالغرب ، التنزيل على الواقع

بما أن الأقليات المسلمة في الغرب باستطاعتهم أن يقوموا بهذا الدور الحضاري للدعوة إلى الله في الغرب .

فهذه المسألة لها رابط وثيق بالأقليات المسلمة في الغرب .

فما القواعد الأصولية التي تضبط فقه المواطنة الخاص بهم حتى يؤدوا دورهم الفعّال لمقصد التعاون الحضاري الإنساني ؟

الفرع الأول : تعريف فقه المواطنة للأقليات المسلمة :

أ- تعريف المواطنة :

1 - المواطنة في الفكر الغربي : تعرّف دائرة المعارف البريطانية المواطنة بأنّها: « علاقة فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة متضمّنة مرتبة من الحرّية ، وما يصاحبها من مسؤوليات ، وتسبغ عليه حقوقا سياسية مثل : حقّ الانتخاب ، وتولّي المناصب العامّة ، وميّزت الدائرة بين الجنسية والمواطنة التي غالبا ما تستخدم كمرادف لها .

وتحدّد موسوعة الكتاب المواطنة بأنّها عضوية كاملة في دولة أو بعض وحدات الحكم ، وتؤكد الموسوعة أنّ المواطنين لديهم الحقوق مثل حقّ التصويت ، وحقّ تولّي المناصب العامّة ، وكذلك عليهم بعض الواجبات مثل واجبات دفع الضرائب ، والدفاع عن بلدهم .¹

2 - المواطنة في الفكر السياسي الإسلامي : « لقد وضعت الدولة الإسلامية فلسفة المواطنة هذه في الممارسة والتطبيق ، ووقّنتها في الموائيق الدستورية منذ اللحظة الأولى لقيام هذه الدولة في السنة الأولى للهجرة ، ففي أول دستور لهذه الدولة تأسّست الأمة على التعدّدية الدنيّة ، وعلى المساواة في الحقوق والواجبات بين المواطنين المتعدّدين في الأمة .

¹ - إشكالية المواطنة / الرعية في التراث السياسي الإسلامي ، برا سنان ، 26 / ط / 1 ، ت - ط / 2017 ، المركز الديمقراطي العربي ، برلين - ألمانيا.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

وغياب مصطلح المواطنة عن الأدبيات الإسلاميّة لا يعني غياب جوهره ، فقد أقرّه الرّسول - صلى الله عليه وسلّم في صحيفة المدينة وما تقرّر من أحكام تقوّي مبدأ العدالة ، ومبدأ المساواة ، ومبدأ الحرّيّة في الإسلام يجعل لهذا المصطلح جذورا عميقة في فقها الإسلامي .¹

ب - المقصود بالأقليات المسلمة : مفهوم الأقليات :

1 - المعنى العام للأقليات : «فهو مصطلح سياسي جرى في العرف الدولي، يُقصد به مجموعة أو

فئات من رعايا دولة من الدول تنتمي من حيث العرق أو اللغة أو الدين إلى غير ما تنتمي إليه الأغلبية. وتشمل مطالب الأقليات عادة المساواة مع الأغلبية في الحقوق المدنية والسياسية، مع الاعتراف لها بحق الاختلاف والتميز في مجال الاعتقاد والقيم.

وتتأسس قيادات للأقليات - في كثير من الأحيان- تحاول التعبير عن أعضاء الأقلية من خلال الأمور التالية:

- إعطاء تفسير للأقلية التي تنتمي إليها عن جذورها التاريخية، ومزاياها ومبررات وجودها، لتساعد الأقلية على الإجابة على سؤال "من نحن"؟ وضمناً عن سؤال "ماذا نريد"؟

- تجميع عناصر الأقلية وإقامة روابط بينها.

- تبني الرموز الثقافية المعبرة عن خصوصية الأقلية.

- تحقيق أمن معاشي وتكافل اجتماعي كما في الحالة اليهودية².

2 - معنى الأقليات المسلمة : « جماعة إسلاميّة تشكّل العدد الأقل من مجموع السكّان ، وتخضع

لمعاملة مختلفة ، وذلك نتيجة لخصائصها المختلفة »³

هذه الأقليات المسلمة قد تكون غربية " ألمانية فرنسية تركية .. " أو عربية ، تعيش في المجتمع الغربي

جامعها الدّين الإسلامي ، وإن اختلفت أجناسهم أو لغاتهم أو ألوانهم

ج - معنى فقه المواطنة للأقليات المسلمة : « فقه الأقليّات هو فقه نوعي يُراعي ارتباط الحُكم الشرعي

بظروف الجماعة وبالمكان الذي تعيش فيه، فهو فقه جماعة محصورة لها ظروف خاصة، يصلح لها ما لا يصلح

لغيرها، ويحتاج متناوله إلى ثقافة في بعض العلوم الاجتماعية، خصوصاً علم الاجتماع والاقتصاد والعلوم السياسية والعلاقات الدولية»⁴.

الفرع الثاني : البعد المقاصدي للمواطنة " ضرورة الوجود الإسلامي بالغرب "

أولا - تحقيق مقصد حفظ الدين ونشره بالدعوة إلى الله :

¹ - المرجع نفسه / 61 .

² - نظرات تأسيسية في فقه الأقليات ، طه جابر العلواني ، <http://www.fqhweb.com/vb/t41.html> ،

³ - مسؤولية المواطنين في دول غير إسلامية ، راشد دوبارو ، ندوة الأقليات المسلمة في العالم ظروفها المعاصرة ، آلامها وآمالها 1 / 217 .

⁴ - نظرات تأسيسية في فقه الأقليات ، طه جابر العلواني ، <http://www.fqhweb.com/vb/t41.html> ،

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

الحقيقة المهمة التي يجب الإشارة إليها هي أننا - نحن المسلمين - ينبغي لنا ألا نغفل هي أننا بوصفنا أمة ذات رسالة عالمية فالوجود الإسلامي " الأقليات المسلمة " ذات أثر في بلاد الغرب ، باعتبار أن الغرب هو الذي أصبح يقود العالم ، ويوجه سياسته واقتصاده ، وثقافته ، وهذه الحقيقة لا نملك أن ننكرها .

فلو لم يكن للإسلام وجود هناك لوجب على المسلمين الأصليين في ديارهم ، رغم كيانهم المعنوي والروحي، أو رعاية من يدخل في الإسلام منهم ، وتلقي الوافدين من المسلمين وإمدادهم بما يلزم من حسن التوجيه و التفقيه والتثقيف بالإضافة إلى نشر الدعوة الإسلامية التي هي وسيلة مقصد شرعي عظيم ، ألا وهو مقصد كلية الدين .

ولا يجوز أن يترك هذا الغرب القوي المؤثر للتفرد الصهيوني وحده يستغلّه ويوجهه لحساب أهدافه وأطماعه ويؤثر في سياسته وثقافته ، ويترك بصماته عليها - ونحن المسلمين - بمعزل عن هذا كله تابعون لأوطاننا ، تاركين الساحة لغيرنا ، في حين نؤمن نظرياً أن رسالتنا للناس جميعاً¹ . **قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ**

لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ [الفرقان/ 1]

ثانيا - تحقيق مقصد المساواة والشهود الحضاري :

1 - إرساء مقصد المساواة : يهدف مبدأ المواطنة بين الأقلية المسلمة وغيرها إلى تحقيق تكريس مقصد المساواة في الحقوق والواجبات مع المحافظة على الحرية الشخصية في نطاق العقيدة والعبادة ، هذا الأساس هو نفسه الذي قامت عليه دولة الإسلام الأولى في المدينة المنورة من خلال وثيقة المدينة² .

2 - تحقيق مقصد الشهود الحضاري من خلال مبدأ المواطنة : الأقلية المسلمة اليوم في وجودها داخل العالم الغربي مطالبة بعرض الخير على الناس بحكم مقصد الشهادة ، بتبيين ما عند الغرب من حكمة لتأخذها ، وتنتفع بها ، فهي بمقتضى هذا المقصد بين أخذ وعطاء .

وهكذا تنخرط في المجتمع الغربي انخراط تفاعل وتداول فيه المنافع بالإفادة والاستفادة ، وذلك على نحو يمكن أن ينتهي إلى شراكة حضارية تسهم فيها الأقلية المسلمة في المسيرة الحضارية الإنسانية بالتنمية و الترشيد ونشر قيم السلام والوئام في سبيل ما فيه الخير للإنسانية بصفة عامة ، وللعالمين " الإسلامي والغربي " بصفة خاصة .

¹ - فقه العيش المشترك " المواطنة نموذجاً " ، يوسف القرضاوي ، المجلة العلمية للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث / العدد الثالث والعشرون ، جانفي / 2017 - ربيع الثاني / 1438 . ينظر : الوطن والمواطنة في ضوء الأصول العقدية والمقاصد الشرعية ، يوسف القرضاوي ، / 61 - 62 ، ط / 1 ، ت - ط / 2010 / دار الشروق .

² - المسلم مواطن في أوروبا ، فيصل المولوي ، / 56 ، ط / 1 ، ت - ط / 1429 - 2008 ، الاتحاد العالمي لعلماء

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

وهو ما يمكن أن يكون مقصداً وهدفاً أعلى للوجود الإسلامي بالغرب تستخرّ كلّ الجهود من أجل تحقيقه على أساس ركيزتين أساسيتين من طرف العطاء من معادلة الشراكة الحضارية، واكتساب الحكمة من طرف الأخذ من تلك المعادلة.¹

الفرع الثالث - أهم القواعد الأصولية الضابطة لفقهِ مواطنة للأقليات المسلمة في الغرب

قد دأب النّظار من الفقهاء المجتهدين في كلّ زمان أن يعالجوا الأحوال الطّارئة في حياة المسلمين بالحلول الشّرعية، وأن يوسّعوا الاستنباط الفقهي فيما لا يكون فيها نصّ مثل حال فقهِ المواطنة للأقليات المسلمة وإذا كان هذا حال الفقهاء القدامى مع فقهِ المواطنة فإنّ المسؤوليّة اليوم ملقاة على عاتق الفقهاء المعاصرين بأشدّ وأثقل ممّا كانت ملقاة على عاتق السّابقين لما حصل في هذا الشّأن من تطوّر لما لم يكن في السّابق.

وفيما يأتي أهمّ القواعد الأصوليّة الضابطة لفقهِ المواطنة للأقليات المسلمة في الغرب

أ- قاعدة مآلات الأفعال وعلاقتها بالأقليات المسلمة في الغرب :

1- التعريف بالقاعدة : « المآل هو ثمرة الواقع ، وبه يتمكّن المفتي والمجتهد من الانتقال بالحال الواقع

إلى الحال المتوقّع استناداً إلى تحقيق المناط ، وهذا من خلال استبصار تداعيات تنزيل الحكم »²

2 - علاقة قاعدة مآلات الأفعال بفقهِ المواطنة للأقليات المسلمة : «ولهذه القاعدة الأصولية مجال

استعمال واسع في المعالجة الفقهية لأحوال الأقليات المسلمة بالبلاد الأوروبية؛ ذلك لأنّ أحكام الشريعة في مجال التعامل الاجتماعي بمعناه العامّ الذي تتشابه فيه العلاقات بين الناس جاءت في عمومها أحكاماً تعالج أوضاع تلك العلاقات على اعتبار أنّها علاقات يحكمها سلطان الدين في نطاق الأمة المسلمة فيما بين بعض أفرادها وفتاتها وبعض، أو في نطاق علاقتها كأمة مسلمة بشعوب وأمم ودول غير مسلمة، وكانت تلك المعالجة الشرعية مبنية على وضوح في مآلات الأفعال المحكوم عليها، إذ مسالكها بيّنة في ظلّ وضع يحتكم في عمومها لسلطان الدين.

¹ - الأفاق الحضارية للوجود الإسلامي بالغرب ، عبد المجيد النجار ، / 107 108 .

² - مبدأ اعتبار المآل في البحث الفقهي من التّنظير إلى التّطبيق " فتاوى المعاملات في الاجتهاد المالكي - دراسة حالة - / يوسف بن عبد الله احميتو ، 41 ، ط / 1 ، ت ط / 2012 ، مركز التّماء للبحوث والدراسات ، بيروت - لبنان . ينظر : الأشباه والنظائر ، عبد الكافي السّبكي ، 1 / 104 - 105 ، عادل محمد عبد الموجود ، على محمد معوّض ، ط / 1 ت ط / 1411 - 1991 ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

ولكنّ كثيراً من تلك الأحكام حينما تطبّق في أوضاع الأقلية المسلمة التي تعيش في مجتمع لا يحكمه سلطان الشرع وإنما يحكمه سلطان قانون وضعي وضعه وينقذه غير المسلمين عليهم وعلى غيرهم، فإنّها تؤوّل عند التطبيق الواقعي إلى عكس مقصدها، فإذا ما شرّع للمصلحة يؤوّل تطبيقه في هذا الوضع إلى مفسدة والعكس صحيح، وهو ما يدعو إلى أن تستخدم هذه القاعدة قاعدة مآلات الأفعال استخداماً واسعاً في الاجتهاد الفقهي الذي يعالج أوضاع الأقليات المسلمة، وأن توجه بمعالجة أصولية لتكون إحدى القواعد الأصولية في الاستنباط الفقهي المتعلّق بتلك الأوضاع¹ .

ب - قاعدة الضرورات تبيح المحظورات ، وعلاقتها بفقهاء المواطنة للأقليات المسلمة

1 - التعريف بقاعدة الضرورات تبيح المحظورات : وردت هذه القاعدة بصيغة مقيّدة بلفظ الضرورات تبيح المحظورات بشرط عدم نقصان الضرورة عن المحذور ، ومعناها : أنّ الممنوع شرعاً لا يباح عند الضرورة إلاّ بشرط عدم نقصان الضرورة عن المحذور ، ويعني ألاّ تقلّ الضرورة عن المحذور ، وإلاّ لا تقيّد في إباحته، ومن ثمّ لا يجوز للمكلف الإقدام على فعل المحذور ما دامت الضرورة أقلّ من المحذور .
فهذا القيد مهمّ للقاعدة ، ولا يستعمل بدونه عند العمل بما لذلك نصّ الفقهاء ، ونبّهوا عليه لأهميته وهو يدلّ على أهميّة المفاضلة بين المفسد والأضرار عند اجتماعها .

وهذا يعني أنّ الضرورات ترفع الإثم والمؤاخذه الأخروية عن المحظورات التي تكون دونها في المفسدة² .

2 - علاقة قاعدة الضرورات تبيح المحظورات ، بفقهاء المواطنة للأقليات المسلمة في الغرب

الأقليات المسلمة يختلف تطبيقها عنه بالنسبة لحياة المسلمين في المجتمع الإسلامي، بل قد يتسع مفهومها أيضاً بين الوضعين، إذ المسلمون بالبلاد الأوربية محكومون بقانون الوضع المخالف في كثير منه لأحكام الشرع وهم ملزمون بأن ينفذوا ذلك القانون في حياتهم الاجتماعية، وذلك مجال واسع للضرورة لا نظير له في البلاد الإسلامية، ثم إن الضرورة في ذاتها تخضع في ميزان التقدير لنسبية واسعة، فبعض ما يكون غير ضروري في مجتمع ما لإقامة الحياة يكون ضرورياً لذلك في مجتمع آخر، وذلك بالنظر إلى تفاوت المجتمعات في بنائها الأساسي من بساطة وتعقيد، وانفتاح وانغلاق، وتلاحم وتفكك، وغير ذلك من الصيغ التي تبنى عليها المجتمعات، وكل تلك

¹ - فقه المواطنة للمسلمين في أوروبا ، عبد المجيد النجار ، / 147 - 148 ، د / ط ، د / ت - ط .

² - قاعدة الضرورات تبيح المحظورات وتطبيقاتها المعاصرة في الفقه الإسلامي ، حسن السيّد خطاب ، / 165 - 166 مجلة الأصول والتّوازل ، العدد / 2 ، رجب - 1430 ، ينظر : الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة التّعمان ، ابن نجيم / 73 ط / 1 ، ت ط / 1419 - 1939 ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

الفروق فروع قائمة بشكل بين بين المجتمع الأوربي الذي تعيش به الأقليات المسلمة وبين المجتمع الإسلامي في البلاد الإسلامية .

وتبعاً لذلك فإنه مما يقتضيه التأصيل لفقهاء الأقليات أن تؤخذ هذه القاعدة الأصولية العامة بمعالجة خاصة توجه فيها توجيهها تطبيقياً على أحوال الأقليات المسلمة بأوروبا، فتدرس في نطاقها وبحسب مقاصدها أحوال الضرورات في حياة المسلمين بهذه البلاد، وتقدر مقاديرها بالقسط، منظوراً فيها إلى معطيات من خصوصيات الأوضاع في تلك الحياة مما لم يكن منظوراً في حياة المسلمين بالمجتمع الإسلامي الخاضع لسلطان الدين، لتصبح بتلك المعالجة الخاصة موجهاً أصولياً مهماً في فقه الأقليات¹.

ج - قاعدة الموازنة بين المصالح والمفاسد ، وعلاقتها بفقهاء المواطنة للأقليات المسلمة في الغرب :

1 - المقصود بالقاعدة : يقول الإمام الشاطبي : « الناظر إلى المصالح المبتوتة في الدنيا يجدها ليست مصالح خالصة محضة واقعا ؛ لأنها مزوجة بتكاليف ومشاق تقل أو تكثر ، تقترن بها أو تسبقها أو تلحقها ، فلا ينال لذة إلا بمشقة ، وبالمقابل فإنّ المفاسد كذلك ليست مفاسد خالصة محضة واقعا فما من مفسدة إلا ويقترن بها أو يسبقها أو يتبعها لذة .»²

وبناء على قاعدة الامتزاج بين المصالح والمفاسد فلا بدّ من فقه الموازنة في معرفة الرّاجح من المصلحة أو المفسدة للحكم على الفعل بالأمر أو النهي .

وهنا يكون دور المجتهد في تبيين الجهة الرّاجحة من الجهة المرجوحة ، وإعطاء الفعل صفته التي أراد الشارع له حسب الجهة الغالبة .³

2 - علاقتها بفقهاء المواطنة للأقليات المسلمة في الغرب : إذا كان لقاعدة الموازنات هذه تطبيقات مقدرة في الاجتهاد الفقهي العام، وتوجيهات مؤثرة فيه، ونتائج بينة في الأحكام الناتجة به، فإن لها مجال استعمال أوسع من ذلك في النظر الفقهي بأحوال الأقليات المسلمة؛ وذلك لأن المجتمع حينما يكون إسلامياً محكوماً بسلطان الشرع يكون تمايز المصالح والمفاسد فيه على قدر من الوضوح، ويكون مجال التشابهات بينهما ضيقاً فظواهر الصلاح وآثاره الناتجة من المواقف والأفعال، وكذلك ظواهر الفساد وآثاره تكون قريبة الوقوع من زمن حدوث أسبابها، فتبدو متميزة جلية التمايز، مما يسهل على الفقيه الموازنة بينها، وبناء حكمه الفقهي على تلك

¹ - فقه المواطنة للمسلمين في أوروبا ، عبد المجيد النجار ، / 148 - 149 .

² - الموافقات فب أصول الشريعة، الشاطبي ، 2 / 339 .

³ - فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد ، ودوره في الرقي بالدعوة الإسلامية ، حسن أحمد أبو عجوة / 1099 ، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيّرات العصر بتاريخ : 7 - 8 / ربيع الأول / 1426 - 16 - 17 / 04 / 2005 .

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

الموازنة، ولكن المجتمع الأوربي الذي تعيش به الأقلية المسلمة لا تتميز فيه بسرعة وجلاء مظاهر الفساد وآثاره من مظاهر الصلاح وآثاره لشدة تشابكه وتعقيده، ولا يغرنك في ذلك ما يبدو من تمايز صارخ بين الصلاح والفساد في التصرفات الأخلاقية السلوكية، فإن مجال الصلاح والفساد الذي نعنيه في هذا المقام هو مجال الحياة الاجتماعية بمعناه الشامل سياسة واقتصادا وتربية وعلاقات إنسانية، وهو أوسع بكثير من المجال الأخلاقي . وبناء على ذلك فإن هذه القواعد الأصولية المتعلقة بالموازنة بين المصالح والمفاسد يقتضي النظر التأصيلي لفقهاء الأقليات أن يأخذها بالعناية، فيصوغها بما يستجيب لمقتضيات ذلك الفقه، ويوجهها بالدرس والتحليل والإثراء لتكون معيارا منهجيا أصوليا يمكن من الموازنة بين المصالح والمفاسد في نطاق خصوصيات الوجود الإسلامي بالمجتمع الأوربي، ويكشف عما قد يخفى عن كثير من الأنظار في غياب هذا التأصيل من وجوه التراجع بين ما يحدثه موقف أو فعل من مفسدة صغيرة آنية وما يؤول إليه من مصلحة كبيرة مستقبلية تمكن للإسلام والمسلمين أو بين ما يحدثه موقف أو فعل آخر من مصلحة صغيرة آنية وما يؤول إليه من مفسدة كبيرة مستقبلية تتعلق بتشتيت الإسلام والمسلمين، فيبني الفقه إذن على ما فيه من الأحكام رجحان للمصالح الحقيقية بمقاييسها الشرعية¹ .

هي إذا أهم القواعد الأصولية الضابطة لفقهاء المواطنة للأقليات الإسلامية، « والتأسيس لهذه القواعد لا يقصد منه تأسيس اختراعي لقواعد جديدة تستحدث به استحداثا بعد أن لم تكن موجودة في المدونة التراثية لعلم أصول الفقه بفروعه المختلفة ، بقدر ما يقصد منه تأسيس يستثمر فيه ما جاء من هذه القواعد في التطبيق العملي للأقليات المسلمة .

فهذه القواعد ، قواعد حركة لحلّ اشكالات الأقليات المسلمة في الغرب ، أكثر منها قواعد استنباط أحكام² .»

الفرع الرابع - الأقليات المسلمة بالغرب ، "التنزيل

على الواقع" : الأقليات المسلمة بالغرب ، رغم المشاكل والعقبات التي تواجه وجودهم في الغرب ، إلا أنّ المسؤولية الملقاة على عاتقهم تستدعي منهم المزيد من الجهد الفكري والعملي للمشاركة الحضارية الفعالة مع المجتمع الذي يعيشون فيه تفاعل أخذ وعطاء .

أولاً - الأقليات المسلمة بالغرب ، وفقه الدعوة "التنزيل على الواقع" :

تبرز أهمية الدعوة في مجتمع الأقلية المسلمة لبقى لهذه الأقلية كيانها وشخصيتها المتمثلة في

تمسكها بدينها وجعلها نبراسا لها في كلّ حركة وسكنة من حياتها في وسط هذا البحر المتلاطم الأمواج من حولها .

¹ - فقه المواطنة للمسلمين في أوروبا ، عبد المجيد النجار ، / 149-151 .

² - فقه الأقليات المسلمة بين فقه الاندماج " المواطنة " وفقه العزلة ، قراءة سياسية في واقع المسلمين في أوروبا ، نادية محمود مصطفى ، / 16 ، مؤتمر الفقه السياسي في أوروبا - مجلس الإنماء الأوربي .

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

فالدعوة في مجتمع الأقليات المسلمة هي السياج الواقعي لهذه الأقليات من الدّوبان والانصهار داخل المجتمع

الكبير الذي تعيش فيه.¹

أ - مقصد الدعوة الإسلامية في وسط الأقليات المسلمة والمشكلات التي تعترضها:

1 - واقع مقصد الدعوة في وسط الأقليات المسلمة : اتخذت الدعوة الإسلامية بأوروبا منذ نشأتها وسائل متعددة تطوّرت بتقدّمها في الزمن وتوسّعها في المجالات المختلفة ، وقد بدأت وسائلها بسيطة لا تزيد على الخطاب المباشر بالوعظ والتّوعية الدّينيّة في خطب الجمعة ، وفي المناسبات الدّينية والاجتماعيّة ، وبالدرّوس التّثقيفيّة في المساجد ، وربّما رافق ذلك أحيانا بعض المنشورات البسيطة التي تعرّف بشعائر الدّين وقيمه ، وتذكّر بأخلاقه وآدابه ، وربّما رافقه أيضا بعض الوسائل السّمعية المتمثّلة بالأخص في نشر الأشرطة المسموعة التي تشمل على خطب العلماء والشيوخ والدّعاة ومواعظهم ، وقد قامت بدور كبير في شأن الدّعوة .

وفي المرحلة اللاحقة تطوّرت وسائل الدّعوة بأن أنشئت المراكز الإسلاميّة التي هي في كثير من الأحيان تمثّل مرّكبات متكاملة تشمل على مساجد ومكتبات ، ونوادٍ ثقافيّة واجتماعيّة ، و ربّما رياضيّة أيضا ، وأصبحت هذه المراكز تقوم بدور دعوي في نطاق الأسر والأطفال والشّباب ، ورافق ذلك تطوّر في نشر الدّعوة بالوسائل السّمعية المتطوّرة .

2 - استحداث الأقليات المسلمة لمؤسّسات دعوية : منذ عقد من الزمن تطوّرت وسائل الدّعوة الأوروبيّة

بأن استحدثت فيها المؤسّسات الكبيرة الجامعة مثل الاتّحادات ، كاتّحاد المنظّمات الإسلاميّة في أوروبا

كذا كليّات و جامعات إسلاميّة بأوروبا من بينها : المعهد الأوروبي للدراسات الإسلاميّة بفروعه الثلاثة بفرنسا ، وبريطانيا .

إنّ الواقع الدّعوي الرّاهن بأوروبا يمرّ بمرحلة انتقاليّة بين مرحلتين ، كانت الدّعوة في المرحلة التي مضت تهدف إلى الحفاظ على هويّة المهاجرين حفاظا على مقصد الدين من جانب الوجود ، وأصبحت في المرحلة المقبلة تهدف إلى توطين الإسلام بالبلاد الأوروبيّة وجودا حضاريا ثابتا مستمراّ يشهد على النّاس بما يكون عليه من

¹ - مشكلات الدعوة إلى الإسلام في مجتمع الأقليات المسلمة في أوروبا ، وسبل علاجها ، توفيق عبد العزيز السديري / 11
أطروحة دكتوراه ، كلية الدعوة والإعلام ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة ، المملكة العربيّة السعوديّة .

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

أموذج قوي في نفسه مشع على غيره ، وهي في هذه المرحلة الانتقالية تعيش على واقع تستشرف فيه مقتضيات المرحلة المقبلة ، وتلمس طريقها الذي يبلغها إلى أهدافها فيها .¹

ب - مشكلات الدعوة إلى الإسلام في مجتمع الأقليات المسلمة : كثيرة هي المشاكل التي تعترض واجب مقصد الدعوة في مجتمع الأقليات المسلمة نوجزها في ما يأتي :

1- المشكلات الدعوية للأقليات المسلمة المتعلقة بالجوانب المهجية : كالانحراف العقدي والفكري ، وقلة الدعاة الموحدين ، كذا تعدد وتنافر المناهج الدعوية .

2- المشكلات الدعوية للأقليات المسلمة المتعلقة بالجوانب الثقافية : مثل قلة المؤسسات التعليمية الدعوية وكذا نفوذ الوسائل الإعلامية وسيطرتها ، بالإضافة إلى ازدواجية الحضارية و الثقافية ، وضعف الهوية والانتماء لدى معظم أجيال الأقليات المسلمة .

3 - المشكلات الدعوية للأقليات المسلمة المتعلقة بالجوانب الاجتماعية : انشغال الأقليات بكسب العيش وتفكك الأسري ، وكذا الزواج المختلط ، والجو الإباحي المحيط بالأقليات المسلمة ...

4 - المشكلات الدعوية للأقليات المسلمة المتعلقة بالجوانب السياسية : النزاعات العرقية والطائفية ، مع تدني مستوى الوعي بأنظمة وقوانين البلدان التي تعيش فيها الأقليات المسلمة ، وكذلك اختلاف الانتماء والتوجه السياسي ، والعنصرية التي يوجهها أبناء الأقليات ، عدم وجود إعلام سياسي فاعل والاستفادة مما تنتجه النظم الانتخابية في أوروبا .

5 - المشكلات الدعوية للأقليات المسلمة المتعلقة بالجوانب الاقتصادية : تدني المستوى الاقتصادي لأبناء الأقليات المسلمة وتأثرهم بالنظرة المادية للمجتمع الأوروبي ، مع ضعف وعدم تنسيق المساعدات القادمة من البلاد الإسلامية وسوء إدارة أموال التبرعات ، كذا عدم وجود مؤسسات اقتصادية واستثمارية لصالح الدعوة .²

«هذا الأمر يقتضي من أن تقوم في مسلمي الغرب حركة دعوية نشيطة متأسسة من جهة على أساس علمي اجتهادي من شأنه أن يبسر الحلول للمشاكل التي تعترضهم في خضم حياتهم في مجتمع غير إسلامي ، ومتأسسة من جهة أخرى على جهود كبيرة تبذل من أجل توعية المسلمين بمقتضيات دينهم إيماناً وسلوكاً ، ومن أجل ترقية التزامهم الديني يكون التزاماً صحيحاً .»³

ثانياً - الأقليات المسلمة بالغرب ، وفقه الحوار الحضاري "التنزيل على الواقع"

لا شك أنّ علاقات الأقليات المسلمة في المجتمعات التي توحد فيها تمثل معياراً

لموقف هذه المجتمعات من الإسلام ، ومن هذه الأقليات ، بل من مختلف قضايا المسلمين في شتى بقاع الأرض ،

¹ - الآفاق الحضارية للوجود الإسلامي بالغرب ، عبد المجيد النجار ، / 173 - 174

² - ينظر بالتفصيل : مشكلات الدعوة إلى الإسلام في مجتمع الأقليات المسلمة في أوروبا ، وسبل علاجها ، توفيق عبد العزيز السديري ، / 60 - 174 .

³ - الآفاق الحضارية للوجود الإسلامي بالغرب ، عبد المجيد النجار ، / 234 .

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

وبقدر ما تنتظم هذه العلاقات ، وتستقيم على النهج الصحيح ، يتقوى استقرار الأقليات المسلمة ، ويتعاضم الدور الذي تؤديه في الحياة العامة ، وتزيد المكاسب والمنافع التي تجنيها .

وفاعلية الأقليات المسلمة في الحوار الحضاري من المهام الحسيمة المطروحة على هذه الأقليات ؛ لأنه لا يمكن للفجوة الحالية أن تستمر في التعمق لدرجة تنال من الاستقرار الدولي والتعايش بين المسلمين وغيرهم،¹

أ- الأقليات المسلمة وفقه الحوار الحضاري " المصلحة والعائق "

1 - الأقليات المسلمة ، ومصلحة مقصد الحوار الحضاري :

قد توفر لبعض هذه الأقليات كيانا قانونيًا ، وفر لها فرصة الحفاظ على خصوصياتها التي تستند إلى الهوية الثقافية الحضارية التي تتميز بها ، حيث صار اندماج هذه الأقليات في الحياة العامة للمجتمعات التي تعيش فيها لا يتعارض مع صفة التمايز الحضاري الذي يطبع المجتمع الإسلامي ، وهذا الأمر يمكنها من أن تكون فاعلة في الحوار الحضاري الذي يمثل بديلا موضوعيًا وإيجابيًا لصدام الحضارات ، وهدف هذا الحوار تحقيق المصلحة العليا للتعاون الإنساني من خلال إيجاد بنية دولية مستقرة تحاول الاتفاق على المشترك من القيم و السلوكات بين الحضارات ، والاتفاق حوله ، وتعظيمه ، دون تضحية بتمايز الحضارات²

رغم هذا الهدف المنشود لتحقيق المصلحة العامة لخير الإنسانية فيما يخص مقاصد التعاون الحضاري البناء عن طريق قناة الحوار الحضاري ، إلا أنّ هذه الأقلية المسلمة في الغرب تعترضها عوائق ومفاسد نوجزها فيما يأتي

ب- معوقات فاعلية الأقليات المسلمة في فقه الحوار الحضاري: «إذا كانت فكرة الحوار الحضاري بين

المسلمين وغيرهم في المجتمعات الغربية قد انطلقت بجد منذ بعض العقود من الزمن فإن الحوار الحضاري لم يصبح بعد ثقافة سائدة يلهج بها الخطاب المتبادل على المستوى العام ، وإنما بقي الحوار القائم يكتسي صبغة نخبوية غير ذات أثر ، وظلّ هذا الحوار يصبغ في عمومه بصبغة التباعد ، إن لم تكن صبغة الترافض ، وهو ما يشكّل إحدى العقبات في طريق الالتقاء للتعاون المشترك»³

1- ثقافة القلق : من أهم معوقات فاعلية الأقليات المسلمة في الحوار الحضاري ثقافة القلق ، فالغرب

لديهم قناعة بأن نظرة المسلمين للغرب يحكمها الشعور بالمهانة بسبب تخلفهم .

¹ - حتى تصبح الأقليات المسلمة فاعلة في الحوار الحضاري ، محمد عبد اللطيف رجب عبد العاطي ، / 350 ، د / ط

د / ت - ط .

² - المرجع نفسه / 338 - 339 .

³ - ترشيد الخطاب الديني من أجل العيش المشترك ، عبد المجيد النجار ، / 216 ، المجلة العلمية

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

هنا ينبغي أن تفهم هذه الأقليات أنّ مواجهة ثقافة القلق لن يتمّ إلاّ بالحوار الذي يهدف إلى إشاعة ثقافة التفاهم والتّعارف ، ونبذ مشاعر الكراهية.

2- روح الهيمنة والسيطرة : معظم المجتمعات التي تعيش فيها هذه الأقليات ترى أنّها قادرة على حسم صراع المكتسبات الماديّة ، وصراع القيم والمفاهيم .
والأقليات في هذا الظرف الرّاهن لا تملك إلاّ الانقياد في سبيل الوصول إلى هذه الغاية ؛ أي الانطلاق من قناة الحوار الحضاري لفكّ حناق الهيمنة والسيطرة .

3 - الخيارات القاصرة لدى أطراف الحوار: من أهمّ معوّقات فاعليّة الأقليات المسلمة في الحوار الحضاري فالغرب مثلاً قد اختار اعتبار النموذج الغربي هو النموذج الحضاري الوحيد .
مما يؤثّر هذا على الطرف الآخر ؛ أي الأقليات المسلمة في حوارها معهم .

4 - صدى التخلّف والاستبداد : المدد الاستبدادي لمعظم الأنظمة في الدّول الإسلاميّة قد طال هذه الأقليات ، ولا يمكن للأقليات المسلمة أن تعالج صدى الاستبداد إلاّ باقتباس بعض الانجازات التي حققتها إلاّ بالحوار الحضاري .¹

5 - غياب الكوادر وضعف التنسيق : من أهمّ معوّقات فاعليّة الأقليات المسلمة في الحوار الحضاري غياب الكوادر التي تمتلك صفات تؤهلها لحوض غمار هذا الحوار ، وكذا ضعف التنسيق بين المؤسسات الإسلاميّة في الدّول الأجنبية ، مما أدّى إلى عدم الاتّفاق في تحديد الأولويات²
وخلاصة القول في فقه الدعوة و الحوار الحضاري للأقليات المسلمة :

"فإنّ المجلس يوصي المسلمين عامة والمقيمين في أوروبا خاصة بالاعتصام بحبل الله ، والأخوة ، والسماحة والوسطية ، والتعاون على البر والتقوى ، والتزام الحوار الهادئ والأساليب السليمة في معالجة قضايا الخلاف ، بعيداً عن مناهج التشدد ومسالك التطرف التي تشوه صورة الإسلام ، وتسيء أبلغ الإساءة إلى المسلمين عامة وإلى الأقليات المسلمة خاصة ، فيتلقفها خصوم الإسلام والجاهلون به للتشنيع عليه والتخويف منه ومن أهله واستعداد الأمم عليهم ، وقد قال الله تعالى : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ)

[النحل : 125]

¹ - حتى تصبح الأقليات المسلمة فاعلة في الحوار الحضاري ، / 342 - 349

² - المرجع نفسه ، / 350 .

ثالثاً : الأقليات المسلمة بالغرب ، وفقه العمل السياسي "

التنزيل على الواقع"

إذا سأل سائل - مثلاً - هل "يجوز" للأقليات المسلمة أن تشارك في الحياة السياسية في البلد المقيمة فيه، بما يحفظ لها حقوقها، ويمكنها من مناصرة المسلمين في بلدان أخرى، ويبرز قيم الإسلام وثقافته في البلد المضيف؟ فإن الفقيه الواعي بعالمية الإسلام وشهادة أمته على الناس، وبالتداخل في الحياة الدولية المعاصرة لن يقبل السؤال بهذه الصيغة؛ بل سينقله من منطلق الترخص السلي إلى منطلق الوجوب والإيجابية، انسجاماً مع ما يعرفه من كليات الشرع وخصائص الأمة والرسالة¹.

أ - المقصود بالمشاركة السياسية للأقليات المسلمة : « يقصد بالمشاركة السياسية في الدول غير الإسلامية تلك الأعمال والأنشطة التي تتعلق بالسياسة المعاصرة في بلد الأقليات ، والتي يشارك فيها المسلمون بدءاً من تكوين الأحزاب السياسية ، والالتحاق بها مروراً بالترشح في الانتخابات البرلمانية ، وانتهاءً ، وإقامة التكتلات ، وعمل المناورات السياسية .»²

ب- قرار مجلس الإفتاء الأوروبي في حكم المشاركة السياسية للأقليات المسلمة وضوابطها

بعد تدارس البحوث المقدمة المتعلقة بهذا الموضوع ، قرر المجلس ما يلي :

1- هدف المشاركة السياسية هو صيانة الحقوق والحريات والدفاع عن القيم الخلقية والروحية ، وعن وجود المسلمين في ذلك البلد ومصالحهم المشروعة .

2 - الأصل مشروعية المشاركة السياسية للمسلمين في أوروبا ، وهي تتردد بين الإباحة والندب والوجوب وهذا مما يدل عليه قوله تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) [المائدة / 2] ، كما أنه يعتبر من مقتضيات المواطنة .

3 - المشاركة السياسية تشمل الانخراط في مؤسسات المجتمع المدني والالتحاق بالأحزاب ، وتكوين التوجهات ، والمشاركة في الانتخابات تصويتاً وترشيحاً .

¹ - فقه الأولويات عند الأقليات المسلمة في الغرب : " الجالية المسلمة في سويسرا نموذجاً" ، مصطفى محمد حابس ، المؤتمر

الدولي الـ 24 للوحدة الإسلامية / طهران 2011 م » ، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية .

² - المشاركة السياسية للمسلمين في بلاد غير الإسلامية ، نور الدين الخادمي / 9 ، ط / 1 ، ت - ط / 2004 ، دار وحي

القلم - سوريا .

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

- 4 - من أهم ضوابط المشاركة السياسية الالتزام بالأخلاق الإسلامية ، كالصدق والعدل والوفاء والأمانة ، واحترام التعددية والرأي المخالف ، والتنافس النزيه مع المعارضين ، وتجنب العنف .
- 5 - من أهم ضوابط المشاركة السياسية : التصويت في الانتخابات ، بشرط الالتزام بالقواعد الشرعية والأخلاقية والقانونية ، ومنها وضوح المقاصد في خدمة مصالح المجتمع ، والبعد عن التزوير أو التشهير ، والتجرد من الأهواء الشخصية .
- 6 - جواز بذل المال للحملة الانتخابية ، حتى لو كان المرشح غير مسلم ، ما دام أقدر على تحقيق الصالح العام¹ .
- إنّ جواز مشاركة السياسية للأقليات المسلمة في الغرب ، لا بدّ من الانضباط بالحذر من مزالق هذا العمل السياسي ، والانضباط بضوابطه .
- من هذه المحاذير :
- التورّط في إدانة الفصائل الأخرى العاملة للإسلام ، ووصفها بالجمود والإرهاب عندما لا تتجاوب مع الطرح السياسي الذي تقدّمه التجمّعات التي تتحمّس لهذا العمل .
 - التورّط في بعض المواقف الفقهيّة أو التصريحات الإعلاميّة التي لا تتفق مع أصول الشريعة ، والتي تستفزّ أهل البصيرة من المؤيدين لهذا العمل أو المعارضين له على حدّ سواء
 - الاستدراج إلى تنازلات لا تقابل بمصالح راجحة ، والتنازل إذا بدأ فليس له حدّ ينتهي إليه ، والمعصوم من عصمه الله تعالى .
 - لا يجوز لأهل الإسلام في خضمّ هذا العمل أن ينصروا كافرا على مسلم إلاّ من ظلم ، ولا يعينوه على مسلم إلاّ بحق .
 - لا يليق بالفئات المسلمة في تلك الديار أن تجعل ولاءها مرتبطين بنزعات إقليميّة أو عصبّيّات قوميّة ، وإتّما الولاء للإسلام فحسب .
 - لا يصلح لمن تجسّم أمر المشاركة السياسية في بلاد الأقليّات أن يكونوا متفرّقين ، بل لا بدّ أن يكونوا متّحدين ومتّفقين ليتحقّق من وراء ذلك تعظيم المصالح ، وتكثير المنافع ، وتقليل المفاسد¹ ، إعمالا للقواعد الأصولية الضابطة لفقّه المواطنة للأقليات المسلمة السالفة الذكر .

¹ - المشاركة السياسية أحكامها وضوابطها ، قرارات الدورة السادسة عشر ، 13 - 17 ، جمادى الآخرة / 1427 - 3 - 9 جويلية / 2006 ، قرار رقم 72 / 16 / 5 ، المجلس الأوروبي للإفتاء ، <https://www.e-cfr.org/>

رابعاً : الأقليات المسلمة بالغرب ، و الواقع الاقتصادي :

أ - الأبعاد المقاصدية للتعاون الحضاري الإنساني مع الغرب

للأقليات المسلمة : تعاون الأقليات المسلمة مع الغرب بحكم المواطنة ينطوي على أبعاد مقاصدية عظيمة خاصة للمسلمين نوجزها فيما يأتي :

1 - حفظ لمقصد الدين والمال للأقليات المسلمة داخل المجتمع الغربي : للتعاون الحضاري للأقليات المسلمة مع الغرب من منطلق القوة - طبعاً - فيه حفظاً لدين المسلم ولكرامته ، التي جاءت شريعة الإسلام داعية إليه فعندما يكون الأقلية المسلمة قوية من الجانب المادي ، والذي بدوره كلية من كليات الشريعة الإسلامية ، بحيث تأمر المسلم أن يحفظ ماله من جانب الوجود بتنميته اقتصادياً ، ومن جانب عدم استثماره أو تحصيله بطرق غير مشروعة .

2 - حفظ النفس من الجانب السلوكي والروحاني للأقليات المسلمة : وذلك بتوجيه سلوكياتهم الأخلاقية نحو الإنتاج والاستثمار مما يحفظ أنفسهم من مسببات القتل والانتحار بفعل عوامل الفقر ، والجوع والخوف منهجين في ذلك آليات الاستراتيجية تعينهم لتحقيق هذه الأبعاد المقاصدية للتعاون الحضاري الإنساني

ب - الآليات الاستراتيجية لتحقيق الأبعاد المقاصدية للتعاون الاقتصادي للأقليات المسلمة :

1 - العمل علة إيجاد نوع من الشبكة المعلوماتية التي تربط بين الفعاليات والمنشآت ذات الصبغة المالية والاستثمارية المتواجدة بالغرب مع صناديق الاستثمار والمؤسسات المالية الإسلامية بالشرق والعالم الإسلامي عموماً في اتجاه إقامة شراكة استراتيجية بين البوابتين " الشرق والغرب "

2 - الحث على بعث شركات قابضة بين الأقليات المسلمة في مختلف الأقطار الغربية من أجل توظيف الإمكانيات ، وتعبئة المدخرات الذاتية التي يقدر حجمها بالملايين لو وجدت الوعاء الاستثماري لتجميعها وتوجيهه الوجهة المطلوبة لصالح الأفراد والجماعات²

3 - إحياء نظام الوقف الإسلامي باعتباره مسلماً من المسالك الاستثمارية الفريدة والمجدية التي تنتج الكثير من الآفاق لتعبئة المدخرات ، وتطوير البيئة الاستثمارية للوجود الإسلامي بالغرب ، سيما وأنّ مثل هذا النظام لا

¹ - فقه التوازل للأقليات المسلمة تأصيلاً وتطبيقاً ، محمد يسري إبراهيم ، 2 / 1154 ، ط 1 / ، ت - ط / 1434 - 2013 ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية - إدارة الشؤون الإسلامية - قطر .

² - نحو توجيه استراتيجي للتمويل الإسلامي بأوروبا قضايا ومشكلات " التمويل التجاري ، محمد التوري / 268 ، المجلة العلمية للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث ، العدد / 24 - 25 ، 2009 / 1430 .

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

يواجه موانع قانونية أو عوائق إجرائية ، بل أصبح وجهة اهتمام حتى المؤسسات والنظم الغربية التي وجدت فيه قطاعا حيويًا ثالثًا ، ومصدرا من مصادر تخفيف العبء المالي على الدولة .

4 - إيلاء المزيد من الاهتمام بنظام الزكاة ، والعمل على استغلال هذه الفريضة المالية بشكل فعال ومأسستها حسب إرادتها ، وتنظيمها حتى تقوم بدورها في تنمية وتطوير الوجود الإسلامي في هذه الديار والمساهمة في مواجهة التحديات الاقتصادية المتزايدة .

5 - تشجيع البنوك الإسلامية والرأس المال الإسلامي عموما على التفكير في إنجاز مشروع بنك إسلامي أوروبي يكون بمثابة بنك إسلامي أوروبي يكون بمثابة بنك تنمية إسلامي على الساحة الأوروبية وضرورة التشريع في سبيل هذا واستثمار الفرصة الناحية اليوم أكبر .

و هذا استجابة لتعاضم حاجة الإنسانية عموما للتمويل الإسلامي في إطار الميل المتزايد نحو كل نحو كل ما يرتبط بالأخلاق والقيم والمعاملات المالية من الرّبا الفاحش والاستغلال المقيت فادت إليه الرأسمالية الوحشية .
إنّ مجمل الأوضاع الأوروبية اليوم تتجه بشكل متسارع وملفت نحو استقطاب نظام التمويل الإسلامي عبر انخراط كبرى البنوك والمؤسسات المالية الأوروبية في هذا السياق وإنشاء الفروع والصناديق الإسلامية بالنشاط في الساحة الأوروبية ، وهي نقلة نوعية جديدة بالتأمل والاهتمام بدعم المسيرة العامة لانتشار الإسلام وترسيخ الوجود الإسلامي في هذه الديار .¹

وخلاصة القول : أنّ الحاجة تبدو ماسّة إلى أن تتحوّل الأقليات المسلمة في الغرب من مجرد مهاجرين طارئین إلى مواطنين أصليين بعد قرون من العيش في تلك المنطقة ، وأن ينزعوا عن أنفسهم مشاعر العزلة والانطواء ويتحرّكوا نحو التعايش الاجتماعي والاندماج السياسي والاقتصادي ، والحضور البناء في مختلف مؤسسات الدولة وهيكلها بما يعكس دورهم الفعلي ، و يبرز دورهم الإيجابي كمساهمين أساسيين في بناء تلك المجتمعات الغربية .²

¹ - نحو توجيه استراتيجي للتمويل الإسلامي بأوروبا قضايا ومشكلات " التمويل التجاري ، محمد النوري 269 ، المجلة العلمية للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث ، العدد / 24 - 25 ، 2009 / 1430 .

² - آفاق مستقبلية للعمل السياسي لمسلمي أوروبا " خصائص الأداء السياسي ، ومكان القوة والضعف ، محمد رمضان / 19 - 20 ، المجلس الأوروبي للإفتاء .

المبحث الثاني

مقصد التّعاون الحضاري عوامل فشله ، وسبل النّهوض به

كل نجاح وفلاح في دار الدنيا تحكمه عوامل وأسباب، إن أحسنّا استخدامها، واستنبطنا قواعدها من الوحي الإلهي مسترشدين بمقاصدها المبتوثة في ثنايا نصوصها، نجحنا في تعاوننا وتواصلنا مع غيرنا، ولعلّ أعظم وأهم عوامل نجاح مقصد التّعاون الحضاري الإنساني هي تلك العوامل المتعلّقة بالسّنن الإلهية، من سنّة الاستخلاف، فالتدافع بين الحقّ والباطل، ليكون التّداول فسنة التّغيير في الأنفس والآفاق. ولأنّ هذه السّنن غابت في مسيرة تعاوننا الحضاري الإنساني مع غيرنا، حلّت محلها عوامل الفشل والضعف والانهيار بسبب التّعصب المقيت، والتّطرف المذموم، فإرهاب وحروب وصراع ودمار. ولتوضيح وتحليل أكثر لهذه الإشكالية انتهجت الخطة الآتية:

المطلب الأول: العوامل المؤثرة سلبا على واقع مقصد التعاون الحضاري الإنساني
المطلب الثاني: فقه مقاصد السنن الإلهية سبيلا للنهوض بمقصد التّعاون الحضاري الإنساني

المطلب الأول

العوامل المؤثرة سلبا على واقع مقصد التعاون الحضاري الإنساني

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

في هذا المطلب سنتعرف على أهمّ عوامل فشل مقصد التعاون الحضاري الإنساني في واقعنا اليوم، أهمّها التعصب الديني والطائفية العرقية، هذان العاملان، أفرزا أخطر ظاهرة تشهدها البشرية في كل بقاع العالم، ألا وهي ظاهرة الإرهاب والحروب.

الفرع الأول - التعصب الديني، التعصب الطائفي

أولاً: التعصب الديني

المتعصبون في كل دين يرون في أنفسهم الأفضلية على من سواهم، ويتقنون في أنهم يمتلكون الحقيقة المطلقة، وأن تصورهم لله تعالى هو الأصدق، وأن الجنة جنتهم، والنار مثوى الكافرين بما يعتقدون. اليهود يؤمنون بأنهم شعب الله المختار، والمسيحيون يرون أنهم ملح الأرض، والمسلمون المتعصبون الجاهلون بحقيقة الدين الإسلامي يعتبرون أنفسهم خير أمة أخرجت للناس. كل متعصب لعقيدة يرون أنهم ممتازون عن غيرهم، وذلك هو مدخل التعصب الديني. ولو فقه هؤلاء الأمر جيداً لما سقطوا في فخ التعصب؛ لأنّ الأفضلية والامتياز مناطها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتقوى. **قَالَ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَمَّا أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ فَمِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران/ 110].**

و لاستوعبوا أنّ الذي يؤمن بالإله الواحد خالق السماوات والأرض وبالحساب والجزاء، والجنة والنار ويسلم وجهه له، ويؤمن بمحمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ويطبق مبادئ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتقوى، هو المنتمي لعقيدة الإسلام التي لن يرضى الله - سبحانه - لعباده بعقيدة غيرها، ولكن ماذا نقول في التجار! في كلّ دين الذين يسوقون قطعان البشرية الجاهلة بحقيقة الدين الإسلامي إلى جحيم الدنيا والآخرة. والمتأمل اليوم لواقع التعصب الديني أنّ أكثر من اكتوى بناره في العالم اليوم وغرق في طوفانه التجسس هي الأمة الإسلامية، فالدماء مراقبة والأشلاء الممزقة للمسلمين المستضعفين¹ في فلسطين وسوريا والعراق، في أفغانستان وبورما والفلبين... .

أ- معنى التعصب الديني، وأدلة تحريمه:

1- معنى التعصب الديني لفظياً:

¹ - الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، محمد الغزالي، / 190.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

- **التعصب لغة:** التعصب مأخوذ من العصبية والعصبة، وهي أن يدعو الرجل إلى نصرته عصبية والتألب معهم على من يناوئهم، ظالمين أو مظلومين، والعصبي: هو الذي يغضب لعصبية، ويحامي عنهم، والعصبة الأقارب من جهة الأب، والعصبة والتعصب المحاماة والمدافعة، وعصبة الرجل: قومه الذين يتعصبون له.¹ فالتعصب إذا هو الانتصار للأقربين والدفاع عنهم سواء كانوا ظالمين أو مظلومين.

- **الدين لغة:** الدين جمع أديان: يقال دان بكذا ديانة، وتدین به فهو دين ومنتدين، ودينت الرجل تدينا إذا وكلته إلى دينه.²

- **التعصب اصطلاحاً:** شعور يجعل الإنسان يرى نفسه على حق، ويرى الآخرين على باطل، ويظهر في صورة ممارسات ومواقف تحتقر الآخر، ولا تعترف بحقوقه وإنسانيته.³

«فالتعصب إذا نمط من السلوك يتصف بالتحيز الظاهر والميل الذي يتداخل فيه ويتمزج العامل النفسي مع العامل الذهني، ويتمحور حول شيء ما، إما فكرة، أو مبدأ، أو معتقد، أو شخص أو جماعة وبشكل يكون ظاهر ومنكشف للآخرين.

والمتعصبون في كل مكان يؤمنون بأنهم على حق، وأن الآخرين على باطل، وهم يؤمنون بأن الآخرين يجب حجبهم ومنعهم وتحطيمهم؛ لأنهم شرّ محض».⁴

- **معنى الدين:** «وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقاد، وإلى الخير في السلوك والمعاملات، أو أنه وضع إلهي سائق لذي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المال».⁵

2- معنى التعصب الديني باعتباره مركباً إضافياً: التعصب الديني هو اعتقاد ينتاب المتعصبون لدينهم بأنهم على حق وأن غيرهم على باطل، فيمارسون عليهم شتى أصناف الاحتقار والإذلال، حتى يرضخوا لدينهم وإلا محاربتهم ومقاتلتهم وتحطيمهم؛ لأنهم في اعتقاد هؤلاء المتعصبين أنهم شرّ محض يجب التخلص منهم مثلما

¹ - لسان اللسان، تهذيب لسان العرب، ابن منظور، 2 / 180-181، ط / 1، ت ط / 1413-1993، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

² - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، / 397

³ - التعصب الديني والتحزب الطائفي، مصطفى تسييرتش / 8، مؤتمر مكافحة الإرهاب، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة 3-6 جمادى الأولى / 1436، الموافق ل: 22-25 فيفري / 2015.

⁴ - التعصب الديني والتحزب الطائفي، محمد طاهر حكيم، / 7، مؤتمر مكافحة الإرهاب، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة 3-6 جمادى الأولى / 1436، الموافق ل: 22-25 فيفري / 2015.

⁵ - الدين، محمد عبد الله دراز، / 33، د / ط، د / ت ط، دار القلم - الكويت.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

يقوم به اليوم البوذيون في حق أهل بورما المسلمين، وبنو صهيون في حق أهل فلسطين، والشيعية في إيران والعراق في حق السنّيين والنصارى واليهود في حق الأقليات المسلمة في شتى بقاع الأرض، والمتعصبون من الجاهلين بحقيقة الدين الإسلامي المنتمين إليه بالاسم، في حق غير المسلمين المسالمين .

ب- أسباب التعصب الديني:

- تضخم الذات: كما أخبرنا القرآن الكريم على لسان **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿يَقُولُوا لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾** [غافر / 29].

وهذه الذات المتضخمة قد تكون ذات الشخص أو ذات الجماعة أو ذات الدولة.

- الجهل والتخلف المعرفي: فالجهل بالآخر وعدم توسيع المدارك بمعرفته والاطلاع على ما يؤمن به يدعوه إلى التعصب ضده ورفضه وحسبنا أن نقول: إن الهجوم على الإسلام اليوم ومحاربتة من كثير من الشعوب الغربية هو بسبب الجهل بمبادئه وعدم معرفته على الحقيقة هذا مع التشويه وإلقاء الشبهات المتعمد وغير المتعمد من وسائل الإعلام وغيرها.

- تقديس البشر والعلو فيهم: كما **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢١﴾﴾** [التوبة/ 31].

وهذا التقديس والعلو يصل إلى حدّ إضفاء صفة العصمة والقداسة ممّا يؤدي إلى التعصب لهذا الشيخ أو لهذه الجماعة.

- الانغلاق وضيق الأفق: نجد كثيراً من الطوائف والجماعات منغلقة على ذاتها لا تسمع إلا لنفسها وتمنع أتباعها من الاستماع لغيرها وكثير من الأفكار المتطرفة والمتعصبة تنشأ في الأوكار السريّة وسرايب الظلام في أجواء مغلقة تعلّم الإرهاب ورفض الآخر والعنف الموجه وتكفير المخالف.¹

- التنشئة الاجتماعية: فالنشأة في أسرة تميز ضد اللون أو الجنس أو القبيلة والجماعة أو الفكر وتغذي روح التعصب والتطرف ضد الآخر تنتج لنا أناسا متعصبين ومتحجّرين ومتطرفين والأسرة نواة المجتمع، وتأثير تنشئتها لا بدّ وأن يظهر في المجتمع، وقد يغلب فيكون التعصب هو الصبغة العامة له.

¹ - التعصب "مظاهره - أسبابه - نتائجه - البعد الشرعي"، عادل الدخي / 3 - 5 ربيع الثاني 1426 هـ 2005/5/18م

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

- الفهم الديني الخاطئ: لا شك أن الانحراف في فهم الدين من أسباب التعصب الرئيسيّة فالتعصب الصلبي ضدّ المسلمين كان ناتجاً من فهم خاطئ لمبادئ الدين النصراني، والتعصب المذهبي الذي أدى إلى رفض الآخر في الإسلام كان ناتجاً من فهم خاطئ لاتباع العلماء.

- غياب أخلاقيات التعامل مع المخالف: مثل العدل والإنصاف والتجرد والتعايش معه رغم الاختلاف والثناء عليه بما أصاب والدفاع عنه إذا ظلم وتناول عليه الآخرون بغير حق وغيرها من الأخلاقيات.¹

ج - أثر التعصب الديني على مقصد التعاون الحضاري الإنساني: لا بدّ لنا في البداية من توضيح حقيقة مهمة قبل توضيح أثر التعصب الديني على مقصد التعاون الحضاري الإنساني ألا وهي:

1- العالم الغربي يتقارب رغم الاختلاف الديني: لقد رأينا أنّ المذاهب المسيحيّة، وهي أشبه بأديان متباينة يقترب بعضها من بعض، ويتعاون بعضها مع بعض.

اليهودية والنصرانيّة على ما كان بينهما من عداوة تاريخي يتقاربان، ويتعاونان في مجالات شتى، حتى أصدر الفاتيكان منذ سنوات وثيقة شهيرة بترئة اليهود من دم المسيح.

تقاربت أمريكا مع الاتحاد السوفياتي فيما يسمّى أول الأمر التعايش السلمي، ثمّ تطوّر إلى أن أصبح سياسة الوفاق.

أوروبا التي مزقتها الحروب والصراعات والنزاعات القوميّة والإقليميّة والسياسيّة والأيدولوجية، فهي اليوم تقترب حتى توشك أن تكون دولة واحدة تذوب بين أقطارها الفواصل والحدود.

وأعجب من ذلك هو ما يحدث في أوروبا الشرقيّة ذاتها تلك التي كان يفصلها الستار الحديدي الزهيب من أوروبا الغربية واليوم يكاد هذا الستار يرقّ ويرقّ حتى تمزق في النهاية.²

أمم فقهت أنّها إذا أرادت أن تسود العالم عليها التخلي عن كلّ العصبية وأهمّها التعصب الديني والفكري فتخطّت هذا السد المنيع فبنت لنفسها مجداً، وعلمت يقينا أنّها إذا أرادت أن تتحكّم في رقاب الشعوب الأخرى عليها بنشر بذور العصبية الدينيّة وسقيها في كلّ حين بالحقد الدفين خصوصاً عن الإسلام والمسلمين فكان لها ما أرادت مع العالم الإسلامي.

¹ - التعصب "مظاهره - أسبابه - نتائجه - البعد الشرعي"، عادل الدخعي / 3 - 5 ربيع الثاني 1426 هـ / 2005/5/18م
_bfekra.blogspot.com/2012/10/blog-post_9420.html

² - الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، يوسف القرضاوي / 92، ط / 1، ت ط / 1421 - 2001
دار الشروق، القاهرة - مصر.

2- العالم الإسلامي تأكله العصبية الدينية، والتفرق المذموم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها].¹

فمن حكمة الله عز وجل ومن سننه الكونية والاجتماعية أن هذه الأمة إذا ابتعدت عن المنهج الإلهي جعل بأسها فيما بينها.

فهذا الاختلاف الاعتقادي هو في الواقع مصيبة جرّت إلى كوارث في البلاد الإسلامية، وشقّت صفوف المسلمين وفتقت كلمتهم، وهي مما يؤسف له، ويجب أن لا يكون²، فهذا سني وهذا شيعي، والآخر علوي وهنا لا بدّ لنا أن نعترف أنّ ما يجرّ به العالم الإسلامي من تفرق اعتقادي وتعصب مذهبي أعطى فرصة سانحة للمتربصين بالإسلام لتضليل الآخرين عن قيمه ومعانيه الحقيقية مستغلين الوضع المتأزم من عمليات إرهابية التي ارتكبت في ديار المسلمين أو استهدفت دولا غريبة كما حدث في باريس حين كشفت لنا جريمة شارلي ببحق عن صدام حضاري مقلق. ولعلّ حضور هذه الأصوات المتطرّفة من الطرفين كداعش وفيلدرز بقوة في الساحة سيؤدي إلى اندلاع حرب عقائدية ذات نزعة متطرفة تهدف إلى تعزيز التطرف وتفاقم التعصب، ما يعيق أيّ محاولات لردم الهوة وبالتالي هدم مبادئ الانفتاح والتواصل والتعاون الحضاري الإنساني، وربما هذا ما يفسّر الاهتمام غير المسبوق بالعلاقة ما بين الأديان ومسألة التوتر الديني في وقتنا المعاصر.³

3 - و النتيجة: آثار تعود ويلاهما خصوصا على المستضعفين من المسلمين في كل بقاع الأرض فالفليبين مثلا الذي ذهب ضحيته الآلاف من المسلمين، ولبنان كذلك تعاني من التعصب النصرائي والباطني، والمسلمون في كل مكان بل وغيرهم يعانون من التطرف والتعصب والغلو اليهودي، الذي تتعدّد منظماته وجماعاته التي تسفك الدماء، وتسرق الأراضي والدور وتمتهن حرمت المقدّسات.

ومع ذلك يغضّ البصر عن كلّ هذه التيارات، ويهوّل تيار التعصب والتطرف عند المسلمين فأصبح مجرد ذكر التعصب الديني ينصرف فيه الذهن إلى المسلمين.

¹ - رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، 2 / 1321، رقم الحديث / 2890.

² - الصحوة الإسلامية الاختلاف المشروع والاختلاف المذموم، يوسف القرضاوي، / 57.

³ - التعصب الديني إذ يحفز صراع الحضارات! زهير فهد الحارثي <http://www.alriyadh.com/1063038>

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

يتساءل بعض المفكرين المسلمين قائلاً¹: «من هم المعنيون بالتعصب؟ ثمّ يجيب: إنهم المسلمون فقط من شعوب وحركات وجمعيات، فاليهود مثلاً رغم كلّ ما قاموا به من إرهاب وقتل وإحراق وتخريب للمسلمين وديارهم منذ قيام إسرائيل، وحتى الآن لا يعتبر عملهم تعصباً دينياً! وما تقوم به حكومات مسيحية كالفليبين ضدّ المسلمين² والوثنيين ضدّ أهل بورما المسلمين، والهندوس ضدّ مسلمي الهند لم يصفه أحد من الغرب بأنه تعصب ديني». «دين».

بل تمرّ أخبار التطرف اليميني واليساري في الغرب بهدوء تام في الوقت الذي يدقّ فيه الإعلام الغربي يومياً ناقوس الخطر ضدّ التعصب الديني الذي يقصد به المسلمون دون غيرهم.

هذا الجوّ المشحون بالتعصب الديني يستحيل معه تواصل الشعوب مع بعضها وتعاونها فيما بينها تعاوناً حضارياً إنسانياً وهو بدوره الفتيل الذي يشعل الحروب، ويوقد نيران الإرهاب الدولي.

ثانياً: التعصب الطائفي

الدين الإسلامي دين الاجتماع والوفاق بدليل أمره سبحانه في محكم تنزيله **قَالَ تَعَالَى ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ فُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٣٣﴾ [آل عمران / 103]**.

ونهى عباده المسلمين عن التشبه باليهود والنصارى **قَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥٥﴾ [آل عمران / 105]**.

لكن المغرضين في كل زمان ومكان همهم الأكبر كيف يشتتوا هذه الأمة، فلم يجدوا منفذاً أعظم من ردّهم إلى الجاهلية الأولى وهو بثّ عوامل الفرقة بينهم عن طريق التعصب الطائفي.

فما المقصود بالتعصب الطائفي؟، وما آثاره السلبية على مقصد التعاون الحضاري الإنساني؟

أ - معنى التعصب الطائفي: سبق لنا وأن بينا معنى التعصب لغة واصطلاحاً وفيما يأتي نحدد معنى

الطائفي في اللغة والاصطلاح، لنستخلص من خلاله معنى التعصب الطائفي كمركب إضافي.

¹ - الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة - دراسة علمية حول مظاهر الغلو ومفاهيم التطرف والأصولية، عبد الرحمن بن معلا اللويحي، / 144، ط / 1، ت ط / 1412 - 1992، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

² - كيف نفهم التطرف الديني؟، إدريس الكتاني / 75، عن كتاب المسلمون والعصر، العدد / 14، تاريخ الإصدار / 15 / 01 / 1987، نشر مجلة العربي - الكويت.

- معنى الطائفي لغة واصطلاحاً:

- معنى الطائفي لغة: مصدره الطائفة، والطائفة من الشيء قطعة منه¹. قَالَ تَعَالَى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور / 02].

والطائفة من شيء جزء منه، والطائفة جماعة من الناس.²

- معنى الطائفية اصطلاحاً: هو الذي يتبع جماعة معينة تحمل فكراً متعصباً، وتمثل امتداداً أو تواصلًا تاريخياً وذات جذور اجتماعية، ولها ناطقون باسمها سواء أكانوا علمانيين أم رجال دين يذودون عنها ويصوغون مصالحها بلغة التعايش والخصومة مع جماعات أخرى.³

- معنى التعصب الطائفي باعتباره مركب إضافي: «هو شعور عدائي لطائفة تجاه طائفة أخرى موازية لها في التعصب، تستخدمها بعض فئات النخبة السياسية في التنافس على السلطة، أو تأمين قاعدة اجتماعية أو مذهبية تعزز بها موقعها الاستراتيجي، ومستعدة لاستباحة الدماء والأموال، والأعراض دون دليل شرعي، قصد تحقيق أهدافها».⁴

ب - أدلة تحريم التعصب الطائفي: جاء تحريم التعصب الطائفي صريحاً في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وفيما يأتي أهم هذه الأدلة:

1 - من القرآن الكريم: آيات قرآنية كريمة حرمت التعصب الطائفي لما له من آثار سيئة نذكر منها: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَقِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاتَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات / 09].

- هذه قاعدة تشريعية عملية لصيانة المجتمع المؤمن من الخصام والتفكك والطائفية المقيتة، تحت النزوات والاندفاعات، تأتي تعقيباً على تبين خبر الفاسق، وعدم العجلة والاندفاع وراء الحمية والحماسة، قبل التثبت و

¹ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية / 712.

² - لسان اللسان، تهذيب لسان العرب، 2 / 111.

³ - مسألة الطائفية وصناعة الأقليات في المشرق العربي الكبير، عزمي بشارة، / 9، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية العدد / 11، 2015، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

⁴ - المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات، برهان غليون، / 18، ط / 3، ت ط / 2012، الدار العربية للعلوم، ناشرون بيروت - لبنان. خطر التعصب الطائفي على الأمة. د شوقي علام / <http://www.ahram.org.eg/News/101500/4/376018>

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

الاستيقان¹. فتضح جليا من خلال هذه الآية تحريم الإسلام للتعصب الطائفي، وإعطاء الأوامر في وجوب الإصلاح بالقسط والعدل بين الطوائف الباغية والمتقاتلة فيما بينها، للحفاظ على لحمة المجتمع وتماسكه وتضامنه وتعاونيه فيما يخدم البشرية جمعاء إذا كانت رابطة الوحدة تجمعهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران/ 103].

- قال بن كثير: «أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة... وقد ضمنت لهم العصمة عند اتفاقهم من الخطأ وخيف عليهم الافتراق والاختلاف»².

- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح/ 26].

- قال ابن عاشور: «إضافة الحمية إلى الجاهلية لقصد تحقيرها وتشنيعها، فإنها خلق أهل الجاهلية، فإن ذلك انتساب ذم في اصطلاح القرآن³» كقوله قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُبُوءًا يُعْطَىٰ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران/ 154].

وقوله تَعَالَى: ﴿الْحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة/ 50].

وكثيرة هي الآيات القرآنية التي تدعو إلى الاعتصام والاتفاق، والانتماء إلى طائفة المؤمنين وتنهى عن التعصب الطائفي والجاهلية المقيتة التي تولدها الانتماء إلى عصبة الشيطان وزبانيته بسبب التفاخر بالأنساب أو

¹ - في ظلال القرآن، سيد قطب، 6 / 3343.

² - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 186.

³ - التحرير والتنوير، ابن عاشور، 193 - 194.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

الانتصار للقبيلة وإن كانت ظالمة، أو لأجل تحقيق مكاسب دونية عن طريق النهب والغزو كما كانت تفعل القبائل في الجاهلية الأولى.

2 - من السنة النبوية الشريفة:

- عن جابر قال: [اقتتل غلامان غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار فنادى المهاجر أو المهاجرون يا للمهاجرين ونادى الأنصاري يا للأنصار فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا دعوى أهل الجاهلية قالوا لا يا رسول الله إلا أن غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الآخر قال فلا بأس ولينصر الرجل أخاه ظلماً أو مظلوماً إن كان ظلماً فلينبهه فإنه له نصر وإن كان مظلوماً فلينصره].¹

- عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم فتح مكة فقال [يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتعاضمها بأبائها، فالناس رجلان برّ تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾].²

- عن ابن عمر قال خطبنا عمر بالجابية فقال: [يا أيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا فقال أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفضو الكذب حتى يخلف الرجل ولا يستحلف ويشهد الشاهد ولا يستشهد ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان عليكم بالجماعة وإيّاكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد من أراد مجبوحة الجنة فليلزم الجماعة من سرتة حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن].³

فهذه الأحاديث وغيرها تعضد ما جاء به القرآن في تحريم التعصب الطائفي وتبين خطره على الأمة الإسلامية خصوصاً، وعلى كلّ البشرية عموماً.

ج- أسباب التعصب الطائفي: هناك أسباباً عديدة بعضها ذاتي صرف ولا تتسم بالموضوعية وتعكس وجهة متعصبة ولا تستند إلى أسس علمية... ولكن هناك من الأسباب التي يمكن الاتفاق عليها نظراً لتضمنها

¹ - رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب، نصر الأخ ظلماً أو مظلوماً، 2 / 1200، رقم الحديث / 2584.

² - رواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الحجرات، / 739، رقم الحديث / 3270.

³ - رواه الترمذي، كتاب الفتن عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في لزوم الجماعة، / 489، رقم الحديث /

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

رؤية صحيحة للأحداث فيشير الأستاذ إحسان محمد الحسن في دراسته بعنوان التدخل الأجنبي أحد مظاهر التهديد - الطائفية مرض اجتماعي إلى أهم أسباب التعصب الطائفي.

1- التنشئة الاجتماعية الخاطئة والمعيبة والمتحيزة التي تعتمد العوائل في تربية أبنائها منذ المراحل الأولى للتنشئة الاجتماعية والتربية الأخلاقية.

2- المصالح السياسية والاقتصادية التي تضعها الطائفة في الحسبان عند صراعها واقتتالها مع الطوائف الأخرى.

3- الجهل وضيق الأفق والتحيز والتعصب الذي يسيطر على الطوائف الدينية والمذهبية المتخصصة.

4- المصالح المادية وغير المادية التي تجنيها كل طائفة من الطوائف المتحيزة لخدمة أغراضها ونواياها ومخططاتها.

5- في بعض الحالات ترجع الطائفية إلى عامل التدخل الأجنبي في شؤون الطائفية المتحيزة بغية إضعاف المجتمع ونشوب الحرب الأهلية بين أفراد وجماعاته.

6- ترجع الطائفية إلى منظومة الأمراض الاجتماعية والنفسية التي تعاني منها الطوائف المتحيزة والتي تحملها إلى التصادم فيما بينها مما يضعف ذلك المجتمع ويقود إلى انهياره وتداعي بنيته وتمزق نسيجه الاجتماعي.

7 - من أهم أسباب الطائفية وجود الأقليات القومية والعرقية التي تقود إلى تحيز كل طائفة إلى أفرادها ووقوفها ضد الطوائف الأخرى بدون وجهة نظر حق وعدل.¹

د - الآثار التعصب الطائفي على مقصد التعاون الحضاري الإنساني : الطائفية معوق من معوقات بناء المجتمعات، ومردّها يرجع إلى طمع منتسبي هذه الفرق الطائفية في الوصول إلى المكاسب الشخصية أو السياسية أو الاجتماعية، ولقد حاربها الإسلام بكل صورها، بل حرّم بث جذور الفتنة بين أبناء المجتمع الواحد، وبينه وبين المجتمعات الأخرى، فهي حينما تتضخّم تتحوّل إلى ورم خبيث يهدّد كيان المجتمع بأكمله، وهي إحدى المعوّقات التي تعانيها المجتمعات العربية في الوقت الراهن، حيث أصبحت عقبة كؤودًا في وجه البناء والتحديث في المجتمعات المدنية؛ لأن أي نظام طائفي غير مؤهل لأن يتصالح مع المجتمعات الحديثة.

¹ - الطائفية، محمد نبيل الشيمي <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=2020>

1 - آثار التعصب الطائفي في خلق الحروب الأهلية: التعصب الطائفي السائد اليوم قد يضعف ويفقد سيادته غداً، وهكذا يذيق بعضهم بئس بعض ويدخلون في دوامات من العنف لا تنتهي. وأول الراجح من مثل هذه الحالة أعداء تلك الأمة والطامعون فيها والانتهازيون من السياسيين والخبثاء منهم الذين يعبدون كراسيهم ومصالحهم ويأثرونها على كل شيء، وهؤلاء لا دين لهم وإن تظاهروا بالتدين ولا إيمان لهم، اتخذوا أهوائهم وشهواتهم وعاجل أهدافهم آلهة وأرباباً من دون الله، ومهما يسوق هؤلاء من مصوغات من مواقفهم فإنهم يكذبون على شعوبهم ويخدعونهم، وتلك هي الطائفيّة السياسية.

والمسلمون اليوم يفتك بهم هذا الداء ويزيد في آثاره المدمرة أولئك الساسة الانتهازيون والمخادعون، لقد أدت الطائفيّة السياسيّة إلى تمزيق العراق وتدميره ودعوة المحتل المتربص لاحتلاله، وأدت في أماكن كثيرة إلى إراقة الدماء وقتل الأبرياء وتدمير المصالح، وها هي تفتك بسوريا الصّحية الثّانية للطائفيّة السياسيّة والبقية تأتي، أما في مصر فإنّ مصرَ على خطر عظيم، فالأحداث المتفرقة التي تجري بين الحين والآخر في هذا المكان أو ذاك إنّما هي إرهابات ومقدّمات لخلق بيئة مريضة يمكن لجراثيم الطائفيّة السياسيّة أن تعشعش فيها وتفرخ فيها.¹

ولا يزال التعصب الطائفي، يمدّ جذوره في كافة أنحاء العالم الإسلامي، يسقيه العالم الغربي بسموم حقه الدّفين عن الإسلام وأهله.

2 - انعدام التعايش بين الأجناس المختلفة في المجتمع الواحد: يشهد العالم طلاقات عنصرية موجعة ضد أديان أو ثقافات معينة أو حتى دول محددة، وهذا أمر متوقع ما دام العالم يعجّ بالمجانين والسّكاري بكؤوس العنصرية العرقية أو الدينية أو الطائفيّة!

فلطالما استخدم التعصب الطائفي كأساس انطلقت منه العنصريّة البغيضة، التي قسّمت العالم إلى طوائف مختلفة حتى جعلت منهم طوائف عليا وأخرى دنيا، ومن ثمّ سمحت للطوائف العليا استعمار واستغلال، واستعباد الطوائف الدنيا.²

وهذا للأسف ما نراه ماثلاً أمامنا اليوم واقعا معيشا حيث بدأ التعصب الطائفي يضرب أطنابه بحدة في كلّ المجتمعات الإنسانية، ويمدّ جذوره من الشرق إلى الغرب تغذّيه الحقد الدفين على الأمة الإسلاميّة، التي لطالما تعايشت مع غيرها وضربت أروع الأمثلة في التسامح والإحسان حتى غدت حضارة إنسانية بما تحمله كلمة الإنسانية من معان جليلة.

¹ - الطائفيّة أخطر ألغام المنطقة، طه جابر العلواني، <http://alwani.org>.

² - المشترك الإنساني، نظرية جديدة للتقارب بين الشّعوب، راغب السرجاني / 468 - 469.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

ولأنّ الأعداء أيقنوا سرّ هذه القوة التي تتمثل في اتحاد كلّ أطرافها، فبدأت تفكّك هذه الروابط بنشر فكرة التعصب الطائفي وخلق الفتن التي تخدم مبدأ التعايش في المجتمعات الإسلامية خصوصا، ولا أدلّ على ذلك ما تعانيه اليوم مصر والعراق وسوريا ولبنان ولناخذ أمودجا واقعا من الفتنة الطائفية في عصرنا الحديث كدليل على خطر التعصب الطائفي وآثاره السيئة على مقصد التعاون الحضاري الإنساني ألا وهي:

- **الفتنة الطائفية في مصر بين مسلميها وأقباطها:** في هذا الشحن الطائفي، والجو محتقن قامت جهات عدّه بعضها خارجي وأغلبها داخلي بانتهاز هذه الفرصة، وإشعال النار في الحطب فشاركت في جريمة إشعال نيران الفتنة الطائفية في مصر نذكر أهمها:

- **النصارى:** نظرا لتخوّف البعض خاصة قيادات الكنيسة من إطاحة هذه الثورة بمكاسب هائلة حصلوا عليها في العهود السابقة لا سيما في زمن يتم فيه الإعداد لوضع دستور جديد.

- **الغرب والصهيونية:** يتعارض اتحاد أطراف المجتمع المصري مع بعضه وتعايشه من أجل تحقيق غايات كبرى من تأسيس نهضة شاملة لا يعود خيرها على مصر فحسب بل العالم الإسلامي كلّه، مع طموحات استعمارية ممتدة جذورها على مدار عقود طويلة كما يهدد مواقع نفوذ غاية في الأهمية لكبرى دول العالم، ولا شك أنّ الغرب لن يقف متفرّجا على مصر وبقية العالم الإسلامي وهي تنهض لتصبح قوّة كبرى في العالم. أمّا الكيان الصهيوني يمكننا أن نتخيّل مدى الرعب الذي يعيش فيه عندما تستقل بقرارها السياسي وانحيازها لقضايا للأمة الإسلامية، ولهذا يحثّ الخبراء الصهاينة دوائر صنع القرار في الكيان الصهيوني بمراقبة الأوضاع الداخلية في مصر بشكل ثاقب.

- **الإعلام:** يعود ذلك إلى السيطرة العلمانية على غالب الوسائل الإعلامية بعدما حرم الإعلام على أبناء الحركة الإسلامية منذ الخمسينيات من القرن الماضي.

- **بعض الإسلاميين:** حيث يشارك بعض الإسلاميين في إشعال الفتنة الطائفية في بعض الأحيان، وهم حسنوا النيّة لانجرارهم وراء عواطفهم الدينية الجياشة، وهو ما يخرج بهم من نطاق الحكمة وحسن اختيار التوقيت في بعض الأحيان، بما يوقعهم في الكثير من الأخطاء التي تستغلّ ضدّهم وتضعف موقعهم.

- **غياب الأمن:** ساهم غياب الأمن في إشعال الفتنة الطائفية في مصر من خلال أمرين:

- **عدم القدرة الفعلية على ضبط الأمن ورصد الحوادث قبل وقوعها، ومتابعة الجناة، وتقديم خدمة التأمين اللازم لبعض الأماكن الحيوية.**

- **شعور الناس بالضعف، وتشجيع بعض الأطراف غير المنضبطة على المخالفة بما يساهم في اتّساع نطاق الجرائم والأخطار.**

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

الحالة الاقتصادية: ساهمت الأوضاع الاقتصادية المتردية في المناطق التي شهدت صراعات طائفية في تأجيج الفتنة مما أدى إلى تضاؤل الإحساس بالهوية وقدرتها على أداء الحقوق لأصحابها إضافة إلى استغلال بعض الجهات للحاجة الاقتصادية لدى الأفراد وتجنيدهم لتنفيذ مخططات تزيد من اشتعال الفتنة.¹

دولة واحدة من العالم الإسلامي تكالبت عليها كل هذه العوامل لتشعل فيها الفتنة الطائفية والتعصب المقيت فكيف بدول العالم الإسلامي كله الذي يريد العالم الغربي أن يمتد لهيبتها، وقد كان لهم ذلك فما هي سوريا تحترق والعراق تدمر، ولبنان تمزق بسبب التعصب الطائفي بين المسيحي والمسلمين وبين السنة والشيعة.

فكيف يا ترى يكون التعاون الحضاري الإنساني مع العالم الآخر الذي يريد لها فتنة طائفية-لولا بعض العقلاء منهم -تعصب طائفي لا ينهض العالم الإسلامي بعده أبدا، ولكن هيهات لهم ذلك!!!

فالتعصب الديني والطائفي إذا هما وقود الإرهاب الذي سنتحدث عنه في الفرع الآتي كعامل من عوامل فشل مقصد التعاون الحضاري الإنساني.

الفرع الثاني: الإرهاب الدولي

إن ظاهرة الإرهاب الدولي تتصاعد وتيرتها يوما، والحروب تغرق فيها معظم المجتمعات الإسلامية، بسبب التعصب الديني والطائفية، حركات سلاحها الفتنة والتقتيل، بتشويه الإسلام بقيمه ومبادئه الداعية إلى السلم والأمن والأمان.

فما حقيقة الإرهاب الدولي؟ وما آثاره السلبية على مقصد التعاون الحضاري الإنساني؟

أولا: حقيقة الإرهاب

إن استخدام المعاصرين لمادة رهب وما اشتق منها، وبين استعمالات هذه المادة وما اشتق منها في نصوص الشارع بونا شاسعا.

أ - المدلول القرآني للفظه الإرهاب: سأذكر بعض آيات القرآن الكريم مع تفسير موجز لها لنستنبط معنى هذه اللفظة من منظور إسلامي:

1 - قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَإِلَيَّ

فَأَرْهَبُونَ ﴿٤٠﴾ [البقرة/ 40]

¹ - الفتنة الطائفية الجذور -الواقع -المستقبل، راغب السرجاني / 57 - 63، ط / 1، ت ط / 1432 - 2011، دار الكتب المصرية القاهرة.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

- «أي فاحشون، بما أنزل بكم ما أنزل بمن كان قبلكم من آبائكم من النعمات التي قد عرفتم من المسخ وغيره فدعاهم إليه بالرغبة والرغبة»¹.

2 - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ فِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ

لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ [الأعراف/ 154]؛ أي: يخافون منه ويخشونه.²

3 - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَابِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ [الأنفال/ 60].

- «فهو إلقاء الرعب والرغبة في قلوب أعداء الله الذين يعلمهم المسلمون، ومن ورائهم ممن لا يعرفونهم»³.

4 - قَالَ تَعَالَى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ [الحشر/ 13].

- «فهم يرهبون المؤمنين أشدّ ممّا يرهبون الله، ولو خافوا الله، ما خافوا أحدا من عباده...»⁴.

فمدار لفظة الإرهاب بمشتقاتها " فارهبون، يرهبون، ترهبون، رهبة " كلها تحمل دلالات الخوف والخشية من الله عز وجل، أو خوف المنافقين والكافرين من عباد الله المؤمنين".

إنّ الدّارس لمادّة رهب، وما اشتقّ منها من ألفاظ في القرن الكريم يجد المعاني العظيمة من الله -عزّ وجلّ- من أجلّ عبادات القلوب، وأعمالها المطلوبة. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ وَيُحْيِي وَأَصْلِحْنَا لَهُ وَزَوَّجَهُ وَإِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء/ 90].

فمن أعظم سعادة بني آدم أن يكون في قلبه من رهبة الله تعالى ما يحمله على تعظيم شرعه، والوقوف عند حدوده وفعل به واجتناب ما نهي عنه.

وأیضا فإنّ إعداد القوّة لإرهاب أعداء الله، وأعداء المؤمنين من الأمور المأمور بها شرعا لما يتحقّق بها من المصالح ويندفع من المفاسد.

¹ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، / 121.

² - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المّان، السّدي، / 345.

³ - في ظلال القرآن، سيد قطب، 3/ 1544.

⁴ - المصدر نفسه، 6 / 3528.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

هكذا تأتي المعاني المشتقة من مادّة رهب في النصوص، فالكلمة واشتقاقاتها في النصوص الشرعية ليست قاصرة على المعاني المعاصرة لها بل هي أوسع من ذلك.

أمّا المعاني السيئة من الاعتداء على الخلق والجرائم العامة والخاصة، فتدلّ عليها ألفاظ شرعية دقيقة تنبني عليها أحكام في غاية الدقة.¹

2 - معنى الإرهاب الدولي: هو الاعتداء المنظم من فرد أو جماعة أو دولة على النفوس البشرية، أو الأموال العامة أو الخاصة بالترويع والإيذاء والإفساد من غير وجه حق.

شرح التعريف وبيان محترزاته:

- **الاعتداء المنظم:** أي الظلم الذي يقع على صورة مرتبة ومتسقة لتحقيق أهداف عامة سياسية أو اقتصادية... وله بواعثه العقدية أو الفكرية

- **من فرد:** ينتمي إلى أيديولوجية أو حزب أو جماعة، ويقصد بعمله تحقيق أهداف عامة سياسية أو اقتصادية.

- **أو جماعة:** تستخدم العنف أو التهديد به للوصول إلى أغراضها.

- **أو دولة:** تنشر الدعر والخوف أو تنهج وسائل العنف لبسط هيمنتها ونفوذها على أفراد مجتمعها أو على المجتمعات الأخرى.

- **على النفوس البشرية:** أي على جنس الإنسان أيّاً كان دينه أو عرقه أو لونه.

- **بغير حق:** أي بغير جرم يسوغ الاعتداء أو الإيذاء، والمعيار في ذلك هو نصوص الشريعة، والعقل الصريح والفطرة السوية. على أنّ الأصل الأصيل هو حرمة النفوس والأموال وعصمتها سواء كانوا مسلمين أو مسلمين من ذميين ومستأمنين ومعاهدين إلاّ أن يأتوا بما يوجب معاقبتهم. فيخرج بهذا القيد الاعتداء الإرهاب بحق كالتخويف والإيذاء للدول المعتدية على غيرها بالترويع والقتل والتشريد والتخريب؛ لأنّه انتصار للنفس ومدافعة للظلم، ودفاع عن الدين والنفس والعرض والأرض والمال.²

فالإرهاب الدولي إذا من أهم خصائصه:

¹ - توظيف المصطلح في الصّراع الحضاري - مصطلح الإرهاب أمودجا - / 322، مجلّة جامعة الإمام، العدد / 44، شوال / 1424.

² - أسباب ظاهرة الإرهاب في المجتمعات الإسلامية: رؤية ثقافية، عبد الله بن محمد العمرو / 6 - 7، المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب 1425 هـ / 2004 م.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

- يركز على خلق العنف والتهديد لتحقيق أهدافه.

- عمل إجرامي منظم يقوم به فرد أو جماعة، تؤذي المجتمعات في أنفسهم، وأعراضهم، وأموالهم ونسلهم.

- مصادر الحريات والحقوق الإنسانية، ويخلق جواً من الاضطراب والفوضى.

- إلحاق الخسائر بالبيئة والمرافق العامة، واستعمال أسلوب الاحتلال والسيطرة على أهم الموارد والأماكن الاستراتيجية.

ثانياً: عالميّة الإرهاب: «الإرهاب ظاهرة عالمية، لا ينسب لدين، ولا يختص بقوم، وهو ناتج عن التطرف الذي لا يكاد يخلو منه مجتمع من المجتمعات المعاصرة، وهو العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان (دينه ودمه وعقله وماله وعرضه)... فهو من صور الفساد في الأرض، التي نهي الله سبحانه»¹.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَتَّبِعْ فِي مَآءِآتِكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصاص/77].

إنّ الإرهاب المذموم، ليس له وطن ولا دين ولا جنس، فهو بضاعة إبليس لكل مفسد على هذه الأرض التي استخلفنا الله - سبحانه وتعالى - لعمارتها بالخير والسلم والأمان، لكن يأبى أهل الباطل إلا أن يشعلوها حروبا تسقي دماء ضحاياها من الأبرياء هذه الأرض الركيّة.

فالإرهاب إذا مشكلة عالميّة مزمنة يسعى أصحابها إلى دقّ أسافين الشقاق والصدام بين الأمم والشعوب عن طريق بثّ الخوف والرعب والكرهية، وإثارة المخاطر والأضرار في مجالات الحياة السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والأمنيّة إلى جانب المخاطر المباشرة التي تتمثل في الأضرار بالمنشآت الماديّة والبشريّة.²

فالإرهاب إذا ظاهرة أثرت على واقع المجتمعات في العالم كلّ خاصّة في جانبها الإنساني، وقد تفاقمت خطورته في عالمنا المعاصر بعد أن تحوّل الإرهاب إلى ظاهرة عالميّة تمسّ وتؤثّر على جميع نواحي الحياة لشعوب العالم فالإرهاب م يعدّ يخصّ طرفاً أو شعباً أو دولة دون أخرى، وإنما تشمل الجميع بغضّ النظر عن أسبابه وأشكاله

¹ - بيان مكّة الصّادر عن الجمع الفقهي الإسلاميّ التابع لرابطة العالم الإسلاميّ، الدورة السادسة عشر، بتاريخ 21 - 27 / 10 / 2002 الموافق ل: 22 - 25 / 04 / 2015. نقلا عن: الإرهاب الدولي دراسة فقهية تحليلية، علي محي الدين القرّة داغي المؤتمر الإسلاميّ العالميّ " مكافحة الإرهاب " مكّة في 3 - 2 / جمادى الأولى، الموافق ل 22 - 25 / 04 / 2015.

² - التّعصّب المذهبيّ والتّحرّب الطائفيّ، محمد طاهر حكيم، / 3، مؤتمر العالميّ بعنوان: مكافحة الإرهاب، رابطة العالم الإسلاميّ بتاريخ: من 3 - 6 / جمادى الأولى / 1436 الموافق ل: 22 - 25 / فيفري / 2015.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

وأهدافه وحتى طبيعة الجهات التي تقف وراءه، ويبدو أنّ هذه الحقيقة قد أدركها المجتمع الدولي منذ بداية القرن العشرين، والذي يسعى إلى محاربتها والحدّ من آثارها المدمرة لجوانب الحياة الإنسانيّة والحضاريّة والاقتصاديّة و حتى السياسيّة.¹

ثالثاً: أسباب الإرهاب الدولي

ترجع أسباب الإرهاب إلى عدّة عوامل متشابهة نذكر أهمّها:

الإرهاب هذا المصطلح الذي صرنا نسمعه في كلّ وقت وحين، نرى آثاره المدمرة تنخر جسد الأمة الإسلاميّة خاصة، فهذه فلسطين وأثوار الدماء تسيل منذ سنين، ومجازر سجلت في ذاكرة التاريخ يستذكرها كل حين، ولا زال يدوّن غيرها، ونظمت إلى قائمة المتضرّرين بسبب الإرهاب في واقعا اليوم، كلّ من سوريا والعراق ومصر وتونس، وليبيا واليمن، ولا زالت القائمة مفتوحة، ترى ما الأسباب الرئيسيّة المؤدّيّة لاستفحال هذه الظاهرة

أ - الاستعمار: وهو أسّ الإرهاب وأساسه، ومنبعه، بل أكاد أقول: لولا الاستعمار لما وجد الإرهاب بهذه الكثرة، وما زالت الأمة الإسلاميّة تضمّد جراحها من ويلات الاستعمار وآلامه، وسياسته غير خافية على أحد فهو لا يكتفي باحتلال الأرض بل ينتهك العرض، ويستعبد الشعب، وينهب خبراته، ويجعله صريع الجهل والمرض والتخلّف وهو في كلّ هذه الأعمال لا يجد وسيلة أنجح لتحقيق مطامحه ومطامعه من العنف والإرهاب والبطش ضد الشعب الرّاغب في نيل الحرية والاستقلال.²

ب - الاستبداد: إنّ بنيان الاستبداد مرصوص، وجزوره ضارية في عمق التاريخ، حتى صار عقيدة وفقها ولم يذخر المستبد وسيلة ولا فكرة تشيّد بنيانه، وترصّ صفوفه إلاّ أوّلاها العناية وفتح لها الخزائن والأموال معتمدا على جهازه الأمني والاستخباراتي في القمع بشقّي صنوف التعذيب.³

فالاستبداد إذا محفوف بأنواع القوّات التي فيها قوّة الإرهاب بالعظمة، وقوّة الجند... وقوّة المال، وقوّة الألفة على القسوة، وقوّة رجال الدّين، وقوّة الأنصار من الأجانب، فهذه القوّات تجعل الاستبداد كالسيّف¹،

¹ - ماهية الإرهاب وتأثيره على واقع حقوق الإنسان-فرنسا، بريطانيا أمودجا، رنا مولود سبع، مجلة الدراسات الدوليّة العدد / 49.

² - مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلاميّة، هيثم عبد السلام محمّد، / 82 ط / 1، ت ط / 1426-2005، دار الكتب العلميّة بيروت - لبنان.

³ - تفكيك الاستبداد، مقارنة مقاصديّة في فقه التّحرّر، محمّد العبد الكريم / 9، ط / 1، ت ط / 2013، الشبّكة العربيّة للأبحاث بيروت - لبنان.

يجاربه به رجال الفكر وأقطاب الإصلاح، بل قد يزداد الأمر سوء فيحرم الإنسان حقوقه الطبيعية مثل التنقل وحق الاجتماع السلمي وقد تتماهى السلطة في استبدادها من خلال الإحلال في توزيع الثروة، فتندم العدالة الاجتماعية، ويحرم كل من شأنه أن ينه الأمة، أو أن تستفيق من رقادها لتطالب بحقها، وتعمل بطرق غير مباشرة لإضعاف الشعوب²، من هنا يظهر الإرهاب عندما تنعدم وسائل الحوار الديمقراطي الشرعي، فتكثر الفوضى والصراعات وتتصدع البنى التحتية، ويحلّ الخراب والدمار وهو ما نراه اليوم حاصل في العديد من الدول العربية والإسلامية ولعلّ سوريا أكثر النماذج الواقعية لصور الإرهاب بأبعث صورته بسبب استبداد حكامه وتسلبهم على رقاب العباد والبلاد إلى يومنا هذا.

ج - الأسباب السياسية: من أهم الدوافع السياسية للإرهاب نذكر:

- 1 - استخدام الإرهاب كبديل عن الحرب بوصفه أسرع تأثيراً، أو أقلّ كلفة للحصول على مكاسب وامتيازات سياسية على المستوى الدولي.
- 2 - وجود بؤر التوتر في معظم دول العالم سواء في الشرق الأوسط أو أمريكا اللاتينية أو أوروبا فضلاً عن الرؤوسب الاستعمارية الأمر الذي يساهم في القيام بالأنشطة الإرهابية.
- 3 - الأوضاع الدولية غير العادلة واستمرار بعض السياسات العنصرية، في وقت يتشدق فيه المجتمع الدولي بالديمقراطية والحرية السياسية وحقوق الإنسان.
- 4 - عدم الانضباط في احترام القوانين الدولية، والتسيب الدولي هو الذي يفتح المجال واسعاً أمام أخطبوط الإرهاب الدولي الذي يجمع بين صفوفه القتلة والمحترفين والمرترقة المأجورين وغيرهم من المغرر بهم دينياً وسياسياً أو عقائدياً وتشجيعهم في احتقار القانون الدولي والاعتداء على سيادة الدول والإساءة إلى حقوقها ومصالحها المشروعة بوسائل تديتها الأخلاقي.
- 5 - الإحباط السياسي: فإن كثيراً من البلدان العربية والإسلامية لم تكتف بتهميش الجماعات الإسلامية وعدم الاكتراث لها، بل وقفت في وجهها، وتصدت لأربابها، وحصرت نشاطها، وجمّدت عطاءها، حتى في بعض البلدان التي تدعي الديمقراطية وحرية الرأي، فإن هذه الأمور إذا جاءت في صالح تيار إسلامي، أو جماعة إصلاحية فسرعان ما يتحوّل الأمر إلى المنع والقمع والتصدي والتّحدي مهما

¹ - طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، عبد الرحمن الكواكبي، / 113 د / ط، ت ط / 2012، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة - مصر.

² - مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلامية، هشام عبد السلام محمد، / 82.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

كانت الجماعة معتدلة، والتيار متساعماً والحزب متنوراً وهذا من شأنه أن يولد المنظمات السرية، والتوجهات المناهضة، وردود الأفعال الغاضبة التي لا تجد ما تصب فيه غضبها، وتفرغ فيه شحنات عواطفها إلا امتطاء صهوة الإرهاب، وذلك ما تمثل واقعاً حياً مشاهداً في كثير من البلدان.¹

6- سياسات الهيمنة والإرهاب الأمريكي والإسرائيلي: تعتبر هذه السياسات من الأسباب الرئيسية في تغذية التطرف الديني والإرهاب في الدول العربية من خلال الممارسات الاستعمارية الاستطانية الصهيونية في فلسطين المحتلة، وما جاورها²، فآلة الإرهاب الصهيونية تغتصب أرض فلسطين، وتدسّ المقدسات على مرأى ومسمع من بعض القوى الكبرى على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.³

د - الأسباب الاقتصادية: ويمكن حصر أهم الأسباب الاقتصادية للإرهاب والعنف والتطرف على المستوى العالمي فيما يأتي:

1 - عدم القدرة على إقامة تعاون دولي جدي من قبل الأمم المتحدة، وحسم المشكلات الاقتصادية والاجتماعية للدول ويكون ذلك عن طريق النمو، والتقليل من الهوة السحيقة بين الدول الغنية والدول الفقيرة وتحقيق مستوى حياة أفضل للغالبية العظمى من الشعوب بكرامة وشرف.

2 - التخلف: والتأتج بصورة رئيسية عن السياسات الاقتصادية غير المتلائمة مع الواقع الاجتماعي للدولة بحيث تتكون فجوة تتسع تدريجاً بين الفقراء والأغنياء وبين المتعلمين وغير المتعلمين وبين ذوي المصالح الاقتصادية الواسعة وبين فئات اقتصادية مهمشة، باختصار بين من يملك ويحاول زيادة هذه الملكية بأي صورة كانت حتى وإن أدى ذلك إلى إفقار وتهميش شرائح واسعة من المجتمع وبين من لا يملك، ومن هو مستعد للتضحية بحياته في سبيل تحقيق مكانة أو التخلص من واقع الحياة خاصة بين فئات الشباب.

3- البطالة: إن البطالة وانتشارها بصورة واسعة لدى فئة الشباب خاصة سواء كانت بطالة حقيقية أم بطالة مقنعة فإنها تولد شعوراً بالعجز واليأس من ناحية، وشعورهم بالإحباط من ناحية أخرى

¹ - أسباب الإرهاب والعنف والتطرف، صالح بن غانم السدلان، / 10، المؤتمر العالمي: موقف الإسلام من الإرهاب 1425 هـ / 2004م.

² - الأسباب العالمية لبواعث الإرهاب، عصام الملكاوي، / 8، 13- 18 / 10 / 2014، الرباط - المملكة المغربية.

³ - الإرهاب الصهيوني في فلسطين، منصور معاضة سعد العمري، إشراف: يوسف بن علي رابع التقي - مذكرة ماجستير - / 19 كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى: 1427- 2006.

إلى جانب شعور هؤلاء الشباب المرتبط بواقع الحياة المرير بأنهم ليس لديهم ما يغيروه أو يحافظون عليه بالاستمرار بالحياة، هذا الواقع مترابط مع جهات أو جماعات مستعدة لتقديم أموال كبيرة لقاء أعمال صغيرة يستشعر معها الشباب أنهم يقومون بعمل ما وإن كان ذا طابع عنيف أو دموي ولكنه بالنسبة إليهم عمل هادف يستحق الجهد المبذول فيه، فالشباب الذي لا يجد له فرصة عمل يكون هدفا سهلا لمختلف الاتجاهات المتطرفة دينيا أو سياسيا أو عصابات النصب والاحتيال والسطو المسلح. وعلى أساس ما تقدم، يمكن صياغة معادلة تفسر بأن:

الجهل + الفقر والافتقار + القمع والكبت والإقصاء والتهميش = ظاهرة الإرهاب.¹

هـ - الأسباب الاجتماعية للإرهاب: من أهم الأسباب الاجتماعية لظاهرة الإرهاب سوء تدهور الوضع العام في معظم البلاد العربية والإسلامية، واستشراء الظلم، وغياب العدل.²

1- انعدام العدل الاجتماعي: وتوفير الحاجات الأساسية للناس وعلى نحو غير متوازن بعبارة أخرى وجود خلل في العدالة الاجتماعية تفرز قدرا متعاظما من الظلم الاجتماعي الجماعي والحرمان النسبي لدى قطاعات متزايدة من السكان، وهنا الحرمان النسبي ليس بالضرورة ناتجا من الفقر والافتقار على المستوى الفردي، وذلك أن الأفراد القائمين بالإرهاب قد يكونون أغنياء بذاتهم ولكنهم انطلقا من الإحساس بالتهميش والدونية من قبل الدولة مما يخلق حالة من الغضب والتنقمة لدى فئة معينة تجاه فئات أخرى ورد فعل متطرف مصحوب بعمل إرهابي.

2 - تفكك المجتمع وعدم ترابطه: فلا يشعر الشخص أمام هذا المجتمع المفكك بالمسؤولية تجاهه ولا الحرص عليه ولا الاهتمام به ولا مراعاة الآخرين فهذا يولد حالة من الشعور بالحرص الشديد على اقتناء كل جيد فيه وإن لم يكن حقه وحين يمتنع يزداد الأمر سوءا، لذلك المجتمع المترابط والأسرة المتماسكة تحيط الأشخاص بشعور التماسك والتعاون ومن شدّد منهم استطاعوا استواءه وردده عن الظلم.

و- الأسباب التربوية للإرهاب:

¹ - ظاهرة الإرهاب : المفهوم - و الأسباب - و الدوافع، كمال النيص ، الحوار المتمدن-العدد: 3419 - 2011 / 7 / 7

- 16:35 المحور: دراسات وأبحاث قانونية. <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=266268>.

² - ظاهرة الإرهاب وإضعاف العالم الإسلامي والهيمنة عليه، صدقة بن يحيى فاضل، / 13، المؤتمر الإسلامي العالمي " مكافحة الإرهاب رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.

1 - قلة القدوة الناصحة المخلصة التي تعود على الأمم بغرض النفع وإرضاء الله تبارك وتعالى وحباً في دينهم وأوطانهم، وغياب القدوة يؤدي للتخبط وعدم وجود المرجعية الصالحة والأسوة الحسنة من عوامل التفكك والانحطاط والتخلف.

2 - غياب التربية الحسنة والموجهة التي توجه الأفراد للأخلاق القيمة الحسنة.

3 - نقص أو انعدام التربية الحقيقية الإيمانية القائمة على مرتكزات ودعائم قوية من نصوص الوحي واستبصار المصلحة العامة ودرء المفسدات الطارئة، وقلة إدراك عبر التاريخ ودروس الزمان وسنن الحياة في واقع الناس.¹

رابعاً: أثر الإرهاب على مقصد التعاون الحضاري الإنساني

أ - آثار الإرهاب على التعاون الحضاري الاقتصادي: من بين أهم آثار الإرهاب عموماً هو الاعتداء على الإنسان، الذي هو مناط التنمية، كما أنه اعتداء على المال الذي هو قوام الحياة والتنمية، ويضاف إلى ما سبق فإنه اعتداء على البنية الأساسية التي هي من مقومات التنمية، كما أنه اعتداء على القواعد والمبادئ والأحكام والأسس التي تحكم وتضبط المعاملات وتحقق التنمية الشاملة للمجتمع، وتأسيساً على ذلك فإن الإرهاب يسبب خسائر اقتصادية تصيب الفرد والأسرة والمجتمع والدولة بالإضافة إلى الخسائر المعنوية.²

لقد استأثرت ظاهرة الإرهاب خلال العقد الأخير من القرن الماضي وبدايات القرن الحالي باهتمام متزايد من لدن البلدان المتقدمة والتامية على حدّ سواء، بل أصبح الإرهاب أحد أخطر مشكلات القرن الحالي، ومن أهمّ الظواهر التي تعاني منها المجتمعات الإنسانية في الوقت الحاضر، لما يعكسه من آثار سلبية في سبيل تقدم الأمم وازدهارها.

و الإرهاب ظاهرة عالمية، ويعتبر مصدراً خطيراً على اقتصاديات الكثير من بلدان العالم، حيث إنّ تدمير الاقتصاد والدخل الوطني جزاء الهجمات الإرهابية سوف يضرّ باقتصاد الوطن كله.³

ويمكن تلخيص هذه الآثار في النقاط الآتية:

¹ - أسباب الإرهاب والتطرف، صالح بن غانم السدلان، / 21.

² - الإرهاب وأبعاده الاقتصادية والعلاج الإسلامي، حسين حسين شحاتة، / 2.

www.darelmashora.com/download.ashx?docid=2031

³ - البعد الاقتصادي لظاهرة الإرهاب!!، زيد بن محمد الرماني، <http://www.alukah.net/culture/0/51914>

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

1 - الإرهاب يقود إلى التخلف والبؤس والشقاء والحياة الضنك: يجمع علماء الاقتصاد بصفة عامة والاقتصاد الإسلامي بصفة خاصة إلى أن الإرهاب يؤدي إلى الخوف والفرع والقلق والخلل في آليات المعاملات الاقتصادية وهذا يقود إلى التخلف والحياة الضنك.

فعلى سبيل المثال: إن الإنسان سواء كان عاملاً أو صاحب عمل وهو لا يأمن حياته وحرته وعقله يعمل في قلق وهذا يقود إلى ضعف الإنتاجية وقلة الإنتاج.

ورأس المال المهتدّ بواسطة الإرهاب الذي بطبيعته جبان وأشد خوفاً وقلقاً من العامل نجده يهرب إلى أماكن ومواطن وبلاد حيث الأمان والطمأنينة وهذا ما نشاهده بعد كل عملية إرهابية حيث نجد خللاً في أسواق النقد والمال والبورصات وارتفاع الأسعار وظهور السوق السوداء وهروب الاستثمار إلى الخارج وهذه الآثار جميعاً تقود إلى خلل في آلية المعاملات الاقتصادية ومن ثم إلى إعاقة التنمية.

والتخريب في البنية الأساسية والتي تعتبر من مقومات التنمية بسبب العمليات الإرهابية يعتبر تدميراً للاقتصاد وتتطلب أموالاً باهظة لإعادة بنائها وتعميرها وهذا كله على حساب الاستثمارات التنموية.

كما أن التصدي للإرهاب ومحاربه يحتاج إلى نفقات وتكاليف باهظة كان من الممكن أن توجه إلى مشروعات تنموية فيما لو كانت الحياة آمنة مستقرة.

كما أن انتشار الخوف والرعب والحذر واليقظة بين الناس بسبب توقع حدوث عمليات إرهابية يقلل من الإنتاج ويضعف الإنتاجية.

2 - انعدام الأمن الاقتصادي العالمي: إن انتشار الخوف والرعب، وتعطل المواصلات وقطع الطرق ومنع الناس عن قضاء مصالحهم الضرورية، وقفل المصالح الحكومية وتعطيل الموانئ والمطارات، ونحو ذلك بسبب حدوث عمليات إرهابية، يهدر الوقت والمال ويمنع تقديم المنافع الإنسانية والاجتماعية والخيرية... وغيرها وينجم عن ذلك خسائر لا تقوم بمال.¹

وخلاصة القول: أن أهم آثار الإرهاب العالمي عدم الاستقرار في العالم كله، فالإنسان لا يشعر بالأمن والسلام في أيّ مكان في العالم²، وهذا يقود إلى التخلف والحياة الضنكة، ولا بدّ من تحقيق الأمن والطمأنينة للناس

¹ - الخسائر الاقتصادية للإرهاب والعنف في المظاهرات والاعتصامات، حسين حسين شحاتة / 3.

www.darelmashora.com/download.ashx?docid=2097

² - موقف الخطاب الديني من الإرهاب، زكريا إبراهيم الزميلي / 16، الجامعة الإسلامية - غزة كلية أصول الدين، / 1426 - 2005.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

وللعاملين ولرجال الأعمال وللمال وللبنية الأساسية حتى تتحقق الحياة الكريمة، لكلّ الإنسانيّة في إطار تبادل وتعاون اقتصادي حضاري إنساني.

ج - آثار الإرهاب على التعاون الحضاري السياسي : إنّ آثار الإرهاب على واقع التعاون الحضاري السياسي توجّهه الدّول الكبرى حيث تحاول بالقوّة والإكراه أو بالدّعاية والإعلام فرض تعريفها وفهمها للإرهاب على الدّول والشّعوب الأخرى، وهو تعريف انعكس سلبا على واقع تعاونها حضاريا مع العالم الإسلامي خصوصا بحيث تعطي هذه الدّول الكبرى الحقّ لنفسها في تطبيق فهمها لمفهوم الإرهاب في كل بقعة من بقاع العالم وكأنّ الأرض ملك لها، وكلّ بلدان العالم تشكّل عمقا أمّنيّا لها، ولا ندري من الذي أعطاهما هذين الحقّين: فرض تعريفها على الآخرين، وتطبيق فهمها على الجميع، بل إنّها راحت تلعب دور المدّعي والقاضي، والمنقذ متجاهلة حتى الأمم المتّحدة والمحاكم الدّولية.

للأسف فإنّ هذه الحالة نفسها يعيشها نظام أمريكا بكلّ تفاصيلها، فأيّ عمل لا يلتقي مع تحقيق مصالحها الخاصّة سواء كان سياسيا أم عسكريا، اقتصاديا أم ثقافيا، فإنّها تعتبره عملا إرهابيا، بل إنّها تعتبر كلّ من لا يؤمن بهذه المقولة فهو إرهابي، ولا ندري أيّة معادلة أو قاعدة دينية أو إنسانية أو قانونية تستند إليها! حتى قال حكّامها بأنّ الذي لا يكون معنا فهو مع الإرهاب والإرهابيين!! وهذا دليل صارخ على طبيعة رؤية أمريكا لنفسها وللآخر فهي تنظر للآخر من خلالها.¹

فنتج عن كلّ ذلك هذه الآثار السيئة للإرهاب على العلاقات السياسيّة بين العالم الغربي الذي تمثله أمريكا والعالم الإسلامي من أهم هذه الآثار نذكر:

- 1 - تعميق الحقد الغربي والعداء للإسلام، وكلّ ما هو إسلامي، ومهاجمة المساجد والمراكز الإسلاميّة والتضييق ضدّ الأقليات المسلمة، وتوجيه أصابع الاتّهام، حتى للدّول التي تعتبرها صديقة لها، وبالتالي العمل على منع الهجرة القانونيّة رغم حاجة أوروبا للهجرة.
- 2 - مهاجمة بعض الشّعوب الإسلاميّة بشراسة بتهمة إيوائها للإرهابيين وهذا ما حدث في أفغانستان الجريحة وما زالت بعض الشّعوب الإسلاميّة مهدّدة.
- 3 - الحكم على بعض الدّول الإسلاميّة بأنّها محور الشرّ وما زال الخطر يهدّدها في كلّ آن، كما أنّ بعض الجهات شبه رسميّة هدّدت باستخدام القنابل الذريّة ضدّ بعض الدّول.

¹ - الوسطيّة الإسلاميّة بين الغلو والإرهاب والتحلّل والاستلاب، محمد علي التسخيري / 320 - 321، مجلة الأمة الوسط عنوان الملف: الوسطيّة والتّحديات المعاصرة، العدد / 1، السّنة الأولى / 2009، إصدار الاتّحاد العالمي لعلماء المسلمين.

4 - وأهم الآثار السيئة للإرهاب على واقع التعاون الحضاري الإنساني، محاولة إغلاق الملفات المزعجة لهم بأي وسيلة ممكنة وفي طليعتها قضية فلسطين، فقد أعطت أمريكا الضوء الأخضر لشارون وزبائنه ليقوم بتصفيتها واستفاد من ظروف الرعب، وجعل عمليته ضد الفلسطينيين جزءا من المرحلة الثانية للحرب ضد الإرهاب، وقام بما يندى له جبين الإنسانية، وساعدته أمريكا بكل وقاحة، وصراحة، ونسي الغرب كل تاريخه في تمجيد المقاومة ضد الفاشية والتازية وكل شعاراته في الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، والشرعية الدولية، وحتى جنایات العدو الصهيوني في مخيم جنين لم تستطع الأمم المتحدة رغم صدور قرار بذلك أن تحقق فيها، وهي في الأصل واضحة للعيان، وموثقة ومشهود لها من قبل شخصيات دولية¹.

وطالما يتعامل الغرب وعلى رأسهم أمريكا مع مقاومات الشعوب المستضعفة بمنطق مكافحة إرهابهم فلن يجدي التعاون السياسي الحضاري معهم نفعا فمعظم المعاهدات الدولية معهم، والتعامل الدبلوماسي، ونشاط العمل السياسي عبر مؤسسات البرلمان والمنظمات الحقوقية هي مجرد تعاون شكلي، تعاون الغالب مع المغلوب الذي له الحق في فرض قراراته، وتنفيذها عليهم ظلما وجورا بسبب حالة الاستضعاف التي تعيشها الأمة الإسلامية اليوم للأسف الشديد.

د - آثار الإرهاب على التعاون الحضاري الاجتماعي: واقع مؤلم هذا الذي آل إليه التعاون الاجتماعي الحضاري بسبب ظاهرة الإرهاب، عالم شرّد شعوبه، ويتم أطفاله، رمّلت نساؤه، عالم فقد الرحمة وروح التضامن الإنساني، فقد الأمن الاجتماعي والسلام العالمي.

من أهم آثار الإرهاب على التعاون الاجتماعي الإنساني لشعوب العالم ما يأتي:

1- ارتفاع نسبة اللاجئين، ومعاناتهم الإنسانية: ملايين اللاجئين في دول العالم يعيشون حياة التشرّد والترحال.

معظمهم يسكن في مخيمات لا إنسانية، كل همهم الحصول على كسرة خبز وشربة ماء. نساء وأطفال وشيوخ شرّدهم الإرهاب، فقدوا بيوتهم، وهجروا أوطانهم، تحت لهيب النيران، ودوي المدافع ورائحة الموت في الصحراء وداخل المخيمات يعيش بشر، ولكنهم ليسوا ككل البشر -أياد مبتورة، وأقدام مقطوعة وأعين مفقوة وجوه مشوهة، أطفال أعجزتهم الحرب قبل أن يروا الدنيا، وينطلقون كما الأطفال.

¹ - المرجع السابق / 323.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

نساء ثكالى وأرامل فقدن الأبناء والأزواج، يستصرخن العالم، يحشن عن قلوب ترقّ لحاهن، وتشعر بمعاناتهن مللنا عيشة العراء وطوابير الطّعام، وانسحاق الآدمية¹.

قد قالت مفوضية شؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة إن: «عدد الأشخاص الذين شردتهم الصراعات الإرهاب والحروب قد وصل إلى أعلى مستوياته» .

وأضافت المفوضية أن عدد اللاجئين بلغ نحو 65.3 مليون شخص مع نهاية عام 2015، أي زيادة 5 مليون شخص خلال عام واحد².

مأساة اللاجئين في العالم في هذه الأيام، وغالبيتهم من منطقتنا، تعتبر من أضخم المآسي الإنسانية في العصر الحديث، وربما تبدو مأساة اللاجئين الفلسطينيين بالمقارنة معها مأساة صغيرة، حيث هناك الملايين من اللاجئين السوريين الذين يهربون من الجحيم في بلادهم، إلى كلّ الاتجاهات في هذا العالم، ومنهم النّساء والأطفال والعائلات بأكملها والمخزن بشدّة هنا، أنّ هؤلاء اللاجئين يهربون أو يتمّ تشريدهم من خلال أبناء جلدتهم؛ أي أن أبناء الشعب الواحد هم من يقوم بذلك، وليس الغرباء أو الأجانب الذين قدموا لكي يحتلوا بلادهم ويحلون مكانهم .

تقول بعض الإحصاءات "إنّ عدد السوريين اللاّجئين قارب مليونين، أكثر من 75% منهم نساء وأطفال ويوجد من بين هذا العدد 570 ألفاً في الأردن، وفي لبنان 535 ألفاً، وفي تركيا 485 ألفاً، وفي مصر 190 ألفاً وفي العراق 130 ألفاً"³.

هذه الدولة التي كانت ملجأً لإخوانهم في فلسطين، واليوم تبحث بدورها إلى من تلجأ إليهم بسبب العمل الإرهابي الذي يشنه عليهم ثنائية إرهاب نظامهم، وثنائية إرهاب تنظيم داعش الإجرامي.

فمأساة ملايين اللاجئين هذه الأيام، تعتبر عاراً وفشلاً كبيراً للمنظومة الدولية، سواء على المستوى الرسمي أو غير الرسمي، وسواء على مستوى العمل الأهلي أو المنظمات الدولية، والتي من الواضح أن حجم وتفاقم المأساة باتت أكبر بكثير من طاقتها ومن طبيعة عملها، وهذه المأساة جاءت لتثبت مرة أخرى أنّ التبجح بالمفاهيم

الإنسانية وحقوق الإنسان يتلاشى، أمام المصالح وأمام السياسات ومراكز القوى والتجاذبات وأمام السعي إلى السيطرة وإثبات الوجود¹.

¹ - اللاجئين المسلمون حول العالم، عمر عبد الحميد / 14، مجلة السنة، العدد / 69. جمادى الأولى / 1418 - سبتمبر / 1997.

² - الأمم المتحدة: عدد اللاجئين في العالم وصل أكثر من 65 مليوناً. http://www.bbc.com/arabic/worldnews/2016/06/160619_un_refugee_numbers_record_level

³ - اللاجئون في العالم - المأساة الإنسانية، ونقص بآليات الحماية، الحسين شعبان [/http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2013/7/19](http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2013/7/19)

2 - تزايد النشاط الإجرامي على مستوى العالم: ومن مؤشرات الإرهاب الدولي أيضا تزايد النشاط الإجرامي على مستوى العالم، وخاصة الجرائم الواقعة على الأطفال وخصوصاً في الدول الفقيرة والتي تعاني من أزمات مالية وتفشي البغاء وانتشار ما يعرف ظاهرة أطفال الشوارع، حيث يصبح هؤلاء فريسة سهلة لممارسة الجريمة، حيث ذكرت معلومات صادرة عن الأمم المتحدة بأنه قد تم بيع حوالي عشرين مليون طفل خلال السنوات العشرة الأخيرة بالإضافة إلى أنه وحسب تقديرات منظمة اليونيسيف يتم تصدير حوالي ألف طفل سنوياً من دول أمريكا اللاتينية وآسيا وشرق أوروبا إلى الدول الغنية، وأن الدول الصناعية تستورد ملايين الأطفال سنوياً.

3 - انتشار ظاهرة بيع المخدرات والمتاجرة بها: بالإضافة إلى ذلك تشير التقارير إلى أن بيع المخدرات والمتاجرة بها قد ازداد في الآونة الأخيرة على مستوى العالم وتعتبر الدول الصناعية هي أكبر مستهلك للمخدرات وخاصة الولايات المتحدة وكندا حيث تشير الأرقام إلى أن أموال المخدرات بلغت عام 2004 ألفان وخمسمائة مليار دولار أي ما يساوي مخزون العالم من الذهب ولذا يعتبر الدول الصناعية الرأسمالية أكبر الدول معاناة من الجريمة حيث ازدياد معدلات البطالة ووجود فوارق طبقية في المجتمع الواحد وشعور الكثير من الناس بالغبن و بالظلم وفي أطراف أخرى من العالم نجد أن سبب الجريمة المباشرة هو الفقر والحرمان مقارنة مع الأطراف الأخرى الغنية والثرية مما ولد حقداً من الفئة المحرومة تجاه الفئة الغنية الثرية فأنتج ذلك جريمة وزاد من حدتها مما استنزف كثيراً من الطاقات والأموال من أجل تحقيق هذه الظاهرة، فمثلاً في ولاية كاليفورنيا ينفق على السجون أكثر مما ينفق على التعليم.

وعليه لقد أصبح الإرهاب الدولي اليوم واقعاً ملموساً وشيئاً محسوساً لا يستطيع أحد إنكاره والتغاضي عن نتائجه، فهو حرب شعواء عمياء لم تشهد لها البشرية مثيلاً، أكلت الأخضر واليابس وحصدت الأرواح البريئة وشنت شمل العائلات الآمنة المطمئنة، ودمرت نظم الحياة الاجتماعية، وحطمت رتبة الحياة الاقتصادية وعصفت بالأنماط السياسية، وأبادت مظاهر الحياة الثقافية، فهو كالأخطبوط الذي يملك مائة ذراع ينشرها هنا وهناك ويصيب بها من يشاء وفي أي وقت يشاء.

لذا لقد بلغ الإرهاب اليوم حداً لا يمكن معه بقاء البشرية واقفة مكتوفة الأيدي؛ لأن ناره بدأت تكوي جميع الدول والشعوب حتى المحايدة منها؛ لأنها أصبحت ظاهرة شديدة الخطورة تهدد الأمن والاستقرار الداخلي للدول وتعوق خطط التنمية بشتى أنواعها، كما تهدد السلم والأمن الدوليين وتنال من العلاقات الدولية فيصيبها بالخلل.

¹ - اللاجئون في العالم بين المصالح الاقتصادية وحقوق الإنسان، عقل أبو قرع http://www.al-ayyam.ps/ar_page.php?id

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

وخلاصة القول: يعدّ الإرهاب جريمة من أشنع جرائم هذا العصر وأكثرها وحشية ويقوم على تدمير الممتلكات العامة والخاصة وترويع الأمنين وتقويض المكتسبات الحضارية في كثير بلدان العالم، كما يهدد الإرهاب الدولي السلام العالمي، والأمن الإقليمي للأمم ومصالحها الحيوية.¹

إنّ من أخطر آثار الإرهاب على التعاون الحضاري الإنساني، هو سحبه لكل القيم الإنسانية من التضامن والرحمة والعدل والأمن الإنساني، ممّا يولّد لدى الأسرة البشرية سياسة التنافر وإقصاء الآخر، فتسود الكراهية والتناحر لأنفخ الأسباب، وبذلك تتوقف عجلة التنمية والعمل المشترك لخير الإنسانية جمعاء في جميع مجالات حياتها سياسيا واقتصاديا، ثقافيا وفكريا، اجتماعيا ودينيا، وهو ما نراه واقعا ماثلا أمام أعيننا منذ أن بدأت ظاهرة الإرهاب بمنظمتها الخطيرة تحصد آلتها يوميا ملايين الضحايا في معظم بلدان العالم، وعلى الأخص بلدان العالم الإسلامي للأسف الشديد.

هي إذا بعض العوامل التي أدّت إلى فشل مقصد التعاون الحضاري الإنساني ، تسببت في واقع مؤلم لمسيرة البشرية هي تحاول جاهدة أن تتواصل وتتفاعل مع غيرها تفاعلا إيجابيا مثمرا . ترى هل يمكن يوما أن نفقه حقيقة السنن الإلهية ومقاصدها الشرعية، و لسترشد بها المسلمون اليوم ويجعلوها صراطا منيرا و هم يطبقون الأبعاد المقاصدية للتعاون الحضاري الإنساني مع حتّى ينجح تواصلهم وتفاعلهم مع غيرهم .

هذا ما نحاول شرحه وبسطه في المطلب الموالي : فقه مقاصد السنن الإلهية ، ودورها في نجاح مقصد التعاون الحضاري الإنساني

¹ - الإرهاب الدولي وتداعياته على الأمن والسلام العالمي - دراسة تحليلية من منظور اجتماعي - حمدان رمضان محمد، / 286 - 287، مج / 11، مجلة الأبحاث، كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، العدد / 1، تاريخ النشر: 23 / 06 / 2011.

المطلب الثاني

فقه مقاصد السنن الإلهية ، ودورها في نجاح مقصد التعاون الحضاري الإنساني

في هذا المطلب سأعالج فيه قضيتين مهمتين وهما فقه مقاصد السنن الإلهية ، ودورها في نجاح مقصد التعاون الحضاري الإنساني، ثم نركز على نماذج من السنن الإلهية كعوامل لنجاح تعاوننا وتواصلنا مع الآخر.

الفرع الأول: معنى السنن الإلهية، وعلاقتها بمقصد التعاون الحضاري الإنساني

أولاً: مفهوم السنن الإلهية

أ - معنى السنن الإلهية لفظياً

1 - معنى السنن الإلهية اللغة

- السنن لغة: تأتي بمعان عدة أهمها:

- الطريق والمنهج والوجهة: سن الله سنة؛ أي بين طريقاً قويمًا¹. يقال: استقام فلان على سنن واحد وامض على سننك؛ أي على وجهك وطريقك.²

- الدوام: قال الكسائي: «معناها الدوام، فقولنا: سنة معناه الأمر بالإدامة، من قولهم سننت الماء إذا واليت في صبه».³

- الإلهية لغة: نسبة إلى لفظ الجلالة - سبحانه - الله، وأصله إله على وزن فعال، بمعنى مفعول؛ لأنه مألوه أي معبود.⁴

فالدلالة اللغوية للفظ السنن: المنهج أو الطريق، والدوام وتجانس لكن معانها الذي نريده في بحثنا هذا هي سنن دائمة نتعبد بها الله - عز وجل - ونجعلها منهجاً وطريقاً لكل أفعالنا وأقوالنا وحركاتنا وسكناتنا.

وسيزيد المعنى الاصطلاحي مفهوم السنن الإلهية أكثر دقة، بعد أن نحاول توضيح معناه الشرعي حسب

إطلاقات علماء الشريعة والأصول

¹ - لسان العرب، ابن منظور، 13 / 125.

² - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجرجاني / 556.

³ - إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، 1 / 185.

⁴ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجرجاني / 51.

2 - اصطلاحا:

- في علم الأصول يطلق ويراد بها:

- «تطلق على ما كان من العبادات نافلة منقولة عن النبي عليه السلام، وقد تطلق على ما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من الأدلة الشرعية، مما ليس بمتلو، ولا معجز، ولا داخل في المعجز.

ويدخل في ذلك أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريره»¹.

- «هي ما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير»².

ب - معنى السنن الإلهية باعتبارها مركبا إضافيا:

- عرفها عبد الكريم زيدان: «هي الطريقة المتبعة في معاملة الله - تعالى - للبشر بناءً على سلوكهم

وأفعالهم وموقعهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة»³.

- عرفها الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله -: «هي قوانين تحكم الحركة التاريخية والاجتماعية والتفسيّة سنن سقوط

الأمم ونهوضها... وهي جارية على الناس جميعا، وأن اكتشافها والتعامل معها أمر لا بد منه للشهود الحضاري

عمارة الأرض، والقيام بأعباء الاستخلاف الإنساني، الشهادة والقيادة للناس:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ

شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَاقِبَةً وَإِن

كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ

رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ [البقرة / 143]»⁴.

ثانيا: علاقة مقصد التعاون الحضاري الإنساني بالسنن الإلهية

إنّ العمل بالسنن الإلهية في المسيرة الحضارية يحقق للبشرية أمرين هما:

أ - الاتزان، ومعناه التفكير السديد والعيش الكريم.

ب - و الجمال، ومعناه السعادة والطمأنينة.

¹ - الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الأمدي، 1 / 169، د / ط، د ت /، المكتب الإسلامي.

² - علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، / 37، د / ط، د / ت ط، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر.

³ - السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، / 13، ط / 1، ت ط / 1993

مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

⁴ - كيف نتعامل مع القرآن، محمد الغزالي، / 118، ط / 7، ت ط / 2005، نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع مصر.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

إنَّ خروج الأجرام السماوية عن ضوابط التوازن، يؤدي إلى الانهيار الكوني، كذلك فإنَّ خروج البشر عن ضوابط التوازن، وذلك بخروجهم عن السنن الربانية، يؤدي إلى الانهيار البشري. وكما أنَّ الانهيار الكوني للأجرام السماوية يؤدي إلى تبيد توازنها الجمالي؛ الجمال له توازن أيضاً، كذلك فإنَّ الانهيار البشري يؤدي إلى تحطيم وتدمير الأفراد الإنسانيين.

إنَّ اختلال توازن البناء وتوازن الجمال وحجم الخسائر الناجمة عن ذلك؛ يتناسب طردا مع اختلال في اتباع السنن الإلهية.

ولتوضيح العلاقة أكثر لا بدَّ أولاً من تبين:

1- علاقة الإنسان بالسنن الإلهية

- الإنسان محور الحضارة الإنسانية: «الإنسان من أهم عناصر البناء الحضاري الذي سخر الله - عز وجل - كل ما في الكون لأجله: الأرض، السماء، النبات، الماء، الهواء، بكل قوانينها التكوينية، ونظامها البديع وأعطاه أمانة تسخيرها فيما يخدم خير البشرية فهو صانع لجميع الوقائع الاجتماعية، وصانع لنفسه أولاً والذات بوصفه كائناً اجتماعياً¹، وهو الذي يبني الحضارة الإنسانية مع غيره على أساس التعاون والتضامن وفق السنن الإلهية في سبيل تحقيق مقومات المجتمع الإنساني، وبث أسباب الخير والسعادة فيه»².

- علاقة الإنسان بالسنن الإلهية أنه مهياً لإدراكها:

الإنسان استخلفه الله في أرضه، واستعمره فيها، ومهد له سبل الانتفاع بها، ووسائل التعايش معها، وجعل كل ما حوله يخدمه ويؤازره، وزوده بملكات يدرك من خلالها ما حوله وهداه إلى سبل الانتفاع بها، وجعل ذلك نعمة من نعمه تعالى عليه، ومنه من مننه لديه؛ بل علة لتسبيحه **قَالَ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ عُثَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾﴾ [الأعلى / 1 - 5].**

وهيأ له من وسائل العلم والمعرفة ما يجعله أهلاً لتلقي أوامر الله تعالى وتنفيذ وصاياه، لذلك كثر في القرآن الكريم الأمر بالسير في الأرض والتفكر فيها والنظر في جنباتها والانعاط بأحوال أهلها.

وهيأ الله تعالى الإنسان لإدراك مواطن صلاحه؛ بل عد ذلك نعمة من نعمه، ودليلاً من الأدلة على الوصول إليه **قَالَ تَعَالَى: ﴿سَارِبِهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت / 53].**

¹ - القضايا الكبرى، مالك بن نبي، / 55 - 56، ط / 2، ت ط / 1420 - 2000، دار الفكر، دمشق - سوريا.

² - منهج الحضارة الإنسانية، محمد سعيد رمضان البوطي، / 20.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

والسير في الأرض والتفكير في جنباتها يصل بالإنسان إلى فهم السنن وإدراكها والانتفاع بها، فالسير في الأرض يتبعه الاتعاظ بمصارع الغابرين ووقائع الماضين، وعاداته المتبعة في كل أولئك السابقين. وهذا هو المراد من أن يكون الإنسان أهلاً لإدراك السنن الإلهية حتى يكون ذلك طريقاً لانتفاعه بها واتعاظه من خلالها.¹

2- علاقة السنن الإلهية بالمقاصد الشرعية: في عالم يحتكم إلى الإسلام ويصدر في عقيدته وسلوكه منه فإنّ الناس جميعاً سينعمون بالسعادة الحقيقية، وتكتنف حياتهم الطمأنينة، فتتفجر فيهم طاقات الخير لتنساب من بين أيديهم الطاهرة سلسيلاً مباركاً، يفرح به قاطن الأرض، ويرضى عنه الربّ الذي في السماء ذلك أنّ هذا الدين الرباني العظيم يلبي جميع المصالح البشرية الحقّة، ويحافظ على توازن محكم بالتفصيل والإجمال. لقد أخفقت جميع النظم البشرية المبتوتة عن صلة السماء في تحقيق ما يصبو إليه الفرد الإنساني من حياة هائلة سعيدة مطمئنة متوازنة، وذلك لجهل تلك النظم بالسنن الإلهية التي لا يكون التوازن الحقيقي للموكب البشري إلاّ بمسايرتها والتناسق مع خط سيرها والالتزام بأبوابها.²

- السنن الإلهية والمقاصد الضرورية: المقاصد الضرورية هي الأساس في إدراك السنن الإلهية للتوضيح الأمر أكثر أقول:

- كليات الدين والسنن الإلهية: الإيمان بالله - عز وجل - وإفراده بالوحدانية ومعرفته لله سبحانه هي أصل الدين كلّ، تؤثر في حياة الإنسان بإيجابية، وبإيمانه وتوحيده يدرك السنن الإلهية في خلقه، فتدفعه نحو النجاح الدنيوي والفلاح الأخروي.³

فالإيمان بحسب أصول الإسلام طريق إسعاد وإنقاذ ونجاة وفلاح وعمران وبناء، وسمعة عالية وأثر عميق في التاريخ وكلّ ذلك بفضل بساطة العقيدة الإسلامية ووسطية مفاهيمها ومداركها وغاياتها. ومن أهمّ مظاهر عقيدتنا ووسطيتها: تقرير حرية الإنسان في اختيار أفعاله ومسئوليته عن أعماله، في مظلة من القيود أو السنن الكونية بحيث لا يستطيع اختراقها كالحياة والموت، والإقامة والارتحال، والقوة والضعف

والعزّ والذلّ، وكلّ ميسر لما خلق له، في نطاق المشيئة والإرادة الإلهية.¹

¹ - السنن الإلهية وأثرها في فهم الواقع، محمد الجريتلي، <http://eldorar.net/science/article/13451>

² - الإسلام والعولمة... المنازلة، / 35.

³ - من سنن القرآن المؤسسة للتهوض الحضاري، عبد المجيد بن محمد بن علي الغيلي، / 60، د / ط، ت ط / 1430 - 2009.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

وعليه فهذه السنن الإلهية التي تقوم على عقيدة توحيد الله - عز وجل - الذي يشكل بؤرة الدائرة المركزية للإعجاز السنني، والقطب الذي تنحذب كل الموجودات فتستمد منه وجودها وبقائها، ووظيفتها.² إذا كليتة الدين بكل مستلزماتها آلية ووسيلة للكشف عن سنن الله في خلقه، ومن ثم إعمالها وتطبيقها في مسيرته لعمران هذا الكون على أساس من الرشد الإلهي.

- كليتة النفس وعلاقتها بالسنن الإلهية: حفظ النفس من أجل كفاءة الأداء لمهمة الاستخلاف وهذا الأداء لا يكون بالجسم وحده، أو بالروح وحدها، وإنما يكون بكيونة الذات الإنسانية المكوّنة منهما فحفظ النفس إذا يكون بحفظ ماديّ وبحفظ معنوي، إذ لا يمكن لإنسان هدّ روحه الحزن أو الخوف أو الشعور بالمهانة أو الاستعباد أن يكون قادرا على الانطلاق في الأرض يعمرها باكتشاف آفاقها والوقوف على سننها وقوانينها وتسخير مقدراتها ومواردها.³

فقتل نفس واحدة في الشريعة الإسلامية هو بمثابة قتل الناس جميعا، وإحيائها هو إحياء لكل البشرية. قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ [المائدة/ 32].

« يلزم من ذلك أنه لو كان جميع الناس أو أكثرهم مثل ذلك الذي قتل نفسا واحدة بغير حق، لكانوا عرضة للهلاك بالقتل في كل وقت، ولو كانوا مثل ذلك الذي أحيا نفسا واحدة احتراماً لها، قيما بحقوقها لامتنع القتل بغير الحق من الأرض، وعاش الناس متعاونين بل إخوانا متحابين متوادين فهذه الآية تعلّمنا ما يجب من وحدة البشر والحرص كلّ منهم على حياة الجميع، والقيام بحق الفرد؛ لأنّ انتهاك حرمة الفرد انتهاك لحرمة الجميع والقيام بحق الفرد من حيث أنه عضو من النوع، وما قرّر له من حقوق المساواة في الشرع قيام بحق الجميع».⁴ فإحياء النفس هو استمرار لسنة الاستخلاف، لسنة البناء والتعمير، وقتلها هو تعطيل لهذه السنة الاجتماعية وتعريض العمران للخراب، ودمار للحضارات الإنسانية عبر التاريخ، فما بادت حضارة ولا اندثرت إلا بسبب كثرة قتل النفس بغير حق.

¹ - وسطية الإسلام وسماحته، وهبة الزحيلي، <http://www.assakina.com/wastiah/6586.html>

² - مقدّمات في الفلسفة السننية، رشيد كهوس، / 163، مجلة المدونة، العدد / 5، / 1436 - 2015.

³ - مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، عبد المجيد النجار، / 121. ط / 2، ت ط / 2008، دار الغرب الإسلامي.

⁴ - تفسير المنار، محمد رشيد رضا، 6 / 349.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

- كلية العقل وعلاقتها بالسنن الإلهية: السير في الأرض والتفكير في جنباتها يصل بالإنسان إلى فهم السنن وإدراكها والانتفاع بها، فالسير في الأرض يتبعه الانتعاض بمصارع الغابرين ووقائع الماضيين¹، وهو في كل ذلك يستعمل عقله الذي كرمه الله عز وجل به دون سائر خلقه، مسترشداً في ذلك بالوحي الإلهي؛ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة عن طريق التفكير والتدبر، وهو عين التوكل والإيمان وحقيقة التكليف.

وعلاوة على ذلك، فإنّ من الواجب علينا أن نقرأ سنن الله - سبحانه وتعالى - القرآنية قراءة ذكية، لا تتبدل مع التقليد، نتدبر تسلسلها التاريخي التكليفي لسنة الله وجريان قدرها على كل شيء في هذا الوجود. هكذا رسم لنا المنهاج، وخطت لنا الطريق، ووضعت لنا القنوات، من شأنها أن تعيد الأمة المستضعفة إلى عزها ومجدها وكرامتها، وتأخذ بيدها إلى شاطئ النجاة وبر الأمان.

ولهذا فإنّ الأمة الموعودة بالظهور والخلافة في الأرض كانت ولا تزال بحاجة إلى فقه سنن الله القرآنية عن طريق كلية العقل، وأخذ العبرة من الأمم الغابرة والأقوام السابقة والحضارات البائدة.²

- كلية المال وعلاقتها بالسنن إلهية: المهمة التي كلف الإنسان بأدائها، هي الخلافة في الأرض أو سنة الاستخلاف، ولا يمكن أن نؤدّها إلاّ في محيط مادّي يتيسر معه ذلك الأداء، متمثلاً في بيئة كويتية تسمح بمقدّرات أرضها واعتدال مناخها، واستقرار توازنها بأن يقوم فيها الإنسان بأعمال التعمير وفق ما تقتضيه طبيعته وأن يكتسب فيها من الأموال ما ينمي ذلك التعمير ويرقيه ليلبغ مداه في الإنجاز الحضاري بمعناه الحقيقي الشامل الذي هو تعبير عن مهمّة الاستخلاف في الأرض، فإذا ما كان ذلك المحيط المادّي غير صالح لذلك، أو أصبح غير صالح لسبب أو لآخر من الأسباب، أصبح الإنسان غير قادر على أداء مهمّة الخلافة، أو غير قادر على أدائها على الوجه المطلوب.³

وليعلم حقيقة أنّ المال لله - عز وجل - يرزق به الإنسان مهما كانت عقيدته؛ لأنّ سنة الله مضت في إعطاء المال للكافر وللمؤمن، وللمطيع وللعاصي، فمجرد كون الإنسان غنياً بأمواله لا يجعله هذه الأموال قريباً من الله - عز وجل - وإنما الذي يقربه من الله - سبحانه وتعالى - هو الإيمان والعمل ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ/ 37].

¹ - مفهوم السنن الزبانية دراسة في ضوء القرآن الكريم، رضوان خميس زكي، / 129، د / ط، د / ت ط.

² - فقه السنن واجب وفريضة، رشيد كهوس، / 9، مجلة الفرقان، العدد / 159، السنة / 16، رجب 1436 - 2015.

³ - مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، عبد المجيد النجار / 183.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

والمعنى أنّ الأموال لا تقرب إلى الله، ولكنّ الذي يقرب العبد من ربه الإيمان والعمل الصالح¹ فهما اللذان يوجّهان صاحبه إلى كيفية إنفاق المال.

فعلى الإنسان المسلم الساعي إلى تحقيق مهمّة الخلافة في الأرض أن يحذر طغيان المال، ويستحضر في نفسه قصّة قارون الذي رزقه المال ولا فضل لله عليه ولكنّه طغى وبغى، وادّعى أنّه بنفسه وبعلمه كسب المال، ولا فضل لله عليه.²

فهو إذا مثالا ساطعا على زوال النعم واندثار الصروح جرّاء بطر النعمة.³ **قَالَ تَعَالَى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا مَكَانَهُ بِالَأُمَيْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يَقْلِحُ الْكٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾** [الفصل / 81 - 82].

فالتّرف في إنفاق المال، ومنع الناس حقوقهم، هو ما نجده شاخصا أمامنا اليوم في دول عديدة ومنها دول في أمتنا الإسلاميّة، ومحدثنا التاريخ عن انتهاء لأكبر الحضارات في التاريخ كالفرعونيّة والآشوريّة والبابليّة والفارسيّة والرّمانيّة والإغريقيّة كلّها جرّاء الفساد الداخلي على رأسه البطر والإسراف غير المبرّر والبذخ والتبذير، بل حتّى الدول التي شكّلت مجموعها الحضارة الإسلاميّة لم تسلم من هذه السنّة الإلهية في إهلاك المترفين، فالحضارة الأمويّة والعباسيّة، والعثمانيّة والأندلسيّة كلّها انتهت لنفس السبب، عندما ركنت إلى حبّ الدّنيا والمال .

لكنّ الحضارة الإسلاميّة التي بناها خير البشر حيننا صلى الله عليه وسلم قتل من بداية نشأتها داء حب المال بمبدأ التكافل الذي رسّخ في أجهى صوره في تأخي المهاجرين والأنصار، وتقاسمهم لسبل الرزق والعيش فكان هذا العلاج قاتلا لأمراض اجتماعية عديدة كانت سببا في دمار أمم سابقة ولاحقة⁴، لم تفقه جيدا مقصد المال في حفظ كيانها واستمرار عزّها ومجدها.

إذا العلاقة بين السنن الإلهية وكنية المال نلخصها في هذه المعادلة:

كلية المال + إنفاق في طرق الخير = حفظ الحضارة الإنسانيّة من سنّة هلاك المترفين.

¹ - السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، عبد الكريم زيدان، / 272.

² - المصدر نفسه، عبد الكريم زيدان، / 277.

³ - القوانين القرآنيّة للحضارات، خالد فائق العبيدي، / 111، ط / 1، ط ت / 1426-2005، دار الكتب العلميّة بيروت - لبنان.

⁴ - المرجع السابق، / 112.

جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ [فاطر: / 42 - 43].

نعم. فكلّ من يعارض قوانينه، ويعلن العصيان عليه ستنتطب عليه نفس القوانين الإلهية بومبي رمز انحلال الإمبراطورية الرومانية، لقد كانت هذه المدينة تمارس ممارسات قوم لوط -عليه الصلاة والسلام- فكانت نهايتها مشابهة لنهاية قومه.¹

لم تمح بومبي عن وجه الأرض هكذا دونما سبب، لا شك أنّ في محوها من الوجود عبر وعظمت، تشير السجلات التاريخية إلى أنّ هذه المدينة كانت مركزا لممارسة الشّهوات الشاذة، وكانت مشهورة بالبغاء لدرجة أنّه لم يكن من الممكن عدّ وإحصاء عدد بيوت الدعارة.

لقد وقع الموت على سكّان بومبي تماما كما حدث مع قوم لوط.

بالرغم من كلّ هذا لم يطرأ الكثير من التغيير على منطقة بومبي اليوم فمناطق الفسق والفجور في نابولي لا تقلّ عن فسق مدينة نابولي آنذاك، فالانحلال الأخلاقي آخذ بالانتشار، والناس يصرون على عدم الاعتبار من تجارب الأولين المخيفة ونهايتهم المفجعة.²

- السنن الإلهية والمقاصد الحاجية: المقاصد الحاجية هي تلك المقاصد التي لا يؤدي تعطّلها إلى تعطلّ الإنسان عن القيام بعمّة الخلافة مثلما هو شأن المقاصد الضرورية، إنّما تؤدي إلى أنّ تخلف الإنسان في مسعاه للقيام بتلك المهمة حرج ومشقة، سواء فيما يتعلّق بذات الفرد، أو الهيئة الاجتماعية، فإذا هو إن كان يسير في طريق تحقيق خلافته في الأرض في حال تحقّق المقاصد الضرورية إلا أن سيره يكون سيرا شاقاً فيدخل عليه عسر في الحياة وشيء من الاضطراب فيها.³

فما من أمة شددت على نفسها، إلا عمّها الذلّ والهوان، ولنا في بني إسرائيل عبرة، يسّر لهم أسباب طاعته لكنهم عسروا على أنفسهم، فكان مصيرهم الشتات والذلة إلى يوم القيامة، والقرآن يسرد لنا كثيرا من قصص تعنّهم وتعسيرهم على أنفسهم في الاستجابة لأوامر الله. نذكر مثالا على ذلك: قصة بقرة بني إسرائيل نعم. قَالَ تَعَالَى ﴿٤٧﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ

¹ - الأمم البائدة، هارون يحيى، ترجمة ميسون مخلوي / 62 - 65، د / ط، د / ت ط، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

² - المرجع نفسه، / 69.

³ - مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، عبد المجيد النجار، / 48.

لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تَوَمَّرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْأَبْقَرَ تَشْبَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْفَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴿البقرة/67-71﴾.

يقول سيد قطب: «لقد كان في هذا كفاية لمن يريد الكفاية، وكان حسبهم، وقد ردهم نبئهم إلى الجادة مرتين، ولمح لهم بالأدب الواجب في السؤال وفي التلقي، أن يعمدوا إلى آية بقرة من أبقارهم، لا عجوز ولا صغيرة متوسطة السن... فيخلصوا بما ذمته، وينفذوا بذبحها أمر ربهم، ويعفوا أنفسهم من مشقة التعقيد والتضييق ولكن إسرائيل هي إسرائيل».¹

فكان مصيرهم أن حقت عليهم سنة الله سبحانه، في سلب سنة الاستخلاف منهم، وحققت فيهم سنة الاستبدال بغيرهم، لأنهم لم يغيروا ما بأنفسهم من تعصب وغلو وجحود ونكران لنعم الله عليهم. وهي سنة الله في جميع خلقه، ما لم يأخذوا بيسر الدين الإسلامي وسماحته. فالحبيب صلى الله عليه وسلم يقول: [إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة].²

ومن أعظم دلائل يسر وسماحة هذا الدين أن العزيز الحكيم رفع علينا حرج التعاون حضارياً مع من يخالفنا عقيدة وفكراً في المجال الدنيوي إن كان هذا يخدم ديننا وأمتنا وحضارتنا، ونحن اليوم نرى من منجزات الحضارة الغربية ما ييسر الحياة، ويسهلها، فوجب علينا أن نستفيد منها، بما يحقق لنا القدرة على أداء مهمة الخلافة التي حملها لنا العزيز الحكيم فتكون لنا العزة والكرامة إلى يوم الدين.

— السنن الإلهية والمقاصد التحسينية: إن النظرة الجمالية الاستبصارية جزء لا يتجزأ من المنظور الحضاري الإسلامي، إذ أن في كل نسمة خلقها الله مسحة من الفن والجمال تقتضي التأمل والاعتبار، والإنسان الذي خلق في أحسن تقويم مُطالب بأن ينظر إلى كل المخلوقات من حوله ليكشف على دقة الصنعة الإلهية. وفي

¹ - في ظلال القرآن، سيد قطب، 1 / 78.

² - رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، 1 / 23، رقم الحديث / 39.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

القرآن الكريم آيات بقدر ما تدعو إلى النظر والاعتبار تبرز في المشاهد المختلفة وبأسلوب رائع مكامن الجمال في الكون¹ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحجر/ 16]. هذا الجمال في الآيات الكونية، والإبداع الرائع يعطي البشرية قوة إضافية لإعمار الأرض، والدِّوق الرَّاقِي في مسيرة البناء الحضاري.

«فالسَّنن الطبيعية بما يكمن في أعماقها، وبما ينمو فوق سطحها، تؤثر تأثيرا بالغا في قيام حضارة، وبقاء أخرى فلسنن الطبيعيّة دورها الجمالي عن طريق الضمير الجمالي الذي ينبثق من المكان بخصائصه، ويتفاعل مع الإنسان فيرتبطان معا برباط وجداني، لقد قامت معظم الحضارات حول الأنهار، وفي مناخات معتدلة، وكان ذلك لازما للتفاعل الحضاري، مما يجعل أماننا شرطا مكانيا في عملية التّحضّر، وهو ضرورة أن يصل التفاعل بين الإنسان والمكان إلى مستوى العصر؛ لأنّ هذا يعني مزيدا من الكنوز والكشوفات والتسخير والعطاء»².

- آيات قرآنية داعية إلى التّفكر في جمال السّنن الإلهية: البعد المقاصدي يظهر أقوى ما يظهر في مظاهر الجمال الإلهي في الكون، وما هو موشّح به من آيات الدقّة والتناسق والجمال الأخاذ في تصميمه وبنائه ومشاهده التي ترتسم أمام العين المجردة، كما تتجلّى في دقائقها للعقل المتأمل، وتنعكس آثارها على القلب المرهف بتدوّق جماليات الإبداع الإلهي في الآفاق والأنفس، كما في قوله تَعَالَى: ﴿سَرُّهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت/ 53]. وقوله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرُجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُشْتَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام/ 99]

و قوله تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَايِبُ سُودٌ﴾ [فاطر/ 27].

¹ - القيم الإسلامية وحاجة الواقع المعاصر، خالد الصمدي، / 10 مجلة حراء، العدد / 13، السنة الرابعة / أكتوبر ديسمبر / 2008.

² - فقه التاريخ في ضوء أزمة المسلمين الحضارية، عبد الحليم عويس، / 63، ط / 1، ت ط / 1414-1994، دار الصّحوة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

وعليه كل الآيات القرآنية الداعية إلى التأمل في محاسن الخلق الإلهي، و التَّمَلِّي من طلعة الإتقان الربّاني والتفاعل مع آلاء الله في الكون والاستمتاع بصوره والانتفاع بجماله، ومنها قوله تعالى: ¹ تَعَالَى: ﴿أَقَلَّمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾ [ق/ 6 - 7].

وقوله تَعَالَى: ﴿أَمَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ اللَّهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ ﴿٦﴾﴾ [النمل/ 60].

وقوله سبحانه ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [البقرة/ 69].

وقوله تَعَالَى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل/ 5 - 8].

يقول السيد قطب: «فالجمل عنصر أصيل في هذه النظرة وليست التعممة هي مجرد تلبية الضرورات من طعام وشراب وركوب، بل تلبية الأشواق الزائدة على الضرورات. تلبية حاسة الجمال ووجدان الفرح والشعور الإنساني المرتفع على ميل الحيوان وحاجة الحيوان».²

مضيفاً في تفسيره الظلال: «فنظرة واحدة إلى السماء كافية لرؤية هذه الزينة؛ ولإدراك أنّ الجمال عنصر مقصود في بناء الكون؛ وأنّ صنعة الصّانع فيه بديعة التكوين جميلة التنسيق؛ وأنّ الجمال فيه فطرة عميقة لا عرض سطحي؛ وأنّ تصميمه قائم على جمال التكوين كما هو قائم على كمال الوظيفة سواء بسواء. فكلّ شيء فيه بقدر وكلّ شيء فيه يؤدّي وظيفته بدقّة؛ وهو في مجموعه جميل. إنّه الجمال... الجمال الذي يملك الإنسان أن يعيشه ويتملأه، ولكن لا يجد له وصفاً فيما يملك من الألفاظ والعبارات».³

¹ - مقصد الجمال في الخطاب الإلهي وأبعاده الفطرية، عبد <http://www.maghress.com/attajdid/108180>

² - في ظلال القرآن، سيد قطب، 4/2161.

³ - المصدر السابق، 5/2983-2984.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

فتأمل الجمال في السنن الإلهية، مقصد عظيم من مقاصد شريعتنا الغراء التي لم تكتف بالدعوة إلى التفكر والتبصر في نظام السنن الإلهية، والعمل وفق مقتضياتها، والسير على هداها؛ بل دعت إلى الزيادة في التدبر في جمالها وإبداعها والاقتراس من إبداعها فيما يخدم الحضارة البشرية في العاجل والآجل.

الفرع الثاني: أهم السنن الإلهية المساهمة في نجاح مقصد التعاون الحضاري الإنساني

الإنسان العنصر الفاعل في عملية البناء الحضاري، الذي يتعاون مع غيره لإعمار الأرض، من خلال سنة الاستخلاف التي كلفه سبحانه بأداء حقها، وفي مسيرته يصطدم بسنة أخرى تنظم سيره ولا تجعله تائها في هذا الكون إنما سنة التدافع بين الحق والباطل، وتتعاقب الأجيال تلو الأجيال وفق سنة التداول، ولن يحقق مقصد التعاون الحضاري الإنساني ثماره إلا إذا انتهج المسلمون - خصوصاً - اليوم سنة التغيير في الآفاق والأنفس وفق مقاصد العزيز الحكيم لإعادة أجداد الحضارة الإسلامية التي استظل بظلها كل البشرية، نعموا لقرون مديدة بأعظم نعمة ينشدها العالم اليوم إنما نعمة السلام العالمي، كل هذه السنن الإلهية سنحاول بسط البحث فيها لأن بإعمالها وفق إرادة العزيز الخبير يؤدي إلى نجاح تعاوننا الحضاري مع غيرنا نبدؤها أولاً ب:

أولاً - سنة الاستخلاف:

إن الخلافة في الأرض هي المهمة التي انتدب الله لها الإنسان، وجعل تحقيقها تحقيقاً لل غاية من وجوده، وهي تتضمن مسؤولية عظيمة، تتمثل في تمكين الإنسان من أمانة الأرض، وناصية الكون وتسخير له ليكون سيّداً عليه، مالكا لمفاتيحه، متصرفاً في شؤونه، مستغلاً خيراته، منقداً فيه إرادته بالتعمير والتغيير، والترقية والتطوير.¹

أ - معنى الاستخلاف:

1- لغة: يقال: استخلفه؛ أي جعله خليفته.² والخلافة النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته وإما لعجزه، وإما لتشريف المستخلف، وعلى هذا الوجه الأخير، استخلف الله أوليائه في الأرض.³

وعلى هذا فإن مدار لفظة الاستخلاف في اللغة تطلق ويراد بها النيابة. **قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ سَبْعًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾**

[هود/ 57]

¹ - وظيفة الاستخلاف في القرآن الكريم، دلالاتها وأبعادها الحضارية، محمد زمران / 195، د / ط، د ت / ط.

² - مختار الصحاح، أبو بكر الرازي، / 78. أنظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، / 138 - 139.

³ - مفردات غريب القرآن، الأصفهاني، 1 / 207.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

2- اصطلاحاً: «إنّ الخلافة - المهمة الوجودية للإنسان - تعني الخلافة عن الله تعالى لتنفيذ مراده في الأرض وإجراء أحكامه فيها، وهذا معناه أن يكون سلطاناً في الكون بغاية تطبيق المهمة التي كلفه بها المستخلف الله - عزّ سلطانه - ائتماراً بما أمر، وانتهاءً عما نهي».¹

ب - سنة الاستخلاف في القرآن الكريم: قد نطقت آيات القرآن بأن الاستخلاف في الأرض والتمكين والظهور لا يكون إلا من الله تعالى نذكر أهمّها:

1 - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَيَنْحُبُ نُسْبِحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/ 30].
- «أليس من حكمة الله الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدى، أن جعل الإنسان بهذه المواهب خليفته في الأرض يقيم سننه، ويظهر عجائب صنعه، وأسرار خليفته، وبدائع حكمه، ومنافع أحكامه، وهل وجدت آية على كمال الله وسعة علمه أظهر من هذا الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم؟ وإذا كان الإنسان خليفة بهذا المعنى فكيف تعجب الملائكة منه؟».²

2 - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام/ 165].
يقول ابن كثير في تفسيره: «أي جعلكم تعمرون الأرض جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن، وخلفاء بعد سلف ... ليختبركم في الذي أنعم عليكم وامتحنكم به».³

3- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور/ 55].
يقول سيد قطب: «هذا الاستخلاف في الأرض قدرة على العمارة والإصلاح، لا على الهدم والإفساد وقدرة على الارتفاع، وقدرة على تحقيق العدل والطمأنينة، لا على الظلم والقهر، وقدرة على الارتفاع بالنفس البشرية والنظام البشري لا على الانحدار بالفرد والجماعة إلى مدارج الحيوان.

¹ - خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، عبد المجيد النجار، / 61، ط / 1، ت ط / 1413-1993، دار الغرب الإسلامي
معهد الفكر الإسلامي - الولايات المتحدة الأمريكية.

² - تفسير المنار، محمد رشيد رضا، 1 / 260.

³ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، / 743.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

هذا الاستخلاف هو الذي وعده الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وعدهم الله أن يستخلفهم في الأرض كما استخلف المؤمنين الصالحين قبلهم - ليحققوا النهج الذي أراده الله، يقرروا العدل الذي أراده الله، ويسيروا بالبشرية خطوات في طريق الكمال المقدر لها يوم أنشأها الله.¹

4 - قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ حَلِيفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ [فاطر/ 39].

«يخبر تعالى عن كمال حكمته بعباده أنه قدر بقضائه السابق، أن يجعل بعضهم يخلف بعضا في الأرض ويرسل لكل أمة من الأمم النذر، فينظر كيف يعملون، فمن كفر بالله، وبما جاءت به رسله، فإن كفره عليه وعليه إثمه وعقوبته، ولا يحمل عنه أحد، ولا يزداد الكافر بكفره إلا مقت ربّه له...»².

فالاستخلاف إذا من خلال هذه الأدلة الشرعية وغيرها كثير في كلام العزيز الحكيم سنة إلهية، اختص بها الإنسان دون سائر مخلوقاته تكريما له، وتكليفا منه لحمل أعباء تعمير الأرض وإصلاحها، ولن ينجح في مهمته هذه إلا إذا عمّر قلبه بالإيمان الصادق وترجمه إلى عمل صالح ليحقق له شرط التمكن والتصر، هذا الأمر يدفعنا للحديث عن أهم دعائم سنة الاستخلاف.

ج - الأبعاد المقاصدية لسنة الاستخلاف: إن سنة الاستخلاف تقوم على دعامتين اثنتين هما:

1 - البعد الإيماني: الإيمان المحقق لسنة الاستخلاف، هو تلك التفحة التي تجعل الإنسان مستعدا للخلافة في الأرض مستعدا لحمل الأمانة الكبرى، أمانة التكليف والمسؤولية التي صورها القرآن الكريم تصورا رائعا³ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ [الأحزاب/ 72].

الإيمان الذي يخط آثاره في الحياة كلها، ويصبغها بصبغتها الربانية في الأفكار والمفاهيم والعواطف والمشاعر والأخلاق والعادات والنظم والقوانين.⁴

فالإيمان بالله - عز وجل - ينعكس بشكل طبيعي على سلوك الإنسان وعمله في المجتمع، ويكون من ثمراته الطيبة سعيه لتنمية روح التعاون مع غيره والاندماج في الجماعة، والتعود على الإيثار، ونكران الذات، وحب

¹ - في ظلال القرآن، سيد قطب، 4 / 2529.

² - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، 811 / .

³ - الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، 70، ط / 4، ت ط / 1399 - 1979، الرسالة، بيروت - لبنان.

⁴ - المرجع نفسه، 366 / .

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

العمل المتواضع والصدق والأمانة، والوفاء والتّضحية، والإشفاق على الخلق، ويستتبع ذلك عن كلّ ما يمكن أن يصطدم مع هذه الخصال الحميدة، ويدنّس علاقته القويّة برّبّه.

إنّ الإيمان الذي يقوم عليه بنیان الدّين، يجيء دائما بمثابة معامل حضاري يمتدّ أفقيا لكي يصبّ في إرادة الجماعة المؤمنة على معطيات الزّمن والتّراب، ويوجّهها في مسالكها الصحيحة ويجعلها تنسجم في علاقاتها وارتباطاتها مع حركة الكون والطبيعة ونواميسها، فيزيدها عطاء وقوّة وإيجابيّة وتنفاسا، كما يمتدّ عموديا في أعماق الإنسان لكي يبعث فيه الإحساس الدائم بالمسؤوليّة ويقظة الضّمير، ويدفعه إلى سباق زمني لا مثيل له لاستغلال الفرصة التي أتاحت له كي يفجّر طاقاته، ويعبّر عن قدراته التي منحها الله إيّاها على طريق القيم التي يؤمن بها والأهداف التي يسعى لبلوغها.¹

وبسبب الأهميّة القصوى للإيمان في تنفيذ بنود المشروع الاستخلافي على الوجه الذي يرتضيه الله - سبحانه وتعالى - أولاه الإسلام عناية خاصّة، وعدّه هدفا أساسيا وأصيلا من أهداف العمليّة الاستخلافيّة، وبعدها قويا من أبعادها، وتجلّى ذلك بوضوح في الكمّ الكبير من التّوجيهات القرآنيّة والتّبويّة التي تدعو المسلم وتلحّ عليه لتقوية صلته بالله عن طريق العبادة والاجتهاد في التّربي في مدارج الكمال الرّوحي وخلقي حتّى يصل إلى درجة الإحسان.² [أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ].³

2- بعد ترقّي الكيان الفردي (التّركية): من أهم أبعاد سنّة الاستخلاف ترقّي الكيان الفردي، فالتّركية مهمّة في عمليّة التّغيير الحضاري - كما سنرى لاحقا- والفعل الحضاري للإنسان الخليفة، ولهذا جعلها الإمام الراغب الأصفهاني شرطا في صحّة الخلافة عن الله تعالى وكمال عبادته إذ يقول: «لا يصلح لخلافة الله تعالى ولا يكمل لعبادته وعمارة أرضه إلّا من كان طاهر النّفس، قد أزيل رجسه ونجسه، فللنّفس نجاسة، كما للبدن نجاسة... إنّما لا يصلح لخلافة الله تعالى إلّا من كان طاهر النّفس؛ لأنّ الخلافة هي الاقتداء على قدر طاقة البشر في تحريّ الأفعال الإلهيّة، ومن لم يكن طاهر القول والفعل، فكلّ إناء بالذي فيه يرشح».⁴

ومن ثمّ «كان المسلم مطالبا في سعيه الحضاري دائما أن يمارس عمليّة العكوف على الدّات لتربيتها على أمر الله وأخذها بشرع الله، ولا يعني ضربا من السلبية والهروب من الحياة، وفقدان التّوازن الاجتماعي... إنّما نرى

¹ - التفسير الإسلامي للتاريخ، عماد الدين خليل، / 226، ط / 5، ت ط / 1991، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان

² - وظيفة الاستخلاف، محمد زمران، / 206-208.

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي -صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، 1 / 27، رقم الحديث / 36.

⁴ - الذريعة إلى مكارم الشريعة، راغب الأصفهاني، / 36، ط / 1، ت ط / 1400-1980، بيروت - لبنان.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

أن ميدان الذات وتركيتها أكبر من ذلك بكثير، إنَّه الحياة بكلِّ ما فيها من جوانب الخير والشرِّ إنَّها التَّربية الميدانيَّة التي لا يتمُّ إلاَّ من خلال الممارسة والمعاشية الاجتماعيَّة والمعاناة اليوميَّة، والتَّحديات المحيطة، واستشعار هذه التَّحديات، وعدم الذوبان والسَّقوط أمامها»¹.

فالتَّزكية، تعدُّ بعدا محوريًّا في عمليَّة التَّغيير، وإقامة مجتمع الاستخلاف حيث التَّفاعل مع معطيات الله في الكون ومستخراته، وحيث يكون العبد ربايًّا في الدُّنيا، يعمل من أجل الآخرة، فيحقِّق كمال العمارة في الأرض ويستحقُّ الخلافة عن الله والشَّهادة على النَّاس، مهتديا بمنهج الله الموحى إليه، الَّذي يضبط الفعل الحضاري المتعلِّق بالإنسان حقوقا وواجبات، سعيا ومسيرة، فكرا وحركة، وسائل وغايات، وذلك من خلال فعل التَّزكية الَّذي يعني مراعاة النَّفس، ومراعاة حق الغير، ليصل الإنسان إلى درجة الكمال بترسيخ الذات الإنسانيَّة.²

فالتَّزكية إذا بمظهرها مراعاة حق النَّفس من خلال الأخلاق الآتية: الإخلاص، الحياء والورع، الصَّبْر والتَّقوى ومراعاة حق الغير من خلال مبادئ: العدل والإحسان، والتراحم، والجهد، نقدّم رؤية غير مسبوقه عن سنَّة الاستخلاف، تجعل الأُمَّة الإسلاميَّة بحق أُمَّة القيم التي تمثِّل عالميَّة الاستخلاف والتَّعارف، ووحدة الانتماء العالمي إلى الله³، كما تجعل العالم الإسلامي مدعُوًّا بقوة إلى تمكين النَّفوس التي انقادت للشرع، أن تقود وأن تسهم بفاعليَّة في بناء النَّسق القيمي الحاكم والضابط للعلاقة بين الحضارات، صحيحٌ أنَّه قد لا يستطيع الآن في البناء المادِّي (التَّقني) بقوة إلاَّ أنَّ عليه أن يسهم برؤيته في تعارف الحضارات من خلال التَّزكية في سنَّة الاستخلاف ليرشد المسيرة الحضاريَّة، هذا الإسهام هو أحد مستويات الشَّهود الحضاري، الَّذي يجب ألاَّ نتخلَّى عنه وإلاَّ تخلَّى عَنَّا.⁴

3- بعد التَّزقي الجماعي: البعد الثالث من الأبعاد الحضاريَّة لسنَّة الاستخلاف، هو التَّزقي الجماعي الَّذي تنخرط فيه مجموعة الإنسان لتصعد قدما نحو الله تعالى، وذلك بما ينشأ بينها من الأخوة والتَّعاطف والتَّراحم والتَّكافل والتَّعاون والتَّنصيح والتَّواصي على الخير، وجماع ذلك كلُّه ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ

¹ - نظرات في مسيرة العمل الإسلامي، عمر عبيد حسنة، 81، ط / 1، ت ط / 1405، رئاسة المحاكم الشرعيَّة والشُّؤون الدِّينية قطر.

² - قيم الإسلام الحضارية نحو إنسانيَّة جديدة، محمد عبد الفتاح الخطيب / 60. ط / 1، ت ط / 1431-2010 وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة - قطر.

³ - المرجع نفسه / 98.

⁴ - العولة والإسلام - رؤيتان للعالم - سيف الدِّين عبد الفتاح، / 121-122، ط / 1، ت ط / 1430-2009 دار الفكر دمشق - سوريا.

مِن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ [الحجرات / 13].

فالتعارف في هذا المقام إنما المقصود به رجوع الكثرة من أفراد بني الإنسان على تعددهم العرقي والقبلي إلى وحدة متعاونة على ما يكون به تحقيق أغراضها، توجهها سباقيا للاقتراب من الله تعالى بتحقيق أوامره، وتلك هي التقوى التي ذُكرت بها الآية الكريمة في مقام الإشارة إلى الهدف الذي يكون من أجله التعارف.¹

4 - التعمير: هو المهمة التي أوكلت للإنسان بعهد الاستخلاف والغاية التي سخر الله كلَّها للإنسان من أجل تحقيقها والقيام بحجتها. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة / 177].
 61؛ أي جعلكم فيها عمّارا تعمرونها وتستغلونها.²

وبناء العمران الذي هو انعكاس للإيمان والهداية والتزكية، وروح العبادة على الكون والطبيعة المسخرة وبذلك يتحول الإنسان إلى قائد مسيرة التسييح التي يمارسها كل شيء في الكون بالتوجيه التلقائي والذاتي، عدا الإنسان الذي يمارس ذلك كله بحريته واختياره.³ قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحٰنَ لَهٗ السَّمٰوٰتِ السَّبْعِ وَالْاَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء / 44].

فالإنسان إذا مكلف في الدين بأن ينجز هذا التعمير، وذلك على الوجه الذي حدّته أحكامه وضوابطه بحيث تكون المرجعية في كل ما يستثمره الإنسان من مرافق الطبيعة مرجعية شرعية، سواء من حيث ما ينبغي أن يأخذ منها وما يدع، أو من حيث الكيفية التي يكون بها الاستثمار، أو الحدود التي ينبغي أن يقف عندها في كل ذلك، فالإنسان مستخلف في البيئة الطبيعية يتصرّف فيها بأوامر مستخلف عليها وليس بحسب أمزجته وشهوته ونزواته،⁴ فيحقّق بذلك أعظم غايات الاستعمار في الأرض في المنظومة الإسلامية، غايات مشروطة بالآخرة محكومة بقيم تمثل ضابطا ومنظما لكي يسعى الإنسان في تحريك الحياة، بحيث يكون العبد في تعميره الدنيا، وتحريكه للحياة فيها ناظرا إلى الآخرة قَالَ تَعَالَى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [البقرة / 201].

[القصص / 77].

1 - الأفاق الحضارية للوجود الإسلامي بالغرب، عبد المجيد النجار / 19.

2 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، / 960.

3 - الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون، طه جابر العلواني / 37 - 38، ط / 1، ت ط / 1427 - 2006 مكتبة الشروق الدولية.

4 - معالم المنهج الحضاري، عبد المجيد النجار، 153.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

فابتغاء الآخرة هو المحرك الدائم لفاعليات الإنسان المسلم في سباق المسؤولية والأمانة و الاستخلاف العمراني في الكون.

فهي حركة يلتقي فيها طريق الدنيا وطريق الآخرة، ويكون الطريق إلى صلاح الآخرة هو ذاته الطريق إلى صلاح الدنيا ويكون الإنتاج والتماء والوفرة في عمل الأرض هو ذاته المؤهل لنيل ثواب الآخرة، فينطلق في حركة من أسر المادة، ويرتفع عن حضيض الحياة الدنيا إلى الحياة العليا¹، إذ أن أحوال الدنيا ترجع كلها إلى اعتبارها بمصالح الآخرة.²

واستعمار الأرض بهذه الغاية يؤدي إلى تحقيق الحياة الطيبة التي يهبها الله سبحانه لمن كان مهتديا بهديه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [النحل / 97].

والحياة الطيبة لا تعني مجتمعات الاستهلاك أو مجتمعات إنتاج الوفرة، أو مجتمعات تجاوز الحاجات كما في المنظور المادي بل هي في المنظور الإسلامي حالة من السور والكمال، يشعر بها الفرد في حياته اليومية، نتيجة استمتاعه بخيرات الحياة على الدوام، فلا حيرة ولا قلق، ولا شرود ولا ضلال، وذلك من خلال حركة حضارية تقوم على العلم، وكمال العقل.³

5 - الشهود الحضاري: الأصل الجامع للشهود الحضاري هو قوله تَعَالَى: ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ اُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا اِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلٰى عَقْبَيْهِ وَاِن كَانَتْ لَكَبِيْرَةً اِلَّا عَلٰى الَّذِيْنَ هَدٰى اللهُ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيْعَ اِيْمَانَكُمْ اِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيْمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: 143]

«إنها الأمة الوسط التي تشهد على الناس جميعا فتقيم بينهم بالعدل والقسط، وتضع لهم الموازين والقيم وتبدي فيهم رأيها فيكون هو الرأي المعتمد، وتزن قيمهم وتصوراتهم وتقاليدهم وشعاراتهم، فتفصل في أمرها وتقول هذا حق وهذا باطل، لا التي تتلقى من الناس تصوراتها وقيمها وموازينها، وهي شهيدة على الناس هكذا، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يشهد عليها ويقرر لها موازينها وقيمها، ويحكم على أعمالها وتقاليدها، ويزن ما يصدر عنها، ويقول فيه كلمته الأخيرة.

¹ - قيم الإسلام الحضارية نحو إنسانية جديدة، محمد عبد الفتاح الخطيب / 118.

² - المقدمة، ابن خلدون، / 190 - 191.

³ - قيم الإسلام الحضارية نحو إنسانية جديدة، محمد عبد الفتاح الخطيب، / 122.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

وبهذا تتحدّد حقيقة هذه الأمة ووظيفتها لتعرفها، ولتشعر بضخامتها، ولتقدّر دورها حقّ قدره وتستعدّ له استعداداً لاثقاً»¹.

فالشهود الحضاري إذا هو: تلك الحالة من الاقتدار والتّمكّن والفعاليّة التي تسمح بتجسيد أنموذج الأمة الوسط في الواقع: نفسي ومعرفي وعقلي وذهني وسلوكي وأخلاقي، واجتماعي واقتصادي، وثقافي وتربوي وسياسي يجعل الأمة الإسلاميّة في مجموعها قادرة على استيعاب حقائق الأمة الوسط وتجسيدها في الواقع الإنساني الحضاري بحيث تنسجم حركة الأمة وفعلها الحضاري مع سنّة الاستخلاف، وتحقّق الأمة الأنموذجيّة على مستوى العبادة والإعمار والتعارف الإنساني الحضاري العام.²

ولن يتحقّق الشهود الحضاري لأمة الوسط إلا إذا حققت كلّ الأبعاد الحضاريّة لسنّة الاستخلاف السالفة الذكر، من البعد الإيماني، والترقي الروحي التّركية بعد التّركي الجماعي، والتّعمير، فيوفّ العزيز الحكيم وعده لها في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور / 55].

ثانياً - سنّة التّدافع: قضية التّدافع - كما يشير القرآن الكريم - كانت ولا زالت، وستكون هي جوهر الوجود البشري. فالوجود البشري قائم على هذا التّضاد، وعلى هذا التّدافع المستمر لخلق الله على أرضه. فالبشريّة تدعو إلى السّلام والأمن، وبينما في الواقع يطغى النّاس بعضهم على بعض، وتستمرّ عمليّة التّدافع إلى أن يشاء الله - عزّ وجلّ - وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فقانون التّدافع يخبرنا بأنّه لا مفرّ من عمليّة التّدافع المستمرة في السّلم والحرب فهي حالة دائمة ومستمرّة لا يجوز تجاهلها أو الأمل في زوالها.³

أ - تعريف سنّة التّدافع:

1 - معنى التّدافع لغة: الدفع الإزالة بقوّة، دفعه، يدفعه دفعا ودفاعا، ودافعه فاندفع، وتدافع، وتدافعوا الشيء: دفعه كلّ واحد منهم عن صاحبه، وتدافع القوم؛ أي دفع بعضهم بعضا، ودفع فلان إلى شيئا، ودفع عنه الشّر على المثل.⁴

¹ - في ظلال القرآن، سيد قطب، 1 / 130 - 131.

² - الشهود الحضاري للأمة الوسط في عصر العولمة، عبد العزيز برغوث، / 36 ط / 1، ت ط / 1428 - 2007، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة - الكويت.

³ - القواعد الاستراتيجية في الصّراع والتّدافع الحضاري، جاسم محمد سلطان، / 175 ط / 1، ت ط / 1426 - 2005.

⁴ - لسان العرب، ابن منظور 8 / 78.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

فمدار معنى التدافع في اللغة هو إزالة الشر بقوة.

2- اصطلاحاً: التدافع حسب المنطوق القرآني الواضح هو حماية من الفساد، ووقاية لها أن يصبها الأسن والتعقّن إذ لولا التدافع لفسدت الأرض.¹

فستة التدافع في حقيقتها إذا: هي تدافع بين الحقّ والباطل؛ أي بين أصحابهما أم لا بدّ منه وحتميٍّ لأتّهما ضدّان، والضدّان لا يجتمعان؛ لأنّ تطبيق أحدهما يستلزم مزاحمة الآخر وطرده، ودفعه وإزالته، أو في الأقلّ إضعافه ومنعه من أن يكون له تأثير في واقع الحياة، فأهل الباطل لا يكفيهم بقاؤهم على باطلهم، وإنّما يسعون إلى محقّ الحقّ وأهله، وإزالة هذا الحقّ بقوة، وصدّ النَّاس عنه ببذل المال والقتال.

وإذا كان الأمر كما ذكرنا من شأن الباطل وقوّته التي تطغيه وأهله، فلا بدّ للحقّ من قوّة تحميه من طغيان الباطل وأهله، وتمكّن أهل الحقّ من محقّ الباطل والغلبة لأهله، ولذلك أمرهم بإعداد القوّة وإرهاجم، ومنعهم من التّحرش بهم.²

ب - دليها من القرآن الكريم: من أهمّ الآيات، الدالّة على سنّة التدافع.

1- قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ [البقرة/ 251]

- «دفع الله النَّاس بعضهم ببعض من السنن العامّة، وهو ما يعبر عنه علماء الحكمة في هذا العصر بتنازع البقاء ويقولون أنّ الحرب طبيعيّة في البشر؛ لأنّها من فروع سنّة تنازع البقاء العامّة، ترى أنّ قوله ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ ليس نصّاً فيما يكون بالحرب والقتال خاصّة، بل هو عام لكلّ فرع من أنواع التنازع بين النَّاس الذي يقتضي المدافعة والمغالبة، ويظنّ بعض المتطفّلين على علم السنن في الاجتماع البشري؛ أي تنازع البقاء الذي يقولون إنّه سنّة عامّة هو من أثره الماديين في هذا العصر، وأنّه جور وظلم هم الواضعون له والحاكمون به وأنه مخالف لهدي الدّين، ولو عرف من يقولون هذا

¹ - النّصر والهزيمة -دراسة قرآنيّة -، عبد اللّطيف حسن محمّد مرشود / 24، ماجستير أصول الدّين، كليّة الدّراسات العليا جامعة النجاح الوطنيّة، نابلس -فلسطين، /2007.

² - سنّة الابتلاء، رجب نصر موسى الأنس، / 21 - 22، ماجستير أصول الدّين، كليّة الدّراسات العليا، جامعة النجاح الوطنيّة نابلس -فلسطين، /2007.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

معنى الإنسان أو لو عرفوا أنفسهم، أو لو فهموا هذه الآية وما معناها من سورة الحج، لما قالوا ما قالوا¹.

2 - قَالَ تَعَالَى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلُمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج/ 39 - 40].

قال ابن كثير: «أي لولا أنه يدفع عن قوم بقوم، ويكشف شر أناس عن غيرهم بما يخلقه ويقدره من الأسباب لفسدت الأرض، وأهلك القوي الضعيف؛ أي لولا ذلك: "لهدمت صوامع الرهبان، وبيع النصرى وصلوات اليهود وهي كنائسهم، ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيرا»².

د - كيفية استفادة الأمة الإسلامية اليوم من سنة التدافع الحضاري: التدافع الحضاري، جزء من الاختبار الإلهي، وجزء من تمكين الخير من أن تزداد صلابته في مواجهة الشر.

ففي حالة ضعف المسلمين، وعدم قدرتهم على المواجهة الكاملة، تكون هناك قوى عالمية متناقضة تحمل العداوة للمسلمين لكنها في الوقت نفسه تحمل من التناقض فيما بينها ما يحملها على الاقتتال والمواجهة، فإذا أحسن المسلمون التحرك الحكيم خلال الظروف المتاحة مستثمرين التناقض القائم يمكن أن نقول بأنهم أفادوا من سنة التدافع التي وردت في القرآن، وأدركوا أبعادها.

هذا معنى جديد، ومعنى صحيح يستطيع المسلمون في هذا العصر أن يستغلوا ما بين الجبهات المتصارعة في العالم من فروق ونقائص اجتماعية وسياسية لكي يعرضوا أيضا ما عندهم، ويعرف ما فيه من خير، وأخيرا لكي يستطيعوا أن يستردوا ما فقدوا من مساحة مكانية في الاستعمار وما أصابهم من نكبات اجتماعية وسياسية كثيرة في الهزائم التي لحقت بهم، ويستعيدوا ما فاتهم من خلال هذا كله، لكن يحتاج فعلا إلى أن الذي يحسن الاستغلال يجمع بين أمرين الإخلاص العميق للعقيدة، والمبدأ والدكاء العميق أيضا الذي يستطيع به أن يفتق الحيل حتى يصل إلى ما يريد³.

¹ - تفسير المنار، محمد رشيد رضا، 2 / 496 - 497.

² - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير / 1279.

³ - كيف نتعامل مع القرآن الكريم، محمد الغزالي، / 129 - 130.

ج - علاقة سنة التدافع بمقصد التعاون الحضاري الإنساني: إن قيمة الحياة وصبرورتها الحضارية الدائمة تكمن في هذا الصراع القائم بين كتل البشرية المختلفة المتضادة الموزعة، وأن حكمة الله شاءت حتى بالنسبة للكتلة أو المعسكر الواحد أن تشهد انقساماً وتغيّراً وتنوعاً وصراعاً هذه هي طبيعة العلاقات البشرية ما دامت تمارس حريتها في الأخذ والعطاء.¹

إن الصراع الذي يتحدّث عنه القرآن الناجم عن التغيّار البشري في المذاهب والأجناس والألوان واللغات والبيئات الجغرافية لا يقتصر فقط على مسألة التقاتل والتدافع، وإنما يمدّها إلى ساحة أوسع ويعطي للتدافع البشري آفاقاً بعيدة المدى تبدأ بإشهار السلاح، وتمتدّ لكي تصل إلى الموقف الأكثر إيجابية، والذي يجعل هذا التغيّار البشري سبباً لعلاقات إنسانية متبادلة بين الأقوام والأمم والشعوب تسعى للتقارب والتعاون والتعارف مع بقاء كل منها على مذهبه أو جنسه أو لونه، أو بيئته الجغرافية. **قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾** [الحجرات/ 13].

فسنة التدافع في القرآن الكريم تمتاز بالواقعية - إن صحّ التعبير - فهو يؤكد مسألة الصراع من جهة، ويفرض من جهة أخرى التمايز الأبدي بين الشعوب والأقوام والجماعات، ويصعد من جهة ثالثة أساليب الصراع حتى لتصل بها إلى مرحلة التعامل الإنساني الكامل القائم على التعارف والتعاون دون أن يتجاوز بهذا أبداً واقعته.²

ثالثاً - سنة التداول الحضاري

يزرع فينا بهذا القانون الأمل في قلوب الأمة الإسلامية، إلا أنه ليس أمل بارد بلا حراك؛ بل يصحبه استعداد للفرص القادمة، وعزم على اقتناصها.³

- معنى سنة التداول الحضاري:

1- لغة: من الفعل دَوَّلَ الدَّوْلَةَ والدَّوْلَةَ واحدة، وقيل الدَّوْلَةُ في المال، والدَّوْلَةُ في الحرب والجاه، وقيل الدَّوْلَةُ اسم الشيء الذي يتداول، والدَّوْلَةُ المصدر **قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾** [الحشر/ 7].

¹ - التفسير الإسلامي للتاريخ، عماد الدين خليل / 240.

² - المرجع نفسه / 249.

³ - القواعد الاستراتيجية في الصراع والتدافع الحضاري، جاسم محمد سلطان، / 222.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

وتداول القوم كذا؛ أي تناولوه من حيث الدولة، وتداول الله كذا بينهم¹، والله يداولها بين الناس وتداوله الأيدي؛ أي أخذته هذه مرة، وهذه مرة². **قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾** [آل عمران/ 140].

2 - اصطلاحاً: «وهي السنة التي تُسَلَّم المشعل من جيل إلى جيل ومن حضارة إلى حضارة وهي سنة تحكم حركة الحياة وحركة التاريخ، وتتمثل في نظام التعاقب والتناوب الحضاري»³

ب - دليلها: **قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾** [آل عمران/ 140]

- يقول سيد قطب - رحمه الله - «سنة أخرى من سنن الله في الأرض، وهي مداولة الأيام بين الناس وفقاً لما يبدو من عمل الناس ونيّتهم، فتكون لهؤلاء يوماً، ولأولئك يوماً ومن ثمّ يتبين المؤمنون، ويتبين المنافقون كما تنكشف الأخطاء، وينجلي الغبش.

ومداولة الأيام، وتعاقب الشدة والرخاء، محكّ لا يخطئ، وميزان لا يظلم، والرخاء في هذا كالشدة»⁴.

ج - سنة التداول، سنة الأمل العائد: إنّ المداولة توحى بالحركة الدائمة، وبالتجدد، والأمل، وتقرر أنّ الأيام ليس ملكاً لأحد، ومن ثمّ فلا داعي لليأس والهزيمة فمن هم في القمة الآن ستنزل بهم حركة الأيام إلى الحضيض ومن هم في القاع ستصعد بهم الحركة نفسها، ومن خلال فعلهم الحر، وحركتهم واختيارهم إلى القمة. إنّ المداولة القرآنية تحمل كافة جوانب إيجابيتها التاريخية. حركة العالم مستمرة، وتمخض الصراع الفعّال وديمومة الأمل البشري الذي يرفض الحزن والهوان.⁵ **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** [آل عمران/ 139].

1 - مفردات غريب القرآن، راغب الأصفهاني، / 232.

2 - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، / 194.

3 - السنن الكوثية والاجتماعية من خلال القرآن الكريم، كمال قدة / 150، مجلّة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمّة لخضر، الوادي، العدد / 15، مارس / 2016.

4 - سيد قطب، في ظلال القرآن، 1 / 480 - 481.

5 - التفسير الإسلامي للتاريخ، عماد الدين خليل، / 260، ط / 5.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

وهي تستهدف أيضا تمحيص الجماعات البشرية، وإثارة الصراع الدائم بينها تخلق التحديات المستمرة وذلك لكي يتم في النهاية إفراز حركة دائمة متجددة في التاريخ ترفض اليأس والهزيمة والتشاؤم مادامت الحياة أشبه بالتأعور الذي يدور في جميع الاتجاهات.¹

د - علاقة سنة التداول بمقصد التعاون الحضاري الإنساني: الحضارات الإنسانية كلها في وضعيّة مكابدة متواصلة لابتلاءات المدافعة الثقافيّة والاجتماعية والحضاريّة المحيطة بها، بعضها من واقع السعي للخروج من وضعيّة أو مرحلة الضعف والتخلف والتبعيّة الحضاريّة كما هو الحال بالنسبة للأمة الإسلاميّة، وتحقيق مرحلة الإقلاع الحضاري وبعضها الآخر من موقع السعي لدخول مرحلة المواكبة الحضارية، وعدم التراجع عن الوضع الذي تحقّقه، وبعضها من موقع المضي قدما نحو المنافسة الحضارية في مراحلها المتقدّمة؛ أي أنّ كلّ الحضارات أو المجتمعات البشرية تتحرّك نحو تحقيق مداولتها الحضاريّة من المستوى الحضاري التي هي فيه ابتداء، ومنه نحو المستويات التالية من مسار التداول الحضاري الطويل الذي يبدأ من مرحلة الإقلاع الحضاري، ويتحرّك قدما نحو مرحلة الريادة الحضاريّة.²

هذا التداول الحضاري يعطي قوة دافعة لكل الحضارات من أجل العمل والرقي، ولن يكون ذلك إلا عن طريق التعاون والتكافل فيما بينهم، أما إذا سلكت كل حضارة منهج الرقي بذاتها على حساب القهر والسلب والظلم والاستعباد للأمم والشعوب الأخرى، فإنّ مصيرها إلى زوال فتتحقق فيها سنة الاستبدال، بأهم وحضارات أقامت دعائم تطورها ورفيها على أساس العدل والتعاون والتكافل، وحب الخير لكل الإنسانية.

رابعا: سنة التغيير

إنّ التقلّة الحضاريّة ليست أمنية تتمنى، ولكنّها عمل خلاق، وجهد مبدع، وتغيير دائم... ومرة أخرى³ قوله
تَمَالَى لَهُمْ مَعْجَبَتْ مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمِهِ
حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾ ﴿١١﴾
[الرعد/ 11].

أ - معنى سنة التغيير:

1 - التغيير لغة: التغيير يقال على وجهين:

¹ - فقه التاريخ في ضوء أزمة المسلمين الحضاريّة، عبد الحليم عويس، / 41.

² - مقدمة في المنظور السنني لدراسة السيرة النبويّة، الطيّب برغوث، / 886، بحث مقدّم للمؤتمر العالمي الأوّل للباحثين في السيرة النبويّة، بعنوان: جهود الأمة في خدمة السيرة النبويّة.

³ - آفاق قرآنيّة، عماد الدين خليل، / 45، ط / 2، ت ط / 1982، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.

- أحدهما: لتغيير صورة الشيء دون ذاته، يقال: غيّرت داري إذا بنيتها بناء غير الذي كان.

- والثاني: لتبديله بغيره، نحو غيّرت غلامي ودابتي، إذا أبدلتها بغيرهما، نحو¹ قوله قوله تعالى: ﴿لَهُ مَعْقَبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَّالٍ ۗ﴾ [الرعد/ 11].

2 - اصطلاحاً: عرّف جودت سعيد سنّة التغيير بقوله: «هو انتقال الإنسان من حالة لا يرضى عنها إلى حالة خير منها، وهذا الانتقال يخضع لقانون يتخذ العلاقة بين الهدف والوسيلة، وطاقة الإنسان، وبين هذه الأركان توازن»².

جودت سعيد في تعريفه للتغيير ركّز على معناها من خلال آية الرعد قول تعالى: ﴿لَهُ مَعْقَبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَّالٍ ۗ﴾ [الرعد/ 11]. وهي التي تدعو إلى ضرورة التغيير الإيجابي في المجتمعات.

وهذا الذي أودّ بسطه وشرحه من خلال توضيح علاقته بمقصد التعاون الحضاري الإنساني.

لكن لا يجب علينا أن نغفل عن النتائج السلبية التي قد تحدث إن لم نحقق سنّة التغيير أثناء مسيرة البناء الحضاري إنساني.

وعليه يمكن تعريف سنّة التغيير كالآتي: «الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى لعباده، بناء على سلوكهم وأفعالهم سلباً أو إيجاباً، وما يترتب على ذلك من نتائج»³.

ويمكن تعريفها أيضاً بما يأتي: «هي القوانين الكونية التي جعلها في تبدل أحوال الناس وأمورهم إلى

الأحسن أو الأسوأ بحسب ما يصدر منهم وفق علمه سبحانه وإرادته وحكمته»⁴.

ب - دليل سنّة التغيير من القرآن الكريم: هما آيتان من القرآن الكريم تعبّران عن هذه السنّة الهامة من

سنن الله في عباده.

1 - مفردات غريب القرآن، الأصفهاني، 2 / 477.

2 - حتى يغيروا ما بأنفسهم، جودت سعيد، / 27، ط / 8، ت ط / 1989.

3 - سنة التغيير، محمد الجريتلي، / 4، بحث مقدم لمسابقة كاتب الألوكة. www. Alukah.net.

4 - السنن الإلهية في تغيير في تغيير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم - جمعا ودراسة -، أيمن بن نبيه بن غنام المغربي، إشراف محمد بن عمر بازمول، / 40، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة 1427- 1428، المملكة العربية السعودية.

1 - أما الأولى وهي الأشمل: قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۗ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَّالٍ ۗ﴾ [الرعد/ 11].

«إذا غيروا ما بهم من الطاعات غير الله ما به منهم من الإحسان والنعمة، وإذا كانوا في نعمة فغيروا ما بهم من الشكر لله تغير عليهم ما من به من الإنعام، فسلبهم ما وهبهم من ذلك، وإذا كان في شدة لا يغير ما بهم من البلاء حتى يغيروا ما بأنفسهم».¹

2- وأما الثانية: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝﴾ [الأنفال/ 53]

أن الله لا يغير ما أنعم على قوم حتى يغيروا هم ما بهم بالكفران وترك الشكر، فإذا فعلوا ذلك غير الله ما بهم فسلبهم النعمة، فلا يغير نعمة التي أنعم بها إلى أحد حتى يكون هو الذي يغير ما بنفسه فيغير طاعة الله بمعصيته² أو شكره بكفره وأسباب رضاه بأسباب سخطه، فإذا غير غير عليه جزاء وفاقا، وما ربك بظلام للعبيد.³

ج - خصائص سنة التغيير: لسنة التغيير خصائص عدة أهمها:

1- سنة مجتمع لا سنة فرد: هذه السنة سنة اجتماعية لا سنة فردية بمعنى أن كلمة بقوم، تعني المجتمع أو الجماعة التي يطلق عليها أمة.

ولا يفهم من الآية فرد معين بدليل أن الله لم يقل، إن الله لا يغير ما بإنسان حتى يغير ما بنفسه. ولا ما يدل على متخصص فرد سواء كان رجلا أم امرأة مؤمنا كان أم كافرا، إنما الحديث عن قوم عن المجتمع له خصائصه بما يشمل الرجال والنساء، الصغار والكبار بكل محتويات القوم أو المجتمع المعين والأمة. فهناك أمور خاصة بالمجتمع لا بد من تغييرها، حتى ينال الفرد نصيبه من هذا التغيير.⁴

¹ - تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوزان القشيري 2 / 101، ينظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى، 5 / 2735، ط / 1، ت ط / 1405-1985، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. في ظلال القرآن، 4 / 2049.

² - تفسير البغوي - معالم التنزيل -، الحسين بن مسعود البغوي، 3 / 368، تحقيق وتخريج الأحاديث: محمد عبد الله النمر عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الأحرش، ط / 1، ت ط / 1409-1989، دار طيبة، الرياض - المملكة العربية السعودية. ينظر: تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المئان، السعدي، 368 /

³ - بدائع التفسير الجامع لما فسرته الإمام بن القيم الجوزية، 1 / 448، ط / 1، ت ط / 1427، دار بن الجوزي - السعودية

⁴ - حتى يغيروا ما بأنفسهم، جودت سعيد، / 39. ط / 8، ت ط / 1989.

2- دنيوية لا أخروية: لا تتوجّه الآية إلى المشكلة الأخروية والحساب الأخروي، إنّما يتوجّه إلى المحاسبة الدنيوية الاجتماعية، وليس معنى هذا أن نقلل من شأن الآخرة في الموضوع، ولكن المقصود هو النية في مجال السنن وحدودها.

وأنّ مضمون هذه الآية في محاسبة الناس أو محاسبة المجتمع. وتعبير ما بالمجتمع في أساس العمل الجماعي، وفي الدنيا أيضاً، وأنّ التغيير المراد في الآية، هو التغيير الذي يحقق في الدنيا.

هذه الملاحظة تساهم في إمكان فهم أعمق لآلية تغيير المجتمع كما بيّن أنّ المحاسبة في الدنيا جماعية ومحاسبة الآخرة فردية.¹

3- مجال كلّ من التغييرين، تغيير الله وتغيير القوم: إنّ مجال التغيير الذي يحدثه الله هو ما بالقوم والتغيير الذي أسنده الله إلى القوم مجاله ما بأنفس القوم.

فالتغيير الذي يحدثه الله بالقوم يشمل الغنى والفقير، الصحة والسقم، العزة والذلة. وفي آية سورة الرعد استبدل الله كلمة "ما" تشمل النعمة، كما أنّ كلمة النعمة عامّة أيضاً في جميع أنواع النعم ولا سيّما أنّها جاءت نكرة.

فكلمة نعمة تشمل الصحة، وهي أكثر النعم، والرزق نعمة، وكذلك الغنى وسلامة الأعضاء وإنجاب الأولاد والمودة والحب والإخاء والتراحم، والإيثار، كلّ هذه النعم ما ذكر منها ولم يذكر. أمّا التغييرات التي يحدثها الأقوام، فإنّ الله تعالى علّقها بالأنفس.

إنّ المراد بالأنفس، الأفكار والمفاهيم والظنون في مجال الشعور واللاشعور، وملاحظة الارتباط بين التغييرين يمكنّ الناس من استخدام سنن التغيير، ويعطي للإنسان سيطرة على سنّة التاريخ، وسيطرة على صنعه وتوجيهه.²

د - علاقة سنّة التغيير بمقصد التعاون الحضاري الإنساني: إنّ نخصة إيّ حضارة إنسانية، أيّاً كانت رهن بتماسكها، ولا تكون متماسكة إلاّ بشيوع التعاون بين أفرادها لتحقيق الأهداف المشتركة، ولا يتحقّق التعاون إلاّ بشيوع الثقة فيما بين هذه الحضارات، وهيئات أن تتحقّق الثقة السارية فيما بينهم، إن لم تنزكّ النفوس وتتطهّر من شوائب الأخلاق السيئة، والطبائع المرذولة التي عبّر القرآن عنها "بباطن الإثم".

¹ - المرجع نفسه، / 43.

² - نفس السابق، سعيد حوى / 51.

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

إن باطن الإثم " فساد النفوس " إذا شاع وانتشر في المجتمع فإنّ الشآن فيه أن يقطع سبيل التعاون بين أفرادها إنّما تمتدّ سبل التعاون بينهم عن طريق الثقة إذ يتبادلونها فيما بينهم، والثقة لا تحيا فيما بين نفوس تتصادم في سبيل الأنانية والأثرة وتتنافس على الحظوظ، وأسباب بسطة العيش، ومن ثمّ فإنّ مآل هذه الحضارات الإنسانية إلى أن يتفكك تركيبها، وأن يتهاوى بنيانها.

هذه الحقيقة يعبر عنها القانون القائل¹: ﴿ ذَٰلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ لَمَّا يَكُ مُعَيَّرًا نَعْمَةً أُنْعَمَ عَلَيْهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَيَّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال/ 53].

فواقع الحضارات الإنسانية، والتحوّلات التي تطرأ عليها تصبّ في الإطار النفسي، وتقود إلى أدم الحياة الاجتماعية تحوّلات اقتصادية وسياسية، ذلك أنّ العامل النفسي ﴿ حَتَّى يُعَيَّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ يسبق العامل الاجتماعي ويتحكّم به، كما عبّر عليه مبدأ القرآن الكريم في هذه الآية، فكلّ ذلك تابع لهذه السنّة.²

كما هو ملاحظ في واقعنا اليوم فقد ظهر الفساد في البرّ والبحر، تقطعت الأوصال، وطغت روح المادّة والمصلحة، العدل كاد يختفي وحلّ محله الظلم أينما تولى وجهك، الحضارة الغربيّة سيطرت بمنجزاتها وجعلت العالم الإسلامي تابعا لها في سياستها واقتصادها، ثقافتها ومناهج تعليمها فحقّت فيه سنة الاستضعاف وتضخمت لدى العالم الغربي سنّة الاستكبار.

فسنّة التغيير في الأنفس والآفاق من أهمّ عوامل نجاح التعاون الحضاري الإنساني؛ ولأنّ عدم الالتفات لها ولغيرها من السنن الإلهية أوصل الأمة الإسلاميّة إلى حال الدّل والهوان الذي خيّم على واقعها في كلّ مجالات حياتها ولن يغيّر الله -عزّ وجل- ما بها حتى تغيّر ما بنفسها.

أمّا الحضارة الغربيّة إن لم تثب إلى رشدّها، وتلتفت إلى الجانب الروحي في مسيرة تطوّرها المادّي فستلحقها سنّة الهلاك والدّمار التي توعّد بها العزيز الحكيم كلّ الظالمين، وتاريخ حضارات الرومان واليونان خير عبرة لها فما من حضارة طغت وتجبرت إلا وحملت في رحمها بذور فنائها.

إنّ هذه النماذج من السنن الإلهية في الأنفس والآفاق، جارية على الناس جميعا في كلّ مكان وزمان، إن استطاع اليوم المسلمون اكتشافها، والتعامل معها، كان لهم الشهود الحضاري (القيام بأعباء الاستخلاف الإنساني، وعمارة الأرض).

¹ - سنن الله في عبادته، محمد سعيد رمضان البوطي، /160- 161، د / ط د / ت ط، دار الفكر، بيروت لبنان.

² - مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن نبي، /156، ط / 2، ت ط / 1423- 2002، دار الفكر دمشق

الفصل الثالث — مقصد التعاون الحضاري الإنساني، التنزيل على الواقع

فاكتشاف هذه السنن وغيرها، هو الذي مكّن العالم المتقدّم من التّقدّم والتّحكّم، وغفلة المسلمين عنها كانت سبب الانحطاط والسّقوط والتّخلف وأصبحوا مُسخّرين بدل أن يكونوا مُسخّرين.¹

إذا فقه السنن الإلهية من أعظم عوامل نجاح مقصد التعاون الحضاري الإنساني، وغياب التّعامل بها، عامل مؤثر في ظهور أسباب أخرى تودّي إلى فشل تواصلنا وتعاوننا مع غيرنا.

جمهورية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

¹ - كيف نتعامل مع القرآن الكريم، محمد الغزالي، / 118.

تامة

جامعة الأمير
عبد القادر للعوم الإسلامية

خاتمة :

بعون الله وتوفيقه أُنهِت بحثي الموسوم بـ: "مقصد التعاون الحضاري الإنساني بين التّأصيل والتّنزيل"، وقد خرجت من خلاله بالنتائج الآتية:

1. أنّ مقصد التعاون الحضاري الإنساني القائم على مبادئ: التقوى والعدل والبرّ يؤدّي إلى تعارف وتفاعل الحضارات الإنسانيّة، ويوثّق عرى التّكامل فيما بينها في جميع مجالات حياتها، فيما يخدم خير البشريّة جمعاء وفق مقاصد الشّريعة الإسلاميّة.

2. أنّ نجاح أيّ حضارة مرتبط أشدّ الارتباط بالأساس العقدي والفكري الذي تقوم عليه، فإن كان أساسها قويّاً ضمنت لنفسها المجد والخلود حتّى وإن اعترتها في مرحلة من المراحل الضّعف والانكسار، لكنّها ما تلبث أن تعود إلى مصدرها الصّافي النّقي، وإن كان أساسها مبنياً على جرف هار سرعان ما يعجّل بسقوطها وفنائها.

3. أنّ أهمّ وأعظم نقطة اتّفاق للتعاون الحضاري بين الحضارة الإسلاميّة والحضارة الغربيّة تاريخياً وحاضراً ومستقبلاً هو التّبادل العلمي والمعرفي بينهما، فالحضارة الإسلاميّة كانت بالأمرس سبباً في بعث النّور والثّقافة إلى أوروبا المجاورة المتخبّطة آنذاك في ظلمات الجهل والتّخلّف، فلولا الحضارة الإسلاميّة الّتي أشرقت على الدنيا منذ أربعة عشر قرناً لبقى العالم الإنساني متخبّطاً في دياجير الجهل، منزلقاً إلى متاهات الفوضى.

4. الحضارة الغربيّة اليوم قد اعطت العالم جميعاً الوسائل التّكنولوجيّة المذهلة، الّتي جعلت منه قرية صغيرة اهتمّت بالجانب المادّي على حساب الجانب المعنوي، وبهذا التّطوّر حاولت من خلاله الهيمنة به على شعوب العالم.

5. أنّ القرآن الكريم والسّنة النبويّة الشّريفة، جاءتا داعيتين للتعاون والتّعامل مع من يخالفنا عقيدة وفكراً بشرط أن لا نحيد على مقاصد القرآن والسّنة في كلّ ما أمرت به ونهت عنه.

6. قد استقرّنا من سيرة الحبيب صلى الله عليه وسلم مواقف عظيمة في تعامله مع غيره تعاملًا حضارياً راقياً، وذوقاً إنسانياً متميّزاً، يسترشد به المسلمون اليوم عند تعاملهم وتعاونهم مع من يخالفهم عقيدة وفكراً.

7. أن عقيدة الولاء والبراء هي العمود الفقري الذي به يستقيم تعاوننا الحضاري الإنساني، فبقدر قوّته في قلوبنا يثمر تواصلنا الحضاري بغيرنا، ويحقّق كلّ ما قصده الشّارع الحكيم من أمره لنا بالتّعارف والتّعاون، فني بذلك مجتمعا إنسانيا يحترم فيه كلّ طرف خصوصيات الآخر.
8. لن يعود لنا العزّ والمجد والرّفعة في الدّنيا والآخرة إلّا بعد أن تتشربّ قلوبنا وعقولنا عقيدة الولاء والبراء من جديد، وبجعلها منهجا هاديا لنا في كلّ خطوة نخطوها، وفي كلّ نفس نتنفسه، وفي كلّ كلمة نطق بها، ونحن نتواصل ونتعاون مع غيرنا لبناء الحضارة الإنسانيّة التي يتعايش فيها كلّ الشّعوب مهما اختلفوا.
9. أن أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم هي من أهمّ الأصول التي توضّح لنا منهج التّعامل والتّعاون مع غيرنا.
10. أن علاقة المسلمين بغيرهم من الأمم الأخرى على اختلاف ألوانها ولغاتها وأديانها، ليست في حقيقتها علاقة سلم، ولا علاقة حرب ابتداءً، وأنّ الأصل ليس هو السّلم مطلقا، وليس الحرب مطلقا، وإنّما هي علاقة دعوة فالأمّة الإسلاميّة أمة دعوة عالميّة، وهي بذلك تفتح أبواب رحمة السّماء لأهل الأرض أجمعين.
11. فقه المواطنة للأقليات المسلمة بقواعده الأصولية، وأبعاده المقاصدية، مشروع حضاري فعال لتعارف وتعاون العالم الإسلامي مع العالم الغربي فيما يخدم خير البشريّة جمعاء بما يجلب لهم المصالح ويدرأ عنهم المفاسد.
12. من أهمّ آليات التّعاون الحضاري الإنساني، آية الدّعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - لكن من خلال واقعها اليوم نلاحظ أنّ عملها أصبح ينصبّ على المحافظة على دين وهويّة المسلمين في العالم، وتركيزها أكثر على ردّ العدوان على الإسلام والمسلمين، وواجب الدّعوة إلى الله - عزّ وجلّ - أوسع من أن ينحصر في هذه المهام فنحن حقيقة أمام واقع مرّ، وتحدياتٍ جسامٍ تعترض واجب الدّعوة في داخل العالم الإسلامي قبل خارجه.
13. آلية الحوار الحضاري رغم كلّ المجهودات المبذولة لتفعيلها عند تواصلنا وتعاوننا مع غيرنا، إلّا أنّه بدوره أيضا يواجه واقعا مريرا، بسبب سيادة تيار الانغلاق، وخوف الغرب من المسلمين، خاصّة بعد أحداث 20 / 11 / 2001، وكذا أنّ معظم مواضيع الحوار يتحددها الغرب، ونحن نكتفي فقط بالشرح.

14. لن ينجح حوارنا مع الآخر إلا عندما نترك الاهتمام بالقضايا النظرية، ونصرف إلى صياغة برامج عمل مشتركة من خلال حوار حضاري مبني على مقاصد شرعية، وضوابط إسلامية تتكامل فيه الإمكانيات الإنسانية، ويتوجه طرفا الحوار نحو هدف مشترك، ألا وهو التعاون والتكافل لإخراج جميع الإنسانية من كل المآزق التي تتخبط فيها في كل الأصعدة.
15. آلية العمل السياسي رغم كثرة مؤسساته والفعاليات التي تقوم بها من أجل خلق فضاء واسع للتعاون الحضاري بكل وسائله من معاهدات دولية، ودبلوماسية عالمية، وسفارات خارجية إلا أنها ما زالت بعيدة عن طموحات الشعوب وآمالها من أجل العيش في جو من الأمن والسلم العالميين، وفق مبدئي التقوى والعدل، التي جاءت معظم التصوص الشرعية أمره بهما.
16. آلية العمل الاجتماعي بمؤسساته الحكومية وغير الحكومية، وبوسائله المتعددة من العمل الخيري والوقف العالمي، هي بدورها أيضا لا زالت محدودة الفعالية، تحتاج إلى تقويتها بمبدأ الرحمة الإنسانية، التي يجب أن تسري في أوصال العالمين مسرى الدم في عروق الجسد، وبذلك تتسع العلاقات الاجتماعية ليتحقق بذلك مقصد التعاون الحضاري الإنساني بين كل شعوب العالم.
17. مقصد التعاون الحضاري الإنساني لا بد له من عوامل لنجاحه أهمها دائما ربطها بالسنة الإلهية، التي كادت تغيب عن فكر المسلمين اليوم، فإن استطاعوا اكتشافها، والتعامل معها كان لهم الشهود الحضاري للقيام بأعباء الاستخلاف الإنساني وعمارة الأرض.
18. فقه السنة الإلهية من أعظم عوامل نجاح مقصد التعاون الحضاري الإنساني، وغياب التعامل بها عامل مؤثر في ظهور أسباب أخرى أدت إلى فشل تواصلنا وتعاوننا مع غيرنا.
19. من أعظم عوائق وعوامل فشل مقصد التعاون الحضاري الإنساني في واقعنا اليوم التعصب الديني والتطرف الطائفي، وظاهرة الإرهاب العالمي، هذه العوامل المجتمعة معا سحقت كل القيم الإنسانية من التضامن والرحمة والعدل الإنساني، مما ولد لدى الأسرة البشرية سياسة التنافر، وإقصاء الآخر، فسادت للأسف الكراهية والتناحر لأتفه الأسباب، وبذلك ضعفت عجلة التنمية والعمل المشترك لخير الإنسانية جمعاء في جميع مجالات حياتها سياسيا واقتصاديا، فكريا وثقافيا، دينيا واجتماعيا.
20. غياب البيئة الصالحة للتقدم العلمي والتقني في ظل الاستبداد السياسي الذي يسود دول العالم الإسلامي اليوم أدى إلى تشييط الهمم، وإعاقة عجلة التقدم.

21. رغم هذا الواقع المرير الذي يلقي بظلاله على جميع مناحي حياة الأمة الإسلامية إلا أنّها لا زالت تملك من القدرات والإمكانات البشرية والمادية والروحية، ما يؤهلها لقيادة الإنسانية، وإنقاذها من الهاوية التي تتردّى فيها اليوم خاصّة وببداها نور القرآن، وهدى خاتم الأنبياء والمرسلين، سيّنا محمد صلى الله عليه وسلم.

فإذا حققت ذلك استطاعت أن تتعاون مع غيرها، وفق مقاصد الشريعة الإسلامية، فيما يخدم الإنسانية جمعاء تعاوناً متفاعلاً من منطلق القوة والعزة والشهوات الحضارية؛ لأنّ ديننا دين الإيمان والعلم، ونهضة الأمة الإسلامية والإنسانية كلّها لن تكون إلاّ بهما معاً.

هي إذا همّ النتائج التي خرجت بها من خلال بحثي هذا.

إن أصبت فمن الله وحده لا شريك له، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان الرجيم.

والله المستعان، ووليّ التوفيق، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم.

فهارس عامة

فهرس الآيات القرآنية
فهرس الأحاديث والآثار

جامعة الأميرة
القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	السورة
		سورة البقرة
82	8	﴿وَمِنَ النَّاسِ.....بِمُؤْمِنِينَ﴾
279-181-24	30	﴿وَإِذْ قَالَ.....مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾
308	40	﴿يَتَّبِعِ إِسْرَهُ بَلْ.....وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾
155	68	﴿قَالُوا أَذُنُ لَنَا رَبِّكَ.....فَأَفْعَلُوا مَا تَأْمُرُونَ﴾
	71 - 67	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى.....خَلِدُونَ﴾
102	109	﴿وَدَّ كَثِيرٌ.....عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
229	124	﴿وَإِذْ أَنْتَبَهْنَا مِنْهُم بِالْحَمَةِ.....عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾
267	143	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ.....لِرَأْفِ الرَّحِيمِ﴾
251	148	﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةٌ.....عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
102	165	﴿وَمِنَ النَّاسِ.....شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾
16	185	﴿شَهْرُ رَمَضَانَ.....وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
136-130	190	﴿وَقَتِلُوا فِي.....لَا يُحِبُّ الْمُعَذِّبِ﴾
136-130	191	﴿وَأَقْتُلُوهُمْ.....حِرَاءَ الْكٰفِرِينَ﴾
124	193	﴿وَقَتِلُوهُمْ.....إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾
128	208	﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ.....لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾
49	213	﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً.....صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
125	216	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ.....لَا تَعْلَمُونَ﴾
286	251	﴿فَهَزَمُوهُمْ.....عَلَى الْعَمَلِينَ﴾
150-129	256	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ.....سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾
286	258	﴿أَلَمْ.....الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾
251	262	﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ.....يَحْرَقُونَ﴾
245	272	﴿لَيْسَ عَلَيْكَ.....وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾
		سورة آل عمران
219-265	19	﴿كَذٰبٌ ءَالٍ.....شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾
126-104	28	﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ.....الْمَعصِرِ﴾
184	59	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى.....لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

فهرس الآيات القرآنية

198-190-189-165	64	بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾
219	85	مِنَ الْخَيْرِينَ ﴿٨٥﴾
303-301	103	مُؤْمِنًا بِحَبْلِ اللَّهِ عَظِيمٍ ﴿١٠٣﴾
301	105	عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾
296-213-150	110	الْفٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾
105	118	تَمُولُونَ ﴿١١٨﴾
290	139	مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾
289	140	يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾
		سورة النساء
20	01	عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾
16	08	قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾
221	58	سَوِيحًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾
142	77	ظُلْمُونَ فَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٧﴾
129	90	سَبِيلًا ﴿٩٠﴾
129	94	خَيْرًا ﴿٩٤﴾
353	123	وَلِيًّا وَلَا أَدْرِي أَمَّ يَوْمَ تَأْتِي سَاعَةُ يَوْمَئِذٍ فَسَوَاءٌ بِلِيٍّ وَعَمِّيٍّ ﴿١٢٣﴾
222	135	تَعْمَلُونَ خَيْرًا ﴿١٣٥﴾
		سورة المائدة
225-192-191-54-53	02	شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾
116	03	عَقُورٌ رَّجِيمٌ ﴿٣﴾
56	05	مِنَ الْخَيْرِينَ ﴿٥﴾
222	08	تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾
213	18	وَأِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾
264	30	مِنَ الْخَيْرِينَ ﴿٣٠﴾
270	32	لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾
119	33	عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾

فهرس الآيات القرآنية

145	44	هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾
50	48	فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿٤٨﴾
303	50	لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾
105	51	الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾
103	56 - 55	هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾
103	57	
119	64	لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾
163	67	الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾
84	68	الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾
181	116	أَنْتَ عَلَّمَهُ ﴿١١٦﴾
		سورة الأنعام
156	41 - 40	مَا تَشْرِكُونَ ﴿٤١﴾
276	99	لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾
91	140	مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾
167	153	
83	156	دَرَسْتِهِمْ لَعْنِ فِيلَةٍ ﴿١٥٦﴾
24	161	مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾
	165	لِنَعْمَةٍ رَّحِيمٍ ﴿١٦٥﴾
		سورة الأعراف
181	16 - 12	صِرْطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾
165	81 - 80	مُسْرِفُونَ ﴿٨١﴾
258	85	مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾
308	154	يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾
45	158	تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾
		سورة الأنفال
193	25	الْمَقَابِ ﴿٢٥﴾
294-292	53	سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾

فهرس الآيات القرآنية

119	57	يَذْكُرُونَ ﴿١١٩﴾
143	58	لَا يُحِبُّ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٣﴾
309-143	60	وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ ﴿٣٠٩﴾
143-129-57	61	السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٤٣﴾
143	63	أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٤٣﴾
95	72	بَصِيرٌ ﴿٩٥﴾
95	73	وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٩٥﴾
96	75	عَلِيمٌ ﴿٩٦﴾
		سورة التوبة
88-81	01	الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٨﴾
144	02	مُخْرِئِي الْكُفْرَيْنِ ﴿١٤٤﴾
144-57	04	الْمُتَّقِينَ ﴿١٤٤﴾
139-124	05	عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣٩﴾
246	06	قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٤٦﴾
213	07	يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٢١٣﴾
145-130	12	يَنْتَهَوْنَ ﴿١٤٥﴾
103	23	هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٠٣﴾
144-124	29	يَدْرَهُمْ صَاعِقُونَ ﴿١٤٤﴾
298	31	يُشْرِكُونَ ﴿٢٩٨﴾
178	32	الْمُشْرِكُونَ ﴿١٧٨﴾
124	36	مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٤﴾
10	42	إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠﴾
104	71	عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٤﴾
119	107	إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١٩﴾
125	123	الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٥﴾
		سورة يونس

فهرس الآيات القرآنية

193	14	كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٩٣﴾
142-133	99	حَقِّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٤٢-١٣٣﴾
		سورة هود
278	57	سَيِّءٌ حَفِظْتُ ﴿٢٧٨﴾
283-244	61	قَرِيبٌ جُيِّبُ ﴿٢٨٣-٢٤٤﴾
50-49	119- 118	وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٥٠-٤٩﴾
		سورة يوسف
211	56 - 55	الْمُحْسِنِينَ ﴿٢١١﴾
188-287	92	الرَّحِيمِينَ ﴿١٨٨-٢٨٧﴾
197	108	الْمُشْرِكِينَ ﴿١٩٧﴾
		سورة الرعد
292-291	11	دُونِهِ مِنْ وَالِي ﴿٢٩٢-٢٩١﴾
		سورة إبراهيم
171	04	الْحَكِيمِ ﴿١٧١﴾
181	10	مُيَّبِ ﴿١٨١﴾
		سورة الحجر
276	16	مَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ ﴿٢٧٦﴾
46	26	نَنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٤٦﴾
102	72	لَهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٠٢﴾
105	75	لَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا مُتَوَكِّلِينَ ﴿١٠٥﴾
		سورة النحل
277	8- 5	مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٧٧﴾
10	09	أَجْمَعِينَ ﴿١٠﴾
223-222	90	تَذَكَّرُونَ ﴿٢٢٣-٢٢٢﴾
229-56	91	مَا تَقْعَلُونَ ﴿٢٢٩-٥٦﴾
264-51	93	تَعْمَلُونَ ﴿٢٦٤-٥١﴾

284	97	﴿يَعْمَلُونَ﴾
148 - 138 - 134 - 133	125	﴿بِأَلْمُهْتَدِينَ﴾
		سورة الإسراء
146	15	﴿رُسُلًا﴾
28	44	﴿عَفْوًا﴾
234 - 194	70	﴿تَفْضِيلًا﴾
		سورة الكهف
90	16	﴿بِرُفْقًا﴾
		سورة مريم
89	49 - 44	﴿جَعَلْنَا نَدِينًا﴾
87	45	﴿لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾
158	76	﴿وَحَيْرٌ مَّرَدًّا﴾
		سورة طه
15	32 - 29	﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾
181	126 - 125	﴿الْيَوْمَ نُنسِي﴾
		سورة الأنبياء
309	90	﴿لَنَا خَشِيعَاتٌ﴾
- 257 - 237 - 154 - 45 259	107	﴿لِنَتْلُكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾
		سورة الحج
46	05	﴿زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾
85	17	﴿شَيْءٍ شَهِيدٍ﴾
- 154 - 143 - 130 - 40 287	39	﴿عَلَىٰ نَصْرِهِمْ﴾
219	41	﴿عَلَيْقِبَةُ الْأُمُورِ﴾
91	73	﴿الطَّلَابِ وَالْمَطْلُوبِ﴾
251	77	﴿تَقْلِيحُونَ﴾

فهرس الآيات القرآنية

سورة النور		
301	02	لَمَّا مَنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٠١﴾
219	21	سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١٩﴾
89	30	بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨٩﴾
279-248	55	الْفَاسِقُونَ ﴿٢٧٩-٢٤٨﴾
سورة الفرقان		
44	01	نَذِيرًا ﴿٤٤﴾
91	03	وَلَا تُشُورًا ﴿٩١﴾
19	49	كَثِيرًا ﴿١٩﴾
147	52	كَبِيرًا ﴿١٤٧﴾
46	54	رَبِّكَ قَدِيرًا ﴿٤٦﴾
سورة الشعراء		
182	31- 18	مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٢﴾
159	109	الْعَالَمِينَ ﴿١٥٩﴾
273	175- 160	الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢٧٣﴾
160	215	جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٠﴾
سورة النمل		
82	14	عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٢﴾
277	60	قَوْمٌ يَدَّبُّونَ ﴿٢٧٧﴾
سورة القصص		
249	05	الْوَارِثِينَ ﴿٢٤٩﴾
148	47	الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٨﴾
80	48	كَافِرُونَ ﴿٨٠﴾
177-114	56	أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٧٧-١١٤﴾
311-284	77	مُحِبِّ الْمُسْئِدِينَ ﴿٣١١-٢٨٤﴾
272	82 - 81	الْكَافِرُونَ ﴿٢٧٢﴾
سورة العنكبوت		
166	46	مُسْلِمُونَ ﴿١٦٦﴾
172	69	الْمُحْسِنِينَ ﴿١٧٢﴾

فهرس الآيات القرآنية

		سورة الرّوم
47	20	تَتَشَرُّوْنَ ﴿٤٧﴾
48	22	لِلْعَالَمِينَ ﴿٤٨﴾
		سورة لقمان
09	19	لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿٩﴾
		سورة السجدة
46	08	سَلِّمْ وَسَلِّمْ مِّنْ سَلَامٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٤٦﴾
		سورة الأزاب
158	71-70	فَوَرَّأَعْظِيمًا ﴿١٥٨﴾
244	72	جَهُولًا ﴿٢٤٤﴾
		سورة سبأ
118	13	الشُّكُورِ ﴿١١٨﴾
44	28	لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾
272	37	ءَامِنُونَ ﴿٢٧٢﴾
251	39	الزَّرْفِيرِيقِ ﴿٢٥١﴾
		سورة فاطر
276	27	وَعَرَابِيثٍ ﴿٢٧٦﴾
280	39	حَسَارًا ﴿٢٨٠﴾
274	43- 42	تَحْوِيلًا ﴿٢٧٤﴾
		سورة الصافات
260	01	صَفَا ﴿٢٦٠﴾
260	165 - 164	لَا لَكُمْ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافِرُونَ ﴿٢٦٠﴾
		سورة غافر
159	14	الْكٰفِرُونَ ﴿١٥٩﴾
90	28	مُسْرِفٍ كَذَّابٍ ﴿٩٠﴾
298	29	سَبِيلِ الْرَّشَادِ ﴿٢٩٨﴾

فهرس الآيات القرآنية

		سورة فصلت
157	33	سُنُّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿
276- 269	53	هَمَّ شَيْءٍ وَشَهِدُ ﴿
		سورة الشورى
51	08 وَلَا تَصِيرِ ﴿
222	17 السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿
		سورة الجاثية
85	24 هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿
		سورة محمد
254	23-22	
		سورة الفتح
72	01	
303	26 شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿
		سورة الحجرات
302	09 الْمُفْسِطِينَ ﴿
240	11 هُمْ الظَّالِمُونَ ﴿
-287-162-149-147-54 -239-221-204-189-188 288-283-258-240	13 عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿
		سورة ق
277	7 - 6 زُجَّاجٍ ﴿
		سورة الرمن
46	14	لِإِنْسَانٍ مِّنْ صَّالِحِينَ ﴿
		سورة الحديد
197	25 اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿
		سورة المجادلة
182-179	01 سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿
106	22 هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿
		سورة الحشر
289	07 شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿

فهرس الآيات القرآنية

110	9- 8	﴿هُمُ الْمَفْلُحُونَ﴾
309	13	﴿يَقْفَهُونَ﴾
		سورة الممتحنة
111	07	﴿عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾
254-213 -209-131 -54	08	﴿الْمَقْسُطِينَ﴾
148	09	﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾
		سورة التحريم
116	09	﴿وَيْسَ الْمَصِيرُ﴾
		سورة الممتحنة
191	04	﴿إِنِّي خُلِقْتُ عَظِيمٌ﴾
		سورة الممتحنة
93	06 - 01	﴿مَنْ تَسْتَكْبِرُ﴾
		سورة الممتحنة
92	05 - 01	﴿مَا تَرِيَعَمُ﴾
93	19 - 13	﴿وَأَقْرَبُ﴾

فهرس الأادب

الصفحة	طرف الحديث
	رف الألف
165	الأنبىاء إخوة لعلاة
107	أبايعك على أن نعبد الله
164	أشيروا أيها الناس
61	اجمعوا لي من كان هنا
262	أحب الأعمال إلى الله أدومها
252	أحبّ الناس إلى الله
256	أحبس أصلها
63	أخبروا مالكا إن أتاني مسلما
134	إذا لقيت عدوك
257-256	إذا مات ابن آدم
59	استأذن رهط
98	استوصوا بهم خيرا
303	اقتتل غلامان
71	اكتب باسم الله
69	امضوا باسم الله
137- 126	أمرت أن أقاتل الناس
137	أمرت أن أقاتل المشركين
275	إنّ الدين يسر
131	إنّ الله - تعالى - جعل السلام تحية
121	إنّ سلم المؤمنين واحدة
60	أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أتاه رعل ذكوان
183	أنّ نصارى نجران لما وفدوا على رسول الله
61	أنّ غلاما من اليهود

281	أن تعبد الله كأنك تراه
73-71	إننا لم نجئ لقتال أحد
59	إنما بعثت رحمة
191	إنما بعثت لأتمم
62	إنما أريد لهم الخير
59	إني لم أبعث
142	إني أمرت بالعفو
212	إنه يستعمل عليكم أمراء
196	أنه أتى أبي عامر بن صعصعة
96	آية الإيمان حب الأنصار
77	أيها الناس إن ربكم واحد
□ رف الباء	
176	بدأ الإسلام غريبا
76	بسم الله من محمد رسول الله إلى كسرى
76	بسم الله من محمد رسول الله إلى المقوقس
75	بسم الله من محمد رسول الله إلى التجاشي
75	بسم الله من محمد رسول الله إلى هرقل
66-65	بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة
69	بعث له عينا من خزاعة
136	بعثت بين الساعة بالسيف
100-93	بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتا
□ رف التاء	
97	تري المؤمنين في توادهم
□ رف الجيم	
189	جاهدوا المشركين
137-126	الجهاد ماض إلى يوم القيامة
□ رف الخاء	

167	خط رسول الله صلى الله عليه وسلم.....
	رف الدال
185	دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم.....
132	دعوا الحبشة.....
	رف الذال
107-70	والذي نفسي بيده، لا تدخلون الجنة.....
73	والذي نفسي بيده لو سألوني.....
	رف الزاء
152	الراحمون يرحمهم الرحمان.....
192	الرحماء يرحمهم الله.....
	رف السين
299	سألت ربي أن لا يهلك أمتي.....
	رف الصاد
72-71	صالح النبي صلى الله عليه وسلم.....
	رف القاف
94	قد أورت دار هجرتكم.....
	رف الكاف
132	كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بعث.....
68-67	كنت قائما عند رسول الله.....
	رف اللام
192	والله في عون العبد.....
158	لئن يهدي الله بك عبد.....
187	لا إله إلا الله وحده.....
108	لا تبدؤوا اليهود والنصارى.....
127	لا أزال أقاتل الناس.....

135	لا تقاتلوهم حتّى تدعوهم
109	لا تلعه إته بآب الله ورسوله
213	لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان.....
64	لما أراء الله تعالى هدى زىء بن سعة.....
61	لما ففتحت خبير.....
	رف الميم □
212	مات الوم رآل صالح
145	مات ترك قوم الآهاد
120	ومآ الآهاد؟ قال: أن تُقاتل
70	ما خلأت القصواء
133	مآ كآآت هذله لثقاتل
252	ما من مسلم يغرس غرسا.....
107	المؤمن أآو المؤمن
107	المسلم أآو المسلم
183	من أى البلاد أنت
158	من دعا إلى هدى
212-211	من رأى منكم منكر فليغيره
	رف الباء □
109	يبعث الله يوم القيامة.....
211	يا أبا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة
186	يا أبا سفیان الوم يوم الملآمة.....
67	يا مآمد إنا الله بآل السموات.....
304	يا أآها الناس إآى قمت فىكم كمقام رسول الله.....
131	يا أآها الناس لا تتمنوا لقاء العدو
176	يوشك أن تنداعى عليكم الأمم

فهرس الأعلام

الصفحة	اسم العلم
	□ رف الألف
12	إبراهيم بن موسى بن محمد اللّخمي
70	ابن عمر بن ربيعة
82	أبو المظفر منصور السّمعاني
141	أبو أمامة الباهلي
128	أحمد أبو بكر الرّازي المعروف بالخصّاص
30	أسامة بن زيد
16	أورلوند تونبي
	□ رف الباء
71	البراء بن عازب
71	بديل بن ورقة الخزاعي
81	أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكّيت
	□ رف الثاء
65	ثمّامة بن آثال
67	ثوبان بن بجدد
	□ رف الجيم
107	جرير بن عبد الله بن جابر
	□ رف الحاء
76	حاطب بن أبي بلتعة
	□ رف الذال
75	دحية الكلبي
91	دريد بن الصّمّة
	□ رف الرّاء
99	الربيعي بن عامر
	□ رف الزاي
64	زيد بن سعة
	□ رف السين
34	سعد بن محمد الصيفي التّميمي

99	سعد بن مالك
	□ رف الصاد
131	صدي بن عجلان
	□ رف القاف
91	قريط بن أنيف العنبري
	□ رف العين
30	عبد الله بن عمر أبي بكر الصديق
76	عبد الله بن حذافة
17	عبد الرحمن بن محمد بن خلدون
11	عبد العزيز عبد السلام بن أبي القاسم
31	عمر بن الخطاب
75	عمرو بن أمية الضمري
	□ رف الميم
62	مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة
53	محمد بن أبي بكر الزرعي، ابن القيم الجوزية
55	محمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي
55	محمد بن جرير بن يزيد الطبري
55	محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي
85	محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني
19	محمد بن أحمد بن سلمان الأزهرى
127	محمد بن علي الشوكاني
11	محمد بن محمد الطوسي أبو حامد الغزالي
98	مصعب بن عمير
	□ رف الواو
109	واثلة بن الأسقع

قائمة المصادر والمراجع

1 - مصحف المدينة الإلكترونية برواية حفص.

□رف الألف

2 - أدب الدين والدنيا، أبو الحسن الماوردي، شرح وتعليق: محمد كريم راجح، ط / 4، ت ط / 1405 - 1985، دار اقرأ، بيروت - لبنان.

3 - أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية، أحمد علي الملا، ط 2، ت ط: 1401 - 1981.

4 - أثر معاملة صلى الله عليه وسلم في نشر الدين الإسلامي، يحيى بن عبد الله البكري الشهري، ط 1، ت ط 1429 - 2008، الرياض السعودية.

5 - أثر الأدلة المختلف فيها - مصادر التشريع التبعية في الفقه الإسلامي - مصطفى ديب البغا، دار الإمام البخاري، دمشق - سوريا.

6 - الاجتهاد المقاصدي حجتيه... ضوابطه، ومجالاته الخادمي نور الدين، ط 1، ت ط 1419 . 1998 دار الكتب القطرية.

7 - أحكام القرآن، الجصاص، محمد الصادق القمحاوي، ت ط / 1412 - 1992، دار الإحياء العربي، بيروت - لبنان.

8 - أحكام أهل الذمة، ابن القيم، تحقيق: أبو براء يوسف بن أحمد البكري وأبو شاعر بن توفيق العاروري د / ط، د / ت ط دار الرمادي للنشر والتوزيع الدمام، المملكة العربية السعودية.

9 - الإحكام في أصول الأحكام، الأمدي، ط / 2 ت ط / 1406 - 1986، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

10 - إحياء الفروض الكفائية سبيل تنمية المجتمع، عبد الباقي عبد الكبير، كتاب الأمة، العدد / 105، السنة / 25، ط / 1 ت ط / 2005 - 1426، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.

11 - الأزمة الفكرية والحضارية في الواقع العربي الراهن، محمد أبو القاسم حاج حمد، ط 1، ت ط، 1425 - 2004 دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.

12 - الأصول العامة للعلاقات الدولية في الإسلام وقت السلم، دراسة في تحليل أهم أدوات العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية أحمد عبد الونيس شتا، ط / 1، ت ط / 1417 - 1996، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة - مصر.

13 - أصول الفقه، محمد أبو زهرة، د / ط، د ت / ط، دار الفكر العربي، بيروت - لبنان.

14 - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر عاشور، ط / 2، - د / ت ط، الشركة التونسية للتوزيع.

15 - أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن أبي الحسين علي بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، ط / 1 ت ط / 1433 - 2012 دار بن حزم بيروت، لبنان.

16 - أسس العمل الخيري، وفنون تسويقه، عيسى محمد صوفان القدومي، ط / 1، ت ط / 1430 - 2009.

17 - الأساس في التفسير، سعيد حوى، ط / 1، ت ط / 1405 - 1985، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. في ظلال القرآن، 4 / 2049.

18 - الاستعانة الدولية من منظور إسلامي - دراسة فقهية مقارنة - جيهان صبري محمد عبد الغفار، ط / 1، ت ط / 2011.

- 19-الإسلام حضارة الغد، يوسف القرضاوي، ط 1، ت ط 1416 هـ . 1995 م، مكتبة وهبة القاهرة مصر.
- 20-الإسلام والأمن الاجتماعي، محمد عمارة، ط / 1، ت ط / 1418-1998، دار الشروق، القاهرة -مصر.
- 21-الإسلام والآخر دراسة عن وضعية غير المسلمين في مجتمعات المسلمين، صابر طعيمة، ت ط / 1428 هـ - 2007 م مكتبة الرشد ناشرون المملكة العربية السعودية.
- 22-الإسلام والآخر من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟ / محمد عمارة، د ط، د ت ط، مكتبة الشروق الدولية مصر.
- 23-الإسلام وأوضاعنا الاقتصادية، محمد الغزالي، ط / 1، ت ط / 1987، القاهرة -مصر.
- 24-الإسلام وقضايا الحوار، محمود حمدي زقزوق، ترجمة: مصطفى ماهر، ط / 1، ت ط / 1423-2002، مطابع التجارية قيلون -مصر.
- 25-الإسلام والتعدّد الحضاري بين سبل الحوار وأخلاقيات التعايش، عبد الهادي الفضلي، د / ط، د / ت ط مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي - سلسلة الدراسات الحضارية، جميع حقوق الطبع محفوظة.
- 26-الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت، ط / 18، ت ط / 1421 - 2001، دار الشروق القاهرة. مصر.
- 27-الإسلام وحقوق الإنسان " ضرورات لا حقوق "، محمد عمارة، د / ط، ت ط / 1405-1985، عالم المعرفة الكويت الإسلام وضرورة التغيير، محمد عمارة، ط / 1، ت ط / 2007، سلسلة التنوير الإسلامي.
- 28-الإسلام والعمولة - المنازلة الإسلامية والعمولة البشرية بين السنن الربانية والتدافع الإنساني، سامي محمد صالح الدلال، ط / 1 ت ط / 1425-2004، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض -المملكة العربية السعودية.
- 29-الأمن الإنساني وتطبيقاته في المحافل الدولية، مع إضاءة حول مكانته في الإسلام، عبير بسيوني رضوان، ط / 1، ت ط / 1432-2011، دار السلام، القاهرة مصر.
- 30-أسطورة الوطن اليهودي، سعد المرصفي، ط / 1، ت ط / 1413 - 1992، دار المنار الإسلامية. - الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. خير الدين الزركلي، ط / 7، ت ط / 1986 دار العلم للملايين. بيروت - لبنان.
- الأشباه والنظائر ، عبد الكافي السبكي ، 105 ، عادل محمد عبد الموجود ، على محمد معوض ، ط / 1 ت ط / 1411 - 1991 ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة التّعمان ، ابن نجيم / 73 ط / 1 ، ت ط / 1419 - 1939 ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان
- 31-الأعلام قاموس التراجم، خير الدين الزركلي، ط / 15، ت ط / 2002، دار العلم للملايين، بيروت لبنان.
- 32-إغاثة اللفغان في مصائد الشيطان، ابن القيم الجوزية، تحقيق محمد عزيز شمس، تخريج الأحاديث: مصطفى بن سعيد إيتيم دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.
- 33-الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ط / 1، ت ط / 1433-2012 المكتبة العصرية، صيدا بيروت.
- 34-أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن عبد الله حميد، ط / 1، ت ط / 1415 - 1994، دار المنارة، جدّة

35- أصول العمل الخيري في الإسلام في ضوء النصوص، والمقاصد الشرعية، يوسف القرضاوي، ط / 2، ت ط / 2008 دار الشروق، القاهرة - مصر.

36- آفاق قرآنية، عماد الدين خليل، ط / 2، ت ط / 1982، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.

37- الآفاق الحضارية للوجود الإسلامي بالغرب، عبد المجيد التجار، ت ط / 2005، دار المعهد الأوربي للعلوم الإنسانية باريس فرنسا.

38- الأمم البائدة، هارون يحيى، ترجمة ميسون نخلوي، د / ط، د / ت ط، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

39- الأوقاف الإسلامية ودورها الحضاري، الماضي والحاضر والمستقبل، عبد الرحمن بن إبراهيم الضحيان، ط / 1، ت ط / 1421 - 2001، دار المآثر للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية.

40- أيسر التفاسير لأسعد محمود حومد، مراجعة محمد متوَّى الشعراوي، أحمد حسن مسلم، ط / 4، ت ط / 2009 شارع زنوبيا، دمشق سوريا.

41- الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، ط / 4، ت ط / 1399 - 1979، الرسالة، بيروت - لبنان.

□ رف الباء

42- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي الغرناطي، تحقيق وتعليق عبد الرزاق المهدي د / ط، د / ت ط، دار التراث العربي بيروت لبنان.

43- البحر الزخار المعروف بمسند البزار، البزار تحقيق: عادل بن سعد، ط / 1 ت ط / 1427 - 2006، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية.

44 - بدائع التفسير الجامع لما فسره ابن قيم الجوزية، جمعه وحرَّج أحاديثه، يسري السيد محمد، مراجعة وتحقيق وترتيب صالح أحمد الشامي، ط / 1، ت ط / 1428، دار بن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

45- بدائع الصنائع، علاء الدين أبو بكر الكاساني، تحقيق وتعليق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، ط / 2، ت ط / 1424 - 2002، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

46- البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق عبد الله بن المحن التركي، ط / 1، ت ط / 1418 - 1997، دار هجر للنشر والتوزيع مصر، القاهرة.

□ رف التاء

47- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي تحقيق عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، مصر القاهرة.

48- تجديد الوعي، عبد الكريم بكار، ط / 1، ت - ط / 1421 - 2000، دار القلم، دمشق - سوريا.

49- تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر، دراسة نقدية في ضوء الإسلام، ط 1 ت ط / 1419 - 1999، دار الجوزي للنشر والتوزيع السعودية.

50- التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، تفسير منهجي فقهي شامل معاصر، مأمون حموش، ط / 1 ت ط / 1428 هـ - 2007، دمشق سوريا.

- 51- التفسير الكبير ومفتاح الغيب، فخر الدين الرّازي، ط / 1، ت ط / 1401 - 1981، دار الفكر للطباعة والنّشر - بيروت لبنان.
- 52- التفسير الإسلامي للتاريخ، عماد الدين خليل، ط / 5، ت ط / 1991، دار العلم للملايين بيروت - لبنان.
- 53 - تفسير أبي السّعود المسمّى إرشاد العقل السّليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السّعود محمّد بن محمّد العمادي، دار الإحياء التراث العربي، بيروت لبنان
- 54- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ط / 1، ت ط / 1420 - 2000، دار بن حزم، بيروت لبنان.
- 55- تفسير القرآن الكريم، أبو المظفر السّمعاني، تحقيق أبو بلال غنيم بن عبّاس ط / 1، ت ط / 1418 - 1997 دار الوطن، الرياض المملكة العربيّة السّعوديّة.
- 56- تفسير البغوي - معالم التنزيل -، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق وتخريج الأحاديث: محمد عبد الله التّم عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الأحرش، ط / 1، ت ط / 1409 - 1989، دار طيبة، الرياض -المملكة العربيّة السّعوديّة.
- 57- تفسير القشيري المسمّى لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوزان القشيري تعليق عبد اللّطيف حسن عبد الرّحمن، ط / 2 ت ط / 1428 - 2007، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان.
- 58- تفسير القرآن العظيم، محمد التّستري عبد الرّؤوف سعد، وسعد حسين محمّد علي ط / 1 ت ط / 1425 - 2004.
- 59- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، د ط، ت ط / 1984، الدار التونسية للنشر تونس.
- 60- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج / 2، ص / 265، ط / 2، ت ط / 1350، مطبعة المنار، مصر.
- 61- تفسير المنير، وهبة الزحيلي، ط / 10، ت ط / 1430 - 2009، دار الفكر، دمشق سوريا.
- 62- تقييم تجارب حوار الحضارات، حسن حنفي، سلسلة محاضرات حوار الحضارات، تحرير: نادبة محمود مصطفى علا أبو زيد ط / 2، ت ط / 1428 - 2007، دار السلام للنشر والتوزيع، مصر.
- 63- التضامن الدولي في النظام الإسلامي، رشدي أبو شبانة الرشيدي، ط / 1، ت ط / 1429 - 2008 دار اليقين للنشر والتوزيع، المنصورة -مصر.
- 64- التكافل الاجتماعي في الإسلام، محمد أبو زهرة، ط / 1 ت ط / 1991، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر.
- 65- التنمية في الإسلام مفاهيم -مناهج وتطبيقات، إبراهيم العسل، ط / 1، ت ط / 1416 - 1996، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- 66- تهذيب اللغة، محمود بن أحمد الأزهري، تحقيق إبراهيم الإيباري، د / ط، د / ت ط دار الكتاب العربي مصر.
- رف النّاء
- 67- الثقافة والتنمية المستقلة في عصر العولمة -التّخلف العربي، ثقافي أم أيديولوجي؟ - محمد سعيد طالب د / ط ت ط / 2005، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق -سوريا.
- 68- ثقافة العمل الخيري، كيف نرسخها وكيف نعممها؟، عبد الكريم بكار، ط / 1، ت ط / 1433، 2012، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة -جمهورية مصر العربيّة.

□ رف الجيم

- 69- جامع البيان عن تأويل أي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق وتهذيب وتعليق بشار عواد معروف، عصام فارس الخرساني ط / 1، ت ط / 1415 - 1994، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.
- 70- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط / 1، ت ط / 1427 - 2006 مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- 71- جامعة الدول العربية -مدخل إلى المستقبل -مجدي حماد، د / ط، ت / ط 1428 - 2007، عالم المعرفة، مطابع السياسة الكويت.
- 72- الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون، طه جابر العلواني، ط / 1، ت ط / 1427 - 2006 مكتبة الشروق الدولية.
- 73- جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد، محمد بن سليمان المغربي، تحقيق سليمان بن دريع، مكتبة بن حزم بيروت - لبنان.
- 74- الجهاد طريق النص، عبد الله غوشة د / ط، ت ط / 1396 - 1976، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون.
- 75- الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته، عبد الله بن أحمد القادري، ط / 2، ت ط / 1413 - 1992، دار المنارة جدة المملكة العربية السعودية.
- 76- الجواهر المضيئة في الطبقات الحنفية، محي الدين أبي محمد القرشي الحنفي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، ط / 2 ت ط / 1413 - 1993، دار إحياء العربية الرياض المملكة العربية السعودية.
- 77- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق علي محمد عوض، عادل أحمد عبد الموجود، عبد الفتاح أبو سنة، ط / 1، ت ط / 1418 - 1997 دار الإحياء العربي، بيروت لبنان.
- رف الحاء
- 78- حاضر العالم الإسلامي، تاج السر أحمد حران، ط / 1، ت ط / 2001، إثنيليا للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان - المملكة العربية السعودية.
- 79- الحاوي الكبير، أبو الحسن الماوردي، تحقيق وتعليق: علي محمد معوض -عادل أحمد عبد الموجود ط / 1، ت ط / 1414 - 1994، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- 80- حتى يغيروا ما بأنفسهم، جودت سعيد، ط / 8، ت ط / 1989.
- 81- الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، علي بن نايف الشحود د ط، د ت ط.
- 82- الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية، د ط، د ت - ط، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- 83- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الأصفهاني، ط، 1 ت ط 1416 - 1996 دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مكتبة الخانجي، القاهرة.

84- الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسلامي، عبد العزيز بن عثمان التويجري، ط / 2، ت ط / 1436-2015 منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو.

85- الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى بن محمد حسن بن أحمد زمزمي، ط / 1، ت ط / 1414 - 1994 دار التربية والتراث، مكة، دار الرمادي للنشر - المملكة العربية السعودية.

86- الحوار مع أهل الكتاب، أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، خالد بن عبد الله القاسم، ط / 1، ت ط / 1414، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض-السعودية.

□ رف الخاء

87- الخدمة الاجتماعية وحقوق الإنسان، خليل عبد المقصود عبد الحميد، / 6، د ط، د ت.

88- خلق المسلم، محمد الغزالي، ط / 1، ت ط / 1408 - 1987، دار الريان للتراث، القاهرة - مصر.

89- خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم، فتحي الدريني، ط / 3، ت ط / 1434 - 2013 مؤسسة الرسالة، دمشق - سوريا.

90- الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي المعاصر، طه جابر العلواني، ط / 1، ت ط / 1424 - 2003، دار الهادي للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

91- خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، عبد الله التل، د / ط، د / ت ط، دار القلم.

92- خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، عبد المجيد النجار، ط / 1، ت ط / 1413 - 1993، دار الغرب الإسلامي معهد الفكر الإسلامي - الولايات المتحدة الأمريكية.

□ رف الدال

93- داعي السماء بلال بن رباح مؤذن الرسول، عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر.

94- الدبلوماسية الإسلامية في خدمة الحوار والسلام، عبد العزيز بن عثمان التويجري، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو / 1430 - 2009.

95- الدعوة إلى الإسلام، محمد بو زهرة، / 12، ط / 1، ت ط / 1992، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر.

94- الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، محمد الغزالي، د / ط، د / ت ط، دار الشروق.

96- دلائل النبوة، ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي، توثيق وتخريج وتعليق عبد المعطي قلنجي، ط / 1، ت ط / 1408 - 1988 دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

97- الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه، عطية صقر، سلسلة البحوث الإسلامية، الكتاب الخامس ت / ط، 1408 - 1988

98- الدين، محمد عبد الله دراز، د / ط، د / ت ط، دار القلم - الكويت.

99- دواعي الفتوحات الإسلامية، ودعاوى المستشرقين، جميل عبد الله المصري، د ط، د ت طن دار القلم دمشق - الدار الشامية بيروت لبنان.

□ رف الذال

100- الذريعة إلى مكارم الشريعة، راغب الأصفهاني، ط / 1، ت ط / 1400 - 1980، بيروت - لبنان.

□ رف الرء

- 101- الرّحيق المختوم، صفى الرّحمن المباركفورى، د / ط، د / ت ط، دار الإحفاء والرّاث.
- ردّ المختار على الدرّ المختار، محمد أمين ابن عابدين، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوّض، د / ط ت ط / 1423-2033، دار عالم الكتب، الرياض - المملكة العربية السعودية.
102- رسالتى إلى الأمة، زغلول التّجار، ط / 2، ت ط / 2011، دار التّهضة، القاهرة - مصر.
103- الرسول الأعظم فى مرآة الغرب، عبد الراضى محمد عبد المحسن، د / ط، د ت / ط، الهيئة العالمية للتعريف بالرسول.
104- الرعاىة الاجتماعىة فى الإسلام، وتطبيقاتها فى المملكة العربية السعودية، محمد بن أحمد الصالح، ط / 1، ت ط / 1419-1999، مكتبة الإسكندرية.
105- روضة الطّالبن، يحيى بن شرف النّوى، ط / 1، ت ط / 1423-2002، دار بن حزم، بيروت - لبنان.

□ رف الزاى

- 106- زاد المسير فى علم التّفسىر، ابن الجوزى، ط / 1، ت ط / 1423-2002، دار بن حزم، بيروت لبنان.
107- زاد الميعاد فى هدى خير العباد، ابن قىّم الجوزىة، ضبط: شعيب أرنؤوط، وعبد القادر أرنؤوط، ط / 1، ت ط / 11430-2009، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

□ رف السىن

- 108- السنن الإلهىة فى الأمم والجماعات والأفراد فى الشّرىعة الإسلامىة، عبد الكرىم زىدان، ط / 1، ت ط / 1993، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
109- السنن الكبرى، البيهقى، تحقيق عبد القادر عطا، ط / 3، ت ط / 1424-2003، دار الكتب العلمىة، بيروت - لبنان.
110- السنن الكبرى، أحمد بن شعيب بن على التّسائى، تحكىم وتعليق: محمد ناصر اللىبنانى، ط / 1، د / ت ط، مكتبة المعارف للنشر والتّوزىع، الرياض - المملكة العربية السعودية.
111- سنن أبى داود، أبى داود سلیمان السجستانى، تحقيق وضبط: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللى كتاب الملاحم ط / خاصة، ت ط / 2009-1430، دار الرسالة العلمىة، بيروت - لبنان.
112- سنن التّرمىذى، محمد بن عىسى التّرمىذى، تحكىم وتعليق: محمد ناصر اللىبنانى، ط / 1، د / ت ط، مكتبة المعارف للنشر والتّوزىع، الرياض - المملكة العربية السعودية.
113- سنن ابن ماجة، محمد بن يزىد القزوىبنى ابن ماجة، تحقيق وترقىم الأحادىث: محمد فؤاد عبد الباقى، د / ط، د / ت ط دار إحفاء الكتب العربىة.
114- سنن الله فى عباده، محمد سعىد رمضان البوطى، د / ط د / ت ط، دار الفكر، بيروت لبنان.
115- سلسلة الأحادىث الصّحىحة وشىء من فقهاها، محمد ناصر اللىبنانى، ط / 1، ت-ط / 1416-1996، مكتبة المعارف للنشر والتّوزىع، الرياض، المملكة العربىة السّعودىة.

- 116- السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق وضبط: مصطفى السقا، إبراهيم الإياري، عبد الحفيظ شلبي، د ط، د ت ط 1، دار المعرفة بيروت لبنان.
- 117- السيرة النبوية، إسماعيل بن كثير، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ت ط / 1396 - 1986 دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان.
- 118- السيرة النبوية، أبو الحسن التّدوي، ط / 8، ت ط / 1409 - 1989، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة - المملكة العربية السعودية.
- 119- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، علي محمد الصّلاحي، ط / 7، ت - ط / 1429 / 2008.
- 120- سير أعلام النبلاء شمس الدّين الدّهبي، تحقيق صالح السّمّر، إشراف على التحقيق شعيب أرنؤوط، ط / 1، ت - ط / 1403 - 1983 مؤسّسة الرّسالة، بيروت لبنان.
- 121- السّيل الجرار المتدقّق على حدائق الأزهار، محمد بن علي الشّوكاني، ط / 1، ت ط / 1425 / 2004، دار بن حزم بيروت، لبنان.

□ رف الشّين

- 122- شذرات الذهب، عبد الحي بن أحمد العكري أبو الفلاح، تحقيق: عبد الفادر الأرنؤوط - محمود الأرنؤوط، ط / 1 ت ط / 1406 - 1986، دار بن كثير.
- 123- شرح منح الجليل على مختصر خليل، محمد عليش، د / ط، د / ت ط.
- 124- شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، القراني د / ط - ت / 1424 - 2004، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- 125 - شرح فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي ابن الهمّام، ط / 1، ت ط / 2003 - 1424 منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- 126- الشهود الحضاري للأمة الوسط في عصر العولمة، عبد العزيز برغوث، ط / 1، ت - ط / 1428 - 2007، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت.
- 127- شروط النهضة، مالك بن نبي، ت - ط 1427 - 2006، دار الفكر دمشق - سوريا.

□ رف الصاد

- 128- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق إميل يعقوب، ط 1، ت ط 1420 - 1999، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- 129- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ضبط الأحاديث وترقيمها وتخريجها، مصطفى ديب البغا، د / ط، د / ت ط دار بن كثير، دمشق - سوريا.
- 130- صحيح مسلم، مسلم بن حجاج، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة ط / 1، ت ط / 1427 - 2006، دار طيبة المملكة العربية السعودية.

- 131- صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر - صلى الله عليه وسلم-، محمد بن صامل السلمي - عبد الرحمن بن جميل قصاب - سعد بن موسى الموسى - خالد بن محمد الغيث، ت ط / 1431 - 2010، مكتبة روائع المملكة، جدة - المملكة العربية السعودية
- 132- الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، يوسف القرضاوي، ط / 1، ت ط / 1421 - 2001، دار الشروق، القاهرة - مصر.
- 133- صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، صامويل هنتجتون، ترجمة طلعت الشايب، تقديم د صلاح قنصورة، ط 2 ت ط 1999.
- 134- الصراع بين الإيمان والمادية - تأملات في سورة الكهف - أبو الحسن علي الحسيني التديوي، ط 1، ت ط 1390 - 1971 دار القلم الكويت.
- 135- صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، محمد فوزي فيض الله، / 435-436، ط 1، ت ط 1416 - 1996 دار القلم دمشق سوريا.
- رف الطاء
- 136- طبقات المفكرين، جلال الدين السيوطي، تحقيق علي محمد عمر، ط / 1، ت ط / 1431 - 2010، دار النوادر الكويت.
- رف الظاء
- 137- ظلام من الغرب، محمد الغزالي، ط / 1، ت ط / 2000، ههضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مكتبة الإسكندرية - مصر.
- رف العين
- 138- العالم الإسلامي والغرب، التحديات والمستقبل، عثمان بن عبد العزيز التويجري، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، 1428 - 2007.
- 139- العدالة الاجتماعية في الإسلام، سيد قطب، د / ط، ت ط / 1415 - 1995، دار الشروق، بيروت - لبنان.
- 140- العطاء الحضاري للإسلام، محمد عمارة، ط 1، ت ط 1425 - 1983، مكتبة الشروق الدولية القاهرة مصر.
- 141- العلاقات الدولية في الإسلام، محمد أبو زهرة / 56، ط / 1، ت ط / 1415 - 1995، دار الفكر العربي، القاهرة مصر.
- 142- العلاقات الدولية في الإسلام مقارنة بالقانون الدولي الحديث، وهبة الزحيلي / 118، ط / 1، ت ط / 1420 - 2000 دار الفكر دمشق سوريا.
- 143- العمل الاجتماعي - التنظيم، التحديات، المواجهة - على بن إبراهيم النملة، ط / 2، ت ط / 1434 - 2014 بيسان للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- 144- العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، فتحي يكن - رامز طنبور، ط / 1، ت ط / 1421 - 2000، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان

145-العولة والتربية آفاق مستقبلية، أحمد على الحاج محمد، ط / 1، ت ط / 1432 -2011، سلسلة كتب الأمة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية -قطر.

146-العولة والإسلام -رؤيتان للعالم -سيف الدين عبد الفتاح، ط / 1، ت ط / 1430 -2009، دار الفكر، دمشق سوريا.

□ رف الغين

147-الغزو الثقافي يمتدّ في فراغنا، محمد الغزالي، د / ط، د ت / ط، دار الشروق.

148-الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة -دراسة علمية حول مظاهر الغلو ومفاهيم التطرف والأصولية، عبد الرحمن بن معلا اللويحي، / 144، ط / 1، ت ط / 1412 -1992، مؤسسة الرسالة، بيروت -لبنان.

□ رف الفاء

149-فتح القدير الجامع بين في الرواية والدراية، محمد بن علي الشوكاني، مراجعة: يوسف الغوش، ط / 4، ت -ط / 1428 -2007، دار المعرفة، بيروت -لبنان.

150-الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية، تعليق وتحقيق أبو الوفا محمد درويش، مراجعة: فتحي أمين عثمان مركز تحقيق التراث، د ط، د ت ط.

151 -الفروق المسمّى أنوار البروق في أنواع الفروق، شهاب الدين القرافي، د / ط، ت ط / 1431 -2010، دار النوادر الكويت.

152-الفصل في الأهواء والملل والنحل، ابن حزم الظاهري، تحقيق: محمد إبراهيم نصر - عبد الرحمن عميرة، ط 2، ت ط / 1416 -1996، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت لبنان.

153-فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، د علي محمد الصلابي، ط 1 ت ط 1423 -2002 مكتبة التابعين القاهرة عين شمس.

154-الفقه السياسي الإسلامي، خالد الفهدوي، ط / 3، ت ط / 2008، دار الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق - سوريا.

155-فقه التاريخ في ضوء أزمة المسلمين الحضارية، عبد الحليم عويس، ط / 1، ت ط / 1414 -1994، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة -مصر.

156-فقه السيرة، محمد الغزالي، تخريج الأحاديث، محمد ناصر الألباني، ط / 6، ت ط / 1965.

157-فقه السنة، السيّد سابق، 3 / 6، د / ط، د / ت ط الفتح للإعلام العربي القاهرة - مصر.

158-فقه مقاصد الشريعة في تنزيل الأحكام، أو فقه الاجتهاد التنزيلي، ط / 1، ت ط / 1432 -2011، مؤسسة الرسالة بيروت -لبنان.

159-الفكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، ط / 3، ت -ط / 1422 -2001، دار الفكر دمشق -سوريا.

160-فقه التدين فهما وتنزيلا، عبد المجيد النجار ن ط 1، د / ت ط، مؤسسة أخبار اليوم -مصر.

161-فن التعامل النبوي، راغب السرجاني، د / ط، ت ط / 2010، دار الأعلام للنشر والتوزيع، القاهرة -مصر.

162- فن التفاوض والدبلوماسية، صلاح محمد عبد الحميد، ط / 1، ت ط / 2012، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع.

163- في ظلال القرآن، سيد قطب، ط / 32، ت ط / 1423 - 2003: دار الشروق القاهرة مصر.

□ رف القاف

164- قاعدة مختصرة في قتال الكفار ومهادنتهم، وتحريم قتلهم لمجرد كفرهم، ابن تيمية، تحقيق ودراسة ومقارنة: عبد العزيز بن عبد

الله بن إبراهيم الزبير آل حمد، ط / 1، ت ط / 1425 - 2004 مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض المملكة العربية السعودية.

165- القاموس المحيط، الفيروزبادي، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ط / 8، ت ط / 2005 مؤسسة الرسالة ن بيروت لبنان.

166- قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية، أحمد سعيقان، ط / 1، ت ط / 2004، مكتبة لبنان، ناشرون

بيروت - لبنان.

167- قاعدة العادة المحكمة - دراسة نظرية تأسيسية - يعقوب عبد الوهاب الباحثين، ط / 2، ت ط / 1433 - 2012 مكتبة

الرشد - المملكة العربية السعودية.

168- قاعدة المشقة تجلب التيسير، دراسة نظرية - تأسيسية - تطبيقية، يعقوب بن عبد الوهاب الباحثين، ط / 1 ت ط 1424

- 2003، مكتبة الرشد - المملكة العربية السعودية.

169- القرآن الكريم بنيت التشريعية وخصائصه الحضارية، وهبة الزحيلي، ت ط 1419 . 1998، دار الفكر المعاصر بيروت دار

الفكر دمشق.

170- قضية التحلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر، ط / 1، ت ط / 1427 - 2006 مكتبة وهبة، القاهرة -

مصر.

171- القضايا الكبرى، مالك بن نبي، ط / 2، ت ط / 1420 - 2000، دار الفكر، دمشق - سوريا.

172- القواعد الاستراتيجية في الصراع والتدافع الحضاري، جاسم محمد سلطان، ط / 1، ت ط / 1426 - 2005.

173- القوانين القرآنية للحضارات، خالد فائق العبيدي، ط / 1، ت ط / 1426 - 2005، دار الكتب العلمية، بيروت -

لبنان - القيم والأعراف الأخلاقية في الحضارة الإسلامية . دراسة تاريخية وتربوية تحليلية، محمد فيصل الشيحاني، ت ط 1997

مطبعة اليمامة حمص سوريا.

174- قيم الإسلام الحضارية نحو إنسانية جديدة، محمد عبد الفتاح الخطيب، ط / 1، ت ط / 1431 - 2010، وزارة

الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر.

□ رف الكاف

175- كتاب التعريفات الاعتقادية، سعد بن محمد بن علي المطلب، ط / 2، ت ط 1432 - 2011، دار الوطن للنشر

والتوزيع الرياض - المملكة العربية السعودية.

176- الكرامة الإنسانية في ضوء المبادئ الإسلامية، عبد العزيز بن عثمان التويجري، ط / 2، ت ط / 1436 - 2015

منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو.

177- كفاح دين، محمد الغزالي، ط / 1، ت ط / 1411 - 1991، دار وهبة للنشر والتوزيع القاهرة، مصر.

- 178- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ط / 1 ت ط / 1404 - 1984، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.
- 179- كيفية دعوة أهل الكتاب إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة، د سعيد بن علي بن وهف القحطاني، سلسلة الرسائل الدعوية د / ط، د ت / ط.
- 180- كيف ندعو الناس، محمد قطب، / 6 - 8، ط / 3، ت ط / 1424، دار الشروق، القاهرة - مصر.
- 181- كيف نتعامل مع القرآن، محمد الغزالي، / 118، ط / 7، ت ط / 2005، نضضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.
- 182- كيف نتعامل مع القرآن العظيم، يوسف القرضاوي، ط / 3، ت ط / 1421 - 2008، دار الشروق - مصر.
- 183- كيف يحطّم المسلمون قيد التبعية والحصار، أنور الجندي ط / 1، ت ط / 1405 - 1985، مؤسسة الكتب الثقافية
- 184- كيف يحتفظ المسلمون بالذاتية الإسلامية في مواجهة أخطار الأمم، أنور الجندي، د / ط، د / ت ط دار الاعتصام- مصر.

□ رف اللام

- 185- اللؤلؤ المكنون في سير النبي المأمون دراسة محققة للسيرة النبوية، موسى بن راشد العازمي، ط / 1 ت ط / 1434 - 2013 دار الصميعي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.
- 186- لسان العرب، ابن منظور، ط 1، ت ط 2003. 1424، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت.
- لبنان - لسان اللسان، تهذيب لسان العرب، ابن منظور، ط / 1، ت ط / 1413 - 1993، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- 187- لماذا محمد - صلى الله عليه وسلم هو الأعظم، أحمد الديدات، د / ط، د ت / ط، المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع - مصر.

□ رف الميم

- 188- ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، عبد المحسن عبد العزيز الصويغ، جامعة الملك سعود - الرياض -، كلية التربية. قسم
- 189 - المبسوط، شمس الدين السرخسي، د / ط، د / ت ط، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- الثقافة الإسلامية، ت ط / 1420 هـ.
- 190- مدخل إلى علم الدعوة، أصولها ومناهجها، وأساليبها، ووسائلها ومشكلاتها في ضوء النقل والعقل، محمد أبو الفتح البيانوي، ط / 3، ت ط / 1415 - 1995، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
- 191- مدخل إلى الحضارة الإسلامية، عماد الدين خليل، ط / 1، ت - ط / 1426 - 2005، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت - لبنان.
- 192- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق محمد عبد القادر أحمد العطا، ط / 1، ت ط / 1422 - 2001، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- 193-مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، ط / 5، ت ط / 1405 - 1985، دار النفائس، بيروت - لبنان.
- 194-مجموع فتاوى شيخ الإسلام محمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، د / ط، ت ط / 1425 - 2004، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
- 195-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم الجوزية، تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي ط / 7 ت ط / 1422 - 2003، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- 196-مراجعات في تطوّر المنهج المقاصدي عند المعاصرين، زينب العلواني، د / ط، د ت / ط، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- 197-مراجعات ومدافعات، أحمد الريسوني، ط / 1 ت ط / 2013، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.
- 198-المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: جمال بن فرحات صاوي، تنسيق سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، ط / 1، ت ط / 1419 - 1998، دار العاصمة للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية.
- 199-المطلق والمقيّد وأثرهما في اختلاف الفقهاء، حمد بن حمدي الصّاعدي، ط / 2، ت ط 1428 عمادة البحث العلمي قسم الإصدار المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
- 200-المغني، ابن قدامة المقدسي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي - عبد الفتاح محمد الحلو، ط / 3، ت ط / 1417 1997، دار الكتب العلمية، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- 201-المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم التيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط / 1 ت ط / 1422 - 2002 دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان .
- 202-المستصفي من علم الأصول، أبو حامد الغزالي، دراسة وتحقيق د / حمزة بن زهير حافظ، د / ط، د / ت ط، شركة المدينة المنورة للطباعة - المملكة العربية السعودية.
- 203-المسلم في عالم الاقتصاد، مالك بن نبي، ط / 3، ت ط / 1420 - 2000، دار الفكر بيروت - لبنان
- 204-مسلمو الغرب والعالم الإسلامي، عبد العزيز بن عثمان التويجري، ط / 2، ت ط / 2015 منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو.
- 205-مسند الإمام محمد بن إدريس الشافعي، الشافعي، ترتيب سنجر بن عبد الله التّاصري، تحقيق وتخرّيج رفعت فوزي عبد المطلب ط / 1، ت ط / 1426 - 2005 دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان.
- 206-المسند الجامع، عبد الله بن عبد الرحمن الدّارمي، ط / 1، ت ط / 1434 - 2013، دار البشائر الإسلامية بيروت - لبنان.
- 207-المشاركة في البرلمان والوزارة عرض ونقد، محمد بن شاكر الشريف، د / ط، د / ت ط.
- 208-المشترك الإنساني - نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب -، راغب السرجاني، ط / 1، ت ط / 1432 - 2011 مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.

- 209-مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن نبي، ط 2 ت ط 1423 هـ - 2002، دار الفكر المعاصر بيروت - لبنان دار الفكر دمشق - سوريا.
- 210-مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، يوسف القرضاوي، ط / 1، ت ط / 1406 - 1985 مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.
- 211-المصباح المنير في غريب شرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد الفيومي، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، ط / 2 د / ت ط دار المعارف، القاهرة مصر.
- 212-مفهوم السنن الزبائنية دراسة في ضوء القرآن الكريم، رضوان خميس زكي، د / ط، د / ت - ط.
- 213-مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، سلسلة الرسائل الدعوية د / ط، د / ت ط.
- 214-مقاصد الشريعة ومكارها، علال الفاسي، ط / 5، ت - ط/1993، دار العرب الإسلامي.
- 215-مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، محمد سعيد بن أحمد بن مسعود اليوبي، ط / 1، ت - ط / 1418 - 1998، دار الهجرة، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- 216-مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، عبد المجيد النجار، ط / 2، ت ط / 2008، دار الغرب الإسلامي.
- 217-مقدمة ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق وتعليق: عبد الله بن محمد الدرويش، ط / 1 ت - ط / 1425 -، دار يعرب، دمشق - سوريا.
- 218-مقدمات في النهوض بالعمل الدعوي، عبد الكريم بكار، ط / 4، ت - ط / 1432 - 2011، دار القلم دمشق - سوريا.
- 219-المقصود والممدود للفراء، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي ط / 3، دار المعارف، القاهرة، مصر
- 220-مقومات الأمن الاجتماعي، محمد عمارة، ط / 1، ت ط / 1430 - 2009، مكتبة البخاري للنشر والتوزيع القاهرة - مصر.
- 221-من سنن القرآن المؤسسة للنهوض الحضاري، عبد المجيد بن محمد بن علي الغيلي، د / ط، ت - ط / 1430 - 2009.
- 222-من النظور الحضاري للمنظمات الدولية رؤية تأصيلية، سامي الخزندار، ط / 1، ت ط / 1433 - 2012 القطرية للطباعة - الدوحة قطر.
- 223-المنظمات الدولية، دراسة فقهية وتأصيلية للنظرية العامة، والتنظيم الدولي والأمم المتحدة والوكالات المتخصصة والمنظمات الإقليمية جعفر عبد السلام، د / ط، د / ت ط، دار النهضة العربية، القاهرة - مصر.
- 224-منهاج النبوة في الدعوة إلى الله، مهدي بن إبراهيم مبجر، ط / 1، ت ط / 1432 - 2011.
- 225-منهج النبي - صلى الله عليه وسلم - في حماية الدعوة، الطيب برغوث، ط / 1، ت ط / 1416 - 1996، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية.
- 226-مفردات القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، ط / 4، ت ط / 1430 - 2009، دار القلم، مصر.

- 227- معارج القبول بشرح سلّم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، ج / 1.
- 228- معالم الحضارة في الإسلام، وأثرها في النهضة الأوربية، عبد الله ناصح علوان، دار السلام للطباعة والتوزيع.
- 229- المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ت ط 1403 - 1983 م، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية القاهرة - مصر
- 223- المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق وتخريج الأحاديث حمدي عبد الحميد السلفي، د / ط، د / ت ط مكتبة ابن تيمية القاهرة.
- 230- المعجم الأوسط، الطبراني، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ت ط / 1415 - 1995، دار الحرمين، القاهرة - مصر.
- 231- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط / 4، ت / ط، 2004، مكتبة الشروق الدولية، مصر - معجم التعريفات علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.
- 232- منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوة أهل الكتاب، محمد بن سيدي بن الحبيب الشنقيطي، ط / 1، ت ط / 1413 - 1992 دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة السعودية.
- 233- منهج التعارف الإنساني في الإسلام، -نحو قواسم مشتركة بين الشعوب، حسن الباش، ط / 1، ت ط / 2005 منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس - لبنان.
- 234- معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعة جي، حامد صادق قنيبي، ط / 2، ت ط / 1408 - 1988، دار التفائس بيروت لبنان
- 235- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي الرومي، ط 1، ت ط 1993، دار الغرب الإسلامي بيروت - لبنان.
- 236- معرفة الصحابة، الأصبهاني، ط / 1، ت - ط / 1419 - 1998، دار الوطن للنشر - المملكة العربية السعودية.
- 237- المعين على تدبر القرآن المبين، محمد بن أحمد مكّي، د / ط، د / ت ط، مؤسسة الريان للنشر والتوزيع، بيروت لبنان.
- 238- مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو عبد الله محمد بن عمرو الواقدي / 2، ط 1، ت ط 1367 - 1948 مطبعة السعادة - مصر.
- 239- المغني، ابن قدامة، تحقيق: عبد الله بن المحسن التركي - عبد الفتاح محمد الحلوم، ط / 3، ت - ط / 1417 - 1997، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- 240- مفاهيم سياسية لحزب التحرير، ط / 4، ت - ط / 1425 - 2005، منشورات حزب التحرير.
- 241- مكارم الأخلاق، للحافظ ابن أبي الدنيا، تحقيق وتعليق: مجدي السيد إبراهيم د / ط، د / ت - ط مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية.
- 242- الموالات والمعاداة في الشريعة الإسلامية لحماس بن عبد الله الجلعود، ط / 1، ت - ط / 1407 - 1987، الحقوق محفوظة للمؤلف، الرياض - المملكة العربية السعودية.

- 243-الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي، تقديم بكر بن عبد الله أبو زيد، ضبط وتعليق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ط / 1، ت - ط / 1417 - 1997 م، دار عثمان ابن عفان للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية.
- 244-موقع الإسلام في حوار الحضارات محمد السمّاك، ط / 1، ت ط / 1433 - 1012، دار التفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- 245-موسوعة الفتوحات الإسلامية، محمود شاكر، ت - ط / 2002، دار أسامة للنشر والتوزيع عمّان -الأردن.
- 246-ميلاد مجتمع، مالك بن نبي، 1/ شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة عبد الصبور شاهين، د / ط، ت - ط / 1405 1985 دار الفكر، دمشق -سوريا.

□ رف النون

- 247-نحن والآخر -نحن والآخر " دراسة فقهية تأصيلية "، علي محيي الدين القرّة داغي، د / ط، د / ت ط الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، لجنة التأليف والترجمة، الدوحة -قطر.
- 248-نحو تفعيل مقاصد الشريعة، جمال الدين عطية، ط / 1، ت - ط / 1422 - 2001، دار الفكر، دمشق سوريا.
- 249-نصارى نجران بين المحادلة والمباهلة، أحمد علي عجيبة، ط / 1، ت ط / 2004، دار الآفاق العربية القاهرة مصر.
- 250-نظرات في مسيرة العمل الإسلامي، عمر عبيد حسنة، ط / 1، ت ط / 1405، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية قطر.
- 251-نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، تقديم طه جابر العلواني ط / 4، ت - ط / 1416 - 1995المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- 252-نظرية الحرب في الإسلام، محمد أبو زهرة، ط / 2، ت - ط / 1429 - 2007 دراسات الإسلاميّة، العدد 160 الصادرة عن: وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، مصر.
- 253-نظرية الحكم ومصادر التشريع، أحمد الحصري، د / ط، ت - ط / 1401 - 1981، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة مصر.
- 254-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط / 1، ت - ط / 1421 - 2000. دار القلم دمشق سوريا.
- 255-النكت والعيون تفسير الماوردي، الماوري أبو الحسن، د / ط، د / ط، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- 256-نهاية المحتاج، ابن شهاب الرملي، ط / 3، ت ط / 1424-2003، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان.
- 257-نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي محمد الشوكاني، الطبعة الأخيرة، د / ت ط، مكتبة ومطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده -مصر.

□ رف الهاء

258-هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم، تحقيق عثمان جمعة ضميرية، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد د / ط دار عالم الفوائد، مطبوعات المجمع الفقه الإسلامي، جدة المملكة العربية السعودية.

□ رف الواو

259-وجهة العالم الإسلامي، مالك بن نبي، د ط، د ت ط، منشورات. À NEP.

260-وظيفة الاستخلاف في القرآن الكريم، دلالاتها وأبعادها الحضارية، محمد زمران، د / ط، د ت / ط.

261-وفيات الاعيان، أحمد بن محمد بن خلكان، ط / 1، ت ط / 1398-1978، دار صادر، بيروت -لبنان.

262-واقعا المعاصر، محمد قطب، ط / 1، ت ط / 1418-1997، دار الشروق.

263-الوقف الإسلامي، مجلاته وأبعاده أحمد الريسوني، ط / 1، ت / ط 1435-2014، دار الكلمة للنشر والتوزيع القاهرة - مصر.

264-الوصول إلى قواعد الأصول، الترمناشي، ط / 1، ت ط / 1420-1999، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان.

❖ مواقع الأنترنت

265-أبرز المنظمات الإسلامية في أوروبا والولايات المتحدة، -http://www.sasapost.com/islamic- /organizations-europe-us-the-defense-of-islam-the-islamic-council

259-الأزمة المالية: أسبابها وعلاجها، علاء شعبان الزعفراني، /http://www.alukah.net/culture/0/89929

260-أصل العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، عثمان جمعة ضميرية، http://islamselect.net/print/12178

261-استخدام البالتوك في الدعوة إلى الله عز وجل والبدليل المقترح، عاصم بن عبد الله القريوتي http://www.saaaid.net/afkar/48.htm

262-إشكاليات حوار الثقافات في عالم متغير، الدكتور عبد الله تركماني : http://www.mokarabat.com/s726.htm

263-"أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله والرد على المغرضين والزائغين" د / ربيع أحمد، عن موقع شبكة الألوكة www.alukah.net

264-أمة الدبلوماسية كيف تجدد رسالتها للعالم؟، محمود حسن محمد http://www.alukah.net/sharia/0/104767

265-أهمية الشبكة الدولية للمعلومات كأداة للتواصل بين الشعوب، رشاد صلاح الدين عبد الحميد /http://www.mohe-casm.edu.eg

266-تجربة منظمة الثقافة الدولية في تقييم الفساد "مؤشر مدركات الفساد 2008"، نبيل حمادي -www.univ-medea.dz/...2010/15

267-التعاون الدولي لمكافحة الفساد، ودعم التجارب الناجحة، حسن هاشمي / 2 www.univ-medea.dz.

268-التخطيط الاجتماعي، أحمد إبراهيم حمزة، http://www.massira.jo/content 2016 / 07 / 07 .

- 269-تطويع وسائل التكنولوجيا الحديثة في الدعوة إلى الله عادل عبدالله هندي، 22/07/1431 الموافق 2010/07/04
موقع: <http://main.islammessage.com/newspage.aspx?id=558>
- 270-التعاون الدولي في مجال مكافحة المخدرات، محمد جبر الألفي <http://www.alukah.net/culture/0/74646>
- 271-التعصب الديني إذ يحفز صراع الحضارات! زهير فهد الحارثي <http://www.alriyadh.com/1063038>
- 272-التعصب "مظاهره - أسبابه - نتائجه - البعد الشرعي"، عادل الدمخي ربيع الثاني 1426 هـ 2005/5/18م
bfekra.blogspot.com/2012/10/blog-post_9420.html
- 273-التفسير المطول، محمد راتب النابلسي، www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art...id
- 274-تفسير سورة الحشر، موسوعة النابلسي الإسلامية 1074 <http://www.nabulsi.com/blue/ar/print.php?art=1074>
- 275-التقوى وال عمران الحضاري في القرآن، محمد البوزي، 30 / 06 / 2009 - 7 / 7 / 1430 .
http://www.alukah.net/publications_competitions/0/6447
- 276-توظيف المقاصد في فهم القرآن الكريم، التهامي الوزاني <http://www.al5aatr.com/play-8940.html>
- 277-ثقافة التعايش في ظل العولمة، محمد البشير، <http://boostany.hooxs.com/t3120-topic>
- 278-حلف الفضول، محمد راتب النابلسي 8 / 05 / 2006 : <http://www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art>
- 279-حوار الحضارات، وخناجر في جسد الإسلام، محمد مسعد ياقوت / 6، موقع نبي الرحمة nabi.alahma.com
www
- 280-الحوار وقبول الآخر في ضوء الهدى النبوي، بن يحي الطاهر ناعوس، www.alukah.net
- 281-الحوار... الذات، والآخر، عبد الستار إبراهيم الهيبي، سلسلة كتب الأئمة
<http://library.islamweb.net/newlibrar>
- 282-الخدمة الاجتماعية تحليل المهنة والجذور، فوزي شرف الدين، / 23 www.pdfactory.com
- 283-خصائص الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل، عبد العزيز بن عثمان التويجري
<http://www.isesco.org.ma/index.php?option=com>
- 284-خصائص الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، أحمد الطيب، http://elazhar.com/conf_au/14/56.asp
- 285-دراسة قياسية لأثر المديونية الخارجية على النمو الاقتصادي حالة الجزائر الأستاذ: حتحات محمد رضا / 4
www.kantakji.com/media/3568/7f.doc
- 286-الدّاعية، صفات، مهارات، ومعوّقات، عبد القاهر عبد الله الحوري، / 14 www.alukah.net
- 287-الدعوة الإسلامية عبر الإنترنت مقترحات للنهوض وتفعيل المواقع الدعوية أحمد محمود أبو زيد
<http://www.alukah.net/culture/0/2066/#ixzz3xIjPaymU>
- 288-الدعوة إلى الله عبر الأنترنت، أساليبها و وسائلها - <http://www.paltalk.com>
- 289-دور منظمة الشّفاية الدولية في مكافحة الفساد، محمد الموسخ 15 / 2010 / www.univ-medea.dz/

- 290- السنن الإلهية وأثرها في فهم الواقع، محمد الجريتلي، <http://eldorar.net/science/article/13451>
- 291- سنة التغيير، محمد الجريتلي، بحث مقدم لمسابقة كاتب الألوكة [www. Alukah.net](http://www.alukah.net).
- 292- شهادة عالمية بحقوق الإنسان في الإسلام، عبد الحلیم عويس 1 / 05 / 2015 - 12 / 07 / 1436
<http://www.alukah.net/culture/0/85864/#popup1>
- 293- ضوابط العمل السياسي، مراد بن أحمد القدسي
http://www.muslimsc.net/main/page.aspx?id=0418316&article_id=18377
- 294- العدل أساس التوازن والاستقرار، جاسر العودة، [www.feker.net / ar2014/02/22860](http://www.feker.net/ar2014/02/22860)
- 295- العدل مقصد الشريعة الأصيل، محمد لافي 18 / 10 / 1436 www.almoslim.net
- 296- العمل الاجتماعي والخيري، عفاف بنت يحيى آل حريد، الأحد 9 ربيع الأول 1432، www.al-islam.com
- 297- العمل السياسي وسياسة العمل، موقع السكينة
[: http://www.assakina.com/balrman/14544.html#ixzz46AJby500](http://www.assakina.com/balrman/14544.html#ixzz46AJby500)
- 298- العلاقة مع غير المسلمين، سلمان فهد العودة
<http://www.islamtoday.net/salman/mobile/mobartshows-28-138678.htm>
- 299- الفضائيات بين الإيجابيات والسلبيات، منيرة الحوشاني، <http://www.alukah.net/culture/0/41242>
- 300- لتعارفوا رؤية معرفية يحي رضا جاد، <http://feker.net/ar/2012/03/08/10850>
- 301- المديونية الخارجية للبلاد الإسلامية: تنمية الاقتصاد أم تنمية التخلف! العددان 258-259، السنة الثانية والعشرون
رجب وشعبان 1429هـ، تموز وآب 2008م-258 <http://www.al-waie.org/issues/258-2008>
259/article.php?id
- 302- مشروعية الحوار مع الآخر وأهدافه، عمر بن صالح بن عمر.
<http://www.alhiwartoday.net/node/312>
- 303- مشروعية الحوار مع الآخر وأهدافه، عمر بن صالح بن عمر، الخميس، 07/14/2011 - 19:02.
<http://www.alhiwartoday.net/node/312>
- 304- مظاهر تكريم الله للإنسان، محمد راتب النابلسي، <http://nabulsi.com/blue/ar/art.php?art>
- 305- مفهوم الثقافة وصلته بمفهوم الحضارة والمدنية - [http://www.al-islam.com/content.aspx? - pageid=1210&ContentID=7](http://www.al-islam.com/content.aspx?pageid=1210&ContentID=7)
- 306- مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي، د محمد العبدية، -40 <http://islamtoday.net/nawafeth/artshow-40-2323.htm>
- 307- مقصد الجمال في الخطاب الإلهي وأبعاده الفطرية، عبد الله أموش
<http://www.maghress.com/attajdid/10818>

- 308- من سمات الجمال .. التنظيـم، صالح بن أحمد الشامي
/http://www.alukah.net/literature_language/0/64853
309- المنظمة العربية لمكافحة الفساد، <https://ar.wikipedia.org/wiki>
310- منظمة المؤتمر الإسلامي: الممكن أفضل من الواقع!، د / محمد شوقي
<http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/9480fefe-7efe-4c89-9d64-522bdea14e81>
311- منظمة المؤتمر الإسلامي النشأة والأهداف <http://rtv.gov.sy/index.php?p=100032&id=48147>
312- المنهج القرآني في بناء المشترك الإنساني، د. محمد رفيع <http://www.wasatiaonline.net>
314- موقع المركز الإسلامي والثقافي بيروكسل بلجيكا - <http://www.themwl.org/>
315- موقع جمع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية،
<http://www.wicsociety.ly/index.php/homepage/2014-05-08-08-30-34>
316- موقع مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان : <http://www.dicid.org/program.php>
317- موقع مركز آدم لحوار الحضارات. <http://www.adam.ps/about>
318- موقع رابطة العالم الإسلامي : <http://www.muslimworldleague.com/node/1>
319- موقع منظمة اليونسكو <http://ar.unesco.org/about-us/introducing-unesco>
- نظرات تأسيسية في فقه الأقليات ، طه جابر العلواني ، <http://www.feqhweb.com/vb/t41.html>
320- وسطية الإسلام وسماحته، وهبة الزحيلي، <http://www.assakina.com/wastiah/6586.html>
321- الوقف الإسلامي الحديث بين تحديات الواقع وضرورة الإصلاح، مهديـة أمنوح، / 5
<http://www.kantakji.com/wakf.aspx>

❖ المجالات والملتقيات:

- 322 -إضاءات قرآنية حول مفهوم حوار الحضارات، أشرف محمد زيدان - نور روضة حاج نسرين - فخر الأدب عبد القادر،
مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، العدد / 12، كانون الأول / 2011.
323 -أهداف الإغاثة الإنسانية في ميزان المقاصد الشرعية محمد حمد عبد الحميد، بحث مقدم: إلى المؤتمر الدولي الثالث لكلية
الشريعة وكلية القانون في جامعة آل البيت، الأردن.
324 -أهداف الحوار مع الغرب ومحاذيره، سعد بن علي بن محمد الشهري، بحث مقدم لمؤتمر: العالم الإسلامي والغرب الحواجز
والجسور المنعقد بالجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، تنظيم، المعهد العالمي لوحدة الأمة الإسلامية في فترة: 12 - 14 / 08 /
1427 - 5 - 7 / 9 / 2006.
325 -بناء الرحمة في القرآن، الصالحة المرتجي، بحث مقدم للمؤتمر الدولي: الرحمة في الإسلام، قسم الدراسات الإسلامية بكلية
التربية، جامعة الملك سعود -المملكة العربية السعودية.
326 -تأثير الدين الإسلامي على المساعدات الإنسانية، جمال كرافس، / 127، مختارات من مجلة الدولية للصليب الأحمر.

- 327 -التحديات السياسية المعاصرة بين التأصيل والتجديد، والثابت والمتغير، ناجي مصطفى بدوي مؤتمر مكة الثالث عشر بعنوان: المجتمع المسلم الثوابت والمتغيرات، / 1- 5 / ذو الحجة / 1433- 20- 21 / 10 / 2012.
- 328 -التخطيط للتقدم الاقتصادي والاجتماعي، مجيد مسعود، / 42، سلسلة عالم المعرفة، جانفي / 1978.
- 329 -التضامن الإنساني، سبل حماية البيئة العذبة، أميمة الزين، المؤتمر الدولي العاشر حول التضامن الإنساني، 18- 20 / 11 / 2015، طرابلس-لبنان.
- 330 -حماية الكرامة الإنسانية في السنة النبوية، خديجة بنت عبد الحليم بن إيشان تركستاني، مجلة البحوث الإسلامية العدد: العدد المائة الإصدار من رجب 1434 هـ إلى شوال 1434 هـ.
- 331 -الحوار الثقافي الحضاري في خدمة السلام، رؤية إسلامية، محمود عكّام، مؤتمر مكة الخامس، رابطة العالم الإسلامي.
- 332 -الحوار النبوي مع المخالف والمستفهم، وأثره في الإيمان والأمن، خالد لن ناصر حسين الغامدي، / 13 المجلة العربية في الدراسات الأمنية والتدريب، مج / 29، العدد / 57.
- 333 -حول مفهوم الحضارة، حسن الأمراي، مجلة حراء ص 54 العدد 31 السنة السابعة 2012.
- 334 -الدعوة ضرورة إنسانية، محمد أبو الفتح البيانوني، 1 / 69، مؤتمر الدعوة الإسلامية الحاضر والمستقبل رابطة العالم الإسلامي -المملكة العربية السعودية.
- 335 -دور المؤسسات الخيرية في تنمية العلاقات الدولية والتواصل الحضاري، خالد صالح محمد باحجر، بحث مقدم إلى المؤتمر الخليجي الخليجي، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، 20- 22 / 01 / 2008.
- 336 -السفارة والسفراء، عثمان بن جمعة ضميرية، مجلة دعوة الحق، العدد / 191، ت ط / 1- 3 / 1421- 3 / 6 / 2000 م.
- 337-شهادات استشرافية أنصفت الحضارة الإسلامية، د عماد عجوة، ص: 51 -مجلة حراء، العدد التاسع السنة الثالثة أكتوبر - ديسمبر 2007.
- 338 -صورة الإسلام في الغرب بين حملات التشويه، وواجب التصحيح، مجموعة من المؤلفين، بحث مقدم في مجال تصحيح صورة الإسلام، بكلية الشريعة بفاس في 9 / 05 / 2006، مطبعة أنفو براين، فاس، المغرب.
- 339 -ضوابط إغاثة غير المسلمين في العمل الخير الإسلامي، أسامة علي الفقير الربابعة، بحث مقدم إلى مؤتمر العمل الخيري الخليجي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، دبي -الإمارات العربية المتحدة 20- 21 / 01 / 2008.
- 340 -ضوابط الحوار مع الآخر، سعد عبد الله عاشور، العدد، 16 /، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإسلامية العدد الأول جانفي / 2008.
- 341 -طبيعة العلاقة بين المسلمين وغيرهم من الأمم، محمد علي سليم الهواري، مجلة الجامعة الإسلامية -سلسلة الدراسات الإسلامية، العدد / 2، يونيو 2011.
- 342 -العمل الاجتماعي ودوره في التنمية، إدريس بوحوت، مجلة الوعي، العدد / 565، جويلية -أوت / 2012.
- 343 -العمل الاجتماعي ودوره في التنمية، إدريس بوحوت، مجلة الوعي، العدد / 565، جويلية -أوت / 2012.

- 344 - العمل الخيري الإسلامي بين التأصيل وإمكانات التفعيل، فاتحة فاضل العبدلاوي، / 17 - 18.
- 345 - العمل التطوعي من منظور إسلامي، محمد عبد الفتاح شاهين - إسماعيل محمد شندي، بحث مقدم إلى مؤتمر العمل التطوعي في فلسطين - واقع واحتياجات - 1434 - 2012. جامعة القدس المفتوحة - رام الله.
- 346 - فقه الدعوة في الغرب، ووجوب تجديدها على الحكمة والوسطية والاعتدال، علي بن محمد الريسوني مجلّة الأمن والحياة العدد 335 ربيع الآخر - 1431.
- 364 - فقه الأقليات المسلمة بين فقه الاندماج " المواطنة " وفقه العزلة ، قراءة سياسية في واقع المسلمين في أوروبا ، نادية محمود مصطفى ، / 16 ، مؤتمر الفقه السياسي في أوروبا - مجلس الإفتاء الأوربي .
- فقه العيش المشترك " المواطنة نموذجاً " ، يوسف القرضاوي ، المجلة العلميّة للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث / العدد الثالث والعشرون ، جانفي / 2017 - ربيع الثاني / 1438
- فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد ، ودوره في الرقي بالدعوة الإسلامية ، حسن أحمد أبو عجوة / ، مؤتمر الدعوة الإسلاميّة ومتغيّرات العصر بتاريخ : 7 - 8 / ربيع الأول / 1426 - 16 - 17 / 04 / 2005 .
- فقه المواطنة للمسلمين في أوروبا ، عبد المجيد التّجار ، / .
- قاعدة الضرورات تبيح المحظورات وتطبيقاتها المعاصرة في الفقه الإسلامي ، حسن السيّد خطاب ، / 165 - 166 مجلة الأصول والتّوازل ، العدد / 2 ، رجب - 1430 ،
- 347 - الكرامة الإنسانية وأثرها في البناء الحضاري، ربيع خليفة بيومي، مجلة الحراء، العدد / 49
- 348 - المصالح المرسلّة والمشترك الإنساني "بحث في أصول السياسة الشرعية" ، إدريس الفاسي الفهري، ندوة: تطور العلوم الفقهيّة الفقه الإسلامي: المشترك الإنساني والمصالح 6 - 9 / 4 / 2014 م المحور: السياسة الشرعية وفقه المشترك الإنساني.
- 349 - المشقة تجلب التيسير، د / علي أبو البصل، مجلة الحكمة، العدد / 17، شوال / 1419.
- 350 - منهج القرآن في دعوة غير المسلمين، زكريا إبراهيم الزميلي، مؤتمر الدّعوة الإسلاميّة ومتغيّرات العصر ت / 7 - 8 ربيع الأول / 1426 الموافق ل: 16 - 17 / 2005، جامعة عزة الإسلاميّة
- 351 - الوقف العالمي، أحكامه ومقاصده - مشكلاته وآفاقه، نور الدين الخادمي، مداخلة علمية بالمؤتمر الثاني للأوقاف الصيغ التنموية والرؤى المستقبلية في رحاب جامعة أم القرى بمكة المكرمة في شهر شوال من عام 1427 هـ
- ❖ رسائل جامعية:
- 352 - الأحكام والضوابط العقديّة المتعلّقة بالحوار مع غير المسلمين، سهل بن رفاع بن سهيل العتيبي، قسم الدراسات الإسلاميّة كليّة التربية، جامعة الملك سعود، الرياض - المملكة العربيّة السّعوديّة
- 353 - حوار الحضارات - دراسة عقديّة في ضوء الكتاب والسنة - فهد بن عبد العزيز بن عبد الله السنيدي، رسالة دكتوراه، إشراف الدكتور، مازن بن صالح المطبقاني، قسم الثقافة الإسلاميّة، كليّة التربية جامعة الملك سعود 1429 - 1430 المملكة العربيّة السّعوديّة.

- 354 - الحوار في القرآن الكريم، معن محمد عثمان ضمرة، إشراف محمد حافظ الشريدة، أطروحة لنيل درجة الماجستير في أصول الدين، جامعة النجاح الوطنيّة - نابلس، فلسطين، 2005.
- 355 - القوة المفرطة في الحرب، دراسة فقهيّة مقارنة، فاتنة إسماعيل الشوبكي رسالة ماجستير، كليّة الشريعة والقانون، جامعة غزّة الإسلاميّة فلسطين.
- 356 - المراكز الإسلاميّة في إيطاليا ودورها في الدّعوة إلى الله - مركز دار السّلام ب روما أمّودجا "الواقع والمأمول" إعداد: محسن مبارك عبد العظيم عرفة، أطروحة علميّة لنيل درجة الماجستير - الجامعة الإسلاميّة العالميّة، قسم الدّعوة والثّقافة الإسلاميّة إشراف ياسر لمعي عبد المنعم - منصور سبالك، ت م / 1435 - 2015.
- 557 - وسائل الدّعوة إلى الله في شبكة المعلومات الدّولية - الانترنت - وكيفية استخدامها الدّعويّة، إبراهيم عبد الرحيم عابد رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، تاريخ المناقشة / 7 - 5 - 0 - 1427.

فهرس الموضوعات

جامعة الأمير
القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

الإهداء

شكر وتقدير

أ..... المقدمة

الفصل التمهيدي: مقصد التعاون الحضاري الإنساني "مصطلحات ومفاهيم"

10..... المبحث الأول: معنى مقصد التعاون الحضاري الإنساني

10..... المطلب الأول: معنى مقصد لغة وا □ طلاحا

10..... الفرع الأول: معنى مقصد لغة

11..... الفرع الثاني: معنى المقاصد اصطلاحا

14..... المطلب الثاني: المعنى اللفظي للتعاون الحضاري الإنساني

14..... الفرع الأول: معنى التعاون

15..... الفرع الثاني: معنى لفظه حضاري

19..... الفرع الثالث: معنى الإنساني

22..... المبحث الثاني: مفاهيم ذات □ لة بالموضوع

24..... المطلب الأول: الأسس العقديّة والفكرية للحضارة الإسلاميّة والحضارة الغربية

24..... الفرع الأول: التعريف بالحضارة الإسلاميّة والحضارة الغربيّة اصطلاحا

25..... الفرع الثاني: الأسس العقديّة والفكرية للحضارة الإسلاميّة

28..... الفرع الثالث: الأسس العقديّة والفكرية في الحضارة الغربية

31..... المطلب الثاني: المفارقة التاريخيّة بين الحضارة الإسلاميّة والحضارة الغربية

31..... الفرع الأول: مفارقة بين نصوص تاريخية

34..... الفرع الثاني: مفارقة بين مشاهد تاريخية

37..... المطلب الثالث: نقطة التقاء إيجابية بين الحضارة الإسلاميّة والحضارة الغربية "ماضيا وحاضرا

37..... الفرع الأول: فضل الحضارة الإسلاميّة على الحضارة الغربية في المجال العلمي والثقافي

39..... الفرع الثاني: فضل الحضارة الغربية على الحضارة الإسلاميّة في المجال العلمي والتكنولوجي

الفصل الأول: مقصد التعاون الحضاري الإنساني: التاصيل الشرعي، والعقدي والفقي

45..... المبحث الأول: التأ □ يل الشرعي للتعاون الحضاري الإنساني

46..... المطلب الأول: التأ □ يل الشرعي للتعاون الحضاري الإنساني من القرآن الكريم

46..... الفرع الأول: آيات عامة دالة على عالمية الرسالة المحمدية لكافة البشرية

- 47..... الفرع الثاني: آيات دالة عن الاتفاق والمشاركة بين المسلمين وغير المسلمين
- 55..... الفرع الثالث: آيات صريحة داعية للتعاون الحضاري الإنساني
- المطلب الثاني: التعاون الإنساني والاقتصادي، والحوار الديني الحضاري من خلال السيرة النبوية الشريفة
- 60.....
- 60..... الفرع الأول: التعاون الإنساني الحضاري من خلال السنة النبوية الشريفة
- 66..... الفرع الثاني: التعاون الحضاري الإنساني في المجال الاقتصادي من السنة النبوية الشريفة
- 69..... الفرع الثالث: تطبيق لمقصد حوار الأديان في عهد الحبيب صلى الله عليه وسلم
- 70..... المطلب الثالث: التعاون السياسي الحضاري من خلال السيرة النبوية الشريفة
- 70..... الفرع الأول: صلح الحديبية بداية الفتح المبين لمقصد التعاون السياسي الحضاري المثمر
- 77..... الفرع الثاني: السفراء في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم دليل على تعامله مع الآخرين فيما يخدم خير البشرية..
- 79..... الفرع الثالث: الإعلان التاريخي عن الوحدة الإنسانية، والمساواة البشرية في حجة الوداع وأهم مقاصده
- 82..... المبحث الثاني: التآويل العقدي للتعاون الحضاري الإنساني
- المطلب الأول: حقيقة الولاء والبراء في الشريعة الإسلامية
- 83.....
- 80..... الفرع الأول: حقيقة الولاء والبراء
- 86..... الفرع الثاني: محطات تاريخية لواقع تطبيقه
- 100..... المطلب الثاني: مشروعية الولاء والبراء، وعلاقته بمسألة مقصد التعاون الحضاري الإنساني
- 100..... الفرع الأول: أدلة الولاء والبراء من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة
- 108..... الفرع الثاني: علاقة مسألة الولاء والبراء بمقصد التعاون الحضاري الإنساني
- 114..... المبحث الثالث: "مسألة أهل العلاقة بين المسلمين وفقه المواطنة للأقليات المسلمة
- المطلب الأول: أقوال العلماء وأدلتهم في مسألة علاقة المسلمين بغيرهم
- 115.....
- 115..... الفرع الأول: مسألة أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم هل هي سلام أم حرب؟
- 116..... الفرع الثاني: الأدلة الفقهاء في مسألة العلاقة بين المسلمين هل هي السلم أم الحرب؟
- 127..... الفرع الثالث: المناقشة والترجيح
- المطلب الثاني: فقه المواطنة للأقليات المسلمة بالغرب قواعدها الأصولية وبعدها المقاصدي
- 143.....
- 143..... الفرع الأول: تعريف فقه المواطنة للأقليات المسلمة
- 144..... الفرع الأول: البعد المقاصدي للمواطنة "ضرورة الوجود الإسلامي بالغرب
- 146..... الفرع الأول: أهم القواعد الأصولية الضابطة لفقه المواطنة للأقليات المسلمة

الفصل الثاني: أهم آيات مقصد التعاون الحضاري الإنساني

- 152.....المبحث الأول: الدعوة إلى الله عز وجل، الحوار الحضاري الإنساني
- 153.....المطلب الأول: آلية الدعوة إلى الله عز وجل
- 154.....الفرع الأول: حقيقة آلية الدعوة إلى الله
- 161.....الفرع الثاني: منهج الدعوة العالمية إلى الله، وأهم وسائلها، وواقعها في العصر الحاضر
- 181.....المطلب الثاني: آلية الحوار الحضاري الإنساني
- 182.....الفرع الأول: معنى الحوار الحضاري، ومشروعيته
- 192.....الفرع الثاني: أهم مقاصد الحوار الحضاري الإنساني في الشريعة الإسلامية، وضوابطه
- 201.....الفرع الثالث: المبادرات العملية لحوار الحضارات، وواقعه اليوم
- 209.....المبحث الثاني: آلية العمل السياسي والاجتماعي
- 214.....المطلب الأول: آلية العمل السياسي
- 214.....الفرع الأول: حقيقة آلية العمل السياسي
- 225.....الفرع الثاني: مبادئ العمل السياسي الدولي، وأهم مؤسساته في العصر الحاضر
- 236.....المطلب الثاني: آلية العمل الاجتماعي
- 236.....الفرع الأول: معنى العمل الاجتماعي، وأهم مقاصده
- 255.....الفرع الثاني: أهم مظاهر العمل الاجتماعي، وعوامل نجاحه

الفصل الثالث: مقصد التعاون الحضاري الإنساني التنزيل على الواقع

- 271.....المبحث الأول: تنزيل مقصد التعاون الحضاري الإنساني على الواقع
- 272.....المطلب الأول: تنزيل مقصد التعاون الحضاري على الواقع الاقتصادي والثقافي
- 266.....الفرع الأول: معنى التنزيل والواقع لغة واصطلاحا
- 278.....الفرع الثاني: تنزيل واقع التعاون الحضاري الإنساني على الواقع الاقتصادي
- 278.....الفرع الثالث: تنزيل واقع التعاون الحضاري الإنساني على الواقع الثقافي والفكري
- 292.....المطلب الثاني: تنزيل مقصد التعاون الحضاري الإنساني على الواقع السياسي والاجتماعي
- 293.....الفرع الأول: تنزيل مقصد التعاون الحضاري الإنساني على الواقع السياسي
- 302.....الفرع الثاني: تنزيل مقصد التعاون الحضاري الإنساني على الواقع الاجتماعي
- 311.....المطلب الثالث: فقه المواطنة للأقليات المسلمة بالغرب، التنزيل على الواقع
- 311.....الفرع الأول: الأقليات المسلمة بالغرب وفقه الدعوة " التنزيل على الواقع
- 313.....الفرع الثاني: الأقليات المسلمة بالغرب وفقه الحوار الحضاري " التنزيل على الواقع
- 315.....الفرع الثاني: الأقليات المسلمة بالغرب وفقه العمل السياسي " التنزيل على الواقع
- 317.....الفرع الرابع: الأقليات المسلمة بالغرب والواقع الاقتصادي

- 320.....المبحث الثاني: مقصد التعاون الحضاري عوامل فشله ، وسبل النهوض به
- 321.....المطلب الأول: العوامل المؤثرة سلبا على واقع مقصد التعاون الحضاري الإنساني
- 321.....الفرع الأول التعصب الديني والطائفي :
- 333.....الفرع الثاني: الإرهاب الدولي
- 348.....المطلب الثاني: فقه مقاصد السنن الإلهية سبيلا للنهوض بمقصد التعاون الحضاري الإنساني
- 348.....الفرع الأول: معنى السنن الإلهية وعلاقتها بمقصد التعاون الحضاري الإنساني
- 360.....الفرع الثاني: أهم السنن الإلهية المساهمة في نجاح مقصد التعاون الحضاري الإنساني

الفهارس العامة

- 379.....خاتمة
- 384.....فهرس الآيات القرآنية
- 395.....فهرس الآيات والأحاديث
- 3.....فهرس الأعلام
- 386.....فهرس المصادر والمراجع
- 410.....فهرس الموضوعات

خلاصة عامة:

إنّ الفهم القاصر لحقيقة مقصد التعاون الحضاري الإنساني، كان له أثر كبير فيما تعانيه الأمة الإسلامية من تخلف في كلّ مجالات حياتها؛ لأجل ذلك حاولت في هذا البحث معالجة هذه الإشكالية، وذلك من خلال الفصول الآتية:

في الفصل التمهيدي: حدّدت فيه مصطلحات هذا البحث، وهذا ملخصه:

"إنّ معنى مقصد التعاون الحضاري الإنساني باعتباره مركّباً إضافياً، هو التعاون على أساس المبادئ والقيم الخلقية المشتركة بين الناس على اختلاف انتماءاتهم الحضارية والمذهبية والثقافية والدينية، ومن أجل بناء أسس للتواصل بين مختلف الحضارات والثقافات الإنسانية، وفتح مدخل واسع للتعاون في القضايا المشتركة، فمن اختلاف حسن تدبير الاختلاف بين الناس الكشف عن المؤتلف بينهم الذي غالباً ما تصرفه حدّة الاختلاف التي تؤوّل في العمق إلى تحقيق الصّالح العام ممّا يجلب الخير للبشريّة في الدّنيا والآخرة".

هذا التعريف دفعنا للبحث عن المقارنة والمفارقة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية التي نريد أن نتعاون معها وفق مقصد التعاون الحضاري الإنساني.

فمن أهمّ الأسس العقديّة والفكرية للحضارة الإسلاميّة والحضارة الغربيّة نذكر:

- الحضارة الإسلاميّة خاصيتها وركيزتها التي تقوم عليها: الرّبانيّة و الاستخلاف الإلهي، وكذلك الثّبات والأخلاق الفاضلة، وخاصيتها أيضاً الشّهادة على النّاس "عالميّة الحضارة الإسلاميّة".

- أمّا الأسس العقديّة والفكرية للحضارة الغربية نلخصها فيما يأتي:

الأسس العقديّة تتسم بالاضطراب والتخبّط، أمّا الأسس الفكرية فتحكمها السّداسيّة الآتية: التّطور، التنافس الصّراع، الجنس، النسبيّة، الوضعيّة.

إنّ الفرق واضح بين الحضارة الإسلاميّة والحضارة الغربيّة من خلال الأسس العقديّة والفكرية، والقيم الأخلاقيّة التي لخصناها آنفاً، فذكرنا نصوصاً ومواقف موجزة للصّحابة الكرام، وبعض مفكّري الإسلام، تبين بصدق إنسانيّة الحضارة الإسلاميّة، ورحمتها وعدلها مع الحضارة الغربيّة.

في المقابل نصوص رجال الدّين ومفكّري الغرب تحمل أقصى معاني الحقد والغلّ والزّهو في تعاملهم مع الحضارة الإسلاميّة.

مشاهد تاريخيّة من الفتوحات الإسلاميّة زادت الحضارة الإسلاميّة عزّاً وشرفاً في تعاملهم مع الغرب.

أما مشاهد الحروب الصليبية لخصت وحشية الحضارة الغربية، وفضاعة المعاملة اللاإنسانية، مجازر كبيرة في حق مسلمي الأندلس الجريحة.

رغم هذه المفارقة التاريخية بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، فهناك نقطة التقاء إيجابية بينهما ماضيا وحاضرا " التلاقي والتفاعل في المجال العلمي والثقافي.

إنها نقطة إيجابية تجمعنا مع الحضارة الغربية ماضيا وحاضرا، وهي الحركة العلمية والثقافية فقد تلاقحت الحضارتان وتفاعلتا معا حتى غدت كل واحدة منهما منارة، فالعرب أشعلوا سراج ثقافتهم في البداية من ثقافة اليونان، فما لبثوا أن أصبحوا شعلة وهاجة استضاء بنورها أهل الأرض.

أما خلاصة الفصل الأول الذي عنوانته ب: " مقصد التعاون الحضاري الإنساني: التأسيس الشرعي والعقدي والفقهية فقسمته إلى ثلاثة مباحث:

في المبحث الأول: قسمته إلى ثلاثة مطالب تناولت في المطلب الأول: الأدلة الشرعية الداعية للتعاون الحضاري الإنساني من خلال القرآن الكريم استقرأت فيه أهم الآيات: - العامة الدالة على عالمية الرسالة المحمدية لكافة البشرية.

- آيات دالة عن الاتفاق والمشاركة بين المسلمين وغير المسلمين.

- آيات دالة على الاختلافات الطبيعية والفكرية والمقاصد الشرعية منها.

- آيات صريحة داعية للتعاون الحضاري الإنساني.

أما في المطلب الثاني: فقد خصصته للأدلة الشرعية من خلال السيرة النبوية الشريفة الداعية إلى التعاون الإنساني والاقتصادي من خلال مواقف عملية رائعة، وصور عظيمة للتعامل الحضاري للحبيب صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين.

كذلك مواقف في بيعه وشرائه، وفي سلفه تنم كلهما عن رقي حضاري وتعاون أخلاقي فد مع غير المسلمين

- ومواقف في حوار مع أصحاب الأديان الأخرى.

في المطلب الثالث: تناولت فيه مواقف لتعاونه السياسي الحضاري مع غير المسلمين أهم هذه المواقف صلح الحديبية، بداية الفتح المبين لمقصد التعاون السياسي الحضاري المثمر.

كذلك السفراء في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم دليل على تعامله مع الآخرين فيما يخدم خير البشرية ذكرت فيه بعض النماذج من رسائله إلى ملوك العالم في ذلك العصر.

- كما تناولت أيضا الإعلان التاريخي عن الوحدة الإنسانية، والمساواة البشرية في حجة الوداع وأهم مقاصده.

في المبحث الثاني: خصصته لمسألة الولاء والبراء كتأصيل عقدي للتعاون الحضاري الإنساني، فبينت في المطلب الأول: حقيقة الولاء والبراء في الشريعة الإسلامية، مع ذكر محطات تاريخية لواقع تطبيقه، وكذا عقيدة الولاء والبراء في عصرنا الحاضر.

في المطلب الثاني: تناولت فيه مشروعية الولاء والبراء، وعلاقته بمقصد التعاون الحضاري الإنساني فاستقرت أدلة هذا الأصل من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وأخيرا وضحت العلاقة بين مقصد التعاون الحضاري الإنساني ومسألة الولاء والبراء.

في المبحث الثالث من هذا الفصل، خصصته

ففصلت في المطلب الأول: مسألة أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم .

وفي المطلب الثاني. وفقه المواطنة للمواطنة

في الفصل الثاني: تناولت فيه قضية آيات مقصد التعاون الحضاري الإنساني. قسمته إلى ثلاثة مباحث

في المبحث الأول: خصصته للحديث عن آياتي: الدعوة إلى الله، والحوار الحضاري الإنساني.

فقسمته إلى مطلبين: في المطلب الأول: بينت فيه حقيقة آلية الدعوة إلى الله تعالى، ومنهج الدعوة العالمية

إليه سبحانه وتعالى، وأهم وسائلها في العصر الحاضر، حيث عرفت فيه معنى الدعوة إلى الله، وفضلها وأهم سمات الداعية، كذلك بينت في هذا المطلب أهم وسائل الدعوة إلى الله في العصر الحاضر، مع ذكر نماذج تطبيقية وواقعها.

في المطلب الثاني: خصصته لآلية الحوار الحضاري الإنساني، حددت فيه معنى الحوار الحضاري الإنساني

واستقرت أهم الأدلة الشرعية من القرآن والسنة.

كما حاولت تبين أهم مقاصد الحوار الحضاري الإنساني في الشريعة الإسلامية، وضوابطه. وذكرت أيضا

في هذا المطلب أهم المبادرات العملية للحوار الحضاري وواقعه اليوم.

أما المبحث الثاني: تناولت فيه آياتي العمل السياسي والاجتماعي، قسمته إلى مطلبين

في المطلب الأول: خصصته لآلية العمل السياسي بينت فيه حقيقة العمل السياسي، ودليل مشروعيته

وأهم ضوابطه، كما وضحت فيه أهم القواعد الأصولية الحاكمة للعمل السياسي في إطار المنظمات الدولية، ومبادئه وأهم مؤسساته في العصر الحاضر.

في المطلب الثاني: تحدثت فيه عن آلية العمل الاجتماعي، وأهم مقاصده وأسسها، كما حدّدت فيه أهم مظاهره، وركّزت فيه عن الحديث على العمل الخيري والتطوعي الإنساني، ودور المؤسسات الخيرية في تنمية العلاقات الدولية.

كذلك فصّلت الحديث عن مظهر الوقف العالمي كمظهر من مظاهر العمل الاجتماعي، فبيّنت معناه وحكمه وأدلة مشروعيته، وأهم مقاصده.

أما عوامل نجاح العمل الاجتماعي فقد حطّتها في عاملين اثنين هما: عامل التنظيم والتخطيط، وعامل الاستمرارية.

في الفصل الثالث والأخير خصّصته للحديث وقد قسمته إلى مبحثين. تنزيل مقصد التعاون الحضاري الإنساني على الواقع أمّا في المبحث الثاني من هذا الفصل: فتناولت فيه الحديث عن واقع التعاون الحضاري الإنساني، في مطلبه الأول ذكرت فيه تنزيل مقصد التعاون الحضاري على الواقع الاقتصادي والثقافي.

أما في المطلب الثاني فخصّصته للحديث تنزيل مقصد التعاون الحضاري الإنساني على الواقع السياسي والاجتماعي، فبدأته بواقع التعاون السياسي من خلال إبراز أهم مؤسسات التعاون السياسي الدولي، وواقع هذا التعاون.

أما بالنسبة لواقع التعاون والتضامن الاجتماعي الإنساني، فبيّنت فيه، واقع التعاون الدولي لمكافحة الفساد الاجتماعي، وكذا التعاون الدولي لمكافحة جريمة المخدرات.

كذلك تحدثت عن واقع التعاون في مجال العمل الخيري الإنساني في المجتمع الغربي، وفي العالم الإسلامي. في المطلب الثالث تحدثت عن: فقه المواطنة للأقليات المسلمة بالغرب، التنزيل على الواقع.

في المبحث الثاني: مقصد التعاون الحضاري عوامل فشله، وسبل النهوض به تناولت في أمّا في المطلب الأول: فوضحت فيه أهم عوامل فشل مقصد التعاون الحضاري الإنساني، بدأتها بالحديث عن عامل التعصب الديني والطائفي، أمّا العامل الثاني، فهو عامل الإرهاب الدولي وآثاره الوخيمة على مقصد التعاون الحضاري الإنساني.

مطلبه الثاني: فقه مقاصد السنن الإلهية سبيل للنهوض بمقصد التعاون الحضاري الإنساني حيث بينت فيه بداية، معنى السنن الإلهية وعلاقتها بمقصد التعاون الحضاري الإنساني، ثم فصلت في أهم السنن الإلهية المساعدة على نجاحه وهي: سنّة الاستخلاف، سنّة التدافع، سنّة التداول وفي الأخير فصلت الحديث عن سنّة التغيير.

هذا مجمل ملخص بحثي، فإن أصبت فمن الله وحدثه لا شريك له وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان الرَّحيم، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Résumé

L'incompréhension de la visée culturelle de la coopération humanitaire a visiblement participé à l'état de sous développement que vit la nation islamique dans tous les domaines. Pour cette raison, on a dévoué notre travail de recherche pour l'étude de cette problématique à travers les chapitres suivants:

De prime à bord, on a commencé notre travail par une introduction où on y insère le jargon spécifique à cette étude, il ce résume comme suit :

Le sens de la coopération culturelle et humanitaire en tant que procédure complexe est la coopération fondée sur des principes communs et des valeurs morales chez les personnes appartenant à des différentes civilisations, doctrines, cultures et religions, aux fins de mettre en œuvre les fondements de la communication entre les différentes civilisations et cultures, et ouvrir les portes à la coopérations dans les questions d'intérêt commun. Le bon sens dans la gestion de la différence entre les gens est de détecter les points en communs entre eux qui en le fond arrivent à faire du bien de part et d'autre qui va se répercuter par ricochet sur l'humanité dans le monde d'ici bas et de l'au-delà ."

Cette définition nous a incités à guider notre recherche vers la comparaison et le contraste entre la civilisation islamique et la civilisation occidentale avec qui nous voulons coopérer dans le sens culturelle et humanitaire.

Parmi les plus importants fondements idéologiques et intellectuels de la civilisation islamique, on cite :

-Les particularités et les fondements de la civilisation islamique sont : la divinité et la succession divine, la stabilité et la bonne moralité, ainsi que le calque sur les personnes « l'universalité de la civilisation islamique ».

Les fondements idéologiques et intellectuels de la civilisation occidentale par ailleurs se résument comme suit:

Les fondements idéologiques sont caractérisés par l'instabilité et la confusion, les fondements intellectuels par ailleurs sont fondés sur les six axiomes, soient : le développement, la concurrence, le conflit, le sexe, la relativité, le positivisme.

La différence entre la civilisation islamique et la civilisation occidentale dans les valeurs idéologiques, intellectuelles et morales ci-dessus expliquées est évidente. A cet égard, nous avons cité quelques textes et quelques positions des compagnons du prophète et certains penseurs de l'islam, montrant avec évidence l'humanisme de la civilisation islamique, sa mansuétude et son comportement correct vis à vis de la civilisation occidentale.

D'autre part, les textes des religieux et des penseurs de l'Occident portent beaucoup de haine, de rancune et de fierté dans leurs rapports avec la civilisation islamique.

De nombreuses scènes historiques des conquêtes islamiques ont attribué plus d'honneur à la civilisation islamique à travers les relations avec l'Occident. Mais Les scènes des croisades résument la brutalité de la civilisation occidentale, de l'horreur des actes inhumains, des grands massacres contre les musulmans dans la sinistre Andalousie.

En dépit de ces paradoxes historiques entre la civilisation islamique et la civilisation occidentale, un point de rencontre existait et existe entre les deux parties : « L'échange et l'interaction dans le domaine scientifique et culturel ».

Cet espace que nous partagions dans le passé et nous partageons au présent avec la civilisation occidentale est salubre puisqu'il a contribué au mouvement des échanges scientifique et culturel où chacune prend de l'autre. Les Arabes ont illuminé leur culture d'abord de ce qu'ils ont importé de la culture de la Grèce, elle rayonnait jadis et éclairait toute l'humanité.

Vient ensuite le résumé du premier chapitre intitulé "Sens de la coopération culturelle et humanitaire: fondements religieux, de la croyance et du fiqh » il est divisé en trois sections:

La première section est dédiée à trois parties déjà traitées dans le premier chapitre : Les évidences de la religion appelant à la coopération dans le domaine humanitaire et dans la civilisation à travers quelques versets coraniques d'où nous retiendrons :

- Des versets générales exprimant l'universalité du message du prophète Mohamed destiné à l'humanité toute entière.
- Des versets exprimant l'accord et la coopération entre les musulmans et les non musulmans
- Des versets exprimant sur les différences naturelles et intellectuelles et ses finalités religieuses.
- Des versets appelant à la coopération humanitaire et civique.

La deuxième section est dédiée aux évidences religieuses à travers la Sunna du prophète appelant à la coopération humanitaire et économique via des positions et des images merveilleux du comportement civique du prophète - QSSSL - avec des non musulmans. Ceci peut apparaître clairement à travers sa conduite dans l'achat la vente et le crédit, qui s'est répercuté par ailleurs sur ses compagnons reflétant ainsi le progrès d'une civilisation et d'une coopération éthique avec les non musulmans. Elle peut aussi paraître à travers ses positions dans le dialogue avec les autres religions.

Dans la troisième partie: nous avons étudié les positions politiques de sa coopération culturelle avec les non musulmans. Parmi les plus importantes positions, on trouve le pacte de Hudaibiya (Sulh Al Hudaybiya) qui incarne le début d'une coopération culturelle et politique fructueuse. Les émissaires à l'époque du prophète - QSSSL -

étaient la preuve de l'existence de relations avec les autres dans le sens de servir l'humanité. A cet égard, on a cité quelques lettres destinées à certains rois du monde à cette époque. On a également inséré la déclaration historique de l'unité humaine et l'égalité durant le dernier pèlerinage du prophète.

La deuxième section est réservée à la question de la loyauté et le désaveu à titre de fondement dans la coopération civique et humaine. On a précisé les sens de ses deux concepts d'un point de vue islamique, les étapes historiques de la réalité de son application, ainsi que la doctrine de la loyauté et le désaveu à l'époque actuelle.

On s'est intéressé en deuxième lieu, on a étudié la légalité des concepts de la loyauté et le désaveu et sa relation avec la coopération culturelle et humanitaire à partir du Coran et de la Sunna, et on a expliqué enfin la relation entre la coopération culturelle humaine et la question de la loyauté et le désaveu.

La troisième partie de ce chapitre est dédiée à la question de l'origine de la relation entre les musulmans et les autres, et sa pertinence dans visée de la coopération culturelle et humanitaire.

Dans la première section, on a inséré les plus importantes positions des savants, et leurs évidences dans la question des relations des musulmans avec les autres.

La deuxième section comporte une discussion sur ces évidences et leurs prépondérances.

Dans le second chapitre, on a étudié les mécanismes de la coopération civique et humanitaire. Il est divisé en trois sections :

La première section est dédiée au mécanisme de la Daawa et le dialogue des civilisations. Dans sa première partie, on a éclairci la véridique Daawa, sa méthodologie et ses moyens actuellement. La deuxième partie est réservée au mécanisme du dialogue des civilisations en précisant le sens du dialogue à partir du Coran et la Sunna.

Dans la deuxième section, on a étudié les mécanismes de l'action politique et sociale. Dans sa première partie, on a parlé de la qualité de l'action politique, sa légalité et sa régulation, ainsi que les importantes bases de la pratique politique dans les organisations internationales, ses principes et ses institutions actuelles. Dans la deuxième partie, on a discuté du mécanisme de l'action sociale, ses sens et ses principes. On a également identifié ses aspects, tout en parlant de l'action humanitaire caritative et bénévole, et le rôle des organismes de bienfaisance dans le développement des relations internationales. On a aussi parlé de l'aspect du Waqf mondial en tant qu'action sociale, tout en tirant au clair son sens, sa légalité et de l'évidence de sa légitimité, ses objectifs les plus importants. On ce qui concerne les facteurs de réussite

des actions sociales, on les a résumés en deux facteurs: le facteur d'organisation et de planification, puis le facteur de la continuité.

Le troisième et dernier chapitre est destiné à la discussion des facteurs de réussite ou de l'échec de la coopération culturelle et humanitaire et sa réalité, il a été divisé en deux sections.

La première intitulée « Facteurs de réussite ou d'échec de la coopération des civilisations de nos jours ».

Dans la première section, on a discuté des facteurs de réussite et d'échec d'une coopération civique et humanitaire de l'époque actuelle suivant la loi divine, tout en expliquant le sens de la loi divine et sa relation avec l'esprit de la coopération civique et humanitaire, puis on a cité quelques fondements nécessaires à sa réussite, à savoir: la succession, la concurrence et l'alternance.

Dans la deuxième partie, on a expliqué les plus importants facteurs contribuant à l'échec de la coopération civique et humanitaire, en commençant par le facteur du fanatisme religieux et le sectarisme. Le deuxième facteur est relatif au terrorisme international et ses répercussions sur la visée de la coopération civique et humanitaire.

Dans la deuxième section de ce chapitre, on a discuté de la réalité de la coopération civique et humanitaire. On a précisé dans sa première partie la réalité de coopération mondiale économique et intellectuelle. Dans la deuxième partie, on a discuté de la réalité de la coopération sociale et politique à l'époque actuelle, on a parlé en premier lieu de la réalité de la coopération politique et les plus importantes institutions de coopération politique international.

Quant à la réalité de la coopération sociale et de la solidarité humaine, on a exposé la réalité de la coopération internationale dans la lutte contre les fléaux sociaux, ainsi que la coopération internationale dans la lutte contre les stupéfiants.

On a aussi parlé de la réalité de la coopération dans le domaine de l'action caritative et humanitaire dans la société occidentale, et dans le monde islamique.

Ceci est le résumé général de mon travail de recherche, s'il est bien fait, c'est grâce à la précieuse aide de Dieu, s'il est mal fait, c'est à cause de moi et de satan. Que Dieu nous alloue son aide, il n'a de puissance que par Allah.

Summary

The misunderstanding of the cultural aim of humanitarian cooperation has obviously participated in the underdeveloped state that the Islamic nation lives in all fields. For this reason, our research work has been devoted to the study of this problematic through the following chapters:

As a bonus on board, we began our work with an introduction where we insert the jargon specific to this study, it summarizes as follows:

The sense of cultural and humanitarian cooperation as a complex procedure is cooperation based on common principles and moral values among people belonging to different civilizations, doctrines, cultures and religions, in order to implement the foundations of Communication between different civilizations and cultures, and open the doors to cooperation in matters of common interest. Common sense in the management of the difference between people is to detect the points in common between them which in the end manage to do good on both sides which will have a repercussion on humanity in the world of "Here the base of the hereafter".

This definition has prompted us to guide our research towards the comparison and contrast between the Islamic civilization and the Western civilization with which we want to cooperate in the cultural and humanitarian sense.

Among the most important ideological and intellectual foundations of Islamic civilization are:

- The peculiarities and foundations of the Islamic civilization are: divinity and divine succession, stability and good morality, as well as the tracing on people "The universality of Islamic civilization".

The ideological and intellectual foundations of Western civilization are summarized as follows:

The ideological foundations are characterized by instability and confusion, and the intellectual foundations are based on the six axioms: development, competition, conflict, sex, relativity, positivism.

The difference between the Islamic civilization and the Western civilization in the ideological, intellectual and moral values explained above is obvious. In this regard, we have cited some texts and some positions of the prophet's companions and

some thinkers of Islam, showing clearly the humanism of Islamic civilization, its gentleness and its correct behavior towards Western civilization.

On the other hand, the texts of the religious and thinkers of the West bear a great deal of hatred, resentment and pride in their relations with the Islamic civilization.

Many historical scenes of Islamic conquests have attributed more honor to the Islamic civilization through relations with the West. But the scenes of the crusades sum up the brutality of Western civilization, the horror of inhuman acts, the great massacres against the Muslims in the sinister Andalusia.

Despite these historical paradoxes between Islamic civilization and Western civilization, there was a meeting point between the two sides: "Exchange and interaction in the scientific and cultural field".

This space that we shared in the past and we share in the present with Western civilization is salutary since it has contributed to the movement of scientific and cultural exchanges where each takes on the other. The Arabs have illuminated their culture first of all what they have imported from the culture of Greece, it once shone and enlightened all humanity.

Next comes the summary of the first chapter entitled "Sense of cultural and humanitarian cooperation: religious foundations, belief and fiqh" is divided into three sections:

The first section is devoted to three parts already covered in the first chapter: Evidences of religion calling for cooperation in the humanitarian field and in civilization through a few Qur'anic verses from which we shall retain:

- General verses expressing the universality of the message of the prophet Mohammed intended for all mankind.
- Verses expressing agreement and cooperation between Muslims and non-Muslims.
- Verses expressing on the natural and intellectual differences and its religious purposes.
- Verses calling for humanitarian and civic cooperation.

The second section is devoted to religious evidences through the Sunna of the Prophet calling for humanitarian and economic cooperation through marvelous

positions and images of the civic behavior of the Prophet - QSSSL - with non-Muslims. This can be seen clearly through his conduct in buying selling and credit, which has also reverberated to his companions reflecting the progress of a civilization and ethical cooperation with non-Muslims. It can also appear through its positions in dialogue with other religions.

In the third part: we studied the political positions of its cultural cooperation with non-Muslims. Among the most important positions is the Hudaibiya Pact (Sulh Al Hudaibiya), which embodies the beginning of a fruitful cultural and political cooperation. The emissaries at the time of the prophet - QSSSL - were proof of the existence of relationships with others in the sense of serving humanity. In this regard, some letters were sent to certain kings of the world at that time. The historical declaration of human unity and equality was also inserted during the last pilgrimage of the prophet.

The second section is devoted to the question of loyalty and disavowal as a basis in civic and human cooperation. The meanings of his two concepts were clarified from an Islamic point of view, the historical steps of the reality of its application, as well as the doctrine of loyalty and disavowal in the present day.

Secondly, the legality of the concepts of loyalty and disavowal and its relation to cultural and humanitarian cooperation from the Koran and the Sunnah have been studied, and the relationship between co-operation Culture and the issue of loyalty and disavowal.

The third part of this chapter is devoted to the question of the origin of the relationship between Muslims and others, and its relevance to cultural and humanitarian cooperation.

In the first section, the most important positions of scholars were inserted, and their evidence in the question of the relations of the Muslims with the others.

The second section discusses these evidences and their preponderances.

In the second chapter, the mechanisms of civic and humanitarian cooperation were studied. It is divided into three sections:

The first section is devoted to the Daawa mechanism and the dialogue of civilizations. In the first part, we have clarified the true Daawa, his methodology and his means at the moment. The second part is reserved for the mechanism of the

dialogue of civilizations, specifying the meaning of the dialogue from the Quran and the Sunnah.

In the second section, we studied the mechanisms of political and social action. The first part discussed the quality of political action, its legality and regulation, as well as the important foundations of political practice in international organizations, its current principles and institutions. In the second part, we discussed the mechanism of social action, its senses and its principles. Its aspects have also been identified, while speaking of charitable and voluntary humanitarian action and the role of charities in the development of international relations. We also talked about the aspect of the Waqf as a social action, while clearly drawing its meaning, its legality and the evidence of its legitimacy, its most important objectives. As for the factors of success of social actions, they have been summarized in two factors: the factor of organization and planning, and then the factor of continuity.

The third and final chapter is intended to discuss the factors of success or failure of cultural and humanitarian cooperation and its reality, it has been divided into two sections.

The first entitled "Factors of success or failure of the cooperation of civilizations nowadays".

In the first section, the success and failure factors of civic and humanitarian cooperation of the present day according to divine law were discussed, explaining the meaning of divine law and its relation to the spirit of Civic and humanitarian cooperation, and a few foundations were needed for its success, namely: succession, competition and alternation.

In the second part, the most important factors contributing to the failure of civic and humanitarian cooperation were explained, starting with the factor of religious fanaticism and sectarianism. The second factor relates to international terrorism and its repercussions on the aim of civic and humanitarian cooperation.

The second section of this chapter discussed the reality of civic and humanitarian cooperation. In its first part, the reality of global economic and intellectual cooperation was clarified. In the second part, the reality of social and political co-operation was discussed at the present time, the first was the reality of

political cooperation and the most important institutions of international political co-operation.

As to the reality of social co-operation and human solidarity, the reality of international co-operation in the struggle against social evils, as well as international co-operation in the fight against narcotics, was discussed.

We also talked about the reality of cooperation in the area of charitable and humanitarian action in Western society and in the Islamic world.

This is the general summary of my research work, if it is well done, it is thanks to the precious help of God, if it is badly done, it is because of me and satan. May God grant us his help, he has power only by Allah.

جامعة الزيتونة
عبد القادر للعطوم الإسلامية